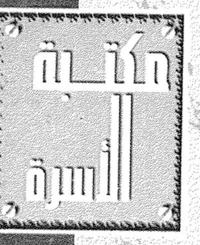
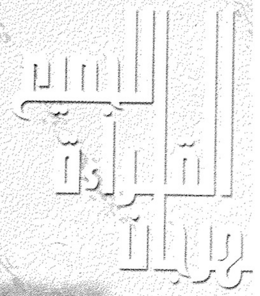




محمد على علوبة

ذكريات اجتماعية وسياسية

تحقيق

أحمد نجيب حمدى   جمال الدين مهنا

ناهد مصطفى مرزوق

اشراف وتقديم

د. عاصم الدسوقى

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

محمد على علوبة

ذكريات اجتماعية وسياسية

تحقيق

أحمد نجيب أحمد حمدى . جمال الدين أمين مهنا

ناهد مصطفى مرزوق

اشراف وتقديم

د. عاصم الدسوقى



مهرجان القراءة للجميع

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة / سوزان مبارك

المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

الإشراف الطباعى

محمود عبد المجيد

الغلاف والإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقـديـم

● منذ خمسة عشر عامًا أطلقت السيدة الفاضلة سوزان مبارك فكرتها الرائدة عن مشروع القراءة للجميع، هادفة إلى إتاحة فرصة القراءة لجميع أفراد الشعب، بعد أن كانت أسعار الكتب قد وصلت إلى أرقام كبيرة لا تحتملها ميزانية كل راغب فى القراءة والمعرفة.

● ولاشك أن أى مؤرخ للحركة الثقافية فى مصر سوف يتوقف كثيرًا عند فكرة هذا المشروع، وأثره الكبير على الثقافة والمثقفين فى مصر فى نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين.

● وقد أسهمت الهيئة المصرية العامة للكتاب فى هذا المشروع «بمكتبة الأسرة» التى تصدر بانتظام منذ أحد عشر عامًا، وتستعد لخطوة أخرى من التطوير فى عامها الثانى عشر.

● لقد قدمت هيئة الكتاب على مدى السنوات من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٤م ومن خلال مكتبة الأسرة بسلاسلها المختلفة

٣١١٣ عنوانًا فى مختلف فروع المعرفة، طَبعت منها أكثر من ٣٧ مليون نسخة وطرحتها فى الأسواق بأسعار زهيدة فى متناول الجميع، تبدأ من عشرة قروش وتتدرج، ولا تزيد عن ثلاثة أو أربعة جنيهات للكتب الكبيرة الحجم، أو متعددة الأجزاء.

- وهذه الأرقام تعطى دلالة لعدد المستفيدين من القرَّاء، ولعل جزءًا كبيرًا منهم من القراء الجدد.

- ولكن المستفيد لم يكن القارئ وحده فقد عادت الفائدة أيضًا على مجموع الكُتَّاب الذين أسهموا فى مكتبة الأسرة، وقد بلغ عددهم ١٣٦٨ كاتبًا كما عادت الفائدة أيضًا على المطابع، ودور النشر الأخرى التى شاركت فى المشروع. وبالتالى فالفائدة قد عمَّت كل الأوساط الثقافية المهتمة بالكتاب.

- وقبل انطلاق مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٥م خلال الشهر القادم نعيد طرح حوالى مائة عنوان فى ثوب جديد، ويُعتبر ذلك تقدمة لانطلاقة أخرى لمكتبتنا.

- فإلى اللقاء مع مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م الشهر القادم بإذن الله.

ناصر الأنصارى

القاهرة

مايو ٢٠٠٥

تصـــدير

عندما وضع مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر خطته لعام ١٩٧٥/ ١٩٧٦ م تضمنت فيما تضمنت تحقيق ونشر مذكرات الزعماء السياسيين الذين لعبوا دورا على مسرح الحياة السياسية المصرية منذ مطلع القرن العشرين ، اعتمادا على المذكرات والأوراق الخاصة بهم والمودعة بدار الوثائق القومية بالقلعة • وكانت الخطة تقتضى نشر مذكرات واوراق كل من : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، وعبد الرحمن فهمى ، ومحمد على علوبة •

وقد استطاع المركز منذ ذلك التاريخ نشر الجزء الأول من أوراق محمد فريد عام ١٩٧٨ بعنوان « مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ ـ ١٩١٩ » ، والجزء الثانى منها بعنوان « المراسلات » عام ١٩٨٦ ، ومراسلات مصطفى كامل عام ١٩٨٢ وخطبه عام ١٩٧٤ ، ثم الجزء الأول من مذكرات سعد زغلول عام ١٩٨٧ عن الفترة من عام ١٩٠٢ الى ١٩٠٨ •

ورغم ان مذكرات محمد على علوبة قد أعدت للنشر بعد التحقيق والدراسة فى أواخر عام ١٩٨٠ الا أنه لم يقدر لها النشر آنذاك لأسباب خارجة عن ارادة الباحثين بالمركز • فقد تعاقب على المركز ثلاث ادارات مختلفةلكل منها فلسفة خاصة ورؤية للعمل الأكاديمى نتج عنها اعادة ترتيب الأوراق وترتيب الأولويات ، فتقدمت مشروعات بحثية ، وتراجعت أخرى فتأخر صدور هذا العمل قرابة ست سنوات • ولو أن أحدا من شيعه محمد على علوبة موجود على ساحة العمل السياسى فى مصـــر الآن ، لأتهم المركز بانه يعادى الراحل الكريم ، ولقال ان حربا شرسة تشن ضـــده رغم مرور اكثر من ثلاثين عاما على وفاته واكثر من خمسين عاما على خروجه من اطار العمل الحزبى فى مصر • والحق ان تأخير نشر المذكرات حتى هذا الوقت يؤكد مقولة عامة عند علماء الســياسة والادارة مؤداها ان الادارة البيروقراطية تستطيع خنق الأهداف العليا اذا لم تكن على مستوى هذه الأهداف •

على أن تأخير نشـر مذكرات علوبة طوال هذه الفترة (منذ عام ١٩٨٠) خدم بطريق غير مباشر وجهة نظر أســتاذنا المرحوم الدكتور محمد أحمد أنيس الذى قال لى يوما ما خلال العمل بالمذكرات ، انه لا يصح نشر مذكرات علوبة دون نشر مذكرات سعد زغلول نظرا لأن علوبة أقام مذكراته على النيل من وطنية ونزاهة ســعد زغلول والأفضل ان تنشر مذكراتهما معا حتى لا ينظر القارئ لسعد زغلول بعيون علوبة ٠

وهذا يقودنا الى القول بان نشر مذكرات أى سياسى من السياسيين برمتها كما تركها ودون تحقيق ودراسة لا يفيد البحث عن الحقيقة ، اذ من السهل على القارئ العادى أن يقع فى أسر الشخصية المبهرة التى يقرأ أعمالها ، ويتصور أن كل أقوالها سديدة ، وانها لم تنطق سوى الحكمة ، ولم تتصرف سوى العدل ، ولم تسلك الا سلوك العقلاء ٠ وهذا غير صحيح لأن بعض الشخصيات تجعل من مذكراتها وقائع تبريرية لتصرفاتها ، الأمر الذى يفرض على الباحث الا ينزلها منزل القداســة من نفسه أو يتركها تسيطر على تفكيره وتوجه قيادة ٠ والأفضل فى هذه الحالة ان تعامل المذكرات كأحد المصادر ، أى تخضع للمناقشة والتحليل والمقارنة وخاصة فى النقاط الخلافية ٠

واذا كان هذا هو حال المذكرات الخاصة للزعماء السياسيين فان قراءتها بحثا عن الحقائق وتحقيق وقائعها لا تحتاج الى باحث متعاطف كما يرى البعض ٠ ذلك أن هذا التعاطف سوف يحول صاحب المذكرات الى بطل معبود ٠ وانما يحتاج الأمر الى باحث عقلانى يطرح وراء ظهره أى ميل عاطفى ، حبا أو كراهية ، للشخصية أو للفترة التاريخية منعا لتحكيم المعايير الأخلاقية فى التقييم ، ذلك ان وصم اتجاه ما بأنه خطأ أو وصم آخر بانه صواب طبقا لمعايير الأخلاق سوف يجعل التقييم نسبيا فى النهاية وهذا ضد المعرفة العلمية ٠ ولكن اذا نظرنا الى سياسة الزعيم فى ضوء الظروف الموضوعية السائدة ، وفى ضوء ابعاد عملية التحول التى تحدث داخل المجتمع ، وقارناه بالاتجاهات والسياسات المعاصــرة له يصبح فى الامكان وضع سياسته فى الموضع الصحيح ٠ ومن ناحية أخرى فان تقدير صاحب الاتجاه أيضا يكون فى تقدير البيئة التى نبت منها وعاش فيها ولها وبهذا تتكامل النظرة الى حد ما ٠

على كل حال ٠٠ فان مذكرات محمد على علوبة أصبحت الآن أمام القارئ محققة تسبقها مقدمة دراسية عن شخصية علوبة من خلال حياته السياسية وأعماله الفكرية للاستعانة بها على فهم المذكرات وصاحبها ٠

ويقتضى الواجب بالتنويه بالجهد الذى قام به المحققون فى جمع مادة التحقيق وصياغتها وهم الباحثون : أحمد نجيب أحمد حمدى ، وجمال مهنا ، وناهد مرزوق · كما يقتضى الواجب أيضا التنويه الى الجهد الذى قام به الباحثون : أحمد نجيب أحمد حمدى ومحمود زهدى ، وكمال أحمد محمود فى مطابقة صورة المذكرات على النسخة الأصـــلية المودعة بدار الوثائق حيث تحملوا مشقة الصعود الى القلعة أياما مختلفة لضبط حروف الكلمات المتآكلة · كما لا يفوتنى تقديم الشكر الى السيدة / ملكة محمد حامد التى نقلت المذكرات على الآلة الكاتبة قبل العمل فى تحقيقها ·

والله من وراء القصد ··

القاهرة فى مارس ١٩٨٧

د · عاصم الدسوقى





محمد علي علوبة

تقديم المذكرات :

ليس من المعروف على وجه الدقة متى أملى محمد على علوبة ذكرياته على كاتبها محمد عبد الهادى ؟ ، الموظف بجمعية التقريب بين المذاهب ٠ ولكن هناك اشارة بهذه الذكريات تفيد انها أمليت خلال عامى ١٩٥٤ / ١٩٥٥ ٠ فعندما يشير علوبة الى زواجه يقول أنه « زواجا موفقا مضى عليه الآن اكثر من خمسين سنة اذ عقد العقد فى ١٠ مارس ١٩٠٤(١) ٠ وعندما يشير الى التعليم فى مصر يقول ان نسبة المتعلمين بلغت ٣٠٪ فى عام ١٩٥٥(٢) ولما كان محمد على علوبة قد توفى فى عام١٩٥٦ (٢٥ مارس) فهذا يعنى أنه أملى هذه الذكريات قبيل وفاته بوقت قليل ٠ ولاشك ان املاء الذكريات فى مرحلة متأخرة من العمر يفرض أسلوبا معينا فى التعامل معهـــــا ٠

لقد أطلق علوبة على ما أملاه من صـــحفات « ذكريات اجتماعية وسياسية » ، فهى بهذا « ذكريات » وليست مذكرات(٣) ، وهى اجتماعية لأنها تتناول جانبا من الحياة الاجتماعية فى مصر فى فترة حياة صاحبها ، وسياسية لأن السياسة المصرية موضـــوعها الرئيسى منذ تكون الوفد المصرى فى عام١٩١٨ ٠ « وذكريات » هى انسب تسمية لما أملاه علوبة فقد تم تسجيلها بعد وقوع الأحداث المعنية بفترة طويلة ، وخاصة تلك المتعلقة بتشكيل الوفد المصرى ، والخلاف بين سعد زغلول وعدلى يكن ٠

---

(١) الذكرات ، ص ٤٥ ٠

(٢) المذكرات ، ص ٧٩ ٠

(٣) أنظر مقدمتنا التحليلية لمذكرات محمد فريد التى نشرها مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ١٩٧٨ ٠

وعندما يكتب السياسى ذكرياته بعد فترة طويلة من الزمن فالكتابة هنا تصبح نوعا من التأليف التاريخى الذى يقوم على التحليل ويخضع للمناقشة واختلاف وجهات النظر • ولو أن كل سياسى عنى بتسجيل يومياته عن الحدث عقب وقوعه مباشـرة لكان هذا أفضـل وأكثر فائدة للمعالجة التاريخية • أما الكتابة بعد ابتعاد العهد وهدوء الأطراف المتصارعة ، تعتمد على اجهاد الذاكرة لاستخراج ما قد يكون قد اســتقر فيها من معلومات وتفصيلات ومن ثم فمن المتوقع وجود بعض الثغرات واهمال بعض النقاط عن عمد أو سهو •

وذكريات علوبة من ذلك الطراز فيماعدا الفترة من ٢٥ يوليه ١٩٢٠ الى ١٩ يناير ١٩٢١ التى كتبها على شكل يوميات ، وهى فترة مفاوضات الوفد مع اللورد ملنر بانجلترا • وقد أوضح أنه ينقل من « مذكراته » ما يخص موضوع المفاوضات • ومن السهل التشكيك فى أن هذه اليوميات قد كتبت بالشكل المتعارف عليه لليومية ، أى يوما بيوم مع الحدث نفسه حيث نلاحظ ما يلى :

ـ انه فى يومياته عن ٥ سبتمبر ١٩٢٠ يظهر استياءه من سعد زغلول من حيث علاقته بعدلى ، وفكرة المفاوضة قائلا ان سعدا طعن عدلى فى « وطنيته وكرامته » ، ويعقب قائلا « سيأتى تفصيل ذلك »(٤) • وليس من المعقول أن الحدث اليومى يسجل بهذه الطريقة •

ـ فى نفس تلك اليومية (٥ سبتمبر ١٩٢٠) يقول ان سعدا أرسل خطابا سريا الى أعضاء الوفد فى مصـــر وهم مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وويصا واصف ويخبرهمانه (يخالف ماجاء بندائه العلنى للشعب) ، وهو النداء المرسل من فيشى ، وأنه يعتبر المشروع المعروض حماية(٥) •• الخ ، ثم يقول أن هذا الخطاب السرى (لم يكن له من تأثير فان الأعضاء الثلاثة ـ وكانوا من أشد أنصاره ـ عرضوا مشروع ملنر الأخير باخلاص كما سمعنا)(٦) ويلاحظ هذا من اختـــلاف صيغة الخطاب المرسل منهم الى سعد بتاريخ ٢ يناير ١٩٢١ والمكتوب فى صفحة ٢٤٥ من المذكرات • والغريب فى هذا الأمر ان الملاحظة السابقة كتبت قبل أن يصل الوفد الرباعى (محمد محمود ، عبد اللطيف المكباتى ، لطفى السيد ، على ماهر) الى مصر لينضم الى الأعضاء الثلاثة المشار اليهم لعرض مشروع ملنر ••

---

(٤) المذكرات ، ص ٢١٨ •
(٥) المذكرات ، ص ٢١٦ •
(٦) نفسه ، ص ٢١٨ •

لأنه ينكر فى يومية ٧ سبتمبر ١٩٢٠ « وصل مندوبو الوفد الأربعة الى الاسكندرية فقوبلوا أحسن استقبال » ٠

ـ فى يومية ٧ سبتمبر تلك يقول ان مندوبى الوفد الأربعة قوبلوا احسن استقبال وتكونت لجنة للحفاوة بهم برئاسة « المرحوم » أحمد يحيى باشا ٠ فكيف يتحقق ذلك ٠

ـ تحت يوميات ١٣ نوفمبر ١٩٢٠ يقول ان هذا « اليوم عيد تكوين الوفد وقد مضى على تاليفه سنتان فاحتفلت به الأمة المصرية فى القاهرة وغيرها ، وكان من المحتفلين بهذا العيد فى القاهرة حسين رشدى والقى خطابا فى ذلك اليوم قال فيه ـ ٠٠٠ » ٠ وهذا ـ فى رأينا ـ استباق للحوادث لأنه لا يمكن ان يسجل ماحدث بالقاهرة فى ذات اليوم وينقل نص الخطبة فى ضوء ظروف اتصالات ومواصلات الفترة ٠

ـ تحت يوميات ٨ يناير ١٩٢١ يشير الى أن جريدة الأخبار نشرت فى عددها الصادر اليوم (أى ٨ يناير ١٩٢١) حديثا بين مندوبها فى باريس وبين سعد زغلول ٠٠ ثم يقول أن مندوب الأخبار هذا كتب « بعد ذلك بأشهر ، أى فى ٢١ يوليه ١٩٢١ انه لم يأخذ حديثا فى ٨ يناير ١٩٢١ من سعد ٠٠ » هذا فضلا عن أن يومياته تلك تنتهى فى ١٩ يناير ١٩٢١ وليس عند شهر يوليو ١٩٢١ ٠

ـ تحت يوميات ٢١ اكتوبر ١٩٢٠ يشير الى تقرير كتبه عبد العزيز فهمى عن مشروع ملنر فى اكتوبر ١٩٢٠ ويقول ان التقرير « نشر نصه فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢ مارس ١٩٢١ » ٠ وهذا أيضا استباق للحوادث وملاحقة للأخبار يتنافى مع صيغة اليوميات ٠

يضاف الى ذلك ان أسلوب هذه اليوميات لا يختلف عن أسلوب الذكريات ككل ، والمفترض انها لابد وان تختلف لأن المذكرات كتبت فى منتصف الخمسينات بينما اليوميات ـ كما هو ثابت ـ سجلت فى مطلع العشرينات من القرن ٠

فما هو وجه الخداع فى هذا الاختلاف ؟ ٠ هل يمكن القول بأن هذه خدعة من علوبة لو وصم سعد زغلول بما وصمه مبررا ذلك انه ينقل عن مفكرته آنذاك ، وانه لم يتأثر بالخلاف الذى نشب بين سعد وعدلى فيما بعد وبهذا يضفى اهمية خاصة على ما قاله ضد سعد خاصة وأن المذكرات كلها تقريبا تقوم على التقليل من شأن سعد زغلول ٠ أو انه وهو

ينقل عن مفكرته كان يضيف بعض العبارات ويعدل من الأخرى بما يخدم خطه فى تشويه سعد والهجوم عليه · أو انه وهو يملى كاتب المذكرات من مفكرته كان يعلق ويشرح ، وكان الكاتب يسجل كل ما يملى عليه دون تفرقة بين الخبر والتعليق عليه ·

الحق أن القارىء يلمس هذا الاحساس الأخير من متابعة المذكرات· فالخطابات أو التقـــارير المرفوعة من الوزراء (عدلى يكن مثلا) الى السلطان بشأن المفاوضات أو بشأن تقديم الاســـتقالات ، والتى حرص علوبة على تسجيلها بذكرياته ، تنتهى بعبارة « ·· وانى ·· الخ » ولا يمكن بحال ان يختتم رئيس الوزراء او أحد المســئولين خطـابا بهذا الشكل ، ولكن من الســهل أن نفهم أن علوبة وهو يملى المذكرات كان يقول للكاتب عند مثل هذه النقاط ·· وانى الى آخر العبارة المعروفة ·· فكان الكاتب يكتب ما يملى عليه حرفيا فاثبت بهذا صدقه وامانته وغفلته فى أن واحد(٧) · ويبدو أن علوبة لم يقرأ المذكرات بعد املائها ، ولو انه فعل ذلك لتدارك مثل هذه الأمور ولصحح بعض الكلمات ، واعاد كتابة ما سقط منها سهوا ، وهو ما يلمسه القارىء فى مكانه من المذكرات دون جهد كبير ·

اما الجانب السياسى فى المذكرات فهو يتناول بالتحديد الفترة التى اشترك فيها علوبة فى الحركة الوطنية منذ انضمامه للحزب الوطنى ، ثم منذ تشكيل الوفد المصرى فى ١٩١٨ وقيام ثورة ١٩١٩ ، والانشقاق بين أعضاء الوفد ، والظروف المرتبطة والمصاحبة لكل ذلك الى ان ترك هذا المجال فى عام ١٩٣٤ وقبل توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وان لم يمنعه ذلك من ابداء الرأى فى المعاهدة ·

ويذكر علوبة أنه ســـجل هذا الجانب من حياته لأنها « ذكريات ومشاهدات » اشترك فيها ، مبررا عدم الحاجة الى الحديث عن الوفد بعد وفاة سعد زغلول ، أو الحديث عن أعمال أية حكومة أخرى الا ما كان له علاقة به(٨) ثم أنه يحكم القارىء فى الخلاف الذى نشب بين سعد زغلول وعدلى يكن تاركا له ، أى القارى ، أن يقرر « أسباب الشقاق وعلى من تقع مسئوليته ، فهو حر فيما يراه ويستنتجه من الحقائق التى بسطناها(٩)

---

(٧) انظر على سبيل المثال صفحات رقم ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ من المذكرات ·

(٨) المذكرات ، ص ٤٣٣ ، ٤٧١ ·

(٩) نفسه ص ٤٧٢ ·

وعلوبة بهذا يريد أن يعطى للقارىء انطباعا بأنه قدم الحقيقة الموضوعية فى أسباب هذه الخصومة السياسية • ولكنها حقيقة رياضية فى نظرنا لأن النتائج المقدمة مشتقة من فرضيات وأسباب وضـــعها المؤلف اختيارا وبالتالى فهى متسقة وفقا للمنهج المستخدم • ولاشك أنه تجاهل أسبابا أخرى قد تكون فى جانب خصـــوم عدلى • ولا يجب أن ننسى فى هذا المجال أن علوبة من غلاة الناصرين لعدلى فى خصومته مع ســـعد حتى لكان مذكرات علوبة تؤرخ لعدلى أكثر مما تؤرخ لصاحبها •

تحتوى المذكرات على كثير من الخطب والتقارير والبرقيات المتبادلة مع الجانب البريطانى والمرفوعة للمسئولين ، ومعظمها منشور بصحافة الفترة ، وهى تســتغرق أكثر من ثلث اجمالى المذكرات (حوالى ٢٠٠ صفحة من اجمالى المذكرات وعددها ٥٣٢ صفحة) • ولقد أرفق علوبة بالمذكرات ملحقا من كراستين بميزانية الوفد (ايرادات ومصروفات) عندما كان بباريس فى الفترة من نوفمبر ١٩١٩ الى يناير ١٩٢١ باعتبـــاره ، أى علوبة ، أمينا للصندوق آنذاك •

هاتان الكراستان مكتوبتان بخط يد علوبة نفسه وليستا مملاتين مثل المذكرات • ويبدو أنه احتفظ لنفسه بهذه البيانات لاستخدامها عند اللزوم ، ربما لتبرئة ذمته اذا ما فكر أحد من خصومه فى التشهير به • وكان واجب الوظيفة يقتضى تسليمها لرئاسة الوفد أو لمن تولى أمانة الصندوق بعده خاصة وأنه ترك الوفد كلية ، فضلا عن الصفة الرسمية لهذه البيانات •

ومن هاتين الكراستين نعرف أن الموقف المالى كان يتلى فى جلسات الوفد كل فترة معينة يصدق بعدها المجلس على ما جاء من بيانات ويكتب سعد زغلول بخطه موقعا تحت كل قائمة « •• تلى الحساب المبين أعلاه بجلسة الوفد المنعقدة بتاريخ (كذا) وتصدق عليه • » •

ولعل أهم ما يلفت النظر فى بيان مصروفات الوفد اثناء وجوده بباريس ارسال برقية مستعجلة الى محمد محمود باشا فى ٥ يناير ١٩٢٠ عندما كان موجودا بواشنطن يسعى للقضية المصرية • ومضـــمون هذه البرقية كما أورده علوبة فى كراسة المصروفات هو «••• تكذيبا لما أشيع عن الوفد من أن معالى رئيسه قال بأن مصر تلجأ للقوة اذا لم تحصل على استقلالها بالطريق السلمى » • وفى هذا القاء مزيد من الضوء على موقف قيادات ثورة ١٩١٩ من العمل الثورى ضد الاحتلال البريطانى والتزامها

بصيغة التوكيل القائمة على السعى بالطرق السلمية المشروعة(١٠) ٠

وجدير بالذكر أن طاهر الطناحى نشر أجزاء من هذه المذكرات فى المقدمة التى قدم بها كتاب محمد على علوبة عن « فلسطين والضمير الانسانى » المنشور عام ١٩٦٤ ، والمعتقد انه اطلع على المذكرات ونقل منها فقرات معينة وان لم يذكر ذلك صراحة ، ولكنه يقول على سبيل المثال فى صفحة رقم ١٠ وما بعدها عن اشتغال علوبة بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية ، ان ثمة حادثا جعله يبتعد عن هذه المحاكم فيقول « ٠٠ حدثنى (يقصد علوبة) عن هذا الحادث وعن حالة المحاماة والقضاء وقتئذ حديثا طريفا أترك له رحمه الله أن يرويه كما حدثنى به ٠٠ » ثم يذكر نفس العبارات بنصها عن هذا الموضوع كما ورد بالمذكرات مما يؤكد اطلاع الطناحى عليها واستخدامها ، لأنه لا يعقل أن يحدث تطابق بهذا الشكل ٠ ثم انه يضيف من عندياته عبارات لم يذكرها علوبة نفسه فى مذكراته ٠ وهى اضافات يبدو أنها متعمدة فى مواقع معينة خاصة بالنشاط السياسى وتعطى لعلوبة دورا معينا ٠ فمثلا يقول عن علوبة انه زار مع محمد فريد تركيا واجتمع برجال الحكومة واعضاء مجلس المبعوثان عام ١٩٠٩ سعيا لاعطاء مصر حقوقها الدستورية (ص ١٩) بينما مذكرات علوبة (ص ٥٦) لا تشير الى هذا السعى ، لأن الزيارة كانت بقصد مشاركة الأتراك بعودة الدستور ، وقد ذكرها محمد فريد فى مذكراته (ص ٢٠) بهذا المعنى أيضا ٠ والأغرب من ذلك ان علوبة نفسه فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » الذى قدم له الطناحى يذكر هذا الموقف (ص ٩٩) كما ورد عند محمد فريد فى مذكراته ٠

وعلى هذا فليس من المفهوم الغرض الحقيقى من وراء الاضافات التى أوردها الطناحى ٠

اما حياة محمد على علوبة السياسية فيمكن تقسيمها الى مرحلتين الأولى : وتتمثل فى العمل السياسى الحزبى من خلال عضويته بالحزب الوطنى ، ثم الوفد ، ثم الأحرار الدستوريين ٠ وتبدأ هذه المرحلة بانضمامه للحزب الوطنى تحت زعامة محمد فريد وتنتهى فى عام ١٩٢٤ باستقالته

---

(١٠) انظر تحليلا لذلك فى كتابنا « ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ ــ ١٩٥٢ » الفصل الرابع » ٠

من سكرتارية حزب الأحرار الدستوريين(١١) .

والثانية : تتمثل فى شغل المناصب الحكومية بعيداً عن الأطر الحزبية . وتبدأ هذه المرحلة فى عام ١٩٣٦ بتعيينه وزيراً للمعارف فى وزارة على ماهر ، وتنتهى فى يناير ١٩٥٠ باستقالته من وزارة الخارجية كسفير فوق العادة ومفوض لدى حكومة باكستان . ويلاحظ ان هذه المناصب الرسمية التى تولاها علوبة كانت فى وزارات الأقلية(١٢) .

ويذكر علوبة انه استقال من هذا المنصب الأخير (سفير مصر بالباكستان) احتجاجاً على وزارة المعارف ووزارة الخارجية لعدم تقدير جهوده فى انشاء المدارس لتعليم اللغة العربية ببلاد الباكستان ، ورغبته فى أن يتم ذلك على نفقة الحكومة المصرية . ويذكر أيضاً أنه بهذه الاستقالة « انقطعت صلتى بأى عمل حكومى كما انقطعت صلتى من قبل بأى حزب من الاحزاب »(١٣) وقد يكون هذا هو سبب الاستقالة ، وقد يكون السبب شيئاً آخر اذا ما ربطنا بين الاستقالة وبين اعتلاء الوفد الحكم فى ١٢ يناير ١٩٥٠ وعدم رغبة علوبة فى التعاون مع الوفد ، أو عدم رغبة الوفد فى التعاون معه . وهكذا أراد علوبة أن ينال من الوفد ، خصمه القديم ، حتى فى آخر أيامه . ذلك أنه ليس من المتصور أن وزير المعارف طه حسين فى هذه الوزارة ، يقف ضد مطلب انتشار اللغة العربية بالباكستان وهو عميد الأدب العربى . وعلى كل حال هذه مسألة تحتاج الى التوثيق والاطلاع على مذكرة الاستقالة ، وموقف الوزارة .. الخ ، مما ليس متاحاً الآن .

---

(١١) F.O. 407, Sir M. Lampson to Mr. Eden, Cairo, April 16, 1937

ويذكر طاهر طناحى انه اعتزل الأحزاب والحزبية والتحزب فى عام ١٩٣٦ ، ص ٢٣ .

(١٢) كانت هذه المناصب على النحو التالى وزير معارف (١٩٣٦/١/٣٠ - ١٩٣٦/٥/٩) بوزارة على ماهر ، وزير دولة للشئون البرلمانية (١٩٣٩/٨/١٨ - ١٩٤٠/٦/٢٧) بوزارة على ماهر ، وزير الأوقاف (١٩٤٦/١٢/٩ - ١٩٤٧/٣/٣) فى وزارة النقراشى وقد استقال من هذا المنصب فى ذلك التاريخ لأن الوزارة استمرت حتى ١٩٤٨/١٢/٢٨ تاريخ اغتيال النقراشى ، وزير مفوض من الدرجة الأولى (١٩٤٨/١٠/٢٨ الى ١٩٥٠/٢٧) حيث تولى السفارة الملكية بالباكستان ثم سفيراً فوق العادة ومفوضاً لدى حكومة الباكستان فى ١٩٤٩/٨/٢٣) .

انظر ملف معاش محمد على علوبة بدار المحفوظات المصرية تحت رقم ١٦١٤٢ - ٤٠١٢ - ٢٨٣ - ٢ .

(١٣) المذكرات ، ص ٥١١ .

وهناك مرحلة اخرى فى حياة علوبة متداخلة زمنيا مع المرحلتين السابقتين ، وهى تتمثل فى اهتماماته ببعض القضايا العامة فى مصر ، وقضايا العروبة والاسلام ، وقضية فلسطين على وجه الخصوص .

عندما كان وزيرا للاوقاف فى عام ١٩٢٥ بذل نشاطا مكثفا لالغاء الوقف الأهلى ، فاثار بذلك الملك فؤاد الذى قيل له أن علوبة يرمى بذلك الى حل الأوقاف الملكية(١٤) . كما أنه اعترض على نظام الخلافة مؤيدا فى ذلك الشيخ على عبد الرازق ، وكانت وجهة نظره التى ابلغت للملك فؤاد « .. أن طلب الخلافة الاسلامية يؤدى الى تنازع ملوك المسلمين عليها وبالتالى يؤدى الى تقاطع الشعوب الاسلامية وهذا ليس بصالح المسلمين »(١٥) . ويبدو أن موقفه هذا يستند الى تصوره لدور رجال الدين فى المجتمع الذين « يناصرون غالبا الفرد الحاكم ، وأن الأوقاف التى ينفق منها على رجال الدين من خيرات أو مرتبات كانت فى يد الحاكم يتصرف فيها كما يشاء(١٦) .

وله أيضا جهود تذكر فى مجال تقييد حق الطلاق وتعدد الزوجات(١٧). ونشر اللغة العربية فى الباكستان (١٧م) فضلا عن اشتغاله بالمحاماة وما يرتبط بها من مشكلات اجتماعية .

ويمثل عام ١٩٢٩ منعطفا فى اهتمامات علوبة بالقضايا العربية الإسلامية ، حيث اهتم بقضية البراق الشريف بالقدس ، وحيث أصبح عضوا مؤسسا للجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامى . وفى عام ١٩٣٣ سافر

---

(١٤) المذكرات ، ص ٤٨٣ . انظر ايضا
F.O. 407, Sir M. Lompson to Mr. Eden April 1937

(١٥) ويذكر لامبسون فى تقريره السالف أن علوبة استقال من وزارة الأوقاف (فى وزارة زيور ، مارس سبتمبر ١٩٢٥) مع زملائه الاحرار الدستوريين احتجاجا على طرد عبد العزيز فهمى باشا وزير الحقانية لأنه تباطأ فى فصل الشيخ على عبد الرازق من وظيفته بالقضاء الشرعى .

(١٦) المذكرات ، ص ٥٤ من تعليقه على حزب الاصلاح ورئيسه على يوسف كأزهرى .

(١٧) المذكرات ، ص ٤٩٦ ، ٥٠١ وذلك عندما كان عضوا بمجلس الشيوخ (١٩٣٦ ــ ١٩٤٧) . ومجلس النواب (١٩٢٦ ــ ١٩٢٨) (فى لجنة الحقانية ولجنة الأوقاف والمعاهد الدينية ولجنة الشئون الدستورية) .

(١٧م) المذكرات ، ص ٥٠٩ .

الى الهند ممثلا لهذه اللجنة[١٨] • وفى هذا المجال تولى علوبة رئاسة جمعية الاتحاد العربى ، وجمعية الدراسات الاسلامية ، وجمعية اصلاح الأسرة ، وجمعية انقاذ الطفولة المشردة ، ولجنة البيان العربى ، وجمعية التقريب بين المذاهب وجمعية انقاذ فلسطين ، كما كان عضوا بالجمعية الخيرية الاسلامية[١٩] •

ورغم أن علوبة يذكر أنه ابتعد عن الحياة الحزبية ، وكان هذا فى ١٩٢٤ باستقالته من سكرتارية حزب الأحرار الدستوريين كما سبقت الاشارة ، الا أن الوثائق البريطانية فى عام ١٩٣٧ ترجح أن له صلة قوية بالحزب الوطنى وجمعية مصر الفتاة وبعض العناصر المتطرفة الأخرى[٢٠] •

ومن ناحية اخرى ، فان هذه الوثائق تجمع على نزاهته ، وذكائه وقدراته ، وسعة أفقه ، وحتى عندما وصفته بأنه « وطنى غيور » قالت « ولكنه مع ذلك عنصر طيب »[٢١] • وكأن هناك تناقضا فى عرف السياسة البريطانية بين أن يكون الانسان وطنيا غيورا وعنصرا طيبا فى نفس الوقت ، لأن التطرف قرين الوطنية من وجهة النظر البريطانية •

فيما يتعلق بالجانب السياسى من حياة علوبة ، وهو موضوع المذكرات الأساسى ، فنحن نعرف منه أن حياته السياسية بدأت بدخوله الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل « بقليل » ، اى تحت زعامة محمد فريد • ولا تكشف المذكرات الأسباب الموضوعية لهذا الانضمام خاصة وأن الحزب الوطنى لم يكن هو الحزب السياسى الوحيد فى مصر آنذاك • فقد كان هناك حزب الأمة ، وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ،

---

(١٨) F.O. 407, Sir M. Lampson to Mr. Eden, Cairo, April 16, 1937

(١٩) محمد على علوبة ، فلسطين والضمير الانسانى ، ص ٣٠ ، والمذكرات ، ص ٤٨٠ •

(٢٠) F.O. 407, Sir M. Lampson to Mr. Eden, Cairo. April 16, 1937

(٢١) F.O. 371, Vol. 1964/15252, Report from Ministry of Interior Advisor's Office : Note on the first elections for the Egyptian Ligisaltive Assembly by Ronald Graham, Dec. 29, 1913; F.O. 407/201 Lord Llaoyd to Sir Austen Chamberlian, May 23, 1927; F.O. 407/452, Sir, Sir P. Lorain to Mr. A. Henderson, Jan .14, 1930; F.O. 407, Sir M. Lampson to Mr. Esen, Cairo, April 16, 1937.

وأحزاب أخرى أقل شأنا ، الا اذا كانت أهداف الحزب الوطنى فى « جلاء المحتل جلاء كاملا ناجزا »(٢٢) هى التى شجعت علوبة على الانضمام اليه. وقد يرجع من هذا أن علوبة يصف حزب الأمة بأنه يرغب فى « النهوض بالشعب عن طريق التطور لا عن طريق الثورات »(٢٣) ، وأن حزب الاصلاح تألف « ليحافظ على مركز الخديو ضـــد تطرف رجال الحزب الوطنى الذين قطعوا صلتهم بالخديو بعد أن تم الائتلاف بينه وبين جورست » ، وأن جريدة الحزب قد « لان أسلوبها مع الانجليز بعد هذا الائتلاف»(٢٤). ولا يذكر علوبة شيئا كثيرا عن نشاطه بالحزب الوطنى سوى سفره الى الآستانة عام ١٩٠٩ مع محمد فريد مشاركة للأتراك فى احتفالهم بعودة الدستور ، أو القائه خطبة فى احتفال الحزب بأسيوط . ثم يشير بعد ذلك الى دخوله الجمعية التشريعية عام ١٩١٤ نائبا عن بندر أسيوط ، ووقوفه فى صف المعارضة مع سعد زغلول . كما أنه لم يشر الى كيفية خروجه من الحزب الوطنى . أو انتهاء صلته به ، وحتى فى تعليقه على وفاة محمد فريد لم يذكر شيئا عن علاقاته القديمة بالحزب(٢٥) ولكنه حتى مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ المشهورة يذكر أنه عضو يمثل الحزب الوطنى فى الوفد الذى شكل عقب وضع صيغة التوكيل ومعه عبد اللطيف المكباتى(٢٦) .

ثم هو ينتقل بنا بعد ذلك الى الكلام عن العمود الفقرى لهذه المذكرات وهو مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، وأحداث ١٩١٩ ، والخلاف بين الأطراف المشاركة (عدلى وسعد).. الخ . وهو يشعرنا أنه فكر فى مثل هذه المقابلة كمواطن عادى ، فتأثر بمبادىء ولسن الأربعة عشر ، بادر بالاتصال بسعد زغلول فى ٨ نوفمبر ، وقابله فى ٩ نوفمبر قائلا له أنه يتعين عمل شىء لمصلحة البلاد اعتمادا على مبادىء ولسن وذلك « بتكوين جمعية تسعى فى تحقيق ماتصبو اليه البلاد »(٢٧) . وأجابه سعد بأنه يتشاور مع بعض الزملاء فى نفس هذه الفكرة .

---

(٢٢) المذكرات ، ص ٥٦ . عن الأحزاب السياسية فى هذه الفترة انظر ، يونان لبيب ، الحياة الحزبية فى مصر ١٨٨٢ – ١٩١٤ .

(٢٣) المذكرات ، ص ٥٥ .

(٢٤) نفسه ، ص ٥٤ .

(٢٥) نفسه ، ص ١٦٤ .

(٢٦) نفسه ، ص ١٠٤ .

(٢٧) المذكرات ، ص ٩٣ .

ومنذ البداية يشعر القارئ أن صـــاحب المذكرات يقف مع بعض الزملاء فى نفس هذه الفكرة ٠

ومنذ البداية يشعر القارئ أن صـاحب المذكرات يقف مع عدلى يكن ضد سعد زغلول على طول الخط ، فلم يحظ سعد منه بكلمة انصاف واحدة ٠ لم يذكر ايجابياته وسلبياته ، والمسألة عنده اما أبيض واما أسود دون ظلال بين الجانبين ، وأن الناس عنده صنفان نبلاء الأصل وغير نبلاء ٠

ففى تعليقه على مقابلة ١٣ نوفمبر (بداية الوفد) يبدى أعجـــابه بأسلوب على شعراوى فى حديثه الى سير ريجنالدونجت وأنه يعد « رائعا وجديرا برجل وطنى شجاع دفعته شهامته ووطنيته الصادقة الى أن يواجه سير ونجت بما لم يقله سواه » ٠ كما أبدى أعجابه بمنطق عبد العزيز فهمى القائم على «الحكمة والقانون باعتباره محاميا ويريد السماح بالسفر وعرض القضية فى الخارج » ٠ وعلى العكس من ذلك ، أبدى نفورا من أسلوب سعد زغلول لأن سعدا أبدى استعداده لأن يكون لانجلترا « حق احتلال قناة السويس عند الاقتضاء » ، والدخول فى محالفة مع انجلترا وتقديم « ماتستلزمه المحالفة من الجنود »(٢٨) ٠ وعلوبة يعتبر هذا تفريطا من جانب سعد فى حق البلاد ، والتكلم فى أمور خطيرة دون الاتفاق عليها مسبقا مع زملائه ٠ ولو أن علوبة كتب هذه الذكريات على شكل يوميات مع الحدث أولا بأول ما كان قال ذلك ، ولوصف سعد زغلول بالحكمة على أساس أن سعدا لوح لبريطانيا بالمصالح التى تجعلها تتمسك باحتلال مصر وهى أهمية قناة السويس فى طريق المواصلات الى الهند ، درة التاج البريطانى ٠ وهذا فى العرف السياسى نوع من التكتيك والمرونة فى مواجهة الخصم القوى ٠٠ الخ ٠٠ ولا ننسى أن معاهدة التحالف قد وقعت بعد ذلك بسنوات (١٩٣٦) وتضمنت مثل هذا « التنازل » بصورة أو بأخرى ٠ ولكن علوبة كتب ما كتب بعد الخلاف الذى نشب بين عدلى وســـعد ، وانضـــمام علوبة الى جانب عدلى وولائه له ٠ وهنا تكمن خطـــورة « الذكريات » المتأثرة بالذات أكثر من الموضوع ٠

ونحن نستطيع أن نفهم أسبابا للخلاف الذى نشب داخل الوفد ، ومن ثم الانشقاق ، حين يذكر علوبة حوارا دار يوما ما بين سعد زغلول وعلى شعراوى فى باريس ، وأن سعدا جرح شعراوى بقوله له « أنت فى الوفد لثروتك » وكان سعد قد طلب من شعراوى بعض المال ولكن شعراوى تردد

---

(٢٨) نفسه ، ص ١٠٤ وما بعدها ٠

فى اجابة طلبه . ويقول علوبة ان هذا الموقف أساء الى شعراوى كما أساء الى أصدقائه وهم محمد محمود ، وعبد العزيز فهمى ، ولطفى السيد وأن شعراوى ترك الوفد فى باريس غاضبا لكرامته، وأن أصدقاءه ناصروه(٢٩) .

واذا كان علوبة يفسر بهذه الرواية الانشقاق داخل الوفد ، وتكوين حزب الأحرار الدستوريين فيما بعد ، فان هذه ـ فى رأينا ـ ليست أسبابا مقنعة لحركة الأحداث عندما يكون الرأى أو الخلاف الشخصى سببا ، خاصة وأن هذا الخلاف لم يكن على المسألة الوطنية ، وانما هو على أسلوب الحوار ولا يبعد أن تكون هناك أسباب جوهرية حول أسلوب عمل الوفد فى معالجة المسألة الوطنية ، وتعارض بعض المصالح .. الخ ، وكان الحوار بين الطرفين (سعد وشعراوى) بهذا الشـــكل تعبيرا عنها . واذا كان أصدقاء شعراوى ناصروه فى هذا الموقف ، وتركوا باريس غاضبين ، وهم هناك من أجل قضية وطنية ، فهم ليسوا ثوارا ، وليسوا موضوعيين فى خصومتهم .

وانطلاقا من نفس المفهوم ، يرجع علوبة الخلاف داخل الوفد الى نزوع سعد زغلول نحو الزعامة الشخصية على حساب القضية المصرية ويدلل على ذلك بقوله ان اللورد ملنر أكد أنه سوف يسمع ملاحظات الوفد فقط تمهيدا للمفاوضة الرســـمية « وليس للوفد أن يتعاقد وانما التعاقد يكون بين وزارتين رسميتين » . وهنا ـ كما يقول علوبة ـ أسقط فى يد سعد وأدرك أن المعاهدة اذا وقعت فسوف توقع بدونه ومن ثم تمسك بأنه وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس وفد الأمة المصرية ، وأعلن « أنه سيحارب كل شخص مهما كان مركزه يفاوض ليوقع »(٣٠) .

ويوميات علوبة عن فترة المفاوضات مع ملنر ابتداء من ٢٥ يوليه ١٩٢٠ وحتى ١٩ يناير ١٩٢١ ، تدور تقريبا حول اثبات تشبث ســـعد بالزعامة ، وبأن المفاوضات يجب أن تكون به ، وأنه هو الذى يجب أن يوقع المعاهدة . ويعرب علوبة عن دهشته ازاء تمسك سعد بهذا الموقف رغم علمه ، أى سعد بصعوبة تحقيق ذلك لأن السلطان أحمد فؤاد لم يكن يرغب فى أن يولى سعد رئاسة الوزارة حتى يكون على رأس المفاوضين . وهذا الموقف يفسر لعلوبة افتعال سعد زغلول الخلافات ووضع العقبات أمام طريق المفاوضة حيث كان يرفض ما يقبله المفاوضون ، ويقبل ماكانوا يرفضون ، ويظهر لهم أنه يوافقهم ، ويصرح فى الخارج انه ليس كذلك .

---

(٢٩) المذكرات ، ص ١٦٦ ـ ١٧٠ .
(٣٠) نفسه ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

وزعامة سعد هذه لم تكن مقبولة من جانب علوبة ، أو من جانب الجماعة التأسيسية للوفد • وتفسير ذلك عند علوبة ، أن هناك فرقا بين الجماعة التأسيسية للوفد (ثمانية أو سبعة) التى رتبت مقابلة ١٣ نوفمبر وقامت بصياغة التوكيل ، وبين من انضم الى الوفد بعد ذلك مثل مصطفى النحاس وحافظ عفيفى • وهو دائما يشير الى أن المنضمين (الصف الثانى بتعبير عصرى) هم الذين سيطروا على الوفد وعلى رئيسه سعد زغلول لأنهم « اتباع » ، بينما المؤسسون الأنداد لا يعاملون سعدا الا معاملة الند للند • وكانت هذه المعاملة تقريبا غير مقبولة من جانب سعد •

وهذا استمرار للتفسير الشخصى ، الذى اتبعه علوبة ، واهمال للعوامل الأساسية فى حركة الأحداث • فكما سبقت الاشارة ، لابد أن تكون هذه ظواهر أو عوارض تعكس الخلاف الحقيقى حول طبيعة المفاوضات والتنازلات التى لم يشر اليها علوبة • أما اذا قبلنا تفسير علوبة للانشقاق داخل الوفد ، أى أنه خلاف شخصى ، أو بسبب تشبث سعد بالزعامة ، فهذا يثبت من ناحية أخرى أن الأحزاب المصرية ، أو على الأقل حزب الأحرار الدستوريين ، قامت على أساس نزعات شخصية •

وعلوبة يرى أن زعامة سعد ومكانته بين الأمة لم يكن لها مايبررها • فهو يقول أن سعدا كان أول المنهزمين فى العمل الوطنى عقب اعتراف الرئيس ولسن بالحماية على مصر فقد قال سعد، كما يذكر علوبة، « أنه لا أمل لنا فى شىء وأن واجبنا قد انحصر فى تنظيم هزيمتنا وأن علينا ان نرجع الى مصر متفرقين بعد أن نعمل هنا على تنظيم الهزيمة حتى لا تقع علينا مسئوليةالفشل[٣١]» • وفى النهاية لايعترف علوبة بان سعد زغلول من مؤسسى الوفد عندما يقول أن مؤسسى الوفد وأصدقائهم فكروا فى تأليف حزب (الأحرار الدستوريين) يسعى فى تحقيق الحياة الدستورية الصحيحة[٣٢] •

ومحاولة استئثار سعد بالزعامة أمر وارد لدى أى باحث ، ولكن من الصعب أن يكون ذلك سببا واحديا يفسر الانشقاق الا وسط قوم كل منهم يبحث عن زعامة لنفسه • وعندما يركز علوبة على هذا فهو يريد أن يوضح أن سعدا خرج عن الترتيب المتفق عليه بشأن تشكيل وفد رسمى حكومى يرأسه عدلى يكن وحسين رشدى ، ووفد آخر شعبى يرأسه سعد

---

(٣١) المذكرات ، ص ٣٦١ — ٣٧٢ •

(٣٢) نفسه ، ص ٢٤٢ •

على أن يعتمد الوفد الحكومى على ضغط الوفد الشعبى فى المفاوضة(٣٣) ·
وهذا التوضيح من جانب علوبة ــ اذا صح ــ يبدد غموض الصراع بين عدلى وسعد حول الزعامة ·

على هذ المنوال تسير ذكريات محمد على علوبة من حيث توجيه النقد واللوم لأسلوب سعد زغلول وأحيانا لشخصه ، والافاضة فى بيان محاسن وعظمة عدلى يكن ، حتى لكأن القارىء يشعر أن علوبة يؤرخ لعدلى أكثر من تسجيله لذكرياته الشخصية والسياسية كما سبقت الاشارة ·

ورغم أنه خرج من الحياة السياسية باستقالته من سكرتارية حزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٣٤ ، الا أنه استعاد نشاطه السياسى ومواقفه القديمة تجاه الوفد الذى تزعم القوى السياسية لابرام معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا · فقد نقد المعاهدة برمتها(٣٤) ، موضحا أن مشروع ملنر ١٩٢٠ ومشروع مفاوضات ١٩٣٠ ، أفضل بكثير من معاهدة ١٩٣٦ فيما يتعلق بالجانب العسكرى ووضع السودان ، وهذا بخلاف القيود المفروضة فى حالة قيام الحرب · وهو يربط فى ذكاء بين تسليم وفد المفاوضات المصرى بالقيود السياسية والعسكرية مقابل الغاء الامتيازات الأجنبية ، وكيف أن الجانب البريطانى « قد لمح هذه الرغبة وقدرها فسعى فى ادخال مسألة الامتيازات فى موضوع المعاهدة حتى يتسنى له بذلك حمل الجانب المصرى على قبول ما لم يكن يقبله من أمر الاحتلال على حساب الأمل فى الغاء الامتيازات »(٣٥) · وفى الوقت الذى كان تأييد المعاهدة والترويج لها هو البضاعة السائدة ، وقف علوبة ضد هذه المعاهدة ــ سواء من واقع كراهيته للوفد أو بدافع الوطنية البحتة ــ معلنا أن المعاهدة لم تقدم غير الوعود ، وأن التزامات مصر فيها واضحة ، وحقوقها غامضة ، وهى فوق ذلك « تبرير للاحتلال وتثبيت له وتسخير مصر فى السودان لمصلحة الاستعمار »(٣٦) ·

---

(٣٣) نفسه ، ص ١٠٩ ·

(٣٤) محمد على علوبة ، بحث فى المعاهدة . ويذكر المؤلف ان هذا الكتيب أصله خطبة منع من القائها بالاسكندرية يوم ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ . وقد قامت لجنة تسمى « اللجنة القومية للاستقلال التام » بطبع هذه الخطبة فى ١٩٣٦/١٠/١٤ وتوزيعها بهذا الترويج لرفض مشروع المعاهدة عند عرضه على البرلمان . وقد وصفت اللجنة فى مقدمة الكتيب علوبة بانه « الوطنى الصادق » ·

(٣٥) محمد على علوبة ، بحث فى المعاهدة . ص ٤٤ . انظر تحليلا لذلك فى كتابنا كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤/١٩٥٢ ، الفصل الرابع .

(٣٦) محمد على علوبة ، بحث فى المعاهدة . ص ٥١ ــ ٥٢ ·

اذا تركنا الجانب السياسى فى حياة علوبة الى الجانب الفكرى ، فسوف نلمس أن علوبة مفكر من الطراز الموسوعى الذى شهدته مصر خلال النصف الأول من القرن الحالى ، صاحب الرأى فى مجالات مختلفة ، ويصعب تصنيفه تصنيفا حادا تبعا لمنهج معين • ورغم هذا فمن الممكن القول أنه فى مجموعه مفكر اسلامى ، فمن الاسلام يستمد رؤياه لكثير من القضايا باستثناء بعض المسائل التى نظر اليها نظرة وضـعية • وفى الصفحات التالية محاولة للتعرف على محمد على علوبة مفكرا من خلال كتاباته فى مجالات مختلفة •

لم يوافق علوبة على شكل الديمقراطية اليونانية كما حددها أرسطو ، لأنها فى نظره ديموقراطية محلية ، الحرية فيها مكفولة للأحرار اليونانيين دون غيرهم ، وليست ديموقراطية انسانية بالمعنى الذى يجب أن تفهم به اليوم(٣٧) • والحركة الديموقراطية التى قامت فى أوروبا الحديثة ابتداء من الماجنا كارتا عام ١٢١٥ بانجلترا ، وكتابات روسو (العقد الاجتماعى)، ومونتسـكيو (روح الشـرائع) •• الخ تندرج فى نظـر علوبة تحت الديموقراطية المحلية أيضا(٣٨) •

ولكننا لا نعرف على وجه الدقة ماذا يقصد بالديموقراطية الانسانية • يبدو أنها تعنى النظم التى تمنع الاسـترقاق ، والتفاضل بين الأجناس والألوان والمذاهب والعناصر ، وتقوم على مساعدة الضعفاء ، والنهوض بهم فى سبيل الحضارة والمدنية(٣٩) • وقد تكون فكرة السلام العالمى ، التى دعا اليها كيلوج بريان رئيس الوزراء الفرنسى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى لتحقيق سلام عالمى باتفاق أوروبى ، أو تلك التى نودى بها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، قريبة من معنى الديموقراطية عند علوبة • ولكن مما أضـعف من هذه المحاولات فى نظره ، انها كانت تقوم على التغنى بالديموقراطية والدين وبارادة الله وبالعـدل الانسـانى فى أيام المحن والشدائد فقط(٤٠) •

---

(٣٧) محمد على علوبة ، الاسـلام والديموقراطية • ص ١٣ • عندما كان علوبة باشا سفير لمصر فى باكستان طلب اليه بعض الأصـدقاء ، ومنهم الأستاذ حليم مدير جامعة السند ان يكتب كلمـة فى موضوع الديمقراطية فى الاسـلام فرحب علوبة بهـذا الأمر لأن « الباكستان تعمل على وضع دستورها وقوانينها على المبادىء الديموقراطيـة التى تتفق والقواعد الاسلامية وروح الدين الحنيف » • وقد نشرت لجنـة البيان العربى هذه الكلمـة عام ١٩٥٠ فى كتيب بعنوان « الاسلام والديموقراطية » •

(٣٨) علوبة ، الاسلام والديموقراطية ، ص ١٥ •

(٣٩) نفسه ، ص ٢٢ •

(٤٠) نفسه ، ص ١٦ •

وهو لا يربط بالضرورة بين الديموقراطية والجمهورية كما ذهب مونتسكيو، فثمة بلاد ملكية اكثر ديموقراطية من بعض الجمهوريات · ويرى علوبة مثلا ، أن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية يتمتع بسلطة أقوى من سلطة ملك انجلترا حيث أن الوزراء مسئولون أمامه لا أمام البرلمان ، بخلاف الحال فى انجلترا · والمهم عنده أن يكون الشعب مصدر السلطات بغض النظـــر عن أن تكون الســـلطة العليـــا ممثلة فى ملك أو فى رئيس جمهورية[41] ·

ومع أن الديموقراطية المحلية مرفوضة من جانب علوبة ، كما سبقت الاشارة ، الا أنه يرى فى استقرارها واستمرارها وسيلة لتهيئة الشـــعب لادراك واجباته ، والارتفاع عن مســـتوى التفكـــير الذاتى ، وتقديس التشريعات الصادرة من البرلمان · وفى هذا التطور تأمين للأمة من الفساد والرشوة والمحاباة واستغلال النفوذ ، ومساعدتها على الرقى « بالتطور الهادىء الثابت ، وليس بالعنف والثورات التى تهدم دون أن تبنى »[42]· وهو بهذه الكلمات الأخيرة يضع يدنا على مفتاح هام فى شخصيته وتكوينه، وهو أنه ضد العنف الثورى وأنه مع التدرج والاعتدال · فهل فى هذا ما يفسر اتخاذه جانب المعتدلين فى انشقاقات ثورة ١٩١٩ على نحو ما هو معروف ؟ ·

وبعد أن يبدى علوبة رأيه فى الديموقراطية اليونانية والنظم المتأثرة بها ، يشير الى الاسلام وما اتى به من نظم ودستور للحكم والتعامل ، وينتهى الى أن « الاسلام أوجد ديموقراطية عالمية » ، ونفذها بين الجماعة عندما ساوى بين الأشراف والأرقاء ، وبين أفراد الجنس البشرى · وهذا فى رأيه مخالف لمضمون الديموقراطيات المحلية[43] ·

اذا انتقلنا من معنى الديموقراطية عند علوبة الى تفسيره للتاريخ فسوف نلاحظ أن له تصورا خاصا لحركة التاريخ يصعب وضعه فى اطار احدى النظريات المعتمدة حتى الآن ان لم يكن يختلف معها كلية · وهو فى هذا قد يكون مبدعا حاول وضع نظرية لم تساعده الظروف على استكمالها، وقد لا يكون كذلك · ويبدو أنه توصل الى هذا التفسير انطلاقا من دراسته

---

(٤١) علوبة ، الاسلام والديموقراطية ، ص ١٨ ·

(٤٢) نفسه ، ص ١٦ ·

(٤٣) نفسه ، ص ٣٢ ·

للمسألة الفلسطينية من حيث علاقة اليهود بفلسطين · فهو يقول(٤٤) ·· لأن دين اليهود يحضهم على امتلاك الأراضى من الفرات الى النيل ، ولأنهم قلة مشتتة فى الأرض ، رأوا تكوين هيئة سرية عالمية لتحقيق أغراضهم · والماسونية ، هى تلك الهيئة التى تكونت تحت شعار الاخاء الانسانى ، وليس الاخاء الدينى أو الوطنى كما يتصور علوبة ، الذى يضيف أن الماسونية تقضى على العقيدة الدينية عندما تربط بين الدين وبين التأخر ، وهى وراء مبدأ « الأديان أفيون الشعوب » ·

ويقول علوبة انه لا يمكن تحديد تاريخ قيام الماسونية تحديدا قاطعا ، ولكن من المؤكد لديه أنها قامت من زمن بعيد ، وأن أغراضها كانت ولاتزال ضد المسيحيين أولا ، ثم ضد العالم أجمع · ثم يذكر دون اقامة دليل أو برهان ، أن بعض المشتغلين بالسياسة العالمية رأوا وجود ارتباط وثيق بين أعمال الماسونية العالمية ، وبين الثورات المتتالية التى قامت فى فرنسا ١٨٤٨ ، ١٨٧١ ، وفى البرتغال ١٩٠٥ ، وفى تركيا ١٩٠٨ ، وفى الصين ١٩١١ ، وفى روسيا ١٩١٧ ، وفى المجر والمانيا ١٩١٨ ، وفى اسبانيا ١٩٣٦(٤٥) ·

وهكذا فجميع الثورات التحررية التى قامت فى العالم ، سواء أكانت اشتراكية أو غير اشتراكية ، وفقا لهذا المنهج ، قامت بتأثير الماسونية أو الصهيونية · وفى هذا اسقاط لعوامل الثورات بالمعنى المفهوم· بل ان الحرب العالمية الأولى والثانية ، فى رأيه ، لا تخرجان عن كونهما تدابير الماسونية العالمية(٤٦) ·

والأغرب من هذا ، ان نصوص معاهدة فرساى التى أنهت الحرب العالمية الأولى ، كما يقول علوبة ، تم التوصل اليها قبل ابرامها بوقت طويل عن طريق « ·· مفاوضات خافية على الرأى العام ·· » ، أجريت فى مؤتمرات ماسونية مثل المؤتمر السرى المشهور الذى عقدته الجمعيات السرية للحلفاء والدول المحايدة بمحفل الشرق الأعظم بباريس فى أيام ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، يونية ١٩١٧(٤٧) · أما الحرب العالمية الثانية، فقد قامت بفضل « الدهاء الماسونى » ، الذى نتج عنه تحالف الشيوعية الشرقية

---

(٤٤) علوبة ، فلسطين والضمير الانسانى ، ص ٧٨ ·

(٤٥) علوبة ، فلسطين والضمير الانسانى ، ص ٨٢ ·

(٤٦) نفسه ·

(٤٧) نفسه ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ·

مع الرأسمالية الغربية وتخاصم المسيحيين واقتتالهم(٤٨) ٠

ويذكر علوبة أن غرض الماسونية النهائى من تلك التدابير «الجهنمية» هو القاء العالم فى جحيم مستعر يقضى عليه ، ويقوم على انقاضه نظام تهدف اليه الماسونية اليهودية بقيام دولة عالمية صهيونية أساسها الذهب والفتن والاضطرابات(٤٩) ٠

اذا صح هذا التحليل ، فهل لنا أن نتساءل عن كيفية اقامة هذه الدولة العالمية والصهيونية بعد تدمير العالم ، ولنا أن نتساءل أيضا ، لقد كان محمد فريد عضوا بالمحفل الماسونى(٥٠) وكان علوبة صديقه فهل هذا يعنى أن نشاط محمد فريد فى الحركة الوطنية كان تنفيذا لتعليمات ماسونية ٠ وهل اشتراك علوبة نفسه فى ثورة ١٩١٩ تدبير ماسونى ؟؟ ٠ ونتيجة لهذا التفسير الدينى أو الطائفى ، أو الأسطورى للتاريخ عند علوبة ، نجده يبدى عجبه وأسفه فى نفس الوقت من تعاطف المسيحيين البريطانيين مع اليهود فى مسألة تصريح بالفور فيقول ٠٠ « لليهود أن يفكروا كما يشاءون ، وأن يحاولوا اغتصاب مايريدون ٠ لكن البلاء الأعظم أن يتواطأ المسيحيون من الساسة البريطانيين مع الصهيونية»(٥١) ٠

على أساس هذا التفسير ، عالج علوبة المسألة الفلسطينية ٠ ومن الملاحظ أنه ارتبط بهذا التفسير منذ اتصاله بالمسألة وتعرفه عليها ٠ ولقد بدأ اتصاله بفلسطين عام ١٩٣٠ حين اشترك فى اللجنة التى تشكلت بمعرفة عصبة الأمم للفصل فى النزاع الذى نشب بين العرب واليهود على مكان « البراق » الملاصق للمسجد الأقصى(٥٢) ٠ ومنذ هذا التاريخ واتصاله بالمسألة ينمو فى خط متصاعد لخدمة وجهة النظر الاسلامية او العربية الاسلامية كما هو وارد احيانا ٠ وفى العام التالى (ديسمبر ١٩٣١) ، أسـهم فى اقامة المؤتمر العالمى بالقدس ٠ ولما تقرر اقامة جامعة عربية بالقدس أسوة بالجامعة اليهودية ،وذلك تنفيذاً لقرارات احد المؤتمرات العربية بالقدس سافر علوبة مع السيد محمد أمين الحسـينى ، مفتى فلسطين ، الى بغداد لتكوين لجان تجمع تبرعات مالية لفلسطين ، كما سافر الى كراتشى (١٥ مايو ١٩٣٣) ليكون لجانا من مسلمى الهند لنفس

---

(٤٨) نفسه ، ص ١٣٥ ٠

(٤٩) نفسه ، ص ٨٢ ٠

(٥٠) انظر مذكرات محمد فريد ، ص ٣٥ ٠

(٥١) علوبة ، فلسطين والضمير الانسانى ، ص ١١٦ ٠

(٥٢) نفسه ، ص ٢٠٧ ٠

الغرض(٥٣) ٠ واهم المؤتمرات التى اسهم فى عقدها فيما بعد هى : مؤتمر بلودان بسورية (١٩٣٧) ، والمؤتمر البرلمانى العالمى للبلاد العربية والاسلامية (١٩٣٨) ، وتكوين « هيئة وادى النيل العليا لانقاذ فلسطين » فى أعقاب حرب ١٩٤٨(٥٤) ٠

ومن الطريف أن نشير الى أن علوبة دخل فى حوار (١٩٣٨) مع يوسف قطاوى باشا ، رئيس الطائفة الاسرائيلية فى مصر ، حول موقف يهود مصر مما يجرى فى فلسطين ٠ وكان علوبة قد عقد اجتماعا بمنزله بمصر الجديدة حضره عدد كبير من أعضاء البرلمان المصرى (مجلس النواب والشيوخ) لهذا الشأن وعلى أثر هذا الاجتماع أرسل قطاوى خطابا الى علوبة يقول فيه أن « ٠٠ الطائفة اليهودية فى مصر تضم أجناسا مختلفة لا تجمعهم الا الرغبة فى تنظيم أعمالهم الثقافية والخيرية ، ومن ثم يبتعد بهم قادتهم المسئولون عن المناقشات السياسية ٠ أما اليهود المصريون ، كما يقول قطاوى ، فانهم ٠٠ كمواطنين منظمين يرون أنه لا يمكنهم القيام بواجباتهم نحو وطنهم على الوجه الأكمل الا بالسير مع الحكومة للمصلحة العامة فى كل مسألة سياسية خارجية ثم يضيف أن جميع يهود مصر باختلاف جنسياتهم يتمنون التوصل الى تفاهم قلبى وأخوى يقضى على الحالة العصبية القائمة(٥٥) ٠

ويبدو أن علوبة قد أدرك أن يوسف قطاوى فى قوله أن الواجب الوطنى لليهود المصريين يتمثل فى السير مع الحكومة فى السياسة الخارجية انما يستند الى ادراك قطاوى عدم ايجابية الحكومة المصرية تجاه ما يحدث فى فلسطين آنذاك ، ومن هنا أكد علوبة فى رده على قطاوى أن « ٠٠ للأمة وجودا بجانب الحكومة ، فاذا كانت الحكومة لاعتبارات لا تخفى عليكم مضطرة الى شىء من التحفظ فان الأمة ليست مضطرة اليه » ٠ كما أكد أن الروابط التى تربط المصريين بعرب فلسطين تتجاوز « رابطة الجوار » الى رابطة « القرابة » التى ترتكز على وحدة المثل العليا والتقاليد ، واللغة فى ظل الاسلام(٥٦) ٠ وفى هذا الصدد نشرت

---

(٥٣) نفسه ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ٠

(٥٤) نفسه ٠

(٥٥) المقطم فى ١٩٣٨/٧/١ ٠

(٥٦) نفسه ٠

المقطم رأيا لأحد اليهود المصريين(٥٧) ، يؤكد على الانتماء العربى الكامل كعامل وحدة بين سكان فلسطين على اختلاف الأديان ، ويعترض على الصهيونية ، ويطالب « ٠٠ بالعمل على أن يعيش الجميع اخوة متحابين كما كانوا من قبل » ٠

وقد ظل علوبة محافظا على هذا التصور ازاء المسألة الفلسطينية ، مخلصا فى تأييد حق العرب ضد اليهود والعرب عنده هم أهل البلاد الأصليون من الكنعانيين ومن عاش معهم تحت حكم الامبراطوريات المختلفة الذين كانوا وثنيين ثم مسيحيين ثم مسلمين ومسيحيين ٠ كل ما هنالك أن العرب مكثوا فى فلسطين نحو أربعة عشر قرنا من الزمان ، وأن فلسطين كانت ، قبل فتح العرب ٦٣٦ م ، خاضعة للرومان ، ثم لبيزنطة نحو ٥٠٠ سنة ٠ وكانت قبل الرومان خاضعة من قديم لمملكة آشور ثم بابل ثم الفرس ثم اليونان ثم للبطالمة ٠ وهؤلاء السكان هم الذين شردوا وأصبحوا لاجئين فى السنين الأخيرة ٠ اما اليهود عند علوبة أيضا فهم هؤلاء (الأغراب) الذين دخلوا فلسطين ولم تكن لهم صلة بها سوى أنهم « ٠٠ أغاروا عليها فى الماضى البعيد وحكموها قهرا فترة قصيرة »(٥٨) ٠

وعلوبة لا يترك المسألة بدون حل ٠ والحل عنده ينطلق من مقولة أن « خلق دولة اسرائيل وضع شاذ » ، واستمرار وجودها يعنى استمرار اعتدائها على جاراتها ساخرة بقرارات هيئة الأمم المتحدة ، ومطمئنة الى رضا الدول الاستعمارية ٠ وعلى هذا فالحل الوحيد هو « ٠٠ ارجاع اليهود الى أوطانهم أو توزيعهم فى الأقطار المختلفة » ، وبشرط أن يكونوا مواطنين مخلصين فى هذه الدول ٠ ويقول علوبة أيضا انه « ٠٠ لا يصح أن يقال أن اسرائيل أمر واقع لا يجوز ازالته ، فان اسرائيل وليدة جريمة ونتيجة مؤامرات اثمة »(٥٩) ٠

ولما كانت الدعوة الى الوحدة العربية مثار مناقشة بين المثقفين فى

---

(٥٧) كان زكى عريبى المحامى اليهودى المصرى قد أرسل خطابا الى علوبة فى ١٩٣٨/٧/٤ ويشير الى غموض رسالة يوسف قطاوى . وقد نشرت المقطم الرد فى ١٩٣٨/٧/١١ .

(٥٨) علوبة ، فلسطين والضمير الانسانى . ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٥٩) نفسه ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ . ويذكر الطناحى (ص ٣٤) الذى قدم لهذا الكتاب أن علوبة طبع الكتاب فى البداية طبعات محدودة اهداها الى رؤساء الدول العربية والاسلامية ورجال السياسة ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر ضمن هؤلاء ، فالى أى مدى تأثر عبد الناصر برؤى علوبة فى علاجه للمسألة الفلسطينية .

مصر وخارج مصر منذ مطلع الأربعينات ، وخاصة بعد تصريح أنتونى ايدن فى ١٩٤١(٦٠) ، فقد أدلى علوبة برأيه فى هذه المسألة عندما نشر كتابه «مبادىء فى السياسة المصرية» عام ١٩٤٢ · ويلفت النظر فى رؤية علوبة ، أنه اعتمد النظرية الألمانية فى القومية ، وهى النظرية التى ترى فى اللغة الواحدة المقوم الأساسى فى بناء القومية(٦١) · يقول علوبة أن العرب أمة واحدة ، ويؤلفون عدة شعوب ودول ، لكنهم يتكلمون لغة واحدة هى اللغة العربية · وأن كثيرا من علماء الاجتماع اتفقوا على أن عناصر الجنس البشرى متداخلة ، ومقياس العنصر الواحد لا يمكن تحقيقه الا باللغة التى توحد طرق الفهم ، كما وحدت وسائل الثقافة والعادات والتقاليد والاحساس بحيث أصبحت عند سائر الناس ، أصل العنصر وعلامته المميزة(٦٢) · ثم يقول بعد ذلك ، أن الحركات القومية تريد أن « ·· تحق الحق بتوحيد كل مجموعة من الأمم التى ترجع الى عنصر واحد ، أى الى لغة واحدة ، لتتألف منها كتلة واحدة على النهوض بالانسانية »(٦٣) · ثم يختتم دراسته بقوله أن الشعوب العربية أولى بالعمل على تأليف « كتلة » واحدة منها حيث قد اجتمع لها من أسباب الامتزاج فوق رابطة اللغة ، روابط أخرى » · والمسألة عند علوبة بعد ذلك ليست البحث فى أسباب وعوامل « الامتزاج » أو « الرابطة » العربية ، ولكنها الكيفية التى يتم بها هذا « الامتزاج الذى يسميه بعضهم حلفا عربيا أو جامعة عربية أو مملكة عربية أو جامعة اسلامية ·· »(٦٤) ·

ومع أن علوبة استعرض مقومات الوحدة العربية بين الشعوب العربية من وحدة اللغة والأصل والدين الاسلامى بالنسبة الى الغالبية بطريقة توحى بأنه من أنصارها ، الا أنه رفض قيام الدولة العربية الواحدة تحت لواء واحد سواء أكانت مملكة أو امبراطورية ، وأعلن أن مشروعا من هذا النوع « كان من تفكير الأزمنة الغابرة » ، وأنه مقتنع بعدم امكان تحقيقه اقتناعه بأن « ضرره أكثر من نفعه بل لا نفع فيه على الاطلاق » ·

---

(٦٠) حول موقف التجمعات السياسية من فكرة الوحدة العربية فى مصر فى الأربعينات انظر كتابنا عن « مصر فى الحرب العالمية الثانية » الفصل الرابع ، طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ ·

(٦١) لمزيد من التفاصيل عن النظرية القومية ، انظر ساطع الحصرى ، ما هى القومية ·

(٦٢) علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية · ص ٣١٣ ·

(٦٣) نفسه ·

(٦٤) علوبة ، مبادى فى السياسة المصرية · ص ٣١٤ ·

والغريب أنه يرجـــع عدم امـكانية تحقيق الوحدة الى أنها تتعارض مع استقلال وسيادة كل دولة(٦٥) وهو بهذا ينسى أن الوحدات التى تحققت فى العالم قامت على أساس التنازل عن استقلال الجزء فى سبيل الكل فى اطار واحد سواء تم هذا بالتراضى أو بالقوة · ولو أن علوبة قدم أســـبابا موضـــوعية غير فقدان الاســـتقلال والسيادة ، تتصــل باختلاف النظم الاقتصـــادية والسياسية ·· ألخ ، لكان أكثر واقعية · اذ كيف ينادى بالوحدة ويتشبث بما يقابلها من استقلال وسيادة الجزء على حساب الكل· وهو يرى أن التمسك بالدولة الواحدة بهذا المعنى يخلق أسبابا « للشقاق والنزاع بين تلك الأمم بدلا من توثيق عرا المودة والاخاء فيما بينها » · وتفاديا لذلك يكتفى بتحقيق (تضامن بين الشـــعوب العربية وتعاون فى المجالات الثقافية والتجارية والصـــناعية والدفاع بشـرط عدم المساس باستقلال كل دولة عربية سياسيا أو جغرافيا ، ونموذج هذا التضامن عنده هو ما بين انجلترا والبلاد الناطقة باللغة الانجليزية أو بلاد الامبراطورية البريطانية كاستراليا ونيوزيلنده ، وكندا وجنوب أفريقيا(٦٦) وهذا خلط واضـــح بين نظام الكومنولث Commenwelth وبين نظام الوحدات القومية كما عرفتها الشعوب نظريا وواقعيا ·

ويبدو أن علوبة يستثنى مصر من حركة الوحدة بمفهومه ، لأنه يطلب لها الزعامة « على الأمم العربية والاسلامية » ومقومات هذه الزعامة تتمثل فى الموقع الجغرافى وكثرة السكان والثروات الطبيعية والثقافية ، وهى زعامة « يطلبها لها الجميع »(٦٧) ·

ومن الصعب التوفيق بين مفهوم الزعامة ، وما يتطلبه من سيادة وتفوق على الجميع بدرجة أو بأخرى ، وبين حرص علوبة على عدم المساس باستقلال وسيادة أى بلد عربى أو اسلامى ·· ما هو مجال هذه الزعامة اذن(٦٨) ؟

أما نظرته الى علاقة مصر بالسودان فتختلف عن هذا التصور · وهى نظرة مستمدة مما كان يطلق عليه « حقوق » مصر فى السودان منذ

---

(٦٥) نفسه ·

(٦٦) نفسه ، ص ٣١٥ ·

(٦٧) علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية · ص ٣١٢ ·

(٦٨) انظر أفكار مشابهة (مصر فوق الجميع) التى ظهرت فى مطلع الأربعينات فى كتابنا « مصر فى الحرب العالمية الثانية » ، الفصل الرابع ·

دخلها محمد على فى مطلع القرن التاسع عشر . ومن المعروف أن هذه الحقوق » كانت تشكل محورا أساسيا فى سياسة مصر الخارجية وعلاقاتها مع بريطانيا (اتفاقية ١٨٩٩) ، كما كانت جزءا جوهريا فى مبادىء الأحزاب السياسية فى مصر وخاصة الحزب الوطنى ، كما نشأت حول تلقيب ملك مصر بلقب « ملك مصر والسودان » كثير من المشكلات مع الادارة البريطانية فى مصر(٦٩) .

وحين وضع دستور ١٩٢٣ ، كانت لجنة وضع المبادىء العامة (١٩٢٢) تناقش علاقة مصر بالسودان بين تبعية السودان لمصر أو فصله عنها . وقد اقترح علوبة ، وكان عضوا باللجنة ، أن ينص فى الدستور « على أن السودان جزء من مصر ونظام الحكم فيه يقرر بقانون » ، مشيرا الى وجوب تقرير حقوق مصر على السودان بطريقة ايجابية أساسية ، وان تظهر اللجنة بوضوح رغبتها فى ذلك . فلما سأله رئيس اللجنة (حسين رشدى) عن مكان مثل هذا النص من الدستور ، أجاب علوبة بأنه عند « بيان أجزاء المملكة المصرية » لأن هذا من شأن الدساتير كما حدث بالنسبة لدستور مملكة رومانيا(٧٠) .

وقد اقترب علوبة من المشكلة الاجتماعية فى مصر كما انتهت اليها فى مطلع الأربعينات . وقد حاول ، كغيره من المعاصرين ، أن يجد لها حلا عبر عنه فى كتابه « مبادىء فى السياسة المصرية » الذى صدر فى عام ١٩٤٢(٧١) . وقد أدرك علوبة المشكلة فى أبعادها الاقتصادية ومدى خطورتها على تطور النظام الاقتصادى الاجتماعى ، ومن هنا حرصه على ابداء الرأى واقتراح الحلول . وقد كان علوبة فى اقتراحاته اصلاحيا ، يعمل على ترميم النظام القائم فى حدود ، شديد الخوف والحذر من هبوب رياح التغيير فى ثوب الاشتراكية ، موزعا بين القيم الدينية الخالدة والقيم العلمانية من حيث التوصل الى الحلول المناسبة ، معجبا الى حد كبير

---

(٦٩) راجع هذه المشكلات أثناء اعداد دستور ١٩٢٣ وما بعده .

(٧٠) محاضر لجنة وضع المبادىء العامة . جلسة رقم ١٢ فى ٦ مايو ١٩٢٢ .

(٧١) ذكر علوبة ان هدفه من نشر هذا الكتاب ان « يكون توجيها فى حياتنا الوطنية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية » وهو يؤمن تماما بكل المبادىء والآراء التى أوردها لأنه يعتقد سلامتها وفائدتها . ويقول أيضا انه اذا كان فى بعض هذه المبادىء ، كفوائد القروض واصلاح الوقف ، « ما ينبو عن بعض الافهام فلا ذنب على هذه المبادىء .. وسيأتى يوم ترى فيه الأمة أن ما نحس بتطرفه من بعض هذه المبادىء ان هو الا غاية فى الاعتدال » . ص ١٢ .

بالنموذج اليابانى التوسعى فى التطور والى حد ما بالنموذج الألمانى والايطالى (الفاشى) القائم على فكرة المجال الحيوى فى رؤية المشكلة الاجتماعية . وأكثر من هذا فهو يعالج المشكلات من نتائجها دون النظر الى الأسباب . وهو فى هذا كله أمين مع تكوينه الثقافى ، متسق مع تكوينه الاجتماعى ، مخلص لطبقة أصحاب رؤوس الأموال التى ينحدر منها وخاصة فى جناحها الزراعى .

وتتلخص المشكلة الاجتماعية عنده فى هبوط متوسط دخل الفرد فى مصر سنة بعد أخرى فهو ٢١ جنيها فى عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ، بينما أصبح فى عام ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ تسعة جنيهات فقط وأن نصيب الفرد من الأرض الزراعية لن يزيد عن نصف فدان بافتراض استصلاح كل الأراضى البور وذلك نظرا لازدياد عدد السكان بالنسبة لمساحة الأرض ، ومن هنا لابد من العمل على حل المشكلة « واتقاء الاضطرابات الاجتماعية والمذاهب الهدامة التى يدفع اليها هذا الواقع المروع »(٧٢) ولقد دعا علوبة الى « النهوض العام والاصلاح القومى دون تشجيع النظريات التى تناقش الأوضاع الطبقية والتى خلقت نزاع الطبقات وعداوتها المستمرة(٧٣) .

وعدم التناسب بين السكان ومساحة الأرض لا يشكل مشكلة بالنسبة لمصر عند علوبة اذا ما أخذ بفكرة « المجال الاقتصادى » ، أو « المجال الحيوى » . وهى تقوم على أساس الابقاء على زيادة النسل والاحتفاظ بنقاء العنصر كاملا ثم « البحث عن مجال يتسع له ويضمن الحصول على المواد الأولية وفتح أسواق التجارة مساعدة للرقى الصناعى » تماما كما فعلت كل من ايطاليا وألمانيا واليابان التى « بسطت سلطانها بجهود جبارة على كوريا ومنشوريا » . أما المجال الحيوى الذى يطلبه علوبة لمصر بهذا المعنى فهو السودان ذلك المجال الذى ليس لمصر « سواه منذ القدم » . وحتى لا يتهم الرجل بأنه استعمارى نازى فى وقت تحالفت فيه الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية ضد الفاشية يقول مستدركا أن المسألة بعيدة عن أن تكون « فتحا » أو تطرفا فى الوطنية أو مجاراة « لعواطف شاردة » أى « محاكاة » لأساليب الغير وانما « هى ضرورة من ضرورات حياتنا .. وحدة مصر والسودان »(٧٤) .

---

(٧٢) علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية ، ص ٢١ ، انظر رابطة بين الظواهر الاجتماعية (العلم والجهل ، الفقر والغنى ، الصحة والمرض) والحالة الاقتصادية ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٧٣) علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية . ص ١١٤ .

(٧٤) نفسه ، ص ٢٧ ، ٢٩ .

وهو لا يرى فى تحديد الملكية الزراعية طريقة مثلى فى حل مشكلات مصر الاقتصادية · وبالتالى فهو يعترض أشد الاعتراض على الذين ينادون بذلك فى الصحف والكتب والمحاضرات العامة · والغريب أن اعتراضه مبنى على أن مصر « ديموقراطية » ، ومن ثم يتعين المحافظة على « حرية الفرد ومجال نشاطه وتفكيره » ، والاستعاضة عن توزيع الأرض بالاشراف على الصناعة والتجارة « اشرافا أبويا حكيما » كما فعلت اليابان ، ودون تقييد الاتجاه لملكية الأرض · فاذا أخفقت الحكومة فى تشـــجيع الناس نحو الاستثمار الصناعى والتجارى لدرجة اليأس ؟ أصبح من المعقول الاتجاه الى تحديد الملكية الزراعية حتى تجبر الناس على الاتجاه نحو الأعمال الصناعية والتجارية(٧٥) · ومن ناحية أخرى لا يمانع من توزيع الأراضى البور ، التى تملكها الدولة ، بعد اســتصلاحها وتوزيعها على صــغار الفلاحين ، واعطاء بعضها لشــركات مصــرية بحتة · وفى هذا توفير الأراضى للفلاح وتمكين له من تربية الماشية وزراعة البرسيم والغلال حتى يحصل على « غذاء كامل يليق بانسان يعمل »(٧٦) ·

ولقد دعا علوبة الى انشاء بنوك ومصارف وطنية بدلا من الأجنبية كعلاج للأزمة الاقتصادية · ولكنه ووجه بمشكلة تكييف الفائدة ، وهل هى فى حكم الربا أم لا · وقد ناقش المسألة من باب الاجتهاد قائلا ان الفقهاء وان اختلفوا فى تعريف الربا ، أهو الأضعاف المضاعفة لرأس المال أم هو كل زيادة عليه قلت أم كثرت ، قد أجمعوا على قاعدة شرعية لا جدال فيها وهى أن الضرورات تبيح المحظورات ·· ويضيف أن دين الله يسر يساير كل زمان ومكان · من هنا فاذا كان المسلمون أمام حائين ، أن يتعاملوا بالفوائد أو يهلكوا ، كان الواجب الدينى والوطنى يجعلنا نعتقد أن التعامل بالفوائد ضرورة يبررها الدين وتحض عليها الوطنية الصادقة(٧٧) ·

على أن رأى علوبة فى الربا والفائدة أقدم من هذا التاريخ (١٩٤٢)، فقد سبق أن دعا فى عام ١٩١١(٧٨) الى تأسيس مصرف أهلى ، واتهم

---

(٧٥) نفسه ، ص ٥١ ، ٥٢ ·

(٧٦) علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية · ص ٩٢ ، ٩٥ ·

(٧٧) نفسه ، ص ٧٢ ، ٧٣ ·

(٧٨) فى عام ١٩١١ عقد المؤتمر المصرى الأول بهليوبوليس (٢٩ أبريل – ٤ مايو ١٩١١) لبحث ما كان يعرف « بمطالب الاقباط » فى غضون أزمة الفتنة الطائفية المعروفة آنذاك . وقد قدم علوبة ، الذى كان فى مقدمة العاملين لعقد هذا المؤتمر ، بحثا بعنوان « الربا الفاحش : تأثيره فى الحالة الاقتصادية والاخلاق والأمن العام »=

معارضى الفكرة بأنهم حجر عثرة أمام نهضة البلاد ، وقال مناديا : قولوا لمن يقفون عثرة أمام نهوضنا ان حكومتنا وهى حكومة اسلامية ، قررت التعامل بالفائدة « المعتدلة » فى قوانينها الرسمية ، وأن شيخ الاسلام فى دولة الخلافة (يقصد تركيا) أفتى مسلمى البوسنة بانشاء مصارف شرعية وأن خليفة المسلمين اباح ذلك فى معاملة الدولة وأفراد الرعية ، وأن « أمة الفرس وهى أشد الأمم احتفاظا بدينها أباحت لهذه الضرورة انشاء مصرف للدولة »(٧٩) ٠

لقد كان علوبة واعيا الى أن عدم حل الضـــائقة الاقتصادية يولد السخط عند الفقراء على الأغنياء ، وفى هذا تكون الفرصة مواتية لظهور « الاشتراكيين بل الفوضويين العدميين »(٨٠) وفى النهاية يرى علوبة أن حل المشكلة الاجتماعية فى مصر لن يتأتى الا برفع المستوى المادى عن طريق انماء الثروة العامة ، والتوسع فى مشروعات الأعمال الحرة لاستيعاب العمالة المتزايدة فى المدن والقرى ، ورفع المستوى الأدبى فى نفس الوقت عن طريق نشر قيم « الكرامة » التى تدفع الشعب لتجنب التسول والتشرد والحفاء(٨١) ٠

وانطلاقا من تصوره للمشكلة الاجتماعية أكد أن البلاد فى حاجة الى التوجيه الصالح الذى يبعدها عن مبادىء الصراع الطبقى ٠ ولهذا فقد نادى بوجود حزبين كبيرين فقط فى مصر متفقين على مبادىء قومية عامة لامناص من اقرارها ، ولا يجوز لمواطن انكارها ، ومختلفين فى مبادىء او مسائل ثانوية ، لكل فريق وجهة نظر تخالف الفريق الآخر ٠ وهذه المبادىء الثانوية فى رايه ، تقوم عليها معارك المؤسسات النيابية ٠ وهو فى هذا يرفض تعدد الأحزاب « حتى لا تتعدد الصـــراعات الشخصية » ٠ ومن الواضح ان نموذجه فى هذا هو الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا(٨٢) ٠

=وقد أعطى نماذج من التعامل بالربا فى دائرة أسيوط وما جاورها ، مركزا على دور مرابى القرى الذين يستغلون ضائقة الفلاح ٠ ويبدو أنه يريد القول ان المرابين هم من غير المسلمين بدليل هـذه العبارة « لم يقتصر فتك الربا على الشبان وبسطاء الفلاحين بل كاد يلتهم الطبقة المفكرة من المسلمين وهم زهرة الأمة وعدتها عند الشدائد » ٠

(٧٩) علوبة ، الربا الفاحش : « تأثيره فى الحالة الاقتصـادية والاخلاق والأمن العـام » مجموعـة اعمـال المؤتمـر المصرى الأول المنعقـد بهليوبوليس ٢٩ ابريـل ــ ٤ مايـو ١٩١١ ٠

(٨٠) نفسه ٠

(٨١) علوبة ، مبادىء فى السياسة المصرية ٠ ص ٢٣١ ٠

(٨٢) نفسه ، ص ١١٤ ، ١١٥ ٠

ذكريات اجتماعية وسياسية

القسم الأول

نشأتى

حدثنى أبى – طيب الله ثراه – أن جده لأبيه ، واسمه محمد ، عربى من أهل الحجاز ، ينتمى الى قبيلة هناك أسمها قبيلة حسام الدين ، وانه هاجر الى مصر ، ويغلب ان يكون أبحر من جده الى القصير ثم اتجه شمالا الى مديرية جرجا واستوطن بلدة جهينة نسبة الى قبيلة جهينة العرب الاقحاح ويقيم فيها بطن من قبيلة حسام الدين · ولا أدرى أن كان رزق فيها بجدى أو أنه أتى به معه من الحجاز ، ولكنى عرفت أن جدى – وكان يطلق عليه اسم السيد محمد الجهينى – نزح الى منفلوط وفيها رزق بأبى ثم انتقل الى أسيوط ، ولا علم لى بمثوى الجد وان كان يغلب على ظنى انه دفن فى منفلوط ·

أما أبى فقد عاش منذ طفولته فى أسيوط ، وحفظ القرآن وتلقى عن بعض شيوخها العلوم الدينية وكان آخرهم المرحوم الشيخ على الطويجى ، ثم مارس فن الخط فى المجالس الملغاة حتى حسن خطه وكان ملما بقواعد اللغة كلفا[1] بحسن التعبير يستشهد بآيات من القرآن الكريم ويتمثل بشعر بعض الشعراء · وفى أسيوط تزوج بوالدتى ، وأبوها من أسرة سلام وامها من أسرة من الأشراف تدعى بأسرة الصلاحى يلبس بعض أفرادها عمامة خضراء · وقد عرض على احد هؤلاء – وانا فى مدرسة الحقوق – ان اثبت نسبى كشريف ، واضاف أن لديه حجة شرعية بالنسب وما على الا ان اثبت

(1) شغوفا .

فيها اسمى ، فرفضت ذلك موضحا له ان هذا النظام ـ نظام الأنساب ـ فاسد وان الناس عند الله سواسية لا يتميزون الا بأعمالهم وان الشرف فى اعتقادى لا يكون بالنسب وانما يكون بالعمل الصالح ٠

تقدم أبى فى معلوماته وحسن تعبيره وجودة خطه وتوظف فى الحكومة ثم اصبح رئيسا لكتاب مجلس مديرية المنيا ـ وهو يماثل محكمة المنيا الابتدائية الحالية ٠ وكان المرحوم حسن الشـــريعى (بك) رئيسا لهذا المجلس٠ وولدت أنا بالمنيا فى حى يسمى «درب الشجرة» لايزال اسمه باقيا كما سمعت ٠ وبعد ستة أشهر من ولادتى نقل المرحوم حسن الشريعى الى أسيوط رئيسا لمجلس استئناف وجه قبلى وكان هذا المجلس بمثابة محكمة استئناف لجميع قضايا الوجه القبلى من الجيزة الى أسوان ٠ واختار حسن الشريعى (باشا) والدى رئيسا لكتاب هذا المجلس العالى ، فانتقلنا الى أسيوط ، وظل فى منصبه هذا مدة رئاسة الشريعى ومن خلفه ، الى أن ترك خدمة الحكومة واشتغل بالأعمال الحرة من زراعية وصـــناعية وأصبح من أعيان بندر أسيوط ومن أعضاء مجالسها المحلية والحســبية وأنعم عليه بالرتبة الثالثة ٠

وكنت وأنا فى الكتاب أذهب أحيانا الى المجلس لانتظر ابى واتبعه الى البيت ، وعلقت بذهنى صورة لم يمحها الزمن ، وقد لاحظت أن والدى كان يذهب أحيانا الى حجرة كبيرة تضم رؤساء الأقلام والكتبة والتلاميذ الذين يتمرنون على أعمال للتفتيش عليهم أو للاستعلام عن مسألة ما ، فوجـــد مـــرة تلميذا من هـــؤلاء ترك عمـــله وظـــل يداعب بعض زمـــلائه ، فأخـــذه أبى من فـــوره الى مـــركز المـــديرية ـ وكان قريبا ـ وهناك طلب معاقبته بالضرب فمد وضرب بالعصا على قدميه ، ويظهر ان الضرب كان اجراء عاديا حتى ان هذا الشـــخص ظل يلوذ بوالدى بعد تركهما خدمة الحكومة والغاء المجالس القديمة ، وانتهى أمره بأن أصبح وكيلا لمكتبى فى أسيوط بعد أن غدوت محاميا، وكان يذكرنى دائما بتلك « العلقة » التى تلقاها من والدى أيام مجلس الاستئناف ٠

كيف بدأ تعليمي :

ـ فى الكتاب ـ

ارسلنى أبى الى كتاب بمدينة أسيوط يقع فى سوق الخضر بجوار مسجد القاضى ، وكان عبارة عن حجرة واحدة فوق دكاكين ، يجلس بها الفقيه ـ المرحوم الشيخ محمد طه ـ والعريف ويكتظ فيها الأطفال من مختلف الطبقات ومعهم بضع بنات فقيرات كفيفات يتعلمن تلاوة القرآن للتكسب بها • وكنا نخلع احذيتنا ونضعها فى ركن لدى مدخل الكتاب • ونجلس على حصير متلاصقين والفقيه يمسك بيده غابة طويلة يقرع بها راس اى طفل مشاغب ليلفته الى النظام فاذا لم يرتدع أو لم يحفظ اللوح المكلف بحفظه أمر بمده فى الفلقة وضربه بالعصا على قدميه • وكنا نستعمل فى الكتابة ألواحا من الصفيح ثم ارتقينا وصرنا نكتب فى ألواح من الارتواز •

تعلمت الحروف الأبجدية ، ثم بدأت احفظ قصار السور حتى اذا ختمت جزء «عم» نفح والدى الفقيه بشىء من المال وكذلك كوفىء عندماختمت جزء «تبارك» ولم يكن لنا من عمل فى الكتاب سوى حفظ اللوح وكتابته وكنت أضيق ذرعا بهذا العمل الممل الذى لا يعدو تمرين قوة الحافظة • وكان هذا الطور من حياتنا طورا مضنيا مرهقا ليس فيه شىء من التيسير فى الكتابة ولا فى اكتساب معلومات فى الحساب أو غيره •

وزهدنى فى الكتاب ، فوق ذلك ، ان مدخله الخارجى كان متربا تتلقانا فيه البراغيث وقت الشتاء وتعذبنا بلدغاتها طول مدة وجودنا فيه ، ولم يكن لدغات واحد أو عشرة أو عشرين وانما كنت أجدها حين اكشف عنها كرات من براغيث لا حصر لعددها •

وكان اذا مات ميت وبدا لأهله أن يحتفوا بجنازته استأجروا أطفال الكتاب ليسيروا أمام نعشه يرتلون بعض محفوظات يعرفونها ، ولا أخفى اننى كنت افرح اشد الفرح عندما كنت أسمع بموت ميت يتفق أهلوه مع الفقيه على تشييعه لأننا كنا نعفى من القراءة على ان الفقيه كان يأخذ لتشييع الجنازات أبناء الفقراء فقط ويترك ابناء الأعيان ، فلم اشترك لا انا ولا أبناء عائلة خشبة مثلا فى مثل هذا الأمر وانما نرجع الى بيوتنا فرحين ••

وعندما ختمت سورة « يس » قدم والدى للفقيه مكافأة سخية ، ولم يكتف بهذا بل اعتزم ـ من تلقاء نفسه أو بنصح من أصدقائه ـ أن يزفنى بالموسيقى ، وأحاط بى أترابى ونفر من أصدقاء والدى وأقاربى واجتازوا

بى القيسارية(٢) كلها ، وكلما مررنا بتاجر من الأصـــدقاء وقف مهللا مهنئا ، ولعل السبب فى ذلك انى كنت وحيد أبوى ـ ولم يكن رزق بأخوتى بعد ـ وللوحيد مكانة خاصـــة ورغبة فى تكوينه تكوينا يرضـــى والديه وأهله ٠

بقيت على هذه الحال أعانى حفظ القرآن بلا تفهم الى أن ختمته بداية وعيادة وعن لوالدى ان اتفقه فى الدين واللغة فأرسلنى الى شيخه الذى علمه النحو والصرف والتفسير المرحوم الشيخ على الطوبجى ٠ ويلوح ان أبى كان يؤهلنى للالتحاق بالأزهر وكانت هذه نزعة الكثيرين فى ذلك الوقت حتى أن احدى قريباتى ـ وكانت زوجة لتاجر ثرى ـ تمنت ان يهبها الله أربعة أولاد لتلحقهم جميعا بالأزهر الشريف كى يصبح أحدهم عالما حنفيا والثانى مالكيا والثالث شافعيا والرابع حنبليا ، وذلك كان فى رأيها منتهى الكمال ، ولكن الله سبحانه رزقها بولدين درس احدهما الطب فى انجلترا واشـتغل طبيبا فى الحكومة والثانى فى مدرســـة البوليس وغدا ضابطا كبيرا ٠

تتلمذت على الشيخ على الطوبجى ، فكنت أذهب الى منزله صباحا مع أربعة صبية آخرين ، ونتبعه بعد الظهر الى مسجد من مساجد أسيوط ٠ وكم كانت دهشتى عظيمة والمى بالغا حين وجدته يبدأ تعليمنا الأجرومية بتدريس الاعراب مبتدئا بسورة الفاتحة مســـتفتحا بقوله : ان بسم الله الرحمن الرحيم تقرأ على عشرة أوجه ٠٠ ثم يشفع هذا بدرس فى التفسير وكان يكلفنا نحن الخمسة جلب الماء من بئر زاوية مجاورة ورش فناء داره، وهكذا انحصرت أعمالنا نحن التلاميذ فى الاجرومية والتفسير وجلب الماء ورش فناء الدار ٠ ومضى شهر وثان وثالث واغلظ الشيخ لنا القول ذات يوم ، فلم أطق البقاء ، وذهبت الى أبى باكيا رافعا علم العصيان والثورة قائلا انى غير قادر على الاستمرار فى هذا التعليم ، وانى أرغب فى الالتحاق بمدرســـة أســـيوط الابتدائية فهدأ من روعى وكتب من فوره الى ناظر المدرســـة ٠

---

(٢) وجمعها قياسر ، السوق المسقوفة ، وأطلقت أيضا على الخـان أو الوكالة ، أى البناء الذى يحتوى على غرف ومخـازن للتجار ، ويعلوه طباق للسكنى بارتفـاع دورين أو ثلاثة ٠

(د. سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، الطبعـة الأولى : دار النهضـة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٤٤١) ٠

قبلت فى السنة الأولى ولم يكن باقيا على الامتحان النهائى سوى ثلاثة أشهر ، وكانت السنة الدراسية هجرية تنتهى فى شهر شعبان ٠

ولاحظت ان الضرب من وسائل التأديب فى المدرسة أيضا فيخلع حذاء التلميذ ويضرب بالعصا على قدميه ، وكان مدرس اللغة العربية يسرف فى ضرب بعض التلاميذ ، ولم انج من هذا الاضطهاد يوم شكا طفل بأنى أعاكسه فأمر معلم اللغة العربية بخلع حذائى وطرحت أرضا وضربت على قدمى بالعصا ، تلك كانت أحوالنا فى السنة الأولى ، وابتداء من السنة الثانية منع ضرب التلاميذ ٠

اللغـــة العـــربية :

كانت اللغة فى الكتاب أو المدرسة ثقيلة على نفوسنا ، يرى المعلم ان تقدير التلاميذ لقيمة علمه يزداد كلما صعب عليهم فهمه ، فيسـرف فى التعجيز ويوغل فى التعقيد ، حتى أصبحت اللغة العربية مع الأسف أصعب العلوم وأثقلها على نفوسـنا ٠ فهـل آن لنا ان نقبـل على تيسـير لغتنا كما فعل الغربيون بلغاتهم ، ونرغب التلاميذ فيها بشتى الوسائل من قصص جذابة ورسوم لطيفة وتعبيرات سهلة صحيحة ترتاح لها النفس وتستسيغها افهام الصغار ؟ ان هذا لا شك يحتاج الى وجود المعلم القدير وأنا الاحظ مع الأسف عجز نفر من المعلمين ولى على ذلك دليلان :

الأول : ان مدرسا من خريجى مدرسة عبد العزيز الأولية جاءنى منذ بضع سنين يشكو حاله ويدعى أنه لم ينل من الترقية مايناسب مدة خدمته وكان يلبس أحسن اللباس ويقبض مرتبا شهريا يقرب من الثلاثين جنيها كما ذكر ٠ وتصادف أن كان أمامى كتاب فطلبت اليه أن يقرأ على شذرات منه فكان يخطىء ويلحن فى كل سطر ومما قراه (قال الزمخشرى)* بدل (الزمخشرى) المعروف لكل انسان متوسط الثقافة كما قرأ (وعن ابن القيم(**) بدل (ابن القيم) فايقنت أن مثله لا يؤتمن على تعليم ابنائنا اللغة العربية ٠

ولما أفضيت بأمر هذا المدرس الى أحد المفتشين قال : لا تعجب ٠ وذكر انه ذهب مرة للتفتيش فى احـدى المدارس الابتـدائية للبنـات واطلع على كراسـة لتلميذة كتبت فيها « الحجرات لها نوافذ » ولاحظ

(*) بسكون الميم والشين ٠

(**) بكسر القاف وفتح الياء ٠

اشارة من المعلم بالحبر الأحمر على كلمة « لها » وصححها بكتابة « لهم » كأنما الحجرات جمع عاجل ، وبهذا تبلبل فكر التلميذة طبعا أو جنحت الى الخطأ الذى لقنها المعلم اياه ٠

هذا ما يحدث فى بعض المدارس المصرية ٠ اما المدارس الأجنبية فى مصر فان بعضها يعمد الى تنفير التلاميذ والتلميذات من اللغة العربية وترغيبهم فى اللغة الأجنبية حتى أصبح المصـــريون فيها أقوى فى اللغة الأجنبية منهم فى لغتهم العربية وصـــاروا يؤثرون الأجنبية ويمقتون لغة آبائهم وأجدادهم ، وتستعين تلك المدارس على تســـهيل اللغة الأجنبية انجليزية أو فرنسية أو غيرهما بوضع كتب سهلة مصورة مشوقة تناسب عقلية الطفل وتتدرج معه كلما كبر وتضع فى نفس الوقت كتبا عربية يلمس صعوبتها من اطلع عليها ، وقد رأيت بنفسى فى سنة ١٩٥٢ كتابا قررته احدى تلك المدارس ـ وهى بلاشك قد أوحت بوضعه ـ أطلعتنى عليه احدى حفيداتى وكانت فى الثـــانية الابتدائية وعمـــرها لا يجـــاوز ثمـــانى ســـــنوات وســـألتنى تفســـير بعض الكلمات وردت فيه طلب منها وضعها فى جمل ، والكلمات هى : مشن ـ ثجاجة ـ قطيلة ـ وعجبت كيف تكلف بمثل هذا طفلة لا تعرف معنى أكبر الكلمات المتداولة أليس فى هذا تعسف ظاهر وتصميم واضح على تنفير ابنائنا من لغتهم ؟ لقد سالت غير واحد من رجال الأدب وأساتذة العربية عن معنى هذه الكلمات فلم يحيروا جوابا وفهمت من الطفلة بعد أيام أن المعلم أخبر تلميذاته بان المشن يعنى دش الحمام ، والثجاجة تعنى السيفون والقطيلة تعنى الفوطة ، كأن العرب الأقدمين كانوا يستعملون الدش والسيفون فى خيامهم ٠

ونجم عن هذا ان الطفلة كرهت اللغة العربية وانصرفت بكليتها الى الفرنسية وهى الآن تتكلمها بيسر وتقرأ الروايات الفرنسية بشغف وتفهمها بسهولة ولا تطيق الاطلاع على الكتب العربية ٠ وليس هذا شأن تلك الطفلة وحدها بل هو شان جميع الصبية المصريين فى جميع المدارس الأجنبية ٠ فالطفل المصرى فيها يقوى فى لغتها والاحســـاسات الأجنبية والمعلومات الأجنبية والأذواق الأجنبية تلصق بعقله الظاهر وترسب فى عقله الباطن وتلازمه متى شب وكبر ٠ وقد ظهرت آثار ذلك فى كثير من رجال مصر والشرق وبدأ التباين بينهم ، فهذا انجليزى الطبع والذوق وذلك فرنسى النزعة والمسلك ٠

ومما يوجب الحسرة أن المدارس الأجنبية تلزم بناتنا وأبنائنا مطالعة ما يسمونه بالتاريخ المقدس وهو تاريخ الأنبياء من سيدنا ابراهيم الى

سيدنا عيسى ولا يذكر فيه تاريخ النبى محمد ، ورأيت بنفسى هذه الكتب مع حفيدة لى ، كما ان طفلا من احفادى كلفه مدرس اللغة الانجليزية حفظ قطعة دينية غير اسلامية هى عبارة عن صلاة وتضرع فأبى الطفل وشكا الى والده فلفت هذا نظر المدرس وهدده ولولا ذلك لألزم الولد بحفظها .

ان أطفالنا يلقنون فى تلك البيئات التبشيرية ما يضعف احساسهم القومى ويبعدهم عن دينهم ويقربهم الى بيئات أجنبية ودول أجنبية ، وآثار ذلك ملحوظة ظاهرة فيمن تخرجوا من تلك المدارس اذ ليس بينهم واحد أو واحدة - الا من عصم ربك - يعطف على ديننا أو وطننا أو قوميتنا حتى وصل الأمرالى أن وزيرا سابقا مصريا مسلما تربى فى المدارس الأجنبية سألنى حين اعتزمت السفر الى القدس سنة ١٩٣٠ - للدفاع فى قضية البراق الشريف[٣] ضد الصهيونيين أمام لجنة عينتها عصبة الأمم لنظر تلك القضية - سألنى عن سبب اعتزامى السفر فأجبته أن السبب هو الرغبة فى تخليص محل البراق الشريف المملوك للمسلمين والمتنازع عليه بين العرب واليهود ، فلم يكن منه الا أن جابهنى بقوله انه لا ضرورة للذهاب وتحمل المشقة فليس يعنينا أن يأخذ اليهود محل البراق أو يتركوه ولا ضرورة للدفاع عنه وسواء عنده حكمت اللجنة للعرب أو لليهود وان هذا أمر تافه لا يليق بى أن أتعب نفسى من

---

(٣) البراق يطلق على مكان ملاصق لجدار الحرم الشريف فى القدس نسبة الى المكان الذى دخل منه النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى اسرائه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى راكبا الدابة المعروفة فى هذه التقاليد بالبراق . ويقدس اليهود هذا الجدار باعتباره من بقايا هيكل سليمان . ومنذ عام ١٩١٩ أخذ اليهود خطوات تدريجية لتثبيت حقوقا واسعة لهم فى هذا المكان ، فعملوا على شراء المنطقة الواسعة المحيطة بمكان البراق وحائط المبكى والطرق الموصلة اليه . وفى مناسبة عيد الغفران عام ١٩٢٨ أقاموا الحفلات بالمنطقة فأثار هذا رئيس المجلس الاسلامى ودعا المسلمين الى الاحتجاج . وقد تدخلت السلطات البريطانية ومنعت اليهود من الاستمرار فى ذلك . وفى أعقاب هذا الحدث شكل المسلمون جمعية عرفت باسم « جمعية حراسة المسجد الأقصى » ومهمتها تنبيه المسلمين الى الخطر المحدق بالأماكن المقدسة . وفى مناسبة عيد الغفران التالى (١٩٢٩) قام اليهود بمظاهرات صاخبة واشتبكوا مع المسلمين فى أحياء القدس ويافا . وقد هزت هذه الأحداث العرب والمسلمين خارج فلسطين حيث احتج أمير شرق الأردن وملك السعودية ، واندلعت المظاهرات فى سوريا والعراق والأردن ، وتضامنت اللجنة التنفيذية العربية فى فلسطين رغم ما بين أعضائها من خلاف لمواجهة الموقف . وفى العام التالى شكلت عصبة الأمم لجنة للنظر فى تلك القضية .

أجله • ولم استغرب صدور هذا من رجل تربى فى مدارس التبشير وحقن بسمومها • وهذا الرجل أصبح فيما بعد سفيرا لمصر فى الخارج •

وثمة ظواهر اخرى لاحظتها فى مواطنينا الذين شبوا فى احضان مدارس التبشـــير ، هى أنهم برعوا فى الرقص ولعب الميســـر ومعاقرة الخمور ، وفقدوا الاحساس القومى الذى بدونه لا تقوم للأمة قائمة •

والذين يرسلون أبناءهم وبناتهم الى مدارس التبشـــير يعللون هذا بأسباب منها :

اتقان اللغات الأجنبية ، وقد أصـــبحت ضرورة لا غناء عنها تمكن الطالب من الاستزادة فى العلوم من منابعها بدل الوقوف عند الاطلاع على تراجم عربية لا تغنى فتيلا •

ومنها : أن النظام فى المدارس الأجنبية أرقى منه فى المدارس المصرية • وأن التلميذ فى الأولى يكون محل عطف وتقدير بينما هو فى الأخرى مهمل لا اهتمام بشأنه • وقد اطلعت على شهادات مدرسية لأطفال فى المدارس الأجنبية لم يتجاوزا العاشرة فاذا اسماؤهم تســـبق بكلمة « مسيو أى السيد » بخلاف ما نراه فى المدارس المصرية التى تكتب اسم التلميذ مجردا ، فضـــلا عما نسمعه من أن المعلمين فى بعضها يهينون التلاميذ ويسبونهم ويجرحون احساساتهم ، أضف الى ذلك ان ســـلوك الأطفال فى المدارس المصرية لا يخلو من مهاترات وشتائم بسبب ضعف الرقابة عليهم فى فناء المدرسة ، وهندامهم لا يعتنى به كذلك ، ويقال ان بعض المعلمين يشجعون تلاميذهم على الاضـــراب طلبا للراحة متنكرين بذلك لواجبـــاتهم نحو أوطانهم •

والحق ان المدرسة لا يصح أن تباهى بكثرة التلاميذ وانما يجب أن تباهى بقدرة المعلم ونظام التعليم ، فبهذين يمكن تكوين المواطن الصالح الذى يعتبر أساس رقى الشعب ودعامة نهضة الأمة •

ومن الواجب أن ندرك ان المدارس الأجنبية فى بلادنا لا تقل خطرا عن الاحتلال الأجنبى ، فالاحتلال طغيان مادى اما التعاليم الأجنبية فهى احتلال العقول والنفوس والعواطف جميعا •

ولقد ادرك الصهيونيون خطورة التربية الأجنبية فمنعوا اليهود من غشيان مدارس اجنبية فى اسرائيل ، ومنعوا كذلك انشاء اية مدرســـة

أجنبية جديدة ، وحين أعطى وزير معارفهم تصريحا بانشاء مدرسة أجنبية قاموا فى وجهه ، واضطرت الحكومة الى الغاء التصريح ٠

فهل لنا أن نفكر فى هذا الخطر ، ونسعى بعد الغاء الامتيازات وجلاء المحتل فى منع هذا الأذى عن بلادنا فاذا تعذر منعه فلنمنع المصريين على الأقل من اللياذ بهذه المدارس ٠ ولنبذل غاية الجهد لرفع مستوى مدارسنا وتيسير التعليم فيها وتنظيم ادارتها ٠

والمعروف ان كثيرا من ذوى اليسار يرسلون أبناءهم وبناتهم الى المدارس الأجنبية متحملين نفقات باهظة لاعتقادهم ان مدارسنا لا تحقق لابنائهم التعليم والتربية الصحيحين ٠

وسبيل الوصول الى ما نبتغيه يتحقق بعاملين أساسيين :

الأول : اعداد المعلمين الصالحين فى علومهم وسلوكهم ٠

الثانى : الاكثار من المدارس ذات المصاريف ـ تخفيفا عن ميزانية الدولة ـ على أن تكون نموذجا صالحا للتربية والتعليم ٠

لقب علوبة

كيف أتخذت لعائلتى لقب علوبة ! ان هذا اللقب غريب ومستحدث فما مصدره ؟

أخبرنى والدى أنه حين كان طفلا يلعب مع أترابه فى الحى الذى درج فيه وسط مدينة أسيوط كانت والدة أحد زملائه تناديه وتدلله بكلمة « علوبة » وهى تدوير لكلمة « على » ولصق هذا الأسم بوالدى ، وأصبح جمهور الاسيوطيين يدعونه « على علوبة » كأنهما اسمان مختلفان ، وكنت أسمع الناس يقولون لبعضهم انهم ذاهبون الى طاحون علوبة ٠

وخطر ببالى بعد سنوات عديدة ان نتخذ لقبا يجمع أفراد أسرتنا ، وترددت بين اختيار لقب علوبة أو الجهينى ، ولاحظت ان الجهينى هو نسبة الى بلد ويشاركنا فيه كثير ، اما لقب علوبة فليس فى القطر من يشاركنا فيه وهو الذى اشتهرنا به ٠ لهذا صممت وأخوتى على اختياره ، وسجلته باشهاد بمحكمة مصر الشرعية تاريخه ١٠ أغسطس سنة ١٩٣١ ٠ ويمكن ارجاع هذه الكلمة لغويا الى مادة « علب » ومعناها اشتد وصلب ٠

فى المدرسة الثانوية

اتممت دراستى الابتدائية فى مدرسة أسيوط ، ولم تكن الشـــهادة الابتدائية وجدت بعد ـ فقد تقررت فى السنة التالية لخروجى ـ وكان النظام يقضى باجراء امتحان قبول فى المدارس الثانوية لمن يريد الالتحاق بها ٠ ولم تكن فى القطر المصرى فى ذلك الحين ســـوى ثلاث مدارس ثانوية ، الخديوية والتوفيقية فى القاهرة ورأس التين فى الاسكندرية ٠

وأديت امتحان القبول فى المدرسة الخديوية الكائنة بدرب الجماميز وحارة السادات ونجحت فيه ـ وكانت فصول السنة الأولى قسمين ، قسم فرنسى به خمسة فصول وقسم انجليزى به ثلاثة فصول ـ وكان ناظر الخديوية فى أول الأمر مصـــريا هو المرحوم محمد نظيم بك ، ثم تغيرت الحال وتعاقب عليها نظار من الانجليز ٠

ومما يجدر ذكره ان التنافس بين فرنسا وانجلترا كان أشد ما يكون ظهروا فى الوسط القاهرى مما أوجد فينا نحن التلاميذ ـ وعيا خاصا أخذ ينمو بمرور الزمن ، هو كراهية الاحتلال الانجليزى ٠

وكان السير ايفلين بارنج ـ اللورد كرومر فيما بعد ـ ممثل انجلترا والمستشارون الانجليز فى الوزارات اذا أشاروا بأمر وجبت طاعتهم ، وكنا نعلم مما أعلنه وزير خارجية انجلترا فى ذلك الحين ان الوزير المصرى مكلف بتنفيذ مشورة مستشاريه الانجليز والا وجب عليه ترك الوظيفة ٠

اما وزارة المعارف ـ وكانمقرها بجوار المدرسةالخديوية فقد كان على رأسها وزير مصرى ـ هو المرحوم على باشا مبارك(٤) ثم غيره من بعدة ـ وكان وكيلها أرمنيا متمصرا هو يعقوب أرتين باشا وكبير مفتشـــيها دنلوب(٥) الانجليزى المعروف ، قاتل التعليم فى مصر والذى رقى مستشارا

---

(٤) على مبارك (١٨٢٣ ـ ١٨٩٣) مؤرخ ووزير مصرى ولد فى قرية برنبال بمديرية الدقهلية ، وبعد أن حفظ القرآن تعلم العلوم الرياضـــية وتخرج من مدرسة المهندسخانة وارسل فى بعثة الى فرنسا . وبعد عودته تنقل فى وظائف عدة فى الهندســـة والتعليم الى ان تولى ديوان الاشغال وديوان المدارس فأنشأ الكتبخانة الخديوية (دار الكتب) ودار العلوم لتخريج المعلمين . وضـــع « الخطط التوفيقية » وهى تكملة لخطط المقريزى ، كما ألف رواية باســـم « علم الدين » وهى سلسلة من المسامرات (الموســـوعة الميسرة . ص ١٢٣٢) ٠

(٥) كان دنلوب مفتشا بنظارة المعارف المصرية ثم عين سكرتيرا عاما لهذه النظارة فى ٨ مارس ١٨٩٧ (مصطفى النحاس) جبر سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنيـــة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، ص ٤٨) ٠

فيما بعد وكان صاحب الأمر المطلق ولامعقب لحكمة فى شئون التعليم • وكان اللورد كرومر يجتمع بالمستشارين الانجليز من آن لآخر فرادى أو مجتمعين ويلقى اليهم بتوجيهاته فتتبع • وكان الوزراء بتوقيعاتهم منفذين لما يأمر به المستشارون الانجليز • وكانت الأمور تأخذ شكلا رسميا ظاهره مصرى وحقيقته انجليزية •

انتقلت الى السنة الثانية فى سنة ١٨٩٢ وهى السنة التى مات فيها الخديو محمد توفيق باشا وحضـــر ابنه عباس حلمى باشا من أوروبا ونصب خديويا وكانت الفرحة عامة شاملة ، فان المصريين كانوا يبغضون الخديو توفيق لأنه رفض مطالب عرابى(٦) ورفاقه من انشـــاء مجلس نيابى ومساواة المصريين بالأتراك والجراكسة ـ رفض ذلك وقال لهم كلمته المأثورة (كيف تجرؤون على هذه الطلبات وأنتم عبيد احساناتنا) ، ولأنه استعان بالأنجليز واحتمى بهم ولجأ هو وأصحابه الى بارجة انجليزية فى الاسكندرية • ثم كان ان ضرب الانجليز الاسكندرية بالقنابل واحتلوا البلاد فى سنة ١٨٨٢ • وأمل الناس ان يقاوم الخديو الشـــاب الانجليز ويخلص البلاد من الاحتلال ولم يكن مضى عليه سوى عشر سنوات •

من أجل ذلك فرح الناس بمقدم الخديو الشـــاب الذى لم تتجاوز سنه ثمانى عشرة سنة وسنذكر طرفا من حكم عباس فى حينه •

وفى هذه السنة نفسها حدث شجار بين تلاميذ السنوات النهائية فى المدرسة ، فأغضب ذلك الضابط الأول ، وارتأى أن أكون ـ وأنا فى السنة الثانية ـ باشجاويشا على تلاميذ القسم الداخلى جميعا • فأحســـست بالحرج من اسناد هذا المنصب الى ، ومن أن أصبح رئيسا أراقب حركة التلاميذ الكبار فى المأكل والمذاكرة والنوم ، وصارحتهم بأن الفيصل بينى وبينهم هو القانون ، ورجوتهم المحافظة على النظام والا اضـــطررت الى ابلاغ الضابط ، وبذلك هدأت نفوسهم • وحرصـــت على حفظ النظام فى

---

(٦) هو أحمد بن محمد وافى بن محمد غنيم عرابى الحسينى المصرى زعيم الثورة العرابية (١٨٨١ ـ ١٨٨٢) • ولد بقرية هرية رزنة بمديرية الشرقيـة عام ١٨٤١ • وقد جاور بالأزهر لمدة عامين ثم انتظم جنديا بالجيش وترقى الى أن بلغ رتبـة لواء ثم أصبح وزيرا للحربيـة • وبعد حوادث الثورة نفى الى جزيرة سـيلان وبقى بها لمـدة ١٩ عاما ، ثم عاد الى القاهرة حيث توفى عـام ١٩١١ • من آثـاره : مذكرات الثورة العرابيـة وتقرير عن حـالة الجيش المصرى فى عهـده • (محمد رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ ٢ • ص ١٥٤) •

حجرة المذاكرة ليلا الى وقت النوم وجعلت من التلاميذ دوريات أربع فى عنابر النوم كل دورية من تلميذين وفراش ولمدة ساعتين افتش عليها أحيانا، لمنع التلاميذ من المذاكرة فى عنابر النوم خشية الحريق لأن التلميذ كان يستعيض عن الكهرباء بشمعة يوقدها ويربطها فى عامود سرير ·· وكان بأكثر الأسرة كلات (ناموسيات) ·

اما المعلمون فكانوا من الفرنســـيين والانجليز والســـويسريين والسوريين والمصريين · وكان المصريون يدرسون اللغة العربية والرياضة والطبيعة والكيمياء والترجمة ، والأجانب يدرسون اللغة الأجنبية والتاريخ والتاريخ الطبيعى والجغرافيا والقشمغرافيا أى الفلك باللغة الأجنبية ·

ومما يلفت النظر ان التاريخ كان يدرس بغير لغة البلاد وكان أهم جزء فيه ينحصر فى تاريخ البلاد الأجنبية وعظمة الدول الغربية وعظماء الرجال الغربيين · اما تاريخ مصر وعظماء الاسلام فلم يعط منه سوى نتف صغيرة لا تغنى ولا تثمر · وكان مدرس التاريخ سويسريا غير كفء كما كان مدرس القشمغرافيا أيضا ضعيفا فى مادته كذلك كانت دراسة الجغرافيا ، لا تمتاز فيها جغرافية مصر على جغرافية البلاد الأجنبية ·

وأمام هذه الحالة جنح التلامذة المجدون الى اقتناء كتب أجنبية فى مستوى كتب المدارس الثانوية الفرنسية فى التاريخ الطبيعى والجغرافيا والرياضة كى يزيدوا معلوماتهم ويكملوا بجهودهم الخاصة – ما نقص منها – ومما ساعدنا على التفرغ لتحصـــيل العلوم اننا كنا غرباء عن القاهرة لا نبارح المدرسة الا يوم الخميس لنعود صباح السبت وربما يعود اكثرنا للمبيت فيها كذلك كانت مرتباتنا من أهلينا ضئيلة · وفوق ذلك فلم يكن فى القاهرة مسارح سوى مسرح الشيخ سلامة حجازى ، اما أماكن اللهو (الكاباريهات) فكادت تكون محرمة على التلاميذ وماكنا فى خروجنا نفكر فى غير الجلوس على مقهى من مقاهى باب الخلق لنتناول الخشاف أو الشاى أو القهوة · وانكر اننا ونحن نسمر ذات ليلة تطرق الحديث الى سيرة زميل لنا فأثنينا عليه وامتدحنا سلوكه لكن أحدنا وهو المرحوم محمود بسيونى بادرنا بملاحظة هى أنه يأسف اذ رآه يوما جالسا فى خمارة متاتيا ، مع ان متاتيا مقهى لا يختلف عن مقاهى باب الخلق الا فى انها تبيع خمرا لمن يطلب ولم يعترض أحد على هذه الملاحظة التى يراد بها الصاق شبهة بتلميذ لمجرد جلوسه فى مقهى به خمر ، وهذا يدل على تمسك تلاميذ ذلك العصر بالتقاليد الســـائدة فيه · اما التدخين فكان

معدوما بين التلاميذ الا قلة من كبار السن ، وأنا شخصيا لم أدخن مطلقا طول مدة الدراسة وانما عرفت التدخين بعد تخرجي من مدرسة الحقوق بأعوام متأثرا ببيئة المحامين فى أسيوط ٠

وكان تلميذ المدرسة الثانوية لا ينقل من سنة الى أخرى الا اذا حاز ١٢ درجة من ٢٠ أى ٦٠٪ فى كل علم فاذا لم يحـــز هذه الدرجة ولو فى علم واحد كالخط أو الرسم رسب وأعاد دراسة السنة ، ولم تكن هناك ملاحق ولا مظاهرات ولا احتجاجات ٠ لهذا كان التلاميذ يقبلون على تزويد أنفسهم بالدراسة المتصلة ٠ والذين يخطئهم التوفيق فى الامتحانات يلتحق كثير منهم بالمدرسة الحربية أو مدرسة البوليس وكانت الدراسة فيهما هينة لينة وامتحان القبول فيهما بسيطا ٠

ثم ان امتحان البكالوريا كان يتناول مناهج السنوات الخمس وكان الالمام بهذا كله مرهقا متعبا ٠ ولذلك صرحت وأنا باشجاويش الداخلية لتلامذة البكالوريا بايقاد الشموع فى العنابر بشرط ابعاد الكلات عنها ، فكان بعضهم يواصل المذاكرة ليلا الى الثانية أو الثالثة صباحا تحت ملاحظة دوريات التلاميذ ٠ وكانت الرقابة فى الامتحانات العامة شديدة لا تمكن من الغش بأية صورة من الصور ٠

نلت شهادة البكالوريا سنة ١٨٩٥ ولم تكن المناهج الثانوية المقررة تمد الطالب بعلم وفير أو تربية قومية متينة ، وانما كانت تكفل اعداد موظفين فى الحكومة أى آلات تكفى لسير أداة الحكم على النمط الذى يريده اللورد كرومر ، وكانت تقاريره العديدة التى تطبع وتوزع باللغتين الانجليزية والعربية تشعر بانه هو وحده المتولى ادارة الحكم فى البلاد وكانت ادارة جريدة «المقطم» ومجلة «المقتطف» تطبع تقارير اللورد كرومر والنشرات التى تريد انجلترا توزيعها ٠ كما كانت جريدة « الاهرام » تميل الى السياسة الفرنسية التى تعاكس النفوذ الانجليزى ٠ وكان للصـــراع بين القوتين الفرنسية والانجليزية أثره فى تنبيه بعض المصريين الى حقوقهم كما كان له أثره فى تغذية الشعور الوطنى وسنفصل ذلك عند الكلام عن الخديو عباس حلمى والاستعمار الانجليزى ٠

فى مدرســـة الحقوق :

كان على بعد أن نلت شـــهادة الثانوية أن التحق باحدى المدارس العالية ــ ولم تكن الجامعة وكلياتها انشئت بعد ــ واتجه تفكـــيرى الى اختيار احدى مدرســـتين الطب أو الحقوق ٠ وفكرت مبدئيا فى الالتحاق

بالطب لأني واقعي بطبعي أميل الى دراسة الحقائق الثابتة ، ودراسة الانسان كجسم قائم وما يعتريه من أمراض أمور ثابتة والناس في العالم متشابهون في تكوينهم ودقائق اجسامهم ، والعقاقير أدوية عالمية تصلح لجميع البشر والجراحة في الانسان واحدة · فمن نبغ في علم من علوم الطب سواء في مصر أو غيرها · يصبح عالميا لا يتغير علمه بتغير الوسط · ولكن صرفني عن دراسة الطب أمران : (احدهما) أني اشمئز من تشريح الجثث وأعاف رؤية القروح والدمامل والصديد وفحص ما يخرج من المعدة أو الامعاء (وثانيهما) أن الطبيب عادة تحت رحمة المرضى ، وواجبه يقتضيه ان يلبي كل طلب ولو كان بعد منتصف الليل فيترك فراشه ويرتدي ثيابه ويغادر منزله ولو في ليالي الشتاء القارص ·

والتحقت بمدرسة الحقوق وفي ظني أن حفظي للقرآن ودراستي للعربية سنوات عدة سيساعدانني في المستقبل على أن أكون محاميا قادرا على شق طريقه في العمل · واعترف أني أصبت في السنتين الأولى والثانية بخيبة أمل· فلم استسغ دراسة مقدمة القوانين والقانون الروماني وقانون العقوبات وتحقيق الجنايات لأنها كانت نصوصا جافة تختلف في وضعها التقديرات ولم تكن علوما تغذي العقول · والغرض منها تكوين محامين أو قضاه يطبقون ما يؤمرون به دون أن يكون لهم مجال في تفكير شخصي أو تقدير ذاتي · لكن نظرتي الى هذه القوانين تغيرت بعد أن دخلت السنة الثالثة وبدأنا ندرس القانون المدني وقانون المرافعات وغيرهما على أساتذة نوابغ ، منهم : ناظر المدرسة الاستاذ تيستو الفرنسي وكان أستاذا كبيرا في كلية الحقوق بجامعة « جرونوبل » بفرنسا يمتحن الفرنسيين الراغبين في نوال درجة الأستاذية ، وله مقالات علمية قانونية في المجلات الفرنسية ومنهم المرحوم الشيخ محمد زيد أستاذنا في الشريعة الاسلامية ، والمرحوم سلطان بك محمد أستاذنا في ادب اللغة العربية والمنطق ، فالمرحوم سلطان بك محمد حبب الى دراسة المنطق وآداب العربية ، والمرحوم الشيخ محمد زيد كان علما من اعلام الشريعة الاسلامية ، يرجع كل قاعدة الى العقل والى حالة المجتمع والى ما يصح ان يوضع له من حدود · أما الأستاذ تيستو فكان يشرح قانوننا المصري ويقارنه بالقانون الفرنسي وبقواعد الشريعة الاسلامية ويعطي للشريعة الاسلامية حقها ويفضل بعض قواعدها في كثير من الأحوال على قواعد القانون الفرنسي ، فكان في الواقع يلقي علينا دروسا في الشريعة المقارنة ، ثم أنه كان عالما راسخ القدم في بحث أصول التشريع وفهم روح المشرع عند وضعه قواعد القانون لهذا تغير رأيي وبدأت أدرك أن دراسة القوانين ليست دراسة نصوص

جافة ، وانما هى تأهيل للشباب كى يصبح مشرعا قادرا على وضع قوانين تتفق وحالة الانسان وروح المجتمع ، وأعتقدت ان الشارع انما هو طبيب للمجتمع ، ويجب أن يكون ملما باخلاق بيئته ربما تحتاجه من علاج • وأن الطبيب البشرى الذى يعالج الأجسام لا يمتاز على الشارع وهو طبيب انسانى اجتماعى يسعى فى رفع النفوس ويدفع الناس الى الاقلاع عن الجرائم والآثام حتى يكونوا مواطنين صالحين • وبهذا الاعتقاد تفتحت أمام عينى واجبات المشرع وما يلزم له من سعة الاطلاع وما يستحقه من احترام وتقدير لأنه ضرورة فى الحياة الاجتماعية والانسانية فازداد شغفى بدراسة القوانين وأسباب اختلافها واقبلت عليها اقبالا •

بعد التخرج من مدرسة الحقوق

نلت اجازة الحقوق سنة ١٨٩٩ ولم أرد الاكتفاء بها ، ورغبت فى الحصول على الدكتوراه من فرنسا او بلجيكا وكشفت لوالدى عن رغبتى فلم يعترض وجهزت نفسى واستعددت للسفر • وفى صيف تلك السنة قابلت بالصدفة ناظر مدرستنا مسيو « تيستو » أمام مصلحة البريد بالقهارة ، فهش فى وجهى وسألنى عما اعتزمته فاخبرته بعزمى على السفر لا حصل على الدكتوراه فما كان منه ــ وهو من ممتحنى الدكاترة فى القانون من الفرنسيين للحصـــول على درجة استاذ ــ الا أن بادرنى بقوله « اياك والذهاب الى أوروبا فان وقتك هناك سيكون ضائعا لقد كنت ادرس لكم القـــانون المدنى المصـــرى مقارنا مع القانون المدنى الفرنسى والشريعة الاسلامية ، وكانت المادة التى اشرحها لكم أوسع بكثير مما يحتاجه طالب الليسانس فكنت أعطيكم فى الواقع مواد شهادة الدكتوراه وأنتم حصلتم الكثير من الشريعة الاسلامية وقواعدها وهى لاتدرس فى أوروبا فما الذى تفيده من الذهاب الى هناك لتعيد دراسة بعض ما أعطيته لكم مضافا اليه القانون الادارى الفرنسى مثلا ولستم بحاجة اليه لاختلاف نظام الادارة هنا عن النظام المصـــرى وأنت اذا اشتغلت فى مصـــر الآن بالقضاء أو المحاماة فانك تستفيد علما ومرانا أكثر مما تفيده بأوروبا فى ثلاث سنوات أو أربع •

وكان لتلك الكلمات من رجل عظيم أحبه واحترمه وقع عظيم فى نفسى فقلت له على الفور انى الآن وقد اقتنعت بقولك قد صممت على مزاولة المحاماة فى مصر فشجعنى وافترقنا •

فى المحاكم المختلطة :

حين اعتزمت الاشتغال بالمحاماة مفضلا اياها على التوظف بدا لى ان انخرط فى سلك المحاماة أمام المحاكم المختلطة لأزداد احاطة باللغة الفرنسية بعد أننلت منها قسطا لابأس به فى مدرسة الحقوق بجانب ما افدته من مدرسة الحقوق الفرنسية وكنت أغشاها بعد انتهاء اليوم المدرسى من الرابعة بعد الظهر الى السابعة ولم انقطع عنها الا بعد أن أحسست بارهاق شديد خفت منه على صحتى ·

وكانت المحكمة المختلطة ذات شـأن عظيم ، لها مجلات قضـــائية وأحكامها تعتبر نبراسا للمحاكم الأهلية ، وقضـــاتها الأجانب من كبار الأساتذة فى بلادهم أو من مستشارى المحاكم العليا فيها ، وكانت الحكومات الأجنبية تتبارى فى اختيار كبار علمائها لتولى القضاء فيها ، بينما الحكومة المصرية مع الأسف كانت تختار العاطلين من قضاتها للجلوس مع هؤلاء الكبراء الأجانب على منصة القضاء اللهم الا قلة من القضاة المصريين الأكفاء ·

ويجب التنويه بان سمعة المحاكم المختلطة ماكانت تخلو من هنات ، فقد كانت تعتدى على اختصاصات المحاكم الأهلية وتتوسع فى اختصاصاتها بتفسيرات للقانون لا تخلو من خطأ كما كان شائعا ان قضاتها يتحرون العدالة اذا كان المتخاصـــمون أمامهم ينتمون الى دولة واحدة أما اذا اختلفت الجنسية فان كل قاض أجنبى ينقلب الى قنصل لدولته يسعى فى الحكم لمصلحة مواطنيه واذا كان الخصم مصريا فالويل له اذ المعروف انه يكون ضحية لخصومه الأجانب ·

ورايت ان التحق بمكتب أحد كبار المحامين الأجـــانب للتمكن من اللغة الفرنسية فى المرافعة بنوع خاص ولتحصـــيل معلومات أغزر مما يكون عليه المحامى أمام المحاكم الأهلية · وكان المحامى البلجيكى الشهير « كارتون دى فيار » صاحب أكبر مكتب للمحاماة فى القاهرة ، فاتصل والدى بالمرحوم أحمد بك فتحى زغلول وكان رئيسا لمحكمة مصر الأهلية ومن أشهر رجال القضاء فاتصل بدوره بالاستاذ كارتون دى فيار ثم صحبنى الى هناك والحقنى بالمكتب وكان الافوكاتو « مرزباخ » هو نائب الاستاذ كارتون دى فيار فى مكتبه وهو الذى حل محله بعد وفاته ·

وكان أكبر همى الاطلاع على مذكرات الاســتاذ كارتون دى فيار قديمها وحديثها لأعرف ما فيها من مبادىء قانونية ٠ ورافقته يوما الى المحكمة المختلطة وكان مقرها بالعتبة الخضراء حين ذهب ليترافع بنفسه أمام قاضى الأمور المستعجلة فى قضية رفعتها أميرة من الأسرة الخديوية ضد امرأة ايطالية استأجرت من الأميرة منزلا للسكنى فجعلته محل دعارة وقد طالب باخراج المرأة الايطالية من المنزل بعد أن قامت الأدلة على أنها استعملته فى غير حدود عقد التأجير وحضر عن الايطالية محام ايطالى طلب تأجيل القضية لسبب قاهر هو ان موكلته حامل لا تستطيع مغادرة فراشها وليس فى مكنتها ان تدلى بملاحظاتها وما كان الأستاذ كارتون دى فيار – رغم استعجال القضية – يستطيع معارضة طلب التأجيل لمثل هذا السبب ٠ لكنى لاحظت ان سيدة فى الجلسة كانت كثيرة الاهتمام بالقضية فرجحت ان تكون هى المدعى عليها ولفتت نظر الاستاذ كارتون دى فيار الى ذلك فطلب الى القاضى أن يسأل هذه المرأة عن علاقتها بالقضية فاذا هى المدعى عليها وليست حاملا وليست ضعيفة جاءت من منزلها وصعدت الى الدور الثانى بالمحكمة وكان محاميها غير صادق فيما اخترعه من سبب للتأجيل ٠ ونظرت القضية وحكم فيها بطلبات الأميرة ٠

والحق أن هذا الحادث أثر فى نفسى وفى تقديرى لبعض المحامين فى المحاكم المختلطة ٠ وبعد اشهر ثلاثة رايت من الأوفق لى أن أذهب الى أسيوط موطنى وأمارس المحاماة باللغة العربية بعد ما تبين لى صعوبة منافسة المحامين الأجانب الذين احتكروا المحاماة فيها بلغاتهم الأجنبية ٠

فى المحــــاكم الأهليـــة

فى أوائل سنة ١٩٠٠ ذهبت الى أسيوط واشتغلت تحت التمرين بمكتب المرحوم حسين بك فهمى ولم يكن يحمل شهادة الحقوق ولكنه كان رجل خلق يتمتع بمركز لائق محترم ومن اشهر المحامين فى البلدة ولم يكن هناك من حملة الليسانس سوى المرحوم محمود بسيونى الذى تخرج قبلى بعامين ويتمرن هو الآخر فى مكتب حســـين فهمى بك اما باقى المحامين فكانوا يزاولون المهنة بتصريح من لجنة امتحنتهم فى نصوص القوانين امتحانا سهلا ، وكان منهم النابه والعاطل وبعضهم من كتبة المجالس الملغاة أو ممن قضوا بعض الوقت فى الأزهر أما القضاة فكانوا خليطا من خريجى الحقوق – فى مصر أو أوروبا – أو ممن امضوا بضع سنوات فى الأزهر وهذا الخليط يدل على أن مستوى القضاة لم يكن عاليا ٠ ثم انضم الى

محامى أسيوط المرحوم مرقص حنا والأستاذ أحمد رمزى ـ المحامى الآن ـ اللذان تركا النيابة للاشتغال بالمحاماه ٠

ومثل هذا الوسط من محامين وقضاة كان يسمح بنبوغ المحامى فى مهنته اذا كان متمكنا من اللغة العربية وعلى شىء من الذكاء دون حاجة الى التعمق فى القانون والشروحات ٠ ولهذا كان أكبر المحامين فى أسيوط أقدرهم على الخطابة والتأثير ٠

وكان الجمهور لا يأبه بالأمور القانونية وانما كان يعجب فى المحامين بذلاقة اللسان ويزنهم بهذا الميزان ومن الوقائع التى لا انساها والتى تدل على عقلية الجماهير فى ذلك الزمن انى ذهبت الى محكمة ملوى الجزئية موكلا عن شخص مدع بحق مدنى فى قضية جنحة ضد آخر زور عليه عقدا ببيع قدر صغير من الأطيان ٠ حضرت عن المجنى عليه مطالبا بتعويض وكان محامى الخصم أضعف المحامين فى أسيوط حتى قيل فيه انه كان عرضحالجيا أمام المجالس الملغاة ٠ ترافعت بما يقتضيه واجب القانون وعرضت أدلة التزوير بايجاز وطلبت التعويض بعد الحكم على المتهم دون ان أتعرض طبعا لشخصه أو أجرح عواطفه٠ ثم قام محامى المتهم وترافع بصوت جهورى وباللغة العامية مرافعة طويلة ليس فيها شىء من الأدلة على البراءة وجعل همه الطعن فى شخص موكلى المجنى عليه وقد حكم القاضى بما طلبت من تعويض وبحبس المتهم ستة أشهر فكان ذلك نصرا مبينا لى ٠ وذهب وكيلى يهنىء موكلى ثم رجع الى وأخبرنى ان الموكل غاضب وانه كان يتمنى لو خسرنا القضية وجعلنا همنا فى المرافعة سب المتهم وتجريحه فان هذا أفضل عنده من كسبها دون قذف المتهم وشتمه ٠

وأمر آخر اثر فى نفسى من مسلك بعض القضاة فقد كان يسكن بندر أسيوط قاض من حملة الليسانس عين للفصل فى قضايا محكمة « أبى تيج » وكان يذهب اليها بقطار الصباح ثم يعود ٠ وذات يوم ذهبت وبعض المحامين فى القطار الذى يستقله هذا القاضى وجلسنا فى نفس العربة التى يجلس فيها وعلى مرأى منه لنتولى الدفاع فى قضايا مدنية ينظرها هو هناك ٠ ولم يكن بمحطة أبى تيج سوى عربة واحدة وكان اللائق ان يستقلها القاضى الى المحكمة ثم تعود لتنقلنا اليها ، وكم كانت دهشتنا عظيمة عندما رأيناها تعود بالقاضى نفسه بعد ان طلب القضايا وشطب قضايانا لعدم حضور المحامين الذين لم يحضـــر موكلوهم اعتمادا عليهم ٠ نعم رجع القاضى الى المحطة واخرج لسانه لنا تعبيرا عن انه لعب لعبته كى يتمكن من ادراك القطار العائد من الجنوب ليكون فى أسيوط فى الساعة

الحادية عشرة صباحا وترتب على هذا التصرف اننا نحن المحامين دفعنا من جيوبنا رسوم اعادة القضايا التى حكم بشطبها وكان يمكن أن نكون عرضة للمؤاخذة اذا اشتكى أرباب القضايا واتهمونا بالاهمال وعجزنا عن اثبات حضورنا رسميا فى قضاياهم ٠

هكذا كان يفعل بعض القضاة مغترين بسلطة خولها لهم القانون تسمح لهم أن يحكموا بالحبس أربعة وعشرين ساعة على المحامى نفسه بتهمة التشويش فى الجلسة أو القبض عليه أثناء المرافعة بتهمة الاعتداء على مقام القاضى ٠ وقد استغل بعضهم هذا الحق فأوقف أمامه فى محكمة أسيوط محاميا من أقدر المحامين وأشرفهم هو المرحوم أحمد محمد خشبة الذى أصبح بعد سنوات وزيرا ـ مهددا بحبسه ، وتكرر مثل هذا مع بعض المحامين حتى ضقنا ذرعا وانتهى الأمر بان أضرب المحامون مرة عن العمل وتركوا القضايا لاعتداء قاض على محام كبير بمحكمة ملوى وكان لهذا الاضراب أثره فى وزارة الحقانية وبين القضاة أنفسهم حتى انقشعت هذه الغمة وصينت حقوق المحامين بقانون وأصبح القاضى يفهم أن المحامى انما هو زميله ونده وانتهى الأمر بأن تبادل القضاة والمحاماة العون وأصبح القاضى يشرف بأن يصير محاميا كما نبغ من المحامين قضاة زانوا بقدرتهم وباتساع معارفهم مناصب القضاء حين شغلوها ٠

وفى بضع سنوات أصبحت فئة المحامين فى أسيوط من أقدر المحامين فى القطر المصرى ومن أكثرهم علما وكفاية بعد أن كثر عدد حملة الشهادات فيهم ٠ ولا أنكر ان المحاماه فى أسيوط كانت تدر على المحامين مغانم كثيرة عقب تصفية المجالس الملغاة وتحويل قضاياها الكثيرة الى المحاكم وكانوا جميعا فى بحبوحة من العيش ومكاتبهم عامرة بالقضايا والمتقاضين ٠

فى المحاكم الشرعية

فى سنة ١٩٠٠ وأنا أزاول المحاماة بمكتب المرحوم حسين بك فهمى قيدت اسمى محاميا أمام المحاكم الشرعية وكلفنا صاحب المكتب أن نباشر أنا والمرحوم محمود بسيونى قضية أمام محكمة أسيوط الكلية الشرعية للدفاع عن سيدة كانت ناظرة وقف زوجها ضد مدع من الوجهاء ومن أقارب صاحب الوقف بطلب عزلها عن النظر لخيانة ادعاها ٠

حضرنا أمام المحكمة وكانت تشكل من رئيسها ومفتى المحكمة عن يمينه وأحد القضاة عن يساره وقام محامى المدعى يشرح ادعاءه ويطلب عزل موكلتنا • وطال الاملاء من المحامى الشرعى واحس رئيس المحكمة بشيء من الظمأ وبدل ان ينادى الحاجب بدق الجرس ـ وهو فى نظره مكروه شرعا ـ صفق اثناء المرافعة فحضر الحاجب فطلب اليه احضار ثلاثة أكواب من شراب الخرنوب ليطفىء هو وزميلاه ظمأهم وشربوا هنيئا بصـــوت مســـموع • وشـــكره زميـــلاه على أريحيتــــه فاســـتغفر الله وأضـــاف أنه ســـيحضر لهم غدا ان شـــاء الله شـــراب الســـوبيا • واســـتمر محامى المدعى الى أن حان وقت الظهر فصفق الرئيس وحضر الحاجب فطلب منه احضار الطســت والابريق وجعل يتوضأ على مقربة منا فى الجلسة ، ولاحظ عضو اليسار ما عرانا أنا ومحمود بسيونى من استغراب لترك الرئيس كرسيه وقت المرافعة وناداه وهو يتوضأ وقال له يافضيلة الرئيس ربما يقال انك تركتنا وقت المرافعة فأجابه رحمة الله أنا لست معكم والبركة فيكم واســـتمر فى وضوئه ثم أخذ يصلى فما كان من عضو اليسار الا أن نهض وجلس فى كرسى الرئيس ليتولى الاشراف على المرافعة وترك مكانه شاغرا • ثم بدا على عضو اليمين شيء من الاعياء والكسل وداعبه النعاس فكان يفتح عينيه ويغمضهما تباعا لارتفاع صوت المحامى وانخفاضه وبذلك أصبحت المحكمة مكونة من عضو واحد هو عضو اليسار الذى جمع فى شخصه الهيئة كلها • ثم أن عضو اليسار هذا جعل يســـاعد محامى المدعى فى التعبير بما اقنعنا بممالأته له • وكل هذا فيه مجافاة لواجب القاضى وعدل المحاكم فضلا عن ان هذه محكمة شرعية يجب أن تكون اسمى من غيرها لأنها تنطق أحكامها باســـم الله الرحمن الرحيم وبقوة الدين والايمـــان وأعتقدت بضرورة رد المحكمة طبقا لقانون المحاكم الشرعية نفسها لكنى لحداثة عهدى بالمحاماة رأيت تكليف محمود بسيونى وله فى المحاكم أكثر من سنتين ان يتقدم هو بطلب الرد والححت عليه حتى تشجع وطلب فى استحياء الى القاضى أن يســـمح له بقبول طلب وارد فى القانون وفهم القاضى الغاية فبادره بقوله: ما الذى تطلبه ؟ فأجاب محمود بسيونى بأن القانون يا فضيلة القاضى يقرر فى المادة كذا ما يأتى •• وقرأ عليه نص المادة ، وعضو اليمين فى سباته فما أن سمع عضو اليسار ذلك حتى قال : ما هذا يامحمود بسيونى ؟ هل يصح هذا ووالدك صديقنا •• فأجابه بأن هذا أمر قانونى يافضيلة الشيخ فقال : قل ماشئت • سطرنا هذا الرد فى محضر الجلسة ثم استمعوا الى دفاعنا وانتقلوا للمداولة وبعد بضـــع

دقائق حكم أصحاب الفضيلة برفض الرد وبعزل موكلتنا من النظر . ثم ذهب عضو اليسار الى منزل الوجيه المدعى يهنئه بالحكم وتعشى معه فى داره .

ولم يكن منى بعد الذى رأيته سوى أن قدمت طلبا بنقل اسمى من جدول المحامين الشرعيين الى جدول المحامين غير المشتغلين فيها ونحمد الله فقد ألغيت المحاكم المختلطة وادمجت المجالس الحسبية والمحاكم الشرعية والمجالس الملية فى المحاكم الوطنية .

الزواج

فى سنة ١٩٠٣ تقرر قبولى محاميا أمام محاكم الاستئناف ، ولم يكن يشاركنى هذا الامتياز سوى اثنين او ثلاثة من المحامين القدامى غير الحاصلين على شهادة الحقوق فاتسع نطاق عملى .

ورغب أهلى فى تزويجى وترددنا كثيرا فى اختيار الزوجة وبحثوا فى بندر أسيوط وضواحيه ثم عزموا على البحث فى القاهرة فاستأجر أبى منزلا فى شارع جامع عابدين نزل فيه افراد عائلتى نحو ستة أشهر وكنت قد طلبت اليهم الا يتعجلوا والا يجعلوا لثروة أسرة الزوجة أو لارستقراطية اهلها دخلا فى اختيارها بل يجب أن تكون من عائلة حسنة السمعة وان تتفق وطبعى فى الحياة .

وشاءت الصدفة أن أتصل فى أسيوط بمفتش احدى الشركات وبموظف فى وزارة الأشغال يأتى أسيوط لماما لفحص الآلات البخارية ، وكان الأول من أقارب الأسرة التى صاهرتها والثانى صديقا لها وجارا ، واقترحا على والدى مصاهرتها ، ثم اتصلوا بوالد العروس وحصل التزاور بين أفراد أسرتى فى القاهرة وبين تلك الأسرة ، وتمت الخطبة بين والدى وبين والد العروس .

وهنا قامت مشكلة هى أن التقاليد فى القاهرة تعطى العروس الحق فى رؤيتى من خلال النافذة الخشبية دون أن أراها ، واعترضت وأنا فى أسيوط على أن ترانى دون أن أراها وبعد أخذ ورد أقنعها والدها بأن تطمئن لأنه رآنى بنفسه .

ولقائل ان يقول أن هذا التقليد عقيم ، اذ كيف يرتبط اثنان برباط الزوجية دون أن يرى أحدهما الآخر ودون أن يقف احدهما على طباع الآخرقبل الزواج ، ولهذا التقليد القديم انصاره الى الآن وخاصة فى الوجه

القبلى وهم يقولون أن البنت يجب أن ترضخ لمشيئة أبويها ، فهما أقرب الناس اليها وأحرص الناس على سعادتها وأقدر منها على تقدير مكانة الزوج وأهليته دون تأثر بعاطفة الحب والغرام التى قد تطغى على التقدير الصحيح ٠

ويقولون أيضا أن الحب المتبادل بين الخطيبين قد يطفىء الزواج لهيبه ، أما الزواج بهذه الطريقة فالحب يبدأ بالزواج نفسه ، ويسوقون الأدلة على ذلك بما يشاهدونه فى كثير من حالات الزواج على الطريقة الأوروبية ٠

تلك أقوال لا أحبذها ولا أعارضها وانما هى تقاليد متوارثة ربما اقتبسناها من بعض البلاد الشرقية ورسخت فى نفوسنا وخاصة فى بلاد الصعيد حتى أصبح من العسير الفكاك منها وواضح أنها تغاير التقليد الغربى كما أنها تخالف ما يراه الشرع من اباحة رؤية الزوج وجه خطيبته ويديها وسماع صوتها والزمن كفيل بمعالجة هذه الحالة ٠٠

وقد بلغ من تحكم هذه التقاليد فى الصعيد وقت زواجى ان صديقا حميما لى من علية القوم وأثريائهم تزوج بصعيدية من طبقته منبلدة تجاور أسيوط ، تزوج بها دون أن يراها ، وأقامت معه فى منزل الزوجية ببندر أسيوط لا تخرج منه ولا تبادل أترابها الزيارات ، واذا رغبت فى زيارة أهلها أقلتها ليلا الى قريتها عربة أسدلت على نوافذها الستائر ثم ترجع ليلا على نفس الحالة ، وأغرب من ذلك أن شقيقه وزوجته كانا يسكنان معهما فى منزل واحد ومع ذلك لم ير أحد الشقيقين زوجة أخيه ٠ وكان صديقى يحبذ هذا التقليد ولا يرى مبررا لأن يرى زوجة أخيه أو أن يرى شقيقة زوجته ٠

ومما يثير العجب أن تلك الزوجة التى لم تكن تبرح منزلها قد تبدل مسلكها بعد التطور السريع فى حالتنا الاجتماعية ، فأصبحت سافرة ، واندمجت فى الجمعيات الخيرية وصارت عضوا بارزا فيها تتصل بالسيدات والرجال ، ولم يثر ذلك أية غرابة بين الناس تأثرا بالتقاليد الحديثة ، وكذلك زوجتى أصبحت سافرة وعضوا فى جمعيات خيرية وهى الاتحاد النسائى(٧) من أيام المرحومة هدى شعراوى ٠

---

(٧) هى السيدة/ احسان أحمد ٠

ويبدو أن تطورنا كان سريعا بعد السفور الذى بدأ فى أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ والذى نادى به المرحوم قاسم أمين من قبل ونرجو الله ألا تقضى هذه الحرية على تقاليدنا القومية الطيبة ، وأن يقترن تقدم المرأة بالمعرفة والخلق القويم حتى يصبح لنا تقليد قومى عام لا شائبة فيه يشـــخص قوميتنا لا تقليدا نتلقفه من هنا وهناك يجعلنا والعياذ بالله كالغراب الذى أراد أن يقلد الطاووس فلم يعد طاووسا ولم يبق غرابا ٠

ومن غريب تقاليدنا المصرية أن والدى هو الذى قام عنى بدفع المهر رغم علمه بأن المحاماة كانت تدر على ربحا وفيرا ٠ وأغرب من ذلك أنه بنى على نفقته جناحا خاصا لسكناى يتصل بمنزل الأسرة كذلك هو الذى عقد العقد نيابة عنى كما ناب والد الزوجة عنها ٠ ثم هو الذى نقل العروس ومن معها من القاهرة ٠

وعندما وصـــلت العروس المحجبة الى أسـيوط استقبلها اصدقاؤنا تتقدمهم الموسيقى واصطف الهوارة على خيولهم بفناء المحطة ومشوا فى مقدمة الزفة يرقصـون بخيولهم والأصـــدقاء يستوقفونهم ويقدمون لهم الشربات الى أن أوصلوا العربة المسدلة الستائر الى المنزل ٠ ثم كانت ليلة الفرح أحياها مغن حضر بتخته من القاهرة وعالمة شهيرة جاءت فى نفس القطار لتزف العروس ٠ وكان زواجنا بحمد الله زواجا موفقا مضى عليه الآن أكثر من خمسين سنة اذ عقد العقد فى ١٠ مارس سنة ١٩٠٤ فى بيتنا بأسيوط ٠

عـــلاقة الولد بأبيه

بقيت فى منزل الأسرة لا أساهم فى نفقات البيت رغم ايرادى كمحام ـ الا بقدر ضئيل ، وهذه العادة لا تفضـــل العادة الغـربية التى تحبذ الاستقلال والسكنى المنفردة مع استبقاء رابطة الود بالوالدين والأهلين ٠

لقد بهرتنى حادثة رأيتها حين كنت فى الولايات المتحدة استشفى سنة ١٩٤٧ تظهر بوضوح الفارق العظيم بين ما نحن عليه فى الشرق من عادات وما عليه الغـــرب وخاصـــة أمريكا ٠ فقد دعانى ذات ليـــلة أحـــد أصـــهارنا وكان فى بعثة زراعية يدرس فى جـــامعة باحـــدى البـــلاد القـــريبة من بحـــيرة متشـــيجان ، كما دعى معى عمين

كلية الزراعة هناك • وصهرنا هذا كان يسكن طابقا من مبنى يملكه أمريكى يشغل الطابق الأول منه • وبعد تناول العشاء صعد الينا فتى هو ابن صاحب المبنى ، وطلب الى عميد كلية الزراعة أن يستخدمه للعمل فى مزارع الكلية فسألة العميد عن سنه فقال أربعة عشر عاما • فأخبره العميد بأن القوانين لا تسمح باستخدام من لم يبلغ الخامسة عشر ويمكنه أن يرجع اليه بعد عام للنظر فى أمره • وسأل صهرى هذا الفتى عن سبب طلبه الاستخدام بأجر • فأجاب أنه وهو تلميذ يريد أن يربح ما يدخره لمستقبله حتى يتمكن حين يبلغ الثامنة عشرة ويلتحق بالجامعة أن يدفع مصاريفها، فذكر له قريبى أن والده ثرى يملك عمارة ومصنعا للأخشــــاب والأثاث (الموبيليات) ، ويمكنه أن يدفع له بيسر نفقات الجامعة فأجابه الصبى : اليس من العيب أن أحمل والدى نفقات الكلية بينما أنا قادر على العمل بعد الظهر وادخار هذه النفقات ؟ •

وتركت كلمات الفتى فى نفسى أثرا عميقا ، وتجســـم أمامى الفارق الشاسع بين ما هم عليه فى أمريكا وما نحن عليه ، وتذكرت كيف يتواكل شـــبابنا على آبائهم فى نفقات المدارس والجامعات بل كيف يأخذون من آبائهم نفقات بعد التخرج من الجامعات وبعد التوظف والزواج وبعد أن يصبح الواحد منهم رجلا له ايراده ومسئولا عن حياته •

ويظهر ان حالتنا هذه متأثرة برواسب قديمة انحدرت الينا من النظام القبلى القديم وكمنت فى أعماقنا • ولعل متاعب العيش وانتشـــار العلم ينتهيان بنا بعد زمن الى شىء من الاستقلال الذاتى ، فيحس الفرد بأنه مسئول عن نفسه ويحفزه هذا على العمل فيزداد النشاط ويزداد التفكير ويزداد الانتاج ونقرب من تلك الأمم النشيطة التى تستغل كل مرافق الحياة أحسن استغلال •

كثيرا ما نسمع أن أصـــحاب الملايين فى أوروبا وأمريكا يدفعون بأولادهم الى المصانع وغيرها كعمال أو كموظفين بأجر يتناسب ومؤهلاتهم يزداد بحسب مايستحقونه فاذا جاء الوقت الذى يحلون فيه محل والديهم كانوا أكفاء قادرين على حمل الأعباء وصـــانوا مؤسساتهم ثم ســـلموها لأبنائهم من بعدهم فيستمر مجد العائلة وتبقى على الزمن ، بعكس مانراه فى بلاد الشرق من تدهور بيوت الصناعة والتجارة وانحلال الأسر بعد موت مؤسسيها العصاميين لأن أبناءهم من بعدهم عجزوا عن الاحتفاظ بها فانهارت وضاعت • والذنب فى ذلك يقع على الآباء الذين أهملوا أبناءهم

ولم يدفعوا بهم الى المدارس والمؤسسات العلمية والصناعية كى يشبوا مزودين بالعلم والمعرفة مقدرين لواجباتهم ومسئولياتهم · وكل منا يذكر عائلات من حوله ضاعت بهذا الاهمال وانتهى أمرها وأصبحت فى خبر كان ·

وفـــاة والـــدى

ذكرت أن والدى اشتغل بالزراعة والصناعة فقد أنشأ فى بندر أسيوط مصنعين لطحن الدقيق وصنع الثلج وامتلك مساحة من الأطيان الزراعية منها قدر لابأس به يحيط بجزء من بندر أسيوط ، ويصلح لاقامة المبانى كما اشترى أطيانا بورا لاصلاحها ـ ويظهر ان اصلاح الأراضى البور متوارث فينا ـ وهكذا اتسع مجال نشاطه وتشابكت أعماله وارتبط نتيجة لذلك ببعض البنوك وأصبح مدينا لها فلما حدثت أزمة سنة ١٩٠٦ وكانت مفاجئة طاحنة عانى كغيره كثيرا من الصعوبات · وقد توفى فى ٧ مايو ١٩٠٧ واقيم المأتم ستة أيام فى أسيوط كما هى العادة فى ذلك الحين · وكان على أن أنفرد بحمل العبء بعده لأن اخوتى كانوا تلاميذ صغارا وثانى يوم الوفاة خاطبنى احد رجال البنوك وأخبرنى ان والدى مدين بسند وطلب الى توقيعه لأضمن بشخصى دفع المبلغ فى ميعاده ، وفعل غيره مثل ذلك ، فعجبت لمسلكهم وطلبت اليهم أن يصبروا حتى تتم أيام المأتم ·

وفى هذه الاثناء جاءنى احد وجهاء أسيوط وكان صديقا لوالدى كما كان من عملائى كمحام ونصحنى بالامتناع عن توقيع اية ورقة لدائنى والدى قائلا أن حرصه على مصلحتنا يدفعه الى التشديد على فى ذلك فقد تكون ديون والدى كثيرةوهو يخشى أن تذهبالديون بالتركة كلها وأنا وان وقعت أصبحت مسئولا بثروتى الخاصة عنها فلاداعى لأن أورط نفسى فى هذا المأزق واشغل نفسى بمسئوليات هذه التركة المثقلة بينما أنا قادر على أن أعيش أنا واخوتى وابنائى فى راحة وطمأنينة بما حبانى الله من مكتب يدر على ارباحا وفيرة ورجانى أن أحصى الديون ثم افكر كثيرا فيما يجب اتخاذه فقد تكون النتائج وخيمة اذا أنا ضمنت بشخصى دفع الديون ·

ومع اعتقادى بصدق رغبته فى تجنيبنا أخطارا مالية فقد قلت له : اننى سأوقع سندات الدين ثم افكر بعد ذلك فدهش وسأل : كيف تفكر بعد التوقيع وماذا تكون فائدة ذلك ؟

فأجبته بأن أبى ترك لى ثروة لا أعرف قيمتها كما ترك سمعته فكيف اتحلل من المسئولية المالية ـ اعتمادا على القانون الذى لا يلزم الوارث

الا بمقدار ما يرثه مع أن سمعة أبى لا تفارقنى ولا تفارق العائلة فهل ترضى أن أكون جحودا وأن أمس سمعته وسمعتنا بالتهرب مما تعاقد عليه ؟ وكيف يمكن أن احتمل المناداة باسم الورثة فى المحاكم أو بيع منزل الأسرة ؟ اننى أفضل أن أضمن الديون ولو ضاعت ثروتى الشخصية ، لا لاحتفظ بمال وانما لاحافظ على سمعة أبى الذى أنفق على من ماله وأحسن تربيتى حتى أصبحت محاميا مرموقا كماتقول فقال : أنت حر فيما تفكر فيه • ولكننى اديت واجب النصيحة • وبعد انتهاء أيام المأتم وقعت بضمانتى الشخصية ومسئوليتى وحدى على كل ما تعاقد عليه والدى من ديون •

وعينت وصيا على اخوتى الصغار ووكيلا عن والدتى وأختى وجعلت أسدد الديون من مالى الخاص ومما بعته من أطيانى ومن بيع بعض أملاك أبى الى أن سددت كل المطلوبات ثم استرددت ما دفعته من التركة •

وكان أبى قد تعاقد لمصلحتى ـ منذ كنت تلميذا ـ مع شركة تأمين بمبلغ أربعة آلاف جنيها لمدة عشرين سنة وتولى هو دفع الأقساط ، فلما وافاه الأجل استمررت فى دفع الأقساط الباقية وبعد استلامى التامين دفعت لأهلى ما خصهم فى جميع ما دفعه والدى عنى •

كذلك كان رحمه الله قد رفع قضية شفعة يطالب فيها بحديقة اشتراها عمدة أسيوط المرحوم عبد الرحمن النميسى باشا وكان صديقا لوالدى ثم تنكر له •• فكلمته تليفونيا برغبتى فى زيارته وكانت مفاجأة له ، وذهبت الى منزله وكان يضم جمعا وقلت له اننى أعرف ما كان بينك وبين والدى من صداقة قديمة طال أمدها وأذكر كيف كنت تدللنى وأنا طفل وتركبنى جوادك أيام مولد سيدى جلال الدين السيوطى ـ وهو المولد الكبير فى أسيوط ـ وطرأ بينك وبين والدى سوء تفاهم ، وأنا أرث أبى فيما ترك لكننى لا أرث العداوة بينك وبينه وتأييدا لذلك اقرر لك انى عن نفسى وباعتبارى وكيلا ووصيا على ورثة أبى قد تنازلت عن القضية الأهلية والمختلطة وانى أتحمل جميع مصاريف القضيتين ولا أطالبك بشىء مما دفعه والدى • فدهش وقال : حتى المصاريف هذا لا يمكن • قلت : أحضر ورقة ودواة ، وكتبت تنازلى وتنازل أهلى ـ دون أن أستشيرهم ـ عن القضيتين • وحاول أن يدفع المصاريف فلم أقبل ثم انصرفت • ومن هذا الوقت أصبح صديقا لى الى أن توفى رحمه الله • وقد وافق أهلى فيما بعد على هذا التنازل بلا تردد •

تكوين احـــزاب ســـياسية بمصـــر

لم تعرف مصر الأحزاب السياسية بالمعنى المعروف قبل الاحتلال وبعده بسنوات ٠ وانما كان فيها شعور شعبى يتزعمه أمثال المرحوم السيد عمر مكرم أيام الحملة الفرنسية ٠ كما تملك نفوس المصرى شعور شعبى أيام اسماعيل باشا وتوفيق باشا تزعمه رجال من أمثال المرحوم السيد جمال الين الأفغانى ، ثم كانت فترة التهب فيها هذا الشعور بزعامة أحمد عرابى والجيش المصرى ، فقامت ثورة كان من نتيجتها أن لجأ الخديو توفيق هو وشيعته الضئيلة الى الانجليز وانتهى الأمر بان ضرب هؤلاء الاسكندرية واحتلوها فى ١١ يوليو ١٨٨٢ ثم زحفوا الى القاهرة ودخلوها فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ثم احتلوا القطر المصرى بأسره ٠

بعد ذلك أخذ الشعور القومى يستيقظ وبدأ يلتهب بسبب الاحتلال وبسبب ما قام به المحتلون وأذنابهم من أعمال منفرة ومكائد تقع آثارها على الشعب مما سنذكره فيمابعد ٠ وقد بذل المرحوم مصطفى كامل جهودا أفنت صحته وهو فى مقتبل العمر ، وأصبح بذلك زعيما شعبيا وأصـــدر جرائد ثلاث بالعربية والفرنسية والانجليزية باسم اللواء المصرى ثم أنشأ الحزب الوطنى ١٩٠٦(٨) وبعد ذلك تألف حز بالاصلاح فى ابريل ١٩٠٧، ثم حزب الأمة فى سبتمبر ١٩٠٧(٩) وكانت جريدة « المؤيد » لسان حزب الاصلاح ٠ وجريدة الجريدة لسان حزب الأمة ٠ والذى يعنينا هو ان نتعرف الأسباب التى دعت الى تكوين هذه الأحزاب وكيف تكونت وممن تكونت ٠

الحـــزب الوطنى :

أما الحزب الوطنى ــ أى حزب مصطفى كامل ــ فقد كان الرأى العام فى تلك الأوقات يفهم أنه يسعى فى اخراج الانجليز بلا قيد أو شرط على أن تبقى السيادة الرمزية للسلطنة العثمانية أى لخليفة المسلمين ٠ ولم ير

---

(٨) الثابت تاريخيا أن الحزب الوطنى لم يؤسس فى عـام ١٩٠٦ ، فقد ألقى مصطفى كامل خطابا فى ١٩٠٧/١٠/٢٢ ، أعلن فيه برنامج وميلاد الحزب الوطنى . ثم انعقدت أول جمعيـة عمومية فى ١٩٠٧/١٢/٢٧ ، وتم انتخـاب مصطفى كامل رئيسـا للحزب ، ومحمد فريد وأحمد فائق وكيلين للرئيس .

(عصام ضياء الدين : الحزب الوطنى والنضـال السرى ١٩٠٧ ــ ١٩١٥) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ص ٤٩ ــ ٥٣ .

(٩) اعلن قيـام حزب الامـة فى ٢١ سبتمبر وحزب الاصـلاح على المبـادىء الدستورية فى ٩ ديسمبر ١٩٠٧ (يونان لبيب رزق ، المرجع السـابق ، ص ٥٥) .

الحزب الوطنى يأسا من الابقاء على هذه السيادة الرمزية لأنها لم تكن ذات سلطة فعالة فى مصر حتى قبل الاحتلال · ولم يكن على مصر سوى ان تدفع جزية لسلطان تركيا رضى المسلمون باحتمالها مؤقتا خشية أن تنضم تركيا الى الانجليز فى تثبيت الاحتلال ، ولكى تبقى تركيا ـ صاحبة السلطة الشـــرعية الرمزية على البلاد ـ مع كتلة الدول التى تعارض الاحتلال ومنها فرنسا ، وكان يرجى من وراء معارضة هذه الكتلة تحقيق الجلاء عن مصر · وكان يشايع مصطفى كامل جميع الشبان المثقفين من تعلم منهم فى مدارس مصر أو فى معاهد أوروبا ·

حـــزب الاصــــلاح :

اما حزب الاصلاح فقد عرف عنه أنه ألف ليحافظ على مركز الخديو ضد تطرف رجال الحزب الوطنى الذين قطعوا صلتهم بالخديو بعد أن تم الائتلاف بينه وبين سير « جورست » المعتمد البريطانى ، وبعد أن شاع ان الخديوى انقطعت صلاته بمصطفى كامل · ولا يخفى ان الشيخ على يوسف ـ زعيم حزب الاصلاح ـ كان أزهريا معمما وكان يعاونه فى تحرير جريدة « المؤيد » بعض الأزهريين ، بل أن الكثير من أنصار السراى وحزب الاصلاح كانوا من هذا الطراز · ورجال الدين فى كل بلد يناصرون غالبا الفرد الحاكم وربما يكون سبب ذلك انهم ليسوا من أرباب السياسة أو انهم يؤثرون طمأنينة العيش أو رفعة الشأن فى ظله ، أضف الى ذلك ان الأوقاف التى ينفق منها على رجال الدين من خيرات أو مرتبات كانت فى يد الحاكم يتصرف فيها كما يشاء ، فكان الخديو مطلق اليد فى هذا كله باعتباره ناظر الأوقاف المصرية ، ومن الانصاف أن نذكر أن جريدة «المؤيد» كانت غنية بالمواد العلمية والثقافية ، وانها كانت تناصب الانجليز العداء وقت ان كان سوء التفاهم قائما بين الخديوى واللورد كرومر · فلما عزل اللورد وتصافى الخديو مع سير ، جورست ، خلفه لأن اســـلوبها مع الانجليز ·

حـــزب الأمة :

اما حزب الأمة فكان معروفا عنه كراهيته لطغيان السراى وسعيه فى منع استبدادها والحد من سلطانها ، ورغبته فى النهوض بالشعب عن طريق التطور لا عن طريق الثورات ، وحرصه على المطالبة بالدستور ، كى يصل الى تاليف برلمان ـ متفقا فى ذلك مع ما ينادى به الحزب الوطنى ـ

تضبح السلطات فى يده ، وبذلك ترتفع الأمة وينضج وعيها وينبغ من بينها الكثيرون ، ويأتى يوم تحقق فيه مصر استقلالها دون طفره ودون التجاء الى الاخلال بالنظام • وكان المهيمنون على حزب الأمة من سراة الشعب ووجهائه أمثال رئيســه المرحوم محمود باشــا ســليمان والمرحوم على شعراوى باشا والمرحوم حسن عبد الرازق باشا والد الشهيد حســن عبد الرازق باشا • ولايظن فيهم أنهم يسعون الى الحكم وكان يطلق عليهم أصحاب المصالح الحقيقية • كما كان يرأس تحرير جريدتهم « الجريدة » الاستاذ أحمد لطفى السيد(١٠) •

انضمامى الى الحزب الوطنى

مات مصطفى كامل فى ١٩٠٨ وكان موته ماتما عاما • وقد شعر الناس أن أنصــــار هذا الحزب كانوا مخلصين لمبادئهم راغبين فى جلاء المحتل جلاء كاملا ناجزا ، وكنت أنا من انصار هذا الحزب ، ثم اندمجت فيه بعد وفاة مصطفى كامل بقليل ، وســـاهمت فى انشاء مطبعة جديدة لجريدة « اللواء » وأصبحت صديقا للمرحوم محمد فريد ، كما أصبحت عضوا فى مجلس ادارة الحزب ، فكنت احضر جلساته فى القاهرة ثم ارجع الى مقر عملى فى أسيوط •

ســـفرى الى الاســـتانة

بعد قيام الدستور فى تركيا ١٩٠٨ ، اقمنا مهرجانا كبيرا فى بندر أسيوط طاف بالمدينة ، كما أقمنا سرادقا القيت فيه الخطب ، وكنت فيه من الخطباء • ثم قرر الحزب الوطنى سفر فريق من أعضائه الى تركيا لتهنئة رجال الثورة بالدستور فسافرت فى صيف ١٩٠٩ مع المرحوم محمد فريد

---

(١٠) ولد عام ١٨٧٢ وتوفى ١٩٦٣ • حصـل على ليسانس الحقوق عـام ١٨٩٤ ثم التحق بخدمة القضـاء وترقى فيه الى وظيفة مساعد نيابة عام ١٨٩٦ فوكيلا للنيابة واستقال من منصبه عام ١٩٠٥ • اشتغل بالسياسة حيث شارك فى تأسيس حزب الأمة • وتولى رياسة تحرير « الجريدة » (١٩٠٦ ــ ١٩١٤) • عاد للعمل بالقضـاء ثم عين مديرا لدار الكتب (١٩١٥ ــ ١٩١٨) فمديرا للجامعة المصرية ١٩٢٥ فوزيرا للمعـارف ١٩٢٨ ــ عاد الى ادارة الجامعـة ١٩٣٠ ثم استقال عام ١٩٣٢ • وفى يولية ١٩٣٨ عـاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة • عين عضـوا بمجمع اللغة العربية ١٩٤٠ فرئيسا له (١٩٤٥ ــ ١٩٦٣) • عين وزيرا للخارجية عام ١٩٤٦ فنائبا لرئيس الوزراء وعضـوا بمجلس الشيوخ • شارك فى عدة مجـامع وجمعيات علمية • ترجم لارسطو فيلسـوف اليونان • نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٨ • (محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة • ص ٦٢) •

بك رئيس الحزب وبعض الأعضاء فى باخرة الى « الآستانة » . وكان فى استقبالنا بعض رجال الحكومة العثمانية ونزلنا فى فندق « بيرابلاس » .

وبعد وصولنا بيوم أو يومين ذهبنا الى البرلمان أثناء انعقاده وكان يدعى بمجلس المبعوثان ، يرأسه رجل مهيب الطلعة طويل القامة اسمه أحمد رضا بك . وقد أجلسنا فى لوج السفراء ، وهناك رأيت أعضاء المجلس خليطا من رجال يختلفون فى الزى واللغة والعنصـــــر ، فمنهم التركى واليونانى والأرمنى بملابســـهم الأفرنجية ، وفيهم العرب من حجازيين ونجديين ويمنيين بملابسهم الوطنية يتشحون بالعباءة والعقال . وسمعت أثناء الجلسة عضوا من العرب يسأل زميله عما يدور فى المناقشة لأنها كانت باللغة التركية وهو لا يفهمها ، وكان موضوعها كما عرفنا هو احتجاج نفر من الأعضاء اليونانيين على مشروع قانون يجعل للدولة حق مراقبة المدارس سواء كانت يونانية أو غيرها .

وبعد قليل رأى رئيس المجلس تكريما لنا ان يرفع الجلسة ، ودعانا لمقابلته فى مكتبه ، واستقبلنا أحسن استقبال ، وقدم لنا وزير المالية « جاويد بك » قائلا : أقدم لكم وزيرنا الشاب جاويد بك وهو من «الدونمة» أى اليهود الذين طوردوا فى اسبانيا وآوتهم تركيا وسكن غالبهم فى مقدونيا واعتنقوا الاسلام ، وكان هذا الشاب يشتهر بالكفاءة فى الشؤون المالية .

ثم زرنا بعض الوزارات، وكنا نقابل فيها بحفاوة وتكريم ، كذلك دعينا لمشاهدة عرض عسكرى فى ميدان « تقسيم » حضره السلطان محمد رشاد الخامس ــ الذى خلف السلطان عبد الحميد ــ وطاف بوحدات الجيش فى عربتيجرها جوادان. وبدا لى أن أزور وزير الحربية الجنرال محمدشوكت باشا الذى قاد جيش الثورة أيام عبد الحميد وزحف من مقدونيا ودخل الآستانة ظافرا ، وهو عربى عراقى . زرته فى وزارة الحربية فوجدته رجلا نحيفا حاد البصر ذكيا متواضعا ، رحب بى أيما ترحيب ، ودار بيننا الحديث فى موضوعات شتى منها مسألة سكة حديد الحجاز ، فانتقد النفقات الباهظة التى صرفت على انشائها ، وكان من رأيه أن يكتفى بمد خط حديدى من ينبع الى المدينة المنورة وآخر من جدة الى مكة المكرمة ، عوضا عن انشاء سكة طويلة من دمشق الى المدينة أو مكة يتعذر صيانتها لطولها وتعرضها للعواصف الرملية ، وتؤثر على أرزاق الفقراء الذين يعيشون على القوافل . ولفت نظرى أدبه الجم حين ختم نقده هذا بقوله : « ولكن هذه كانت ارادة حضرة شاهنشاه السلطان المعظم » ويقصد بذلك السلطان المعزول ولم يمنعه عزل الخليفة من الاحتفاظ له بكرامته ، وهذا يدل على ان هذا الثائر كان من طبقة راقية .

اقمنا فى الآستانة عشرين يوما زرنا فيها جزءا من آسيا الصغرى على ضفاف البسفور • ولم تبهرنى الآستانة لأنها لم تكن أكثر روعة من القاهرة لا فى مبانيها ولا فى شـــوارعها ، كما لاحظت كثرة الـكلاب فى شوارعها • ولم تبهرنى قوة جيش أو حسن هندام يمتاز عن جيش مصر وان كان الجيش التركى أكثر عددا • ولاحظت أن الشعب كان خليطا من الأتراك والروم والعرب والأرمن وغيرهم مما جعلنى أعتقد أن الدولة غير مستقرة وانها مقبلة على أحداث يتعذر التغلب عليها فوقما كنت أعرفه من أن ســـلطان تركيا كان يلقب بالرجـل المريض • واعتقدت ان بقاء اسطنبول ومضايقها فى يد الأتراك مع وجود القوة الروسية الهائلة بجوارها مرجعه تنازع الأوروبيين فيما بينهم ، لا القوة الذاتية لتركيا •

ثم رجعنا الى مصر نعمل فى الحزب الوطنى ولجانه •

فى الجمعية التشـــريعية

قامت فى مصر حركة وطنية تطالب بقيام دستور وبرلمان والغاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية اللذين أوجدهما الاحتلال(١١) • اوشتدت الحركة الى أن اضطر المسيطرون على الحكم الى التفكير فى ايجاد هيئة تحل محل الهيئتين المذكورتين تكون أوسع اختصاصا • لكنهم لم يريدوا اقامة برلمان بالمعنى الصحيح ، او وضع دستور يعطى للأمة حقوقها كاملة ، فعمدوا الى انشاء مجلس باسم « جمعية تشريعية » وقد رأيت أن أرشح نفسى لعضوية هذه الجمعية نائبا عن بندر أسيوط باعتبارى محاميا فيه ومن أهاليه •

---

(١١) عرفت مصر النظـام النيابى بانشاء مجلس شورى النواب فى ٢٣ أكتوبـر سنة ١٨٦٦ فى عهد الخديوى اسماعيل • وتلا ذلك انشاء مجلس النواب بموجب أمر عال صادر فى ٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ وبدا اجتماعاته فى ٢٦ ديسمبر ســنة ١٨٨١ ، وفى ٢٦ مارس ١٨٨٢ عقد آخر جلساته وذلك بسبب أحـداث الثورة العرابيـة والاحتلال البريطـانى •

فى أول مايو ســنة ١٨٨٣ صـدر أمر عـال بالقـانون النظـامى ، وقد أنشىء بموجبه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية •

فى أول يولية سنة ١٩١٣ صدر القانون النظامى الذى أنشئت بموجبـه الجمعية التشريعية وقد عقدت أول اجتماع لها فى ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ وانفض دور انعقادهـا فى ١٧ يونية سنة ١٩١٤ وكان الأخير بسبب قيام الحرب العالمية الأولى ــ وما تلاها من فرض بريطانيا الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، وأحداث ثورة ١٩١٩ •

ظلت أعمال الجمعية التشريعية معطلة حتى صدور دستور ١٩٢٣ فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ وشكل بموجبه البرلـمان بمجلسيه : الشيوخ والنواب • وقد ظل هـذا النظام النيابى حتى ديسمبر سنة ١٩٥٢ •

وزاحمنى فى الانتخاب وجيهان يكبراننى سنا ومن أسرة لها مقامها هناك هى أسرة خشبة ، وكانا من أصدقاء المرحوم والدى وشجعنى على مزاحمتهما ما تمتعت به من مركز ملحوظ فى مدينة اشتغلت فيها محاميا ثلاث عشرة سنة ٠

ولهذا الترشيح قصة طريفة لابأس من ايرادها ٠ فقد كانت مصر فى تلك الأوقات أى فى سنة ١٩١٣ تحت الاحتلال البريطانى كما نعلم ، وكان اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى البلاد له شهرة واسعة ومقام ملحوظ فى العالم كله وفى انجلترا بنوع خاص ٠ كان جنديا وسـرداراً للجيش المصرى ، أعاد فتح السودان ، وطبقت شهرته العالم فى حرب الترنسفال ضد البوير ٠ ورجل كهذا مكلل بأكاليل النصر وله شخصيته العسكرية لا يستغرب وقد عين معتمدا لبلاده فى مصر أن يصبح الحاكم بأمره فيها خاصة وقد انبث المفتشون الانجليز فى كافة ادارات الحكومة بالمدن والأقاليم يملون ارادتهم ويتصرفون فى الادارة حسب مشيئة السلطة الانجليزية فهذا مفتش للرى وذاك للمالية وآخر للداخلية وهكذا حتى أصبح أولئك المفتشون فى المديريات هم ملوكها فعلا تحت اشراف وامرة المستشارين فى الوزارات الذين يحكمون الوزراء ٠

دخلت انتخابات الجمعية التشريعية وأنا من رجال الحزب الوطنى أما منافساى فلا ينتميان الى حزب وانما كانا من الأعيان وذوى المنزلة فى المديرية ٠ وأجريت عملية الانتخاب ولم يفز أحدنا بأغلبية مطلقة فاعيد الانتخاب بينى وبين أحد الاثنين ودبر منافسى أمرا لو نجح فيه لقضى على منافستى ، ذلك انه قبيل الانتخاب سافر اللورد كتشنر الى أسوان ، فاتفق منافسى مع مستشار الداخلية فى القاهرة ، بعد صدور اذن من اللورد كتشنر وهو فى أسوان ، ان ترسو باخرة اللورد فى أسيوط عند رجوعه ، فيفتتح مدرسة فى أبنوب ويحضر مهرجانا يقيمه له منافسى فى أسيوط ٠

وقد أرسـل منافسـى بطاقات دعوة مذهبة لجميع الناخبين ٠ كما دعا الهوارة بخيولهم ، وأقام سرادقا كبيرا ٠ وكان لهذا التدبير أكبر تأثير على الناخبين ، ومن من الأميين ــ وهم الكثرة الساحقة من الناخبين

تأثير على الناخبين ، ومن من الأميين ــ وهم الكثرة الساحقة من الناخبين

رجال الحزب الوطنى ٠

فكرت فى دفع هذا البلاء ، وارتأيت أن أتصل بمدير المديرية ، فتنصل محتجا بأن الأمر فى يد مفتش الداخلية ، فذهبت اليه وصارحته بأن هذا الاحتفال يضر بالانتخابات٠ فقال لى بكبرياء أنه لا يمكن معارضـة هذا الأمر فانه صـادر من مستشار الداخلية بأمر من فخامة اللورد بقبول الدعوة ٠

كان على بعد ذلك أن أتخذ اجراء آخر • فأرسلت برقية الى مستشار الداخلية بالقاهرة وخطابا مسجلا باللغة الانجليزية ذكرت فيه أن هذه الدعوة تخفى وراءها غرض منافسى فى الفوز فى الانتخابات ، وأن اللورد كتشنر لو علم بالحقيقة لتنازل عن قبول هذه الدعوة والغاها • ولا يصح أن يتخذ اسم اللورد كتشنر من حيث لا يدرى وسيلة للضغط على الناخبين فان الواجب يقضى بأن تكون حرية الانتخاب مصونة سليمة • ورجوته ان يخطر اللورد برأيى هذا •

وكان للبرقية والخطاب وقع عظيم على المستشار – وهو سير جراهام – وعلمت أنه أرسل صورتهما الى اللورد كتشنر محبذا رأيى مقترحا تأجيل الاحتفال الى ما بعد الانتخابات • وقد كان وأخبر المستشار مفتش الداخلية فى أسيوط ليخطر منافسى بأمر من اللورد بأنه ارتأى تأجيل الحفلة الى وقت آخر يحدد فيما بعد وان الباخرة لن ترسو فى أسيوط وسيكتفى اللورد بافتتاح مدرسة أبنوب دون أن يعرج على أسيوط • وأرسلت المديرية الى جميع الناخبين بالغاء الدعوة ، ثم هدم السرادق وانزلت الأعلام والمصابيح ورجع الهوارة بخيولهم الى قراهم •

وكانت النتيجة ان انعكست الآية ، وقال الناس وقتئذ ان محمد على منع اللورد كتشنر من النزول بأسيوط • ثم أجريت عملية الانتخاب فكتب لى الفوز وأصبحت نائبا عن بندر أسيوط •

وفى بدء انعقاد الجمعية التشريعية دعا الخديو أعضاءها لمأدبة • ثم دعاهم اللورد كتشنر لحفلة شاى فى سرايه بقصر الدوبارة ووقف اللورد يستقبل الأعضاء وحوله نفر من موظفيه يقدمون له كل عضو باسمه كى يصافحه ، وعندما جاء دورى هز يدى وهو يبتسم وقال لى : انى لم أذهب الى أسيوط فشكرته وقلت له : أن أسيوط مستعدة لاستقباله فى أى وقت يشاء •

ولابد هنا من التنويه باننا رغم التنافس الشديد بينى وبين الأخوين ، لم نسمع ايام معركة الانتخاب بطعن فى الأشخاص ولا بكلمات نابية من أحدنا ضد الآخر ، بل كان الاحترام متبادلا بيننا ابان المعركة ، وظللنا بعد الانتخابات أصدقاء كما كنا •

وأكثر من ذلك أن أخا ثالثا لمنافسى ، كان صديقا لى ، اتخذ أيام الانتخابات خطة الحياد الكامل ولم يكلف نفسه الدعاية لأخويه ضدى ، ولم يقم بينه وبين أخويه أى سوء تفاهم بسبب هذا الحياد •

كذلك أسجل أن الأخ الأكبر الذى لم ينل العدد الكافى من الأصوات فى الجولة الأولى قال لمن زاروه فى منزله ان انتخاب محمد على كان عملا عادلا فهو أولى منا نحن الأثنين بعضوية الجمعية التشريعية وأقدر منا على خدمة بلاده فى هذا المضمار وخير من يكون ممثلا لبندر أسيوط .

فهل تسود هذه الاخلاق السامية ثانية الانتخابات العامة فى بلادنا ، ونرى الأصدقاء والأقارب يقدرون الواجب ويحفظون كرامة المتنافسين ويترفعون عن المهاترات واختلاق الأكاذيب حتى لا تنتهى هذه المعارك بعداوات الفت بنا فى وهدة الحزبية الجامحة الضارة .

فى الجمعية التشريعية

افتتحت الجمعية التشريعية يوم ٢٢ يناير ١٩١٤ ، والقى فيها الخديو عباس الثانى بنفسه خطبة الافتتاح . وعين المرحوم أحمد مظلوم باشا رئيسا للجمعية . وكان النظام يقضى بان يكون لها وكيلان ، احدهما تعينه الحكومة وقد عينت عدلى يكن باشا ، والآخر تنتخبه الجمعية واتفق أغلب الأعضاء على انتخاب سعد زغلول باشا وزير المعارف السابق لاعتقادهم أنه موتور من الخديو بسبب اقصائه أياه عن الوزارة ، وموتور من الانجليز لأنهم لم يسعوا فى ارجاعه ، ويرجع سبب اقصائه عن الوزارة الى أنه ضرب الطاولة بيده فى جلسة مجلس النظار بحضرة الخديو ، فأعتقد هذا ان سعدا فعل ما فعل ، اعتزازا بمصاهرته لمصطفى فهمى باشا رئيس النظار السابق وصديق الانجليز الحميم ، واعتمادا على اللورد كرومر الذى أشار بتعيينه وزيرا ومدحه فى تقريره السنوى المرفوع الى حكومته .

وتزعم سعد المعارضة فى الجمعية التشريعية ، وناصره كثير من الأعضاء وخاصة من ينتمون الى الحزب الوطنى . وكان أشد المعارضين معه فى الجمعية على شعراوى وعبد اللطيف الصوفانى وعبد العزيز فهمى[١٢] وعبد اللطيف المكباتى وعلى الشمسى وعبد الخالق مدكور وأنا .

---

(١٢) من قدامى الساسة المصريين . ١٨٧٠ – ١٩٤٨ . اشتغل بالمحاماة ثم انتخب عضوا بالجمعية التشريعية فى عام ١٩١٤ ثم نقيبا للمحامين . اشترك مع سعد زغلول وعلى شعراوى فى مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ بدار الحماية البريطانية للمطالبة بالجلاء . اشترك فى عضوية الوفد المصرى منذ تأسيسه الى عام ١٩٢١ حين انفصل عنه . عين عضوا بلجنة دستور ١٩٢٣ . عمل رئيسا لمحكمة الاستئناف ومحكمة النقض . عين وزيرا الحقانية من ١٣ مارس ١٩٢٥ الى ٥ سبتمبر ١٩٢٥ ، ووزيرا للدولة من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ الى ٢٧ أبريل سنة ١٩٣٨ . فرئيسا لحزب الأحرار الدستوريين فى عام ١٩٤١ بعد وفاة محمد محمود باشا (الموسوعة الميسرة : ص ١١٨٣ ، محمد فريد ، مذكراتى بعد الهجرة ، ص ٧٤ النظارات والوزارات المصرية ، جـ ١ ص ٥٨٣) .

وانتخب سعد وكيلا ، وحصل نقاش فيمن يعتبر الوكيل الأول ويكون له حق التقدم فى التشـــريفات ورئاسة الجلســـات ، وجعلنا نبث الدعوة لتقديم سعد زغلول على عدلى يكن دون أن نمس احدا بتجريح ، وكانت حجتنا ان من ينتخبه نواب الأمة يجب أن يقدم على من تعينه الحكومة وتم ما اردنا ، واعتبر سعد زغلول الوكيل الأول ٠

وقد أدى المعارضون واجبهم كاملا ٠ وكانوا أصحاب الصوت العالى فى الجمعية ٠ وهى وان كانت جمعية استشارية الا أن قراراتها كان لها اثرها تحترمها الحكومة وتنفذها كانها برلمان ذو سلطة ٠ وبلغ من تشددنا نحن المعارضين أن أحد النظار وهو المرحوم محمد محب باشا[١٣] اشترك فى مناقشـــة دون أن يقف ، فما كان منى الا ان اعترضـــت على أن يتكلم الوزير وهو جالس وان الواجب ان يقف احتراما للهيئة ، فاعتذر ووقف واكمل كلامه ٠

وقد اصبحت الجمعية التشريعية قوة يحسب لها حساب لأنها لم تكن فيها اقلية وأكثرية بالمعنى البرلمانى الصـــحيح ، ولم يكن فيها أحزاب ، ولا يؤخذ من اعضائها من يتولون الوزارات ولا يخشى منها على الثقة أو عدم الثقة بالوزير فان الخديو كان يعينه دون الرجوع الى الجمعية ٠ فكان لاستقلال الوزراء وعدم فتح باب المطامع الشخصية أمام الأعضاء ، اثرهما فى ان أصبح للجمعية احترام خاص وثقة كاملة بان العمل يجرى فيها للوطن وللمصلحة القومية دون غيرهما ٠

فهل تكون لنا فى المستقبل برلمانات وأحزاب يعمل اعضاؤها للوطن وحده ، ويحرصون على تطبيق قواعد العدل والأنصاف ولا يكون لمصالحهم الشخصية اى تأثير على المصلحة العامة ؟ اننا بهذا وحده ننهض ببلادنا ونرفع من شأنها ، ونعوض ما فاتها ، ونسير بها قدما فى طريق الرقى والتقدم والكمال ٠

الرغبة فى تعيينى مستشارا بمحكمة الاستئناف :

كنا فى الجمعية التشريعية نكون معارضة متماسكة وكان مقعدى فيها بجانب سعد زغلول باشا وحدث فى ابان انعقادها وفى شهر مايو ١٩١٤

---

(١٣) تولى اكثر من منصب وزارى منذ عام ١٩١٣ وكان قبل ذلك التاريخ يشغل منصب مديرالغربية ٠ تولى الوزارات الاتية : الزراعة (١٩١٣/١١/٢٠ – ١٩١٤/٤/٥)٠ الأوقاف (١٩٢٤/٤/٥ – ١٩٢٤/١٢/١٩) المالية (١٩٢٣/٣/١٥ – ١٩٢٣/٨/٦) ٠ المعارف العمومية (١٩٢٣/٨/٦ – ١٩٢٣/٨/٨) (نظر : النظارات والوزارات المصرية ، جمع فؤاد كرم ٠ ص ٦٠١ : ٠

على ما اذكر أن سعد باشا أخبرنى ان حسين رشدى باشا رئيس الحكومة وقتئذ يرغب فى تعيينى مستشارا بمحكمة الاستئناف وفاتحه فى ذلك بصفته رئيسا للمعارضة وبصفتى صديقا له • ولا أخفى أنى اغتبطت بتقدير حسين رشدى باشا لى وكنت اذ ذاك محاميا لم يمض على تخرجى خمسة عشر عاما ورغم أن منصب المستشار فى اكبر هيئة قضائية هو حلم شاب مثلى ولم تكن محكمة النقض والابرام قد انشئت فقد أردت ان يدلى الى سعد برأيه فى الموضوع لكنه بدوره طالبنى بابداء رأيى لأن الموضوع خاص بى ـ فقلت له ان رشدى باشا لم يعرفنى الا بسبب وجودى فى الجمعية التشريعية وقد اختارنى الناخبون نائبا عنهم فيها • فلا يجوز لى أن أتخلى عن عضوية الجمعية وأطرح ثقة الناخبين ثم ان قبولى لهذا المنصب قد يتيح للناس أن يتقولوا ويزعموا ان طلبى لمحكمة الاستئناف يكون لاخراجى من المعارضة وفى هذا ما فيه من المساس بشخصى وطلبت الى سعد باشا ان يتوسط ويخبر صديقه رشدى باشا باعتذارى مع الشكر ففعل •

احـداث سـنة ١٩١٤

فى أغسطس ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى ، ولم يكن مضى على الجمعية التشريعية سوى بضعة أشهر ـ اذ بدأت انعقادها فى ٢٢ يناير ١٩١٤ وأوقفت أعمالها فى يونيه ١٩١٤ • ثم أعلنت انجلترا الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ بحجة صيانة مصر أو لضرورة الحرب ، كما أعلنت انتقال حقوق تركيا اليها لأن تركيا دخلت الحرب مع المانيا ضد انجلترا وحلفائها • كذلك عزلت الخديو عباس الثانى عن عرشه فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ـ وكان نزيلا فى القسطنطينية ـ ومنعته من الرجوع الى مصر • وكان المرحوم حسين رشدى باشا رئيسا لمجلس الوزراء فى ذلك الحين • ورغم أن الخديو عباس لم يكن محبوبا من المصريين فانهم نظروا الى مسألة عزله نظرة وطنية أكثر منها شخصية ، واعتبروا تنصيب أى رجل محله طعنة فى حقوق مصر واجمعوا على عرقلة كل مسعى يقضى بتنصيب رجل آخر تحت الحماية البريطانية اذ الواجب فى نظرهم ان ينصب خديو مصر بفرمان عثمانى من السلطان وهو خليفة المسلمين •

لكن انجلترا كانت تستند الى قوة السلاح وتستعين بالأساليب السياسية الملتوية وشاع فى ذلك الوقت ان المصريين ان لم يقبلوا حاكما يلقب بالسلطان من عائلة محمد على فان الانجليز يلجأون الى تعيين رجل أجنبى فى هذا المنصب ، كما شاع انهم سيحضرون زعيما مسلما

ينصبونه سلطانا على مصر هو « أغاخان » • وفى أثناء هذا التبلبل عرض الأمر على المرحوم الأمير حسين كامل عم الخديو وأكبر الأمراء سنا فقبل المركز خيفة اقصاء العائلة الخديوية عن حكم مصر •

لكن هذا لم يمنع سخط الشعب على الأمير حسين كامل الذى أصبح سلطانا تحت حماية الانجليز ، رغم أنه كان أقرب الأمراء الى قلوب المصريين ، لم ينل عطف المصريين رغم تطوفه بالبلاد وكرمه المعروف الفلاح ، ورغم أنه لم يتصف بالجشع فى اقتناء المال وظلم الفلاحين المصريين ، لم ينل عطف المصرين رغم تطوفه بالبلاد وكرمه المعروف عنه ، وقد القيت عليه قنبلة فى أوائل أيام حكمه •

ولاحظ الانجليز ضعف صحة السلطان فعرضوا ولاية العهد على الأمير كمال الدين حسين كى يتبوأ السلطنة بعد وفاة أبيه ويقال أن كمال الدين رفض بحجة أنه لا يقبل تاج مصر من يد الانجليز المحتلين الذين اعلنوا الحماية على مصر •

ومن بداية الحرب سيطر المحتلون على مرافق البلاد واستولوا على محصولاتها ومواشيها وكانوا يأخذون الفلاحين عنوة وقسرا للخدمة فى ميادين الحرب باسم متطوعين فازداد سخط الأهالى على الاحتلال الى درجة ان الشعب كان يتمنى انتصار الألمان وحلفائهم ومعهم تركيا فى تلك الحرب الطاحنة •

ونظرا لأنى عاصرت حكم عباس من يوم أن قام الى أن انتهى وهى حقبة من الزمن طويلة تطورت فيها نفسية المصريين وتطورت فيها الحركة الوطنية رأيت من الواجب أن أبسط شيئا مما حدث فى تلك الأوقات •

عصر الخديو عباس الثانى

كان المصريون يبغضون الخديوى محمد توفيق ـ كما ذكرنا ـ لتشيعه للأتراك والجراكسة وغيرهم من الأجانب الذين احتكروا المناصب فى البلاد ، ولأنه رفض منح المصريين حقوقهم الشرعية ولجأ الى الانجليز واعتبرهم حماية ضد الشعب المصرى •

كان هذا احساس المصريين عامة يوم رجع عباس الثانى من أوروبا اثر وفاة أبيه وتولى حكم مصر فى ١٨٩٢ • وكان شابا فى الثامنة عشر بهى

الطلعة شـــاع عنه انه قال للمحيطين به « اما أن اكون خديويا بالمعنى الصحيح واما أن اجمل حقيبتى » (أى يترك الحكم) • كذلك شايع رغبات المصريين وآمالهم وظهر بمظهر الوطنى الغيور ففرح الناس به وتوسموا الخير فى حكمه وأحبوه غاية الحب لدرجة أنه بعد أن أدى الصلاة يوما فى مسجد سيدنا الحسين وخرج ليركب عربته أحاط به نفر من شباب مصر بزعامة رجال ممن تربوا فى مصر وفى أوروبا منهم المرحوم الدكتور عثمان غالب وفكوا الخيول من العربة وجروها بأنفسهم •

وقد صدق حدسهم فان هذا الأمير الشاب كان فى السنوات الأولى من حكمه مناهضـــا للاحتلال معارضـــا فيما يســـىء الى مصـــر • لكن الســـير ايفلين بارنج – الذى أصـــبح فيما بعد لورد كرومر – كان له بالمرصـــاد وكان قوى الشـــكيمة نافذ الارادة بث الموظفين البريطانيين فى الوزارات والمصالح كى تصبح مصر أداة طيعة تنفذ كل أوامره •

حـــــادث الحـــــدود :

ومما حدث بينهما ان الخديو عباس سافر فى شهر يناير ١٨٩٤ الى منطقة الحدود فى رحلة يتفقد اثناءها الجيش المصرى المرابط فى أسوان وجنوبها ، وصحبه عدد من كبار الموظفين المصريين منهم عمه الأمير أحمد فؤاد كبير ياورانه ومحمد ماهر باشا وهناك استعرض الخديو القوات المصرية ، واثنى على بعض الوحدات وأبدى انتقادا على أورطتين يقودهما ضباط انجليز • فعز ذلك على هؤلاء الضباط وعلى سردار الجيش المصرى كتشنر ، واظهروا امتعاضهم لكن الخديو بعد أن عرف من ســـرداره بامتعاض الضباط عز عليه أن يغير رأيه وتمسك بحقه كرئيس أعلى للجيش له أن يبدى ملاحظاته التى يراها لمصلحة الجيش نفسه ولمصلحة بلاده • ولم يلبث كتشنر ان طير خبر الحادث الى اللورد كرومر فى القاهرة وكانت علاقته بالخديو متوترة فقرر أن ينتقم منه ويســـتذله وفوجىء الخديو فى رجوعه عند رسو يخته فى جرجا بحضور رياض باشا رئيس النظار ومعه بطرس غالى باشا وزير المالية ، وابديا للخديو غضب اللورد كرومر وانه اخبرهما أن يطلبا الى الخديو تقديم الاعتذار والثناء على الضباط الانجليز والا فانه يعزله وتمسك الشاب بحقه كحاكم للبلاد ، ولم يشفع لدى الانجليز برقية أرسلها رياض باشا الى وزير خارجية بريطانيا ينوه فيها ببساطة المسألة وان الخديو لا ينكر ما قام به الضباط الانجليز من أعمال تستوجب الثناء • لم تكتف انجلترا بتلك البرقية ، وتركت اللورد

كرومر يشتد فى طلباته ويعنف ، حتى اذا وصل الخديو الى الفيوم ومعه رياض باشا وغيره منع من مواصلة السفر الى القاهرة الا اذا اعتذر ، وكان من أرادت سلطة الاحتلال(١٤) ، وأعلن الخديو سروره بنظام الجيش المصرى كله وثناءه على جميع الضباط الانجليز ونشر هذا فى الجرائد الأجنبية والعـــربية ، وبذلك كفر الخديو عما اعتبروه اســـاءة لهم ، وسمحوا بمواصلة السفر ودخول القاهرة بعد أن تمت المذلة التى ارادوها لشاب يناوىء احتلالهم ويعارض سلطاتهم .

معـــاونة الخـــديو لمصـــطفى كامل :

ورغم ذلك فقد استمر الخديوى فى معارضته وساعد فيما بعد مصطفى كامل ، وكان هذا يحرك بخطبه الشعور الوطنى فى مصر ، ويسافر الى أوروبا حيث ينادى باستقلال بلاده ويطالب بجلاء المحتلين ، ويتصل بكثير من كبار الفرنسيين ومنهم سيدة ذات مقام ملحوظ هى مدام «جولييت آدم» وكانت فرنسا فى ذلك الوقت هى العدو اللدود لاحتلال الانجليز مصر بعد أن رفضت الاشتراك معهم فى غزوها حين دعت اليه خشية التورط فى أعمال حربية بعد أن انهكتها حرب السبعين وفضلت الاحتفاظ بقواتها فى اراضيها خيفة أن تنقض عليها المانيا على غرة .

وكان من أثر التنافس بين فرنســـا وانجلترا ان قام رجـــال من الفرنسيين مثل دلونكل وغيره يناهضون الاحتلال ويزورون مصر ، فالتهب شعور المصريين ودوت سمعة مصطفى كامل وانشأ الحزب الوطنى واصدر جرائد ثلاث بالعربية والانجليزية والفرنسية باسم « اللواء المصرى » . واشتد نضاله وكفاحه حتى حاز ثقة المصريين وانفرد حزبه بتاييد جميع المثقفين ـ ولو لم ينضموا رسميا اليه ـ اعتقادا منهم انه الهيئة الوحيدة التى تدافع باخلاص عن الوطن .

---

(١٤) أرسل الخديوى برقية الى كرومر بالاعتذار وهـذا نصها :

« قبل أن ابارح الوجه القبلى عائدا الى مصر يهمنى أن اكرر عظيم اهتمـامى ووافر انعطافى نحو الجيش الذى تفقدته فى الحدود ويهمنى كذلك أن أثبت عظيم الامتنان الذى قد عبرت لك عنه بشأن حسن نظامه وترتيبه ويروقنى أن أهنىء الضباط ســواء المصريون والانكليز الذين يقودونه وان اشاهد الخدم التى اداها الضباط الانكليز فى جيشى وارجوك يا سردار أن تبلغ هـــذا للضـــباط والجنود » (عبــاس حـلمى) (محمد فريد : مخطوطة تاريخ مصر من ابتداء ١٨٦١ مسـيحية ، حوادث ١٨٩٤) ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

الاتفـــاق الودى :

ومما زاد فى كراهية الاحتـــلال وأوجد اليأس فى نفوس كثير من المصريين ، ذلك الاتفاق الذى تم بين انجلترا وفرنسا ١٩٠٤ وسمى بالاتفاق الودى ، ومفاده ان تكف فرنسا عن معارضة انجلترا فى مصر وتمســكت انجلترا على اطلاق فرنسا يدها فى مراكش فان هذا الاتفاق قوى مركز انجلترا ومنع فرنسا من مناهضة احتلالها لمصر ، وأتاح لفرنسا فرصة تنفيذ اغراضها الاستعمارية فى مراكش فاحتلت أراضيه وانهى الأمر باعلان الحماية الفرنسية على مراكش ١٩١٢ ٠

حـــادث دنشـــواى :

على أن الاتفاق الودى المذكور لم يؤثر فى نشـــاط مصـــطفى كامل ومن معه ، وظل هذا الزعيم يسير فى جهاده الوطنى الى أن حدثت مأساة دنشواى ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ وخلاصـــتها ان فرقة من جنود الانجليز كانت تمر بالقرى وراق لبعض أفرادها أن يصـــطادوا الحمام ببنادقهم من أبراج قرية دنشواى(١٥) ، ولا يخفى ان الحمام المستأنس يعتبر ثروة خاصة لبعض الفلاحين فضلا عن أن صيد الحمام بالأعيرة النارية يعرض المنازل والأجران للحريق ، وقد جرحت امرأة واشتعلت النار فى احد الأجران ، وثار سكان القرية لهذا الاعتداء الصارخ ، فكانت مطاردة أو شبه مطاردة بين الفلاحين والجنود الانجليز ، مات فيها ضابط انجليزى من أثر ضربة الشمس ، فأعتبر الانجليز هذا العمل من الفلاحين اهانة للجيش البريطانى واعتداء عليه مع أن الطبيب الانجليزى اثبت فى تقريره ان وفاة الضابط كانت بضربة الشمس لا من أية آلة حادة ٠

ورغم ذلك انشـئت محكمة خاصـــة لمعاقبة أولئك الفلاحين الذين اجترأوا على مطاردة المعتدين وتألفت هذه المحكمة المخصوصة برياسة المرحوم بطرس غالى باشا وعضوية بعض الانجليز والمرحوم أحمد فتحى زغلول ، وقبل أن تصدر أحكامها نصبت المشانق فى القرية أمام بيوت المتهمين ، ثم صدر الحكم بصفة مستعجلة بشنق أربعة أمام بيوتهم وبجلد آخرين ، فكان العويل والصراخ وكانت القسوة التى ليس بعدها قسوة ٠

وانتهز مصطفى كامل الفرصة وذهب الى أوروبا وجعل يخطب فى الناس ويندد بهذا الظلم الفادح والجبروت الذى ليس بعده جبروت وينشر فى الصـــحف الفرنسية والانجليزية وغيرها كل ما يتعلق بهذه الفضيحة

---

(١٥) احدى قرى محافظة المنوفية ٠

السياسية ويفيض فى شرح المظالم البشعة التى ارتكبها الانجليز والقسوة البالغة والتنكيل بالفلاحين ، حتى ضج الرأى العام هناك واشماز من هذه الفظائع . وكانت النتيجة اقالة لورد كرومر بسبب ما ارتكب ، واخرج من مصر فى أول ابريل ١٩٠٧ فعم المصريين فرح شامل وعين مكانه ســير « الدون جورست » واتخذت انجلترا سياسة جديدة أساسها اللين والمهادنة والتقارب بين هذا العميد الجديد وبين الخديو عباس .

المهادنة مع ســـير جورســـت :

باعد بين الشعب والخديو تهادنه مع سير جورست خلف كرومر ، واتفاقه معه على التعاون فى ادارة البلاد . وبمعنى أوضح رضى الخديو بعدم عرقلة مطالب الانجليز مقابل اغضائهم النظر عن بعض تصرفاته . فلم يكن من مصطفى كامل ازاء ذلك سوى أن أرسل الى الخديو بما يفيد قطع الصلة به(١٦) .

بيع الرتب والنياشين :

انتشـــرت شـــائعات لم تلبث أن تأكدت أن الخديو يبيع الرتب والنياشـــين وانه يأتى أعمالا يبتغى بها منفعته الخاصـــة . فامتعض المصريون ولم يغتفر له الشعب بيع الرتب والنياشين رغم ما قيل من انه كان ينفق هذه الأموال على الحركة الوطنية .

بعض آثار الاحتـــلال :

الحق ان الاستعمار البريطانى لم يترك عملا يؤلم المصريين الا قام به، فقد كان اللورد كرومر ـ من آن لآخر ـ يرمينا بما يؤلمنا قبيل كل عيد اسلامى ، ويتخذ اجراءات غريبة تولد الحزن فى نفوسنا وكان المتعلمون هم اكثر الناس امتعاضـــا لهذه الاجراءات . وبينما كانت الســـياسة الاستعمارية تباهى بنشر العدل ، وتدعى ان الانجليز هم حماة أصحاب الجـــلاليب الزرقاء ضد الظلم والاســـتبداد ، كان المعتمد البريطانى فى العاصمة هو الحاكم بأمره ، كما كان المستشارون فى الوزارات والمفتشون فى الأرياف والمهيمنون فى المصالح وفى الجيش كلهم من الانجليز ، وما كان لمصرى أى أثر فعال فى ادارة بلاده وتوجيهها وجهة قومية حتى ان المدير

---

(١٦) يذكر الرافعى ان خطـاب مصطفى كامل الى الخديوى بما يفيد قطع صلته به كان فى ٢٤ اكتوبر ١٩٠٤ . انظر نص الخطاب ملحق رقم (١) ص ٣٠٨ .

فى مديريته وصاحب اكبر مركز فيها عندما كان يسمع بقدوم مفتش انجليزى يهرع ومعه الوكيل والحكمدار وجنود البوليس لاستقباله على رصيف المحطة • ولم يشذ على هذا التقليد ـ فيا أعلم ـ سوى المرحوم عدلى يكن، وكان مديرا لاحدى مديريات الوجه البحرى وتربى تربية غربية دفعته الى نبذ هذا السلوك • ولا ننكر ان الانجليز عملوا على حفظ النظام وتحسين الرى لكنهم حرصوا كذلك على تنفيذ امرين هامين هما : الحيلولة دون انتشار التعليم ودون ازدهار الصناعة والتجارة بين المصريين •

معارضة التعليم فى مصر :

ففى التعليم عندما سعى المصريون فى زيادة عدد المدارس العالية وانشاء جامعة ، صرح لورد كرومر ان التعليم العالى غير ضرورى للبلاد وان الأفضل انشاء كتاتيب تكفى لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن • وحجتهم فى ذلك ان الغرض من المدارس يجب أن يكون تخريج موظفين كافين للعمل فى الوزارات والمصالح • ويكفى للدلالة على اتجاه سياسة الاحتلال الى عرقلة التعليم ان الانجليز عندما احتلوا مصر ١٨٨٢ كانت نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة ٥ر٨٪ وبعد خمس وأربعين سنة من احتلالهم وطبق احصاء ١٩٢٧ كانت نسبة المتعلمين ¾٨٪ وهذا دليل قاطع على شدة حرص المستعمر فى عرقلة يقظة الأمة وتقدمها ليستقر امر الاحتلال •

ولما تمتعت مصر ببعض الحرية بعد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ امكنها ان تتوسع فى انشاء المدارس والجامعات فوصلت نسبة المتعلمين فى ١٩٥٥ اى فى ٢٨ سنة الى ما يقرب من ٣٠٪ رغم استمرار زيادة السكان •

مناهضة الصناعة والتجارة :

اما عن الصناعة والتجارة فيكفى لمعرفة هدف الاحتلال منهما أن بعض المصريين فكروا لأول مرة فى انشاء مصنع ميكانيكى لنسج القطن ، يكون نواة لمصانع اخرى لأن مصر هى بلاد القطن ، وعملت الدعاية اللازمة ، وتكونت شركة برأس مال كبير وانشات مصنعا واشترت آلاته ومعداته من انجلترا وبدأ عمله وبعد قليل رأت سلطة الاحتلال ان هذه اليقظة الصناعية فيها خطر على مصانع « لانكشير » وعلى المنسوجات التى ترد منها ، وخشيت مزاحمة مصنع مصرى يعمل فيه عمال بأجر زهيد، فأرغموا الخديو بعد نحو ثلاث سنوات من قيام المصنع على اصدار

دكريتو فى ١٣ ابريل ١٩٠١(١٧) يقضى بأن يدفع المصنع عن منتجاته ضريبة تساوى الضريبة الجمركية المقررة على المنسوجات الواردة من الخارج ونجم عن هذا الاجراء الغريب ان تعطل المصنع وبيعت آلاته بأبخس الأثمان لرجل من أعيان الاسكندرية اسمه راسم بك نقلها الى تركيا وأقام بها مصنعا هناك ولم يقم فى مصر بعد ذلك مصنع لنسيج القطن المصرى الا بعد الثورة المصرية ١٩١٩ ، وبعد أن أنشأ المرحوم طلعت حرب باشا بنك مصر ثم أنشأ مصنع المحلة الكبرى وبعده انشئت مصانع أخرى ٠

وها قد بدأ تصنيع البلاد وكثرت المصانع المتنوعة ٠ وأملنا أن تصبح مصر بلادا صناعية بفضل ما بها من معادن أهمها الحديد ، وبفضل الكهرباء المولدة من مساقط المياه والتى ستستخدم فى صهر الحديد وصنع المخصبات للمزارع المصرية ٠ ولا يفوتنا أن نذكر ان مصر لا يمكنها ان تحتفظ بقوتها وترفع اقتصادياتها بغير التصنيع ، لأنها اكتظت بالسكان وضاقت أراضيها الزراعية ويكفى أن تعلم أن الفرد فيها لا ينال الآن أكثر من ربع فدان من الأراضى المنزرعة ان وزعت على السكان ٠ وفوق ذلك فان الاحصاءات تدل على أن مصر من أكثر بلدان العالم تناسلا وربما كانت أكثرها جميعا ، وأن عدد سكانها يتضاعف كل خمسين سنة ، فاذا كنا الآن نحو ٢٣ مليونا فاننا نصبح بعد خمسين سنة أكثر من ٤٦ مليونا، فكيف يمكن تغذية أبنائنا ورفع مستواهم بدون المبادرة بنشر الصناعة والتجارة وتوسيع رقعة الأراضى المنزرعة ؟ ان بريطانيا العظمى ذاتها لا يكفى انتاجها الزراعى السنوى ابناءها أكثر من سبعة أسابيع كما يقولون ، لكنها تعتمد على صناعتها وتجارتها وبواخرها الكثيرة ، وتجنى من وراء ذلك مكاسب ومغانم تمكنها من تغذية ابنائها والانفاق على جيوشها وأساطيلها ٠ وهذا مثل يرينا كيف ان الأمم تحفظ كيانها وكرامتها وقوتها بفضل العلم والصناعة والتجارة ٠

طلب مد أجل امتياز قناة السويس :

كان لتنفيذ حكم محكمة دنشواى المخصوصة ، وللأحداث التى سبقته، أعمق الأثر فى نفوس المصريين وفى ازدياد كراهيتهم للاحتلال الانجليزى ٠ حتى أتت سنة ١٩٠٩ وفيها لمست شركة قناة السويس حاجة الحكومة الى المال ، فأبدت استعدادها لدفع أربعة ملايين من الجنيهات مقابل مد أجل

---

(١٧) صدر الدكريتو فى ١٧ أبريل ١٩٠١ : أنظر نصه بالملحق رقم (٢) ص ٣١٠ ٠

الامتياز أربعين سنة ــ ومدة الامتياز ٩٩ سنة تنتهى فى سنة (١٩٦٨)(١٨)ــ وكان بعض النظار فى ذلك الحين يعارضون مد أجل الامتياز وفى مقدمتهم حسين رشدى باشا وسعد زغلول ومحمد سعيد باشا ٠ ولكن الشائعات تواترت بأن المعتمد البريطانى « سير جورست » وبطرس باشا غالى ناظر النظار كانا يميلان الى مد الامتياز ٠ فساد القلق الناس حتى وصل الأمر الى أن أعتدى الشاب ابراهيم ناصف الوردانى على بطرس باشا وهو يغادر الوزارة يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ والمحادثات جارية فى موضوع مد امتياز الشركة ٠

وتحت ضغط الرأى العام، واشتداد المعارضة من رجال الحزب الوطنى وأقطاب حزب الأمة ، رئى أن يعرض الأمر على الجمعية العمومية ــ وكانت قائمة فى ذاك الوقت ــ وأن يكون رأيها قاطعا فى هذا الموضوع الخطير مع أن هذه الجمعية لم يكن لها رأى قطعى فى أى أمر طبق قانونها النظامى ٠ وسعت الحكومة فى اقناع العميد البريطانى والمستشار المالى وغيرهما لاعطاء هذا الحق القطعى للجمعية العمومية بطريق الاستثناء ، تهدئة للنفوس ، وكان هذا رأى الخديو عباس أيضا ، حتى اقتنعت الحكومة الانجليزية ، وأباحت عرض الأمر على الجمعية العمومية لتقضى فيه بما تشاء ، واشترط سير جورست العميد البريطانى أن يدافع سعد زغلول باشا عن مد الأجل نائبا عن الحكومة المصرية أمام الجمعية العمومية ٠

ولقد ادهش الشعب قبول سعد باشا الدفاع عن مد أجل هذا الامتياز لما كانوا يعلمونه من انه كان من فريق النظار المعارضين لمد الامتياز ٠

انعقدت الجمعية العمومية واطلعت على التقارير المقدمة لها ، وبعد المناقشة أصدرت قرارها بالاجماع فى ٧ ابريل ١٩١٠ برفض المشروع فكان لهذا القرار رنة فرح عامة ، وعدلت الحكومة بذلك عن اتمام الاتفاق ٠

المؤتمر القبطى :

على أن المصريين لم ينجحوا فى مقاومة مشروع مد امتياز قناة السويس فحسب ، بل نجحوا كذلك فى مقاومة حركة داخلية دبرها المحتلون

---

(١٨) قدم المستشار المالى البريطانى فى الحكومة المصرية مشروعا بمد اجل الامتياز الممنوح لشركة القناة حتى ٣١ ديسمبر عام ٢٠٠٨ ٠ وتضمن الاتفاق المقترح انه فى المدة من أول يناير ١٩٦٩ الى ٣١ ديسمبر ٢٠٠٨ يقسم صافى الارباح بين الحكومة المصرية وبين الشركة ٠ لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الخاص بقضية مد امتياز قناة السويس من ص ٧٨ الى ص ٨٤ فى كتاب : مصطفى النحاس جبر : مرجع سابق) ٠

للتفرقة بين أفراد الأمة ، الا وهى قيام مؤتمـــر قبطى يطالب بامتيازات خاصة كثيرة للأقباط • فهذه الفكرة الخطرة عارضها بطرس غالى باشا نفسه فى حياته كما عارضها المسلمون وفريق من الأقباط وكنت انا والدكتور احمد السعيد نبث الدعاية فى أسيوط ضـــد هذا المؤتمر لكن الســـياسة الاستعمارية تغلبت وصرح بانعقاده فى بندر أسيوط وانعقد فعلا فى ابريل ١٩١١ • وكان أبرز زعماء حركة انعقاد المؤتمر الأستاذ أخنوخ فانوس المحامى ومطران أسيوط وبشرى حنا بك ، وأولهم كان المحرك الأول وكان قد تعلم فى الجامعة الأمريكية ببيروت مع أصحاب « المقطم » وظل صديقا لهم طول حياته والمعروف ان أصحاب المقطم كانوا فى جريدتهم الناطقين بلسان دار المعتمد البريطانى لذلك اعتقد الناس أن هذه حركة سياسية استعمارية الغرض منها شطر الأمة شطرين متخاصـــمين تنفيذا للمبدأ الاستعمارى المعروف « فرق تسد » •

المؤتمـــر المصـــرى :

وترتب على حركة المؤتمر القبطى قيام مؤتمر من المسلمين باسم « المؤتمر المصرى » كانت لجانه تجتمع فى منزل رئيسه المرحوم مصطفى رياض باشا ناظر النظار السابق ، وكنت من أعضائها ثم انعقد المؤتمر فى أواخر ابريل وأوائل مايو ١٩١١ فى محل «روكسى» بمصر الجديدة وكان يدعى « لونا بارك » وكنت من خطبائه وكان الغرض منه الرد على ما قاله زعماء المؤتمر القبطى وتهدئة الحـــال وأحمد الله انخمدت هذه الفتنة وانتهى أمرها ونجت البلاد من شرها •

ايطاليا وفتح ليبيا :

فى أواخر ١٩١١ ــ ومصر تحت الاحتلال وتحت الســـيادة التركية الأسمية عن لايطاليا أن تتملك طرابلس الغرب وتنتزعها من تركيا الضعيفة فهاجمت بقواتها البرية والبحرية هذا القطر العربى المجاور لنا ، واضطرت الحكومة المصرية تحت ضغط الاحتلال ان تقف موقف الحياد ، بيد أنها لم تستطع أن تحول بين المصريين وبين معاونتهم للطرابلسيين بالمال والذخيرة والمؤن • وكان شعور المصريين عارما ازاء طرابلس ضد ايطاليا • وقد طاف بلاد القطر الأميران عمر طوسون ويوسف كمال ومعهما كثير من المصريين لجمع التبرعات والمساعدات • ولم تقو تركيا طبعا على صد العدوان وضاعت طرابلس وسقطت فى أيدى الايطاليين وقتل من قتل من

المجاهدين الطرابلسيين ومن المتطوعين المصريين مما هو مذكور فى كتب التاريخ ·

والذى يعلق بذهنى وأريد أن أسطره هنا أمر له مغزاه ذلك أن كبراء العائلة الحاكمة أظهروا من النشاط ما اظهروا وجمعوا من المصريين ما جمعوا وهؤلاء بذلوا عن سخاء واريحية ـ ثم جاءت الأحداث أخيرا بحرب فلسطين وانقضـــاض الصهيونيين على العرب لانتزاع بلادهم وأموالهم وطردهم من ديارهم ، ومع ذلك لم يقم واحد من افراد العائلة المالكة ذوى الثروات الطائلة بالتبرع للفلسطينيين بشىء من المال أو المؤن ، بل لم يتكرم احد منهم بكلمة عطف واحدة ، وسبب ذلك أن طرابلس كانت تابعة لتركيا اما فلسطين فقد انفصلت عنها بعد الحرب العالمية الأولى كباقى البلاد العربية ومن هذا نفهم أن دفاع الأمراء عن طرابلس لم يكن دفاعا عن العرب وانما كان دفاعا عن مصلحة تركيا أما العرب فأمرهم لا يهم الأمراء فى كثير أو قليل ·

ومما أثر فى نفوس المصريين وباعد بينهم وبين الأسرة الحاكمة حتى كرهوها أن أفراد هذه الأســـرة كانوا يتكلمون فيما بينهم ســـواء فى مجتمعاتهم أو دورهم اما باللغة التركية أو اللغة الفرنســـية وما كانوا يحترمون لغة البلاد ولا يودون التخاطب بها الا عند الضرورة · وكان الأمير منهم أو النبيل يخاطب اكبر مصرى بأنفة وعظمة ويعتبر ذلك تفضلا منه على المصرى وكانوا يعاملون بعضهم بشىء غير قليل من العنجهية وكان بعضهم يضرب الفلاحين وما كانوا يتبرعون بشىء للمنافع العامة فلم يسمع أن أحدهم قام بنجدة عائلات داهمها الدهر بقسوة · كما لم نســـمع أنهم افتتحوا مدارس أو معاهد أو مســـتشفيات وغاية مافهمـــه المصريون أن القليل النادر منهم من سيدات أو رجال أقاموا بعض مساجد واعتقادى ان ذلك كان رغبة فى تخليد ذكراهم وربما كان أيضا طلبا لمغفرة الله عن سيئات ارتكبوها ·

ســـكة حـــديد مريوط :

ذكرنا ان المصريين أحبوا الخديو فى سنوات حكمه الأولى ولكنهم بعد ذلك سخطوا على تصرفاته وكرهوه ومما زاد فى سخطهم عليه بيعه الرتب والنياشين كما ذكرنا ورفعه بذلك مراكز اشـــخاص غير جديرين بالتكريم والتعظيم وقد بلغ شرهه تشغيل المســـجونين وجنود حرســـه وموسيقاه فى ردم وتمهيد أرض المنتزه بالاسكندرية وغيرها من املاكه كما سخرهم فى اراض بجهة مريوط كما ساق الحكومة الى مساعدته فى انشاء

سكة حديد مريوط وكانت خاصة به ثم فكر فى ١٩١٣ فى بيعها الى شركة ايطالية لتمدها الى جهة السلوم بعد أن سيطرت ايطاليا على ليبيا ، وبمعنى آخر أن منفعته الشخصية كانت هى الدافع له على بيع سكة حديد مريوط الى الايطاليين مع ما فى ذلك من التهديد الاقتصادى والحربى لمصر ٠٠ ويتناول هذا التصرف أراضى تلك السكة وهى غير مملوكة للخديو بل هى ملك الدولة المصرية ٠ فلما تعاقد عباس على بيعها الى شركة ايطالية اعترض اللورد كتشنر على هذا التصرف المشين وكانت النتيجة أن رضخ الخديو وسعى فى بيعها للحكومة المصرية وتمت الصفقة وامتلكت الحكومة المصرية السكة الحديد وأدواتها بمبلغ كبير ٠

التهادن بين الحزب الوطنى وحزب الاصلاح :

اذكر انى وقت أن كنت عضوا بمجلس ادارة الحزب الوطنى ذهبت الى الاسكندرية أيام الصيف لقضاء فترة استجم فيها هناك وكان ذلك قبل عيد من الأعياد الرسمية التى لها تشريفات وقابلنى المرحوم سعيد ذو الفقار باشا سر تشريفاتى الخديو ، وأخبرنى بضرورة حضورى فى رأس التين لأداء واجب التهنئة بالعيد الذى سيكون بعد يومين ٠ فأعتذرت مجيبا بأنى حضرت من اسيوط للاصطياف ولم يكن معى طبعا بدلة تشريفة ٠ لكنه أصر على حضورى واخطرنى بأن هذا بأمر من سمو الخديو وكان ذلك أيام الخصومة بين الحزب الوطنى وحزب الاصلاح ٠ وكنا نحن رجال الحزب الوطنى قد قاطعنا السراى فى مقابلات أو تشريفات وكان الطعن مستمرا بين جريدة المؤيد وجرائد الحزب الوطنى ولما شدد سعيد ذو الفقار باشا وألحف فى الطلب وتكلمت مع بعض رجال الحزب الوطنى الذين كانوا وقت ذاك فى الثغر وكان سعيد باشا قد ألح على أن أشترى اسطنبوليتا(١٩) وما يلزم ارتداءه لحضور السراى من أى محل تجارى يبيع الملابس الجاهزة وقد ارتأيت ان أشترى فعلا الملابس الضرورية حتى أكون فى التشريفة وأسمع ما يريده الخديو من هذه المقابلة الفجائية وقد أخبرنى سعيد باشا انى لن أكون مع طائفة من الناس محامين كانوا

---

(١٩) عبارة عن زى رسمى كان يرتديه الوزراء وكبار موظفى الدولة ، وكان يطلق عليه أيضا « الاسطمبولى » . وقد حل محل القفطان كرداء رسمى فى أوائل حكم سعيد باشا الذى كان أول الولاة الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية ، والذى كانت تستهويه مظاهر العادات والتقاليد الأوروبية حتى أنه بدأ يدخلها فى بلاطه وفى دوائر الطبقة الارستقراطية بوجه عام .

(جون مارلو : تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢ ، ترجمة د. عبد العظيم رمضان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : ١٩٧٦ ، ص ١٥١).

أو أعيانا وأنى سأقابل الخديوى منفردا بعد مقابلة العلماء له وقبل دخول رجال الاكليروس ·

ذهبت الى السراى وكان الخديو وقتئذ على خلاف مع الانجليز ، وقابلته وحدى بعد أن خرج العلماء فاستقبلنى أحسن استقبال ثم عرض ما كان يريد قوله وهو رغبته فى ألا تتطاحن الأحـــزاب بتلك الشـــتائم المتبادلة بين جريدة المؤيد وجرائد الحزب الوطنى وأنه يبغى بذلك اتفاق المصريين حتى يكون الجميع جبهة واحدة ضد الانجليز المحتلين فأجبته ـ وقد يرمى بكلامه الى شيء من المسئولية على جرائد الحزب الوطنى ـ بأن رجال الحزب لا يفكرون فى الطعن انما هم يردون على مطـــاعن توجهها اليهم جريدة المؤيد وانى مقتنع بان جريدة المؤيد لو امتنعت عن الطعن فان جرائد الحزب الوطنى تمتنع طبعا عن الرد · وأرجو الله ان يقلع المؤيد عن مسلكه · وفى ذلك كانت اشارة منى تشعر الخديو بان فى مكنته أن يأمر الشيخ على يوسف بذلك ، فسكت الخديو ثم قال ان شاء الله ونرجو منه التوفيق · ثم خرجت من حضرته وكانت النتيجة أن امتنعت جريدة المؤيد من غد يوم التشريفة عن الســـباب والطعن وامتنعت بذلك جرائد الحزب الوطنى عن الطعن فى المؤيد وصاحبه وانتهت هذه المسألة بما أرضانا جميعا ·

تاليف الوفد المصـــرى

أعلنت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤ ونظرا لأن تركيا دخلت الحرب مع ألمانيا ضد انجلترا فقدأعلنت هذه الحماية على مصر وانتقال حقوق تركيا اليها ، وأقامت الأمير حسين كامل سلطانا باعتباره أكبر أفراد العائلة الخديوية وهو عم الخديوى عباس الثانى ·

استمرت الحرب سنوات كابد فيها المصريون ما كابدوا من جور المحتلين وأخذهم الناس بالقهر بدعوى التطوع ، واســـتيلاء الســـلطة العسكرية على محصولات البلاد ، وضغط الموظفين الانجليز على الشعب ضغطا شديدا وسجن كثير من المصريين بدعوى أنهم قد يناوئون الاحتلال ويعرقلون تصرفاته التعسفية ·

وفى تلك السنوات كنت قد نقلت سكنى الى القاهرة اثر انتخابى عضوا بالجمعية التشريعية ، وكثر اتصالى بسعد زغلول باشا بســـبب اشتراكنا فى العمل واتفاقنا فى مبدأ المعارضة بالجمعية ، فلما أوقفت أعمالها صرت أنا وبعض أعضائها نتردد على منزله من آن لآخر نتداول الآراء ونتتبع الأخبـــار وكان منها أن الدكتور ولســـن رئيس جمهورية الولايات

المتحدة قد أعلن مبادئه الأربعة عشر التى تنص على مساواة الأمم كبيرها وصغيرها وحقها فى الحرية وتقرير المصـــير واعتبر الناس تلك المبادىء انجيلا بين المتحاربين وعهدا صريحا بين المتحالفين ومنهم انجلترا التى صرح رئيس وزرائها مستر لويد جورج علنا باعتناقه هذه المبادىء وبان بلاده تلتزمها بعد انتهاء الحرب ٠

وكان لاعلان هذه المبادىء أثرها العميق فى العالم كله ، وســـاد الاعتقاد بانها كانت السبب الأكبر فى نهو الحرب لتاثيرها فى الامبراطوريتين الألمانية والنمساوية ، وفى جيوشهما أيضا ، وانتهى الأمر بتسليم المانيا والنمسا رغبة فى حقن الدماء وأملا فى أن تسود مبادىء ولسن تصرفات الدول جمعاء وأن تتحقق حرية الأمم بحيث تكون نتيجة الحرب لا غالب ولا مغلوب ولا منتصر ولا مهزوم ٠

تلك كانت أيضا عقيدة الأمة المصرية وقت أن وضعت الحرب أوزارها وأعلن للناس تسليم حكومات المانيا وحليفاتها وأنه ستبرم معاهدة الهدنة بعد أيام قليلة ٠

خطر ببالى أمام هذه الاعتبارات أن أقابل سعد باشا ، فذهبت الى منزله يوم ٨ نوفمبر ١٩١٨ ولما لم أجده كررت الزيارة فى اليوم التـــالى فالتقيت به وقلت له ان الحرب قد انتهت بظفر انجلترا وحلفائها وأن الهدنة ستعلن عما قليل وقد أعلن ولسن مبادئه ، كما أعلن لويد جورج تأييد هذه المبادىء وان علينا واجبا كأعضاء فى الجمعية التشريعية وكنواب عن الأمة نحو هذه الأمة ، وأنت كوكيل منتخب عن الجمعية التشريعية أصـــبح واجبك أكبر من واجبنا فما الذى نعمله ؟

فسألنى سعد ، وما الذى تبغى ان نعمله ؟ فأجبته ان الفكرة فيما يجب أن يعمل - أى فى الوسيلة - لم تتبلور فى ذهنى ولكن المحقق هو ان من الواجب علينا عمل شىء لمصلحة بلادنا بتكوين جمعية مثلا تســـعى فى تحقيق ما تصبو اليه البلاد اعتمادا على المبادىء التى أعلنها ولسن ولازلت أكرر لك يا باشا انك المسئول الأول أمام الشعب فأجابنى ان بعض أصدقائنا قد فكروا فى هذا الأمر وانه يتداول معهم فيما ينبغى أن يعمل وعند اتفاقهم على الفكرة يخبرنى بالنتيجة حتى نكون معا فى العمل لتحقيقها كما انه سيخبرهم بمسعاى ٠ تركته على هذا الأمل ثم أعلنت الهدنة يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ ، وفى اليوم التالى أى فى ١٢ نوفمبر ١٩١٨ مســـاء خاطبنى سعد باشا بالتليفون وطلب الى الحضور الى منزله فى الساعة

العاشرة من صباح يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ بعد أن تم الاتفاق بينه وبين اصدقائه ولم يبح لى باسمائهم ·

ذهبت الى منزل سعد فى الموعد المحدد فوجدت فى مكتبه على شعراوى باشا ومحمد محمود باشا وعبد العزيز فهمى بك وأحمد لطفى السيد بك وبعد تبادل التحية اخبرنى سعد باننا نحن الستة قد اصبحنا هيئة نسعى فيما كنا جميعا قد فكرنا فيه ، وانهم اتفقوا على مقابلة عميد انجلترا فى مصر سير ونجت للسماح لنا بالسفر لأوروبا حتى نكون على مقربة من مؤتمر فرساى نعرض عليه قضية البلاد وانهم أرسلوا الى العميد يطلبون مقابلته وانه حدد الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم لمقابلتهم بدار الحماية أى بعد ساعة من وصولى اليهم ، وانهم اتفقوا على ان يذهب الى دار الحماية كل من سعد وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى وان يبقى محمد محمود وأحمد لطفى السيد وأنا فى دار سعد انتظارا لرجوعهم وأن يعرضوا علينا بعد ذلك نتيجة المقابلة ·

ولابد هنا من ذكر ملاحظة طريفة لفتت نظرى ، هى أن سعدا وزميليه الذاهبين الى دار الحماية كانوا يلبسون الردنجوت السوداء استعدادا لمقابلة سير ونجت فعجبت لهذا وقلت فى نفسى ان العميد ليس ملكا حتى يرتدى اخواننا لمقابلته لباسا رسميا ، وكتمت هذه الملاحظة ، وكان الوقت لا يسمح لمناقشة مثل ذلك ولا أدرى الى الآن من من الزملاء اقترح ارتداء هذا اللباس ·

ذهب الثلاثة الى دار المندوب السامى وقابلوه ، ودارت بينه وبينهم محادثة ثم رجعوا الينا وكلف عبد العزيز فهمى بتسجيل ما دار فى المقابلة فى محضر نشرته الصحف وسجلته كتب التاريخ وهاك نص المحضر :

محضـــر ١٣ نوفمبر ١٩١٨

بدأ سير ونجت الحديث بقوله :

« ان الصلح اقترب موعده وان العالم يفيق بعد غمرات الحرب التى شغلته زمنا طويلا وان مصر سينالها خير كثير وان الله مع الصابرين وان المصريين هم اقل الأمم تألما من اضرار الحرب، وانهم مع ذلك استفادوا منها أموالا طائلة وان عليهم ان يشكروا دولة بريطانيا العظمى التى كانت سببا فى قلة ضررهم وكثرة فائدتهم » ·

فأجابه سعد باشا : «ما تكون انجلترا فعلته خيرا لمصر فان المصريين بالبداهة يذكرونه لها مع الشكر • وخرج من ذلك الى القول بان الحرب كانت كحريق انطفأ ولم يبق الا تنظيف آثاره وانه يظن انه لا محل لدوام الاحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات وان الناس ينتظرون بفروغ صبر زوال هذه المراقبة كى ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صـــدورهم الضيق الذى تولاهم أكثر من أربع سنين » •

فقال سير وجنت : «حقا انه ميال لازالة المراقبة المذكورة وانه تخابر فعلا مع القائد العام للجيوش البريطانية فى هذا الصدد • ولما كانت هذه المسألة عسكرية فانه بعد اتمام المخابرة والاتفاق مع القائد سيكتب للحكومة البريطانية ويأمل الوصول الى ما يرضى •

ثم استمر قائلا : يجب على المصريين ان يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه متى فرغت انجلترا من مؤتمر الصلح فانها تلتفت لمصر وما يلزمها ولن يكون الأمر الا خيرا » •

فقال سعد باشا : « ان الهدنة قد عقدت ، والمصريون لهم الحق أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ، ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو الخير الذى تريده انجلترا لهم » •

فقال ونجت : « يجب الا تتعجلوا ، وان تكونوا متبصرين فى سلوككم فان المصريين فى الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة » •

فقال سعد باشا : « ان هذه العبارة مبهمة المعنى ولا افهم المراد منها » •

فقال : « اريد أن أقول ان المصريين ليس لهم رأى عام بعيد النظر » •

فقال سعد باشا : « لا أســـتطيع الموافقة على ذلك ، فانى ان وافقت انكرت صفتى ، فانى منتخب فى الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابى بمحض ارادة الرأى العام مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابى ، وكذلك كان الأمر مع زميلى على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك » •

فقال سير ونجت : « انه قبل الحرب كثيرا ما حصـــل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطنى ، وكان ذلك بلا تعقل ولا روية فأضرت مصر ولم تنفعها ، فما هى أغراض المصريين ؟ »

فقال على شعراوى : باشا : « اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر » ·

فقال سير ونجت : اذن أنتم تطلبون الاستقلال ·

فقال سعد باشا : « ونحن له أهل، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم المستقلة » ·

فقال سير ونجت : « ولكن الطفل اذا أعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم » ·

فقال عبد العزيز بك فهمى : « ـ نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم ان الحزب الوطنى أتى من الحركات والكتابات بما أضر ولم يفد فأقول لجنابكم ان الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال ، وغاية الأمر ان طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطنى ربما كان فيها ما يؤخذ علينا وذلك راجع الى طبيعة الشبان فى كل جهة فلأجل ازالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى الذى هو مبدأ كل الأمم وهو الاستقلال التام ، قام جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف فى الاجراءات وأسسوا حزب الأمة وانشأوا صحيفة « الجريدة » وكان مقصدهم هم أيضا الاستقلال التام وطريقتهم أخف فى الحدة من طريقة الحزب الوطنى وذلك معـــروف عند الجميع والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ونحن فى طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه ، فان أمتنا أرقى من البلغار والصرب والجبل الأسود وغيرها ممن نالوا الاســتقلال قديما وحديثا » ·

فقال سير ونجت : « ولكن نسبة الأميين فى مصر كبيرة لا كما فى البلاد التى ذكرتها الا الجبل الأسود والألبان على ما أظن ·

فقال عبد العزيز فهمى : « ان هذه النسبة مسألة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الأمم فان لمصر تاريخا قديما باهرا وسوابق فى الاستقلال التام وهى قائمة بذاتها ، وسكانها عنصر واحد ذو لغة واحدة ، وهم كثيرو العدد وبلادهم غنية ، وبالجملة فشروط الاستقلال التام متوفرة فى مصر ، ومن جهة نسبة الأميين للمتعلمين فهذه مسألة لا دخل لها فى الاستقلال كما قدمت ، لأن الذين يقودون الأمم فى كل البلاد أفراد قلائل ، فانى أعرف أن لانجلترا وهى بلاد العظمة والحرية عند أهلها ثقة كبرى بحكومتها ، فأرباب الحكومة وهم أفراد قلائل هم الذين يقودونها وهى تتبعهم بلا مناقشة فى

كثير من الأحوال لشدة ثقتها بهم وتسليمها لهم ، ولذلك فمجلس نوابها ليس كل افرادهم العاملين ، وانما العامل منهم فئة قليلة ، فبلاد مصر يكفي أن يكون فيها الف متعلم ليقوموا بادارتهـــا كما ينبغي وهي مســـتقلة استقلالا تاما ، ونحن عندنا كثير من المتعلمين بدليل أن أولى الحل والعقد نسمع منهم في كثير من الأحيان ان التعليم زاد في البلد حتى صار فيها طائفة من المتعلمين العاطلين وأما من جهة تشبيهنا بالطفل يتخم اذا غذي بازيد من اللازم فاسمحوا لي أن أقول ان حالنا ليست مما ينطبق عليها هذا الشـــبه • بل الواقع اننا كالمريض مهما أتيت له من نطس الاطباء استحال عليهم ان يعرفوا من أنفسهم موقع دائه بل هو نفسه الذي يحس بالم الداء ويرشد اليه ، فالمصري وحده هو الذي يشعر بما ينقصه من أنواع المعارف وما يفيده في الاشغال العمومية وفي القضاء وغير ذلك ، فالاستقلال التام ضرورة لرقينا •

فقال سير ونجت : « أتظنون أن بلاد العرب وقد أخذت اســـتقلالها ستعرف كيف تسير بنفسها » •

فقال عبد العزيز بك : ان معـــرفة ذلك راجعة للمســـتقبل ومع ذلك فاذا كانت بلاد العرب وهي دون مصر بمراحل أخذت استقلالها فمصـــر أجدر بذلك » •

فقال سير ونجت : « قد كانت مصر عبدا لتركيا افتكون احط منها لو كانت عبدا لانجلترا » •

فقال شعراوي باشا : « قد اكون عبدا لرجل من الجعليين وقد اكون عبدا للسير ونجت الذي لا مناســـبة بينه وبين الرجل الجعلي ومع ذلك لا تسرني كلتا الحالتين لأن العبودية لا ارضاها ولا تحب نفسي أن تبقى تحت ذلها ، ونحن كما قدمت نريد ان نكون أصدقاء لانجلترا صداقة الأحرار لا صداقة العبيد •

فقال سير ونجت : « ولكن مركز مصر حربيا وجغرافيا يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها ، وقد تكون غير انجلترا » •

فقال سعد باشا : « متى ساعدتنا انجلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين اية دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلترا فنعطيها ضمانة في طريقها للهند وهي قناة السويس بان نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » •

ثم قال على شعراوى باشا : « يبقى امر آخر عند هذا الحد وهو حقوق ارباب الديون من الآجانب فيمكن بقاء المستشار الانجليزى بحيث تكون سلطته هى سلطة صندوق الدين العمومى » ٠

فقال سعد باشا : « نحن نعترف الآن ان انجلترا اقوى دولة فى العالم واوسعها حرية وانا نعترف لها بالأعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر فنطلب باسم هذه المبادىء ان تجعلنا اصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر ، وانا نتكلم بهذه المطالب معك بصفتك مشخصا لهذه الدولة العظيمة وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شأنها مع ولاة الأمور فى انجلترا ، ولا نلتجىء هنا لسواك ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطلعا على احوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب » ٠

فقال سير ونجت : « قد سمعت اقوالكم وانى اعتبر محادثتنا محادثة غير رسمية بل بصفة حبية ، فانى لا اعرف شيئا عن افكار الحكومة البريطانية فى هذا الصدد وعلى كل فانى شاكر زيارتكم واحب لكم الخير فشكره الثلاثة على حسن مقابلته وانصرفوا حيث كانت الساعة الثانية عشرة ٠

رجع الينا زملاؤنا الثلاثة وذكروا لنا طرفا مما جرى بينهم وبين سير ونجت ٠ وكلفنا عبد العزيز فهمى كتابة تقرير عما دار فى هذه المقابلة وقررنا فورا تاليف الوفد منا نحن الستة ، واخترنا سعد زغلول باشا رئيسا وعلى شعراوى باشا امينا للصندوق ولما شرعنا فى كتابة توكيل نعرضه على الشعب لتوقيعه حتى نصبح بذلك وكلاء عن الامة ، عرضت على زملائى ضم عبد اللطيف المكباتى بك وكان معنا فى المعارضة بالجمعية التشريعية فقبلوا بالاجماع ووضعنا اسمه معنا فى التوكيل وانتهينا فى نفس يوم ١٣ من صياغة التوكيل ونصه بعد التعديلات التى اضيفت اليه هو :

« نحن الموقعين على هذا قد انبنا عنا حضرات سعد زغلول باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ومحمد بك على وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا واحمد لطفى السيد بك ولهم ان يضموا اليهم من يختارونه فى ان يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما طبقا لمبادىء العدل والانسانية التى ترفع بريطانيا العظمى وحلفاؤها رايتها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب » ٠

ويلاحظ ان سعد زغلول ما كان ينتمى لأحزاب وان على شعراوى ومحمد محمود وأحمد لطفى السيد كانوا منحزب الأمة وأنى وعبداللطيف المكباتى من الحزب الوطنى وان عبد العزيز فهمى كان صـــديقا حميما لاعضاء حزب الأمة وكانوا جميعا اعضاء فى الجمعية التشريعية عدا محمد محمود وأحمد لطفى السيد والأخير كان رئيس تحرير « الجريدة » لسان حزب الأمة ٠

ملاحظات على ما دار فى المقابلة :

وبالاطلاع على محضر الحديث الذى دار بين الثلاثة وبين ســير ونجت والذى سطره عبد العزيز فهمى وجاءنا به يوم ١٤ نوفمبر يحق لنا ان نبدى الملاحظات الآتية :

أولا : ان ما فاه به على شعراوى كان رائعا وجديرا برجل وطنى شجاع دفعته شهامته ووطنيته الصادقة الى ان يواجه سير ونجت بما لم يقله سواه رغم أنه لم يكن تعلم فى المدارس ورغم انه كان غنيا واسع الثراء يضار كثيرا ان تعرض لبطش الاستعمار ٠ وقد أصبحت كلماته المسجلة فى هذا التقرير درسا وطنيا خالدا يمجد به الناس تاريخه وذكراه ٠

أما عبد العزيز فهمى بك فقد كان وطنيا وقانونيا يريد بعلمه ومعارفه أن يقنع سير ونجت بحق الأمة المصرية فى الاستقلال وبنضـــجها سياسيا وأهليتها للحرية ، وكان كلامه قانونيا هادئا يريد به السماح بالسفر كى نعرض قضيتنا على من نشاء فى انجلترا أو أمام مؤتمر الصلح فى فرساى ، ولم يقيد هو ولا على شعراوى الجرىء أمتهما بأى قيد ٠

اما سعد زغلول باشا فانه مع طلبه الاستقلال كزميليه تطوع وعرض على المندوب السامى أمورا خطيرة دون أن يتفق مع زملائه ، ودون أن يكون له تفويض منهم، وقبل أن يحصل الوفد على توكيل من الأمة ٠ فذكر فى كلامه ما يأتى : « متى ساعدتنا انجلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أية دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلترا ، فنعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهى قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » ٠

وقال فى موضع آخر « نحن نعترف الآن ان انجلترا اقوى دولة فى العالم وأوسعها حرية ٠ وانا نعترف لها بالأعمال الجليلة التى باشرتها

فى مصر فنطلب باسم هذه المبادىء ان تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر ، وانا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصا لهذه الدولة العظيمة • وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شانها مع ولاة الأمور فى انجلترا ولا نلتجىء هنا لسواك ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ، ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطلعا على احوالها أن تساعدنا للحصول على هذه المطالب » •

انظر كيف ان سعدا سمح لنفسه ان يعرض على المندوب السامى حق انجلترا احتلال قناة السويس عند الاقتضاء ويعرض التحالف معها فى دفاع مشترك تقدم فيه مصر مواردها ورجالها ونسى ان المندوب السامى لا شأن له فى المفاوضات وأن مهمة الثلاثة تنحصر فى طلب السماح بالسفر •

كنا قد قبلنا أن نضيف فى التوكيل أسماء من نقبلهم معنا أعضاء فانضم الينا بعد بضعة أيام اسماعيل صدقى باشا(٢٠) وحمد الباسل باشا وحسين واصف باشا وجورج خياط بك وأردنا أن نضم الينا مرقص حنا بك فأعتذر لعدم امكانه ترك مكتبه كمحام ورشح لنا عوضا عنه الاستاذ ويصا واصف فقبلناه ، وهذا من جانبه اقترح ضم واصف غالى بك ـ ابن المرحوم بطرس باشا غالى ناظر النظار سابقا وكان يقيم فى باريس اقامة تكاد تكون دائمة وهو اديب فى اللغة الفرنسية وذو ثروة تمكنه من البقاء معنا فى أوروبا فطلبنا منه أن يكتب اليه خطابا بذلك ثم جاءنا بعد أيام يخبرنا بان واصف غالى اجابه بقبوله العضوية مع العلم بأن مبدأه قد سبق له أن أعلنه فى مجلة فرنسية اسمها « ميركوردى فرانس » وقد اطلعنا على هذه المجلة فاذا هو يعلن فيها المطالبة بالاستقلال الذاتى وبعد نقاش بيننا قبلنا عضويته على أمل تغيير رأيه واقناعه عند مقابلتنا له فى باريس •

---

(٢٠) سياسى مصرى ولد بالاسكندرية عام ١٨٧٥ • نال ليسانس الحقوق ١٨٩٤ وعمل موظفا بالحكومة اختير وزيرا للزراعة عام ١٩١٤ • اشترك فى الحركة الوطنية ونفى مع سعد زغلول الى مالطة فى مارس ١٩١٩ • سافر مع الوفد الى باريس واختلف مع اعضائه • اشترك فى مفاوضات عدلى ـ كيرزون ١٩٢١ • عين وزيرا للمالية فى وزارة ثروت عقب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ • اشترك فى لجنة وضع دستور ١٩٢٣ • الف الوزارة برئاسته عام ١٩٣٠ حيث الغى دستور ١٩٢٣ واصدر بدله دستور ١٩٣٠ كما الف حزبا سياسيا باسم حزب الشعب • رأس الوزارة مرة أخرى عام ١٩٤٦ حيث فاوض الحكومة البريطانية (مفاوضات صدقى ـ بيفن) • توفى عام ١٩٤٩ • (الموسوعة العربية الميسرة • ص ١٦٠) •

وقد ارتأينا أيضـــا أن يكون معنا الدكتور حافظ عفيفى والاستاذ مصـــطفى النحاس لأنهما ينتميان للحزب الوطنى ولو ان ثانيهما قاض بالمحاكم ، وانهما كثيرا الاختلاط بالأندية ويمكن ان ينتفع بهما فى الدعاية للوفد فى الأوساط التى يؤمانها بين الشباب المثقف ·

عندما بدأ تكوين الوفد قامت عقبة يتحتم تذليلها هى أن بعضـــهم وخاصة انصار الحزب الوطنى قد ارتأوا الاتصال بالأمير عمر طوســـون لتكوين وفد يمثل البلاد فى مصر وأوروبا تحت رياسته وبدىء فعلا فى تكوينه بعد الاتفاق مع الأمير فخشينا مغبة حدوث انقسام ، وكان من مصلحة مصر ان يكون وفدها شعبيا خالصا حتى لا يظن انه مسوق بعضو من الأسرة المالكة فتكون رغبته مشوبة ·

وبعد اخذ ورد بين وسطاء الطرفين عدل الأمير عمر طوسون عن رياسة وفد جديد ويظهر ان السلطان فؤاد كان له تاثير فى هذا العدول خيفة ان يساء به الظن من الانجليز ·

انتهى أمر هذه المسالة وانضـــم الينا من كانوا مع الأمير عمر طوسون ومنهم سينوت حنابك وعبد الخالق مدكور باشا ·

دور حســـــين رشـــدى :

كان حسين رشدى باشا رئيسا لمجلس الوزراء وقد قبل الرياسة بعد أن كان نائبا عن الخديو عباس الثانى وقت غيابه فى الآستانة واستمر رئيسا للوزارة مع السلطان حسين وبعده مع السلطان فؤاد · وقد أفهمنى زملائى ان رشدى باشا اخبرهم قبل تكوين وفدنا انه اعتزم هو وعدلى يكن باشا الذهاب بصفة رسمية كوفد يمثل الحكومة المصـــرية الى انجلترا للمطالبة بحقوق البلاد وانه أوعز اليهم بتكوين وفد يمثل الشعب المصرى للمطالبة امام عصبة الأمم وغيرها باستقلال مصـــر دون أن يكون بين الوفدين أى اتصال فيعتمد هو كممثل للحكومة على تشدد الوفد الشعبى فى طلب الاستقلال أملا فى أن ينال بهذا التشدد أقصى ما يمكن ان يناله من مطالب البلاد ـ وكرر حسين رشدى هذا الطلب لسعد وزملائه ونجم عن هذا ان محمد محمود باشا وهو خارج من جلسة مجلس ادرة الجامعة المصرية القديمة وبصحبته سعد ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى وغيرهم استوقفهم بباب الجامعة ومد عصاه أمامهم قائلا اننا لا نمشى حتى نقرر نهائيا تكوين وفد للسفر الى أوروبا ثم ذهبوا الى منزل محمد محمود باشا

وبعد الاتفاق وتحديد يوم ١٣ نوفمبر للاجتماع بمنزل سعد أخبرنى سعد زغلول بالتليفون بموافاته فى منزله كمـــا قلت وتم تكوين الوفد يوم ١٣ نوفمبر كما تمت المقابلة مع المندوب السامى ثم تحرر التوكيل ٠

عقبـــات :

تحرر التوكيل للوفد المصرى بأسماء الستة كما قلنا ثم اضيفت اليه أسماء من ضموا اليه وأخذنا فى توزيعه على الشعب وجمع التوقيعات من ســـائر أهالى القطر فانهالت علينا التوكيلات وكانت أيام التوقيع أياما مشهودة رفعت من معنويات الشعب وكانت مظاهرات وحركة دائمة وتطوع الكثير للذهاب لجمع التوقيعات وما نشعر بعد قليل الا وقد صدر الأمر من وزارة الداخلية بمنع تداول التوكيل بحجة المحافظة على الأمن ومنع حدوث شغب فى البلاد فعجبنا كيف أن رشدى باشا وهو الموعز الحقيقى بتكوين الوفد الشعبى هو الذى يمنع توقيع التوكيل بصفته وزيرا للداخلية فوق كونه رئيس مجلس الوزراء فأرسلنا اليه الخطاب الآتى :

القاهرة فى ٢٣ نوفمبر ١٩١٨

حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء

اتشرف بان أرفع الى دولتكم ما يلى :

لا يخفى على دولتكم انه على أثر فوز مبادىء الحرية والعدل التى جاهدت بريطانيا العظمى وشركاؤها لتحقيقها ، ألفت مع جماعة من ثقاة الأمة ونوابها وأصحاب الرأى فيها وفدا لينوب عنها فى التعبير عن رأيها فى مستقبلها تطبيقا لتلك المبادىء السامية لذلك شرعنا فى جمع هذا الرأى بصيغة توكيل خاص فوق ما لكثير منا من النيابة العامة فاقبل الناس على امضاء هذا التوكيل اقبالا عظيما مع السكينة والهدوء ٠ وهذا أقل مظهر نعرفه من مظاهر الاعراب عن رأى أمة فى مصيرها ٠

لكنه قد اتصل بنا أن وزارة الداخلية قد أمرت بالكف عن امضاء هذه التوكيلات ، ونظرا الى أن هذا التصرف يمنع من ظهور الرأى العام فى مصر على حقيقته فيتعطل بذلك أجل مقصد من مقاصد بريطانيا العظمى وشركائها ويحرم الأمة المصرية من الانتفاع بهذا القصد الجليل ٠

التمس من دولتكم باســـم الحرية والعدل أن تأمروا بترك الناس وحريتهم يتمون عملهم المشروع ٠ واذا كانت هناك ضرورة قصوى الجأت

الحكومة الى هذا المنع فانى اكون سعيدا لو كنت تخبرنى بذلك حتى نكون على بصيرة من أمرنا ونساعد الحكومة بما فى وسعنا على الكف عن امضاء تلك التوكيلات ٠

وفى انتظار الرد تفضلوا يادولة الرئيس بقبول شـــكرى سلفا على تأييد مبادىء الحرية الشخصية وعظيم احترامى لشخصكم الكريم ،،

الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية ورئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

ولما اطلع حسين رشدى على خطابنا هذا دهش وقال انه لا علم له بالمنع ولا يقبله ولكن البلاد محكومة بالانجليز تحت الاحكام العرفية وهو مستعد أن يخبرنا بذلك بصفة رسمية ٠

فكتبنا اليه خطابا آخر ـ نصه :

القاهرة فى ــــــــــــــ(٢١)

حضرة صاحب الدولة وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء

الحاقا لما حررت لكم أمس أتشرف باخبار دولتكم ان رجال الحكومة لم يقتصروا على منع التوقيع على التوكيلات بل تجاوزه الى مصادرة ماتم التوقيع عليه منها كما يتبين لدولتكم من صورة الخطاب طيه ٠ فالفت نظر دولتكم لهذه المعاملة التى يأباها عدلكم ومبادىء العصر الحاضر ٠

وتفضلوا بقبول احترامى ؟

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

وبادر حسين رشدى باشا بتنفيذ ما وعد به وارسل الينا الخطاب الرسمى الآتى :

---

(٢١) لم يرد فى الأصـــل تاريخ هــذا الخطاب ، ولكن يتضح من رد حسين رشدى باشا على الخطابين ، أن تاريخ تحريره فى ١٩١٨/١١/٢٤ ٠

رياسة مجلس الوزراء

حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا

اجابة على كتابيكم المؤرخين ٢٣ و ٢٤ الجارى اتشرف باحاطتكم علما انه اذا كانت صدرت أوامر من جناب مستشار الداخلية لمنع امضاء التوكيلات المشار اليها فى كتابيكم المذكورين وبمصادرتها عند الاقتضاء ٠ فانما كان ذلك لأن القطر لايزال تحت سلطة الاحكام العرفية ولأن مثل هذه التوكيلات قد اعتبرت مما يدعو الى الاخلال بالنظام العام ٠

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام ؟

تحريرا فى ٢١ صفر ١٣٣٧

٢٦ نوفمبر ١٩١٨

رئيس مجلس الوزراء

حسين رشدى

وكان الشعب مندفعا لتوقيع التوكيلات سواء الموظفين وغيرهم ولما اشتد الضغط كان كثير من الناس يمضون توكيلاتهم سرا لنا وكان من شدة الضغط ان بعض رجال القضاء اتخذوا وسيلة أخرى هى أن يكتبوا مباشرة للسلطان خطابات تفيد التوكيل ومنها صورة الخطاب الآتى موقعا عليه من أربعة من كبار مستشارى محكمة الاستئناف ٠

يا صاحب العظمة

نتشرف نحن الموقعين على هذا بان نعلن لعظمتكم اشتراكنا مع كل مطالب بما فيه سعادة مصر واستقلالها بالطرق السلمية المشروعة ونلجأ لعظمتكم لتحقيق هذه الأمانى ؟

راغب بدر ــ عبد الرحمن رضا ــ يوسف سليمان ــ محمد صالح

تباطات السلطة الانجليزية فى السماح لنا بالسفر فارسلنا الى المندوب السامى الخطاب الآتى :

القاهرة فى ٢٩ نوفمبر ١٩١٨

الى صاحب الفخامة سير ريجنالد ونجت

المندوب السامى لحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى

يا صاحب الفخامة

اتشرف بأن أعرض لفخامتكم انه قد تألف وفد برئاستى بقصد السفر الى انجلترا للمفاوضة مع اولى الحل والعقد البريطانيين بشأن مستقبل مصر وقد أرسلت لرئاسة الجيش الانجليزى بتاريخ ٢٠ الجارى خطابا التمست فيه اعطائى انا وزملائى جوازات السـفر فتفضلت السـلطة العسكرية باجابتى فى اليوم التالى بأن طلبنا سينظر فيه فى اقرب وقت ممكن • ولما كانت المهمة التى أخذناها على عاتقنا تقضى بوجودنا بانجلترا من غير تأخير فقد حررنا أمس طالبين النظر فى ملتمسنا واليوم ورد لنا خطاب من السلطة العسكرية يتضمن أنه قد حدثت بعض صـعوبات لم يتيسر معها اجابة طلبنا الى اليوم وانه بمجرد تذليل هذه الصـعوبات تسارع الى اجابتنا الى موضوع طلبنا •

تلقاء هذه الاجابة ونظرا الى أنه من الضـرورى أن يكون وفدنا بلوندره قبل الاسبوع الأخير من شهر ديسمبر جئنا بهذا راجين من فخامتكم ان تتفضلوا باستعمال مالكم من النفوذ لدى السلطة العسكرية لحصولنا على جوازات السفر سريعا وفى الوقت المناسب •

وانا معتمدون كثيرا على تقاليد بريطانيا العظمى التى مازالت تقدم للعالم كثيرا من الأمثلة على تمسكها بمبادىء الحرية الشخصية اعتمادا يجعل لنا الثقة فى أن طلب التصريح لنا بالسفر سيفصل فيه عاجلا •

وانا فى انتظار اجابة ملتمسـنا نقدم لفخـامتكم عظيم الاحترام والتبجيل ؟

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

فورد لنا الرد من دار الحماية وهذا نصه

القاهرة فى أول ديسمبر ١٩١٨

عزيزى زغلول باشا

كلفت من قبل فخامة المعتمد الســـامى البريطانى باحاطتكم علما بوصـــول خطابكم المؤرخ ٢٩ نوفمبر الماضى وباخباركم ردا عليه بأن فخامته قد رأى بعد استشارة حكومة جلالة الملك أنه لا يستطيع التوسط لدى السلطة العسكرية فى هذا الموضوع ٠

وأضيف الى ذلك انكم ان كنتم تريدون تقديم اقتراحات بخصوص كيفية الحكم فى مصر مما لا يخرج عن الخطة التى رسمتها حكومة جلالة الملك وأعلنتها من قبل ٠ فالأفضل ان مثل هذه الاقتراحات تقدم كتابة الى فخامته ٠ وبهذه المناسبة ألفت نظركم الى خطاب ميلين شيتهام الذى أرسله بناء على أمر حكومة جلالة الملك الى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر ٠

المخلص

(ج٠س٠ سيمسون)

السكرتير الخصوصى بالنيابة

ولما كان خطاب السير ميلين شيتهام الى المرحوم السلطان حسين عند توليته عرش مصر لا يحوى سوى استبقاء الحماية والعمل على رفاهية مصر وغير ذلك من الألفاظ البراقة التى لا تحقق مطالب الأمة المصرية فى الاستقلال فقد أرسلنا الى المندوب السامى الخطاب التالى فى ٣ ديسمبر ١٩١٨ وترجمته ٠

صاحب الفخامة سير فرانسيس ريجنالد ونجت

المندوب السامى لحكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى

ياصاحب الفخامة

تشرفت باستلام الخطاب المؤرخ أول ديسمبر ١٩١٨ الصادر من سكرتير جنابكم الخاص ردا على خطابى المؤرخ ٢٩ نوفمبر ١٩١٨ المختص بجوازات السفر المطلوبة لأعضاء الوفد المصرى ٠

ولقد ورد فى هذا الخطاب ان فخامتكم مستعدون لقبول ما يقدم لكم من الاقتراحات المكتوبة بشأن نظام الحكم فى مصر بشـــرط الا تكون غير متفقة مع الخطة التى سبق ان رسمتها حكومة جلالة الملك وردا على هذا

لا يسعنى الا أن أصرح لجنابكم بأنه لا يسوغ لى ولا لأحد من أعضـــاء الوفد أن يطلب طلبات غير مطابقة لمشيئة الأمة التى عبرت عنها بالتوكيلات المعطاة لنا وانى ألفت نظر فخامتكم الى أن هذه التوكيلات التى أقبل عليها كثير من علية القوم كأعضاء الجمعية التشريعية والهيئات النيابية الأخرى ما كانت الا لتستوعب أفراد الشعب لو لم تتداخل السلطات وتمنع تداولها وتصادرها وان سفرنا الى انجلترا لم يكن الغرض منه الا مفاوضة رجال السياسة ونواب الأمة وغيرهم ممن يوجهون الرأى العام البريطانى الذى اليه ترجع الشئون الحكومية لأننا مقتنعون بان نجاح قضيتنا يتوقف جله على ما فطر عليه هذا الرأى العام من حب العدل والحرية والانتصـــار للضعفاء ٠

من هذا ترون فخامتكم انه يستحيل علينا أن ندرك غرضنا بواسطة تبليغات تقدم فى مصر فقط مادامت القضية التى ندافع عنها يجب عرضها بادىء ذى بدء على الرأى العام البريطانى وهو لا يمكنه ان يحيط علما بتفاصيلها الا من مصادرها الطبيعية أى من ممثلى الأمة المصرية ؟ فعدم تمكيننا من السفر يقضى على المهمة التى أخذنا على عاتقنا تنفيذها طوعا لمشيئة البلاد ٠ على أنه من الصعب التوفيق بين منعنا من السفر وبين ما تقتضيه مبادىء الحرية والعدل التى فتحت بريطانيا العظمى وشركاؤها أبوابها لخير الانسانية ولتحقيق رغبات الشعوب ٠

وتفضلوا فخامتكم بقبول فائق الاحترام ،،

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

وازاء هذا التباطؤ فى التصريح بسفر الوفد أرســـل الوفد برقية بواسطة رئيسه فى ٤ ديسمبر ١٩١٨ الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بالاحتجاج على منعنا من السفر وعلى منع تداول التوكيلات وهذه ترجمتها :

« صاحب السعادة مستر لويد جورج الوزير الأول لبريطانيا العظمى

دوننج ستريت ٠ لندن

تحدث فى مصر أمور مخالفة لتقاليد الحرية والعدل التى هى شعار دولة بريطانيا العظمى وللسياسة الحرة التى لازلتم أماما لها الى حد أن

المصريين أصبحوا يتساءلون عما اذا كانت التصريحات التى ما فتىء ساسة المملكة يعلنونها كل يوم لا يعنى بها الا فريق من بنى الانسان دون فريق آخر أقل استحقاقا للرعاية ٠

هل تقبلون سعادتكم ان صوت أمة بأسرها يخفت بينما أرجاء العالم تدوى بأصوات الأمم المطالبة بما لها من الحقوق ومن حرية التصـــرف فى مستقبلها ٠

وهل أمتكم العظيمة وهى خارجة تحمل أكاليل النصر من حرب لم تخض غمارها الا دفاعا عن الحرية تقبل ان يغرس باسمها أنفذ سهم فى قلب هذه الحرية ٠

ان مصر وهى عارفة بحقوقها وواجباتها رأت أن توقف بنفسها الرأى العام الانجليزى على حقيقة حالها وان تطلعه على مطالبها القومية مؤملة فى عدله تمام تحقيقها ٠

فالذين بيدهم الســـلطة لم يكفهم ان يمنعوا تداول التوكيلات التى قصد بها تخويل الوفد المكون لهذا الغرض وهو الدفاع عن قضية مصر بل تجاوزوا ذلك الى وضع عراقيل فى طريق هذا الوفد الى انجلترا ٠

وهذا أمر يشبه أن يكون الغرض منه اقامة سد منيع بيننا وبين الرأى العام الانجليزى فيصبح عسيرا ان يقف على الحقائق من مصـــادرها الطبيعية ٠

فبالنيابة عن الوفد المصرى أرفع هذه التصرفات لنظركم السامى

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

ثم أرســـل الوفد فى ٦ ديســمبر ١٩١٨ نداء الى معتمدى الدول الأجنبية بمصر(٢٢) احتجاجا على الخطة التى اتخذت من جانب انجلترا لمنعنا من الســفر ولمنع نشــر التوكيلات وعلى كل قرار يتخذ بشـــأن مســتقبل مصـــر دون أخذ رأى الأمة المصــرية فيه وكان هذا النداء مذيلا بامضاءات جميع أعضــاء الوفد المصــرى ٠ ثم توالت النداءات والبيانات ومنها برقيات من الوفد للدكتور ولسن بباريس فى ١٤ ديسمبر

---

(٢٢) انظر نص النداء بالملحق رقم (٣) ص ٣١٢ ٠

١٩١٨ و ٢٦ ديسمبر ١٩١٨ و ٣ يناير ١٩١٩ بالاحتجاج بشدة على كل اعتداء على حقوق مصر واستقلالها وطلبنا فى البرقيات ان يهيىء للوفد الفرصة بان يدلى بآمال مصر الشرعية وذلك بالمساعدة فى سفر الوفد ٠

وأرسل الوفد كذلك فى ١١ يناير ١٩١٩ الى مسيو جورج كلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية برقية بهذا المعنى ، واخرى فى ١٣ يناير ١٩١٩ الى السنيور اورلندو رئيس وزراء ايطاليا ٠ وأرسل كذلك نداء الى رئيس مجلس العموم البريطانى فى ١٤ يناير ١٩١٩ ٠

وتوالى ارسال البرقيات والنداءات سواء فى مصر أو أوروبا كما توالت الخطب فى اجتماعات عقدت بالقاهرة وغيرها ، حضرها جمهور من جميع طبقات الأمة ونوابها واعيانها وشبابها فأحدث ذلك تأثيره وازدادت حماسة الجماهير ٠

ضغط الانجليز على مصر

فى يوم ٢٧ يناير ١٩١٩ ارسل قائد القوات البريطانية فى مصر الخطاب الآتى الى سعد زغلول :

يا صاحب السعادة ٠

علمت ان سعادتكم تعدون اجتماعا فى منزلكم بمصر فى ٣١ الجارى يحضره نحو ستمائة أو سبعمائة شخص وانى أرى أن مثل هذا الاجتماع قد يحدث منه اقلاق للأمن فبناء على الاعلان الصادر تحت الاحكام العرفية بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٤ أرجو أن تتكرموا بالعدول عن اقامة هذا الاجتماع

وتفضلوا بقبول فائق احترامى ؟

قائد القوات البريطانية فى مصر

"جنرال هـ ٠ و وطسن

ثم أرسل القائد افادة اخرى ونصها :

القاهرة فى ٢٨ يناير ١٩١٩

القيادة العامة للقوات البريطانية فى مصر

يا صاحب السعادة

الحاقا للاعلان الصادر فى جريدة الاجبسيان غازيت بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير ١٩١٩ بمناسبة دعوتكم لحفلة الشاى فى يوم الجمعة ٣١ الجارى فلا مانع عندى من ان تنشروا اعلانا آخر تصرحون فيه ان دعوتكم منعت قهرا ٠

وتفضلوا بقبول فائق احترامى ؟

قائد القوات البريطانية

ه ٠ و ٠ وطسن

احياء مشروع استعمارى قديم

فى أيام الحرب الأولى فكر الانجليز بزعامة مستر برونييت ـ المستشار القضائى حينذاك والساعد الأيمن للمعتمد البريطانى ـ فى مشروع خطير هو مشروع دستور لمصر وقوانين مدنية وجنائية تهدف انجلترا من ورائها الى توحيد المحاكم مختلطة واهلية ، على ان تحل انجلترا محل الدول صاحبة الامتيازات وان يكون لها مندوب له حق الاتصال بوزير الحقانية بحيث لا يمكن اصدار قانون الا بمشورة هذا المستشار الانجليزى ٠

ومن المسائل التى عرضتها انجلترا بواسطة مستر برونييت تنفيذا لهذه القوانين المقترحة أن يكون البرلمان المصرى فى المستقبل مكونا من وطنيين واجانب وموظفين والا يقتصر على اشراك الأجانب فى المحاكم وانما يشتركون ايضا فى مجالس البلديات والمجالس المحلية والقروية ، وعقدت لجان لدراسة هذه الموضوعات وطلب منى الاشتراك فى لجنة تنظر فى أمر التمثيل فى البلديات والمجالس المحلية والقروية ، فترددت ، لكن بعض اخوانى رأوا ضرورة قبولى حتى اساهم فى معارضة اى نص يضر بالبلاد وخاصة بعد أن ظهرت بوادر انتصار الحلفاء على المانيا وحليفاتها ٠

كانت هذه اللجنة برئاسة المرحوم عدلى يكن ومن اعضائها رئيس محكمة الاستئناف المختلطة وجعفر والى باشا ومسيو بيولاكازيللى رئيس

قلم قضايا الحكومة وغيرهم • وفى احدى الجلسات عرض موضوع اشتراك الأجانب فى المجالس البلدية والقروية ، وكان رئيس محكمة الاستئناف المختلطة وهو يعلم برغبة انجلترا فى اخذ تفويض من الدول الأجنبية بحلولها محلها لمراقبة القوانين والمجالس النيابية يرغب فى اشراك الأجانب فى المجالس النيابية، وكان بيولاكازيللى اشد المؤيدين لهذه الفكرة المتحمسين لها فعارضته وقلت له ان الأجانب اشتركوا فى مجلس بلدية الاسكندرية بحكم الضرورة لأنهم كانوا ومازالوا أصحاب مصلحة كبرى فى المدينة المكتظة بالأجانب ، وليس هناك ما يدعو الى اشراكهم فى المجالس البلدية الأخرى أو القروية فأجابنى بيولاكازيللى ـ الايطالى الجنسية والموظف المصرى ـ بلهجة عنيفة أن الأجانب هم الذين نظموا مصر كما نظموا بلدية الاسكندرية ، ولهم فى البلاد مصالح كبرى وان الرجل الأوروبى اذا وجد فى مجلس بلدية بندر أو قرية فانه يرفع من شأنها وينظم احوالها اكثر من الوطنيين أنفسهم فقلت له بلهجة كلهجته ما معناه أنت تريد اشراك الأجانب فى القرى وليس فى قرانا على ما اعلم سوى بقال رومى هو يسيطر فعلا على كثير من أهلها ويتحكم فى شؤونهم لأنه ليس بقالا فحسب وانما هو مراب وبائع خمور وكيف نقبل تغلغل هذا النفوذ فى قرانا ونحن نسعى فى استقلال بلادنا ببرلمان مصرى ومحاكم مصرية وانفضت الجلسة على شىء من الجفاء بيننا •

واستمر اهتمام المعتمد البريطانى بتلك المشاريع الى أن قامت الحركة الوطنية وتكون الوفد وارتأى مستر برسيفال المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية ان يلقى سلسلة محاضرات منها محاضرة عن مشروع قانون العقوبات ، القاها بجمعية الاقتصاد والاحصاء والتشريع فى ٧ فبراير ١٩١٩ فحضرها جميع اعضاء الوفد واكتظت القاعة بالوطنيين والأجانب ، وقال مستر برسيفال ماشاء فى تحبيذ آرائه وبعد أن انتهى قام سعد زغلول رئيس الوفد ورد عليه وتطرق الى ذكر الحماية فكان موفقا كل التوفيق ومما قال فى آخر كلمته ما يأتى :

« انكم أيها السادة تعلمون وكل علماء القانون الدولى يقررون ان الحماية لا تنتج الا من عقد بين امتين تطلب احداهما أن تكون تحت زعامة الأخرى وتقبل الأخرى تحمل اعباء هذه الحماية • فهى نتيجة عقد بين طرفين ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها مثل هذا العقد اصلا • فى ١٩١٤ اعلنت انجلترا حمايتها من تلقاء نفسها دون أن تطلبها او تقبلها الأمة المصرية فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونا • بل هى ضرورة من ضرورات الحرب تنتهى بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة » •

وكان التصفيق حادا لهذه الكلمة ، وصافحنا سعدا وهنأناه جميعا وخرجنا من القاعة فرحين مستبشرين وزادت هذه الكلمة فى أواصر الود والثقة بين أعضاء الوفد وبين الأمة ٠

اســـتقالة رشـــدى وعدلى :

كان حسين رشدى رئيس الحكومة قد ألح فى السماح لنا بالسفر كما ألح فى ضرورة سفره مع عدلى كوفد رسمى ، ولما لم تقبل السلطة البريطانية السماح بالسفر قدم استقالته هو وعدلى وكرر طلب قبولها رغم تأجيله والالحاح عليه فى البقاء ، فقبلت فى أول مارس ١٩١٩ ٠

تهديد أعضـــاء الوفد

توالت برقيات الاحتجاج منا الى الرجال الرسميين فى أوروبا وأمريكا بسبب منعنا من السفر كما عقدنا اجتماعات عامة لاذكاء الروح الوطنية وقامت فى أنحاء البلاد مظاهرات عديدة ونتيجة لهذا دعى القائد العام للقوات البريطانية فى ٦ مارس ١٩١٩ أعضاء الوفد السبعة لمركزه بفندق سافواى فى الساعة الثالثة بعد الظهر وكان الفندق يقع على ناصـــية شارعى سليمان باشا وقصر النيل ، فذهبنا فى الميعاد ، وكنا سعد زغلول ـ على شعراوى ـ محمد محمود ـ عبد العزيز فهمى ـ أحمد لطفى السيد ـ عبد اللطيف المكباتى ـ وأنا ٠ وصعدنا الى الدور الثانى وادخلنا حجرة صغيرة قليلة الضوء ليس بها أحد وجلسنا فيها نحو عشر دقائق ، ثم فتح باب جانبى ظهر منه القائد العام البريطانى الجنرال « وطسن » ومعه ضابطان أو ثلاثة بملابسهم العسكرية ٠ فوقفنا ننتظر منه تحية لم يتكرم بها ، والقى ـ والجميع وقوف ـ البلاغ الآتى باللغة الانجليزية وبلهجة عسكرية :

« علمت انكم تضعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة وأنكم تقيمون العقبات فى طريق الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة ٠

وبما أن البلاد لاتزال تحت الاحكام العسكرية ، لذلك يتحتم على أن انذركم بأن أى عمل منكم يرمى الى عرقلة سير الادارة يجعلكم عرضـــة للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » ٠

وبعد القاء هذا البلاغ باللغة الانجليزية ، واعادة تلاوته باللغـــة الفرنسية قال « لا مناقشة » ثم تركنا ورجع وقد طلبنا نسخة من هذا البلاغ فاعطينا نسخة انجليزية وانصرفنا ٠

وبعد خروجنا من مقر القيادة وسماعنا تهديد القائد ، سرت فى البلد شائعات ان النية منعقدة على مصادرة أملاك أعضـــاء الوفد ورميهم بالرصاص اذا زاولنا نشاطنا ٠

وفى اليوم نفسه أى فى ٦ مارس ١٩١٩ أرسلنا الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية برقية هذه ترجمتها :

ياصاحب السعادة

« تعلمون طبعا ان وزارة رشدى باشا لما علقت سحب استقالتها على سفر الوفد قبلت استقالتها نهائيا وليس لذلك معنى الا الحيلولة بيننا وبين عرض قضيتنا على مؤتمر السلام ٠ وقد نجم فعلا عن هذه السياسة أن أعظم رجال مصر أهلية لادارة البلاد فى هذه الظروف قد بدأوا يرفضون بتاتا تاليف وزارة تعارض مشـــيئة الأمة التى هى مجمعـــة على طلب الاستقلال ٠ فالنتيجة الطبيعية لذلك أن تقع مسئولية بقاء البلاد بلا حكومة على الذين وضعوا من هم أهل للوزارة فى مركز حرج أمام ضمائرهم وأمام مواطنيهم ٠ غير أن السلطة العسكرية عمدت الى تحميلنا مسئولية امتناع المرشحين للوزارة عن قبولها ٠ أعنى أنها أرادت أن نكون نحن المسئولين عن أعمال الذين منعونا عن السفر فسببوا بالمنع الأزمة الحالية لأن السلطة العسكرية أنذرتنا اليوم باننا نضع الحماية موضع البحث ونعرقل تاليف الوزارة الجديدة وتوعدتنا باشد العقاب العسكرى ٠ على انها لا تجهل اننا نطلب الاستقلال التام ونرى الحماية غير مشروعة كما تعلم بالضرورة اننا قد أخذنا على عاتقنا واجبا وطنيا لا نتاخر عن أدائه بالطرق المشروعة مهما كلفنا ذلك وحسبنا ان نذكر لكم هذا التصرف الجائر الذى يجر سخط العالم المتمدن حتى تفكروا فى حل هذه الأزمة بســـفر الوفد فيرتاح بال الشـــعب » ٠

وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس الوفد المصرى

سعد زغلول

القبض على بعض اعضاء الوفد

بعد الانذار الذى وجه الينـــا من قائد القوات العسكرية وبعـــد ما حررناه لرئيس وزارة بريطانيا ، قامت مظاهرات فى القاهرة والأقاليم تطالب بحق مصر فى الحرية والاستقلال · ورأت السلطة العسكرية ان هذه الأعمال من الشعب لا تدل على شىء من الاستقرار الذى يبتغيه الاحتلال ، فصدر الأمر فى ٨ مارس ١٩١٩ من السلطة العسكرية بالقبض على اربعة منا هم سعد زغلول ـ محمد محمود ـ اسماعيل صدقى ـ حمد الباسل وارســـلوا الى بورسعيد ومنها نفوا الى جزيرة مالطة · ولعل اختيار السلطة لهؤلاء الأربعة يرجع الى انهم جميعا باشوات فهم فى نظرها فى مقدمة اعضاء الوفد ·

فسعد زغلول هو رئيس الوفد ، وهو الذى يوقع المكاتبات والبيانات وهو الذى يتكلم باسم الوفد ، وكان زعيم المعارضة فى الجمعية التشريعية ، والمعروف عنه انه كان موتورا من الانجليز بســـبب تخليهم عن معاونته فى الرجوع الى الوزارة بعد اخراجه منها ترضية للخديو عباس الثانى ·

اما محمد محمود فيغلب أن يكون السبب فى القبض عليه انه وهو الذى تربى فى جامعة اكسفورد وترقى الى ان صار محافظا للقناة ثم مديرا للبحيرة قامت جفوة بينه وبين الانجليز حين رفض الرضوخ لهم فيما يأباه ضميره ، حتى وصل الأمر الى رفع قضية جنائية ضد حكمدار البحيرة دافعت فيها أنا شخصيا عن الحكمدار امام محكمة الجنايات وشعرت عند اطلاعى عليها ان السلطة كانت تود ادخال المدير فى القضية لولا انعدام اى دليل أو شبهة ضده · ونتيجة لهذه المطاردة ترك محمد محمود وظيفته · ثم هو الذى الح على سعد وغيره فى تكوين الوفد عند خروجهم من باب الجامعة المصرية القديمة · كما أن اجتماعات الأصدقاء الذين الفوا الوفد بدأت فى منزله وكل ذلك كان معروفا للسلطة ·

واما اســماعيل صــدقى باشا فكان وزيرا ايام الجمعية التشريعية ممن لا يعارضون الحكومة بل كان متضامنا معها وقد انضم الى الوفد واظهر نشاطا ملحوظا وقدم تقريرا للوفد عن السودان وكل هذا يعارض سياسة الانجليز ·

واما حمد الباسل باشا فانه ينتمى الى قبائل عربية له فيها زعامة . وقد عقد الوفد فى منزله اجتماعات عامة حضرها كثير من الناس والقيت فيها خطب نشرت فى الصحف ·

وفى ٩ مارس ١٩١٩ ارسلنا الى السلطان فؤدا الكتاب الآتى بامضاءاتنا جميعا :

يا صاحب العظمة

يتشرف الموقعون على هذا اعضاء الوفد المصرى برفع ما يلى لمقام عظمتكم السامى :

« قبلتم استقالة الوزيرين رشدى باشا وعدلى باشا فلما فهمنا ان هذا ربما كان الحل الوحيد لمسألة سفر الوفد المكلف بالدفاع عن قضية بلدكم الأسيف • وانه حل لا يسمح لرجل مصرى ذى كرامة ووطنية أن يقبل تأليف الوزارة مادام الوزيران المستقيلان علقا سحب استقالتهما على أمر سفر الوفد • وقد عرضنا لسدتكم العلية متضرعين أن تتعرفوا رأى الأمة قبل البت نهائيا فى هذا الأمر وأن تعيدوا النظر فى الخطة التى اختطها مستشاروكم • وأن تبدوا للأمة آية من آيات ماجبلتم عليه من حبها فتكونوا فى صفها مدافعين عنها لتنال غرضها • تضرعنا بذلك الى مولانا ولبثنا متطلعين بكمال الثقة فى ان ابن اسماعيل الجالس على عرش محمد على الكبير سيرينا من نفحاته ما يحقق الأمل •

غير أنه لم يمض الا يومان حتى استدعتنا السلطة العسكرية فى ٦ مارس وأبلغتنا انها علمت أننا نضع مسألة وجود الحماية موضع البحث • وأننا نلقى العراقيل فى سبيل الحكومة المصرية تحت الحماية بمحاولة منع تشكيل الوزارة • وانذرتنا بالعقاب العسكرى الشديد ان اتينا عملا يرمى الى تعطيل سير الادارة • ثم منعتنا عن مناقشتها فى هذا البلاغ •

لم تصب السلطة فى رأيها فان هذه الحماية باطلة • ولكل انسان الحق المطلق فى أن يضعها تحت البحث والمناقشة القانونية • وأما عدم نجاح الحكومة فى تشكيل الوزارة فانما هو النتيجة الطبيعية للخطة التى أتخذت فى مسألة سفر الوفد • فان كل مصرى ذى كرامة لا يمكنه حقيقة أن يقبل الوزارة فى هذا الظرف من غير ان يستهين بمشيئة أمته ومنفعة بلاده •

لم يقف الأمر عند هذا الانذار بل قبضت السلطة أمس على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا محمد محمود باشا وحمد الباسل باشا واسماعيل صدقى باشا وزجوهم فى قصر النيل ثم سيق بهم الى بورسعيد

فالى حيث لا نعلم وذنبنا فى ذلك اننا نطلب حريتنا السياسية طبقا للمبادىء الشريفة التى اتخذت قاعدة للسياسة العالمية الجديدة والتى قبلتها انجلترا نفسها • وبينا أننا لم نتعد حدود القانون فلم نهيج فى البلاد طائرا ولم نحرك ساكنا بل قبلنا توكيل الشعب ايانا أن نصدع بأمره ونسعى لتحقيق مشيئته عند الذين يقولون أنه لم يبق فى العالم شعب سيد وشعب مسود بل العالم فى الاخاء الانسانى سواء •

على هذه الاعتبارات يصعب علينا يا مولانا ان نفهم مبررا لهذه الخطة القاسية التى جرت عليها السياسة الانجليزية تحت ثوب الاحكام العسكرية ، تلك الاحكام التى لا ندرى ما يســـوغ وجودها الى الآن بعد الهدنة بأربعة أشهر • وبعد أن أمتحنت مصر فى أشد ظروف الحرب حرجا فلم يكن منها الا طاعة للأوامر العســـكرية من غير بحث ، واخلاد الى سكينة لم يوجد مثلها فى بريطانيا نفسها •

اليكم ياصاحب العظمة وأنتم تتبوأون اكبر مقام فى مصر وعليكم اكبر مسئولية فيها نرفع باسم الأمة أمر هذا التصرف القاسى فان شعبكم الآن يحق له أن يعتبر هذه الطريقة بادرة تخيفه على مستقبله • كما يحق له ان يكرر الضراعة لسدتكم العلية ان تقفوا فى صفه مدافعين عن قضيته العادلة •

واننا مع كمال الاحترام نتشرف برفع آيات اخلاصنا الى مقام عظمتكم الكريم » •

اعضاء الوفد المصرى

ثورة ٩ مارس ١٩١٩

اعتقدت السلطة العســـكرية أن القبض على الزعماء الأربعة يكبت الحركة الوطنية • لكن الأمر كان على عكس ما أعتقدوا ، فما كاد نبأ القبض عليهم ينتشر حتى انفجر الاحساس العام ، وقامت مظاهرات صاخبة فيها غير قليل من العنف وحدثت تخريبات وقطع ســـكك الحديد والتليفونات واعتداءات على وسائل النقل من ترام وغيره ، كما وقعت مصادمات بين الجنود الانجليز والشبان المصريين، وانعزلت المديريات تقريبا عنالقاهرة، وترامت الينا الأخبار بان جمهورية تكونت فى مديرية المنيا كما قامت ادارة مستقلة فى قنا ، وبدأت المحاكمات العسكرية ضد بعض الأهالى وبعض الموظفين وحصلت مذبحة كما قيل فى محطتى ديروط ودير مواس بمديرية

اسـيوط حيث اعتدى الأهلون على قطار يقل جنودا من الانجليز وقتل بعضهم • وبالجملة فقد اضطربت الأحوال فى مصر اضطرابا شديدا أدى الى انقطاع المواصلات النهرية بعد انقطاع المواصلات البرية •

واتهم الانجليز الوفد بانه سبب هذه الاضطرابات بعد نفى زملائنا الأربعة • ومع ذلك انتخبنا على شعراوى باشا وكيلا للوفد واجتمعنا مرارا ثم حررنا تقريرا فى ٢٩ مارس ١٩١٩ الى اللورد اللنبى الذى حل محل سير ريجنالد ونجت ، والذى كان قائدا عاما للحلفاء فى ميدان الشرق الأدنى ابان الحرب وافتتح فلسطين وغيرها وأصبح فى نظر الانجليز البطل الأول المكلل باكاليل الغار وصاحب النفوذ الكبير فى الدولة البريطانية وهاك نص التقرير :

فخامة المندوب السامى

اجابة لدعوتكم يوم ٢٦ مارس الحاضر يتشرف الموقعون على هذا أعضاء الوفد المصرى أن يقدموا الى فخامتكم هذا التقرير ببيان الأسباب التى أوجبت استياء المصريين • ولو أننا تلقاء تصريحات اللورد كرزون فى مركز خاص بالنسبة لأسباب هذا الاضطراب الواقع فى البلاد حالا الا أن هذا الموقف لا يثنينا عن أقدس واجبات الوطنية والانسانية بان نسـاعد فخامتكم فى الوقوف على أسـباب هذا الاضـطراب ونرجو ان تزيلوها بحكمتكم لتزول مسبباتها •

ان هذا الاضطراب العام الذى لم يكن فى حسـبان أحد من الذين يشتغلون بسياسة مصر ليس مصدره فى نفوس المصريين احساس عداوة للبريطانيين بوجه عام ، كما قد يفهم من العبارة التى عبر بها اللورد كرزون من أننا نريد طرد أكبر مملكة فى الدنيا من بلادنا • بل جميع الأدلة التى تتخذ من سلوك المصريين نحو بريطانيا العظمى منذ احتلالها مصر الى هذا اليوم لا تدل الا على أن الذى فى نفوس المصريين ليس هو العداوة بأى نوع كان • بل هو الاحساس الطبيعى لكل أمة أن تشتغل بشئونها مختلطا بالرجاء فى عطف الشعب البريطانى الكريم أن يسـاعدنا على الاستقلال ، باعتبار أن الفرصـة التى كان ينشـدها اللورد سالسبورى بتصريحه فى ٣ نوفمبر ١٨٨٦ قد حان وقتها • فان من المستحيل أن يرد على خواطر الأمة المصرية ـ التى هى أهدأ الأمم فى سلوكها ـ ان تفكر فى أغضاب بريطانيا العظمى فى حين أنها تتكل عليها فى مساعدتها على نيل استقلالها فأن الساسة البريطانيين فى مصـر لا ينكرون حسـن استعداد

المصريين فى بدء هذه الحرب لأن تعاون مصر بقدر طاقتها بريطانيا العظمى فى الدفاع عن قضية العدل وحرية الشعوب الصــغيرة متى اعترفت لها الامبراطورية باستقلالها ، كما لا ينكرون ان بعض رجال مصر المسئولين قد اظهروا هذا الاستعداد عند دخول تركيا الحرب ٠

ولقد اظهرت الأمة فى سلوكها طول مدة الحرب انها تنتظر من بريطانيا العظمى معاملتها على هذا السلوك المستقيم ٠ وعلى الضحايا الكبرى التى غرمتها بما تستحق من الرعاية فتعترف لها بالاستقلال بعد زوال السيادة التركية عنها ٠

ثم ان الوفد المصرى الذى وكل لهذه الغاية قد جعل فاتحة برنامجه أن يتجه الى الشــعب البريطانى قبل كل شىء لنيل عطفه على مصــر والمصريين ، وليبين للرأى العام هناك ان النقطة التى نلتقى فيها منافع بريطانيا العظمى واستقلال مصر ليست نقطة معدومة ، بل ايجادها فى حيز الامكان ، معتمدا فى ذلك على شــهادة فخامتكم للمصــريين التى اعلنتموها بعد أن أحرزتم الظفر وتوج جهادكم بالنجاح ٠

كل ذلك ينفى بتاتا ان هذه الحركة نتيجة عداوة فى النفوس ــ وان كانت فى الجملة بعض نتائج الياس وخيبة الرجاء ٠

(١)

لما أعلنت الحماية على مصر تساءل المصريون مع الدهشة كيف يمكن أن نكون مع البريطانيين الأحرار أقل حظا بكثير من جهة حريتنا منا مع الأتراك ٠ ولكنهم لم يصدقوا هذا الفهم ، وظنوا ان الحماية ضرورة استدعتها الظروف الحربية فقط ٠ ولا شك أن تأثر الطبقة المتنورة بهذا الشأن كان أكثر جدا من تأثر غيرها الا ان طبقة العمال لم تلبث ان لاقت من تصرف الحكام الاداريين فى أمر التطوع والتكاليف الأخرى من الاهانات ما انحرفت به نفوسهم وتعداهم هذا الانحراف الى الطبقات المرتقية عنهم وظهرت آثاره فى حوادث رسمية وزاد هذا الانحراف بما كان يهدد به الشبان الانجليز المفتشون بعض الأهالى المسئولين من سوء المعاملة متى تم لهم الأمر على مصر ٠ غير ان أنتظار تسوية المسألة المصرية على وجه يتفق مع مطامع المصريين فى الحرية كان ملطفا لتلك الحال ٠ وكان رجاء الناس يزداد يوما فيوما بمقدار ما يقرأونه فى الصحف من خطب رجال

السياسة فى بريطانيا العظمى وفى الولايات المتحدة وبما يطالعونه بشغف عظيم من الخطب التى كان يلقيها الدكتور ولسن فى حرية الشعوب وان لا يكون بعد الآن شعب سيد وشعب مسـود بل كلهم فى الاخاء الانسانى ســواء ٠

غير ان هذا الرجاء كان يكدر صفوه الوقت بعد الوقت فى الأوساط المتعلمة بما كان ينشر وما كان يقال عن حركة التشريع الجديد أى حركة أعمال لجنة الامتيازات فان هذه الحركة لم ترض البلاد سواء فى ذلك المصريون والأجانب ٠ ولكن الحكومة لم تأبه لهذا الامتعاض ولا شك فى أن من يرقب مجريات الحال فى مصر عن قرب لا يستطيع أن ينكر أن هذه الحركة قد أزعجت المصريين على مستقبلهم لما رأوا فيها أن كل مصلحة فى مصر ترعى الا مصلحة أهل البلاد ولم يكن بعيدا عليهم ان يعتقدوا أن رجاءهم الذى علقوه بعطف بريطانيا العظمى أوشك أن يخيب ٠

ثم قفى هذا التشريع بمشروع قانون نظامى روحه متسقة مع روح التشريع الذى وضع لتوحيد السلطات القضائية وليس فيه رائحة لاعتبار المصريين شيئا آخر الا كمية عاطلة ليس لهم فى ادارة بلادهم نصيب ٠ فخيم الحزن على نفوس المصـــريين ولكنهم اعتقدوا ان ذلك من عمـــل حزب الاستعمار وان الشعب البريطانى الحر لا يرضى بهذا التصرف ٠ ومازالوا يعلقون آمالهم بالرأى البريطانى العام وبمؤتمر السلام الذى وضـــعت قواعده بفضـــل الأمم الحرة الأربع البريطانية والأمريكية والفرنســـية والايطالية على أسس من الحرية والحق والعدل ٠

لما نشرت هذه القواعد تألف الوفد المصرى وليس أعضـــاؤه من غير المسئولين ولا غير المعبرين عن الرأى العام كما يقال ٠ بل انه فضلا على ما لرئيسه وبعض رجاله من صفة النيابة عن الأمة قد وكله أكثر من ثلاثة أرباع نواب الجمعية التشريعية غير الوزراء ٠ كما وكله أعضاء الهيئات النيابية الأخرى (مجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية) وكثير من الأفراد أولى الرأى والنفوذ فى البلاد ٠

طلب الوفد الترخيص له بالسفر الى انجلترا وفرنسا فلم يرخص له بذلك فلما طال به الانتظار رفع شكواه الى المندوب السامى وقتئذ ثم الى رئيس الوزارة البريطانية وصار يطرق كل باب ليتمكن من السفر ٠ وفى هذه الاثناء استقالت وزارة رشدى باشا لمنع عضوين منها من السفر فى الوقت الذى أراداه ٠ ولم يكن لمنع المصريين من السفر الوزراء وغيرهم

الا النتيجة الطبيعية لذلك وهى الظن العام بان السياسة البريطانية لا تريد ان تحقق رجاء المصريين فى مساعدتها اياهم • وكاد هذا الظن يصل الى درجة الاعتقاد لولا أن ســـير ريجنالد ونجت لما رأى ان الوزارة علقت سحب استقالتها على اباحة السفر للمصريين وعد الوزيرين بأنه سيترافع فى ذلك امام الحكومة البريطانية بنفسه وانه شديد الأمل فى الحصول على رفع الحجر الى حد أن وصلت المناقشة بينهم فى تسهيل اسباب السفر • وعلم الناس ان الوفد يستعد للسفر فعلا ولو تم ذلك لكان قد ذهب بجزع المصريين من عدم تمكنهم من عرض مطالبهم وتنفس عنهم بعض ما يجدون من مضيض الانتظار • على أنهم كانوا يقرأون مع الدهشة أخبار الوفود ، وفد الحجاز ، ووفد الشـــام ، ووفد ارمينيا ، ووفد لبنان •• الخ •• وتلك شعوب فضلا على انها كانت بالأمس ولايات لا اســـتقلال لها فان أكثرها كان فى حالة حرب ضد الحلفاء • فى حين أن مصر ، وهى أرقى منها مدنية وأكثر ثروة ، وكان لها استقلال ذاتى مضمون بمعاهدة دولية ، وكانت مساعدة فى فتح تلك البلاد ، لا يكون لها وفد ، ولا يسمح لأهلها بالسفر ليعرضوا قضيتهم على المؤتمر ولا على الرأى العام البريطانى نفسه لايشك أحد فى أن هذه المعاملة من شأنها ان تزرع الاستياء فى النفوس• فلما صرح هنا بعدم التصريح لأحد بالسفر وقبلت استقالة الوزارة تلك الاستقالة التى قالت عنهـا جريدة المورننج بوست فى عددها الصادر فى ٢٦ يناير ١٩١٩ انها بعبارتها تجعل من الصعب جدا أن مصريا آخر يأخذ محل الرئيس بدون أن يستهدف لغضب الشـــعب ، اضطربت الخواطر وشملت الأنفس عوامل اليأس من تحسن الحال • فرفعنا عريضة الى عظمة السلطان أن يتوسط فى الأمر لكى يفرج خناق اليأس عن النفوس • وبدأت الوفود من انحاء البلاد تفد على السراى لهذه الغاية ولم تستطع السلطات العليا أن تحمل أحدا من الذين يستطيعون القيام بأعباء المركز الصعب الذى وجدت فيه البلاد بفضل سياسة الشدة على ان يقبل تاليف الوزارة فاستدعتنا السلطة العسكرية وانذرتنا أننا نعوق سير الحكومة بما نحاول من منع تاليف الوزارة ولم يمض يومان من هذا الانذار حتى قبض على رئيسنا سعد زغلول باشا وزملائنا اسماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا ونفوا الى مالطة •

(٢)

وقع ذلك والبلاد مقتنعة بأننا لم نأت شيئا غير مشروع لا أمام القانون العام ولا أمام ما رسمته السلطة العسكرية من الحدود فلم يكد خبر القبض على زملائنا يعلم حتى رأينا لفيفا من الشبان الطلبة فى المدارس العالية قد

حضر يقول لنا انهم لابد لهم من ان يقوموا بمظاهرات فنصحنا لهم نصحا طويلا ان يكفوا عن ذلك وان يعكفوا على دروسهم ملازمين الهدوء والسكينة .. ولكن يظهر أن شبابهم الغض لم يحتمل صدمة اليأس الذى استحوذ عليهم من جراء سياسة الاحراج . فلم يتدبروا النصيحة . أو لم يستطيعوا اقناع اخوانهم بها . وقامت فى اليوم التالى للقبض على زملائنا مظاهرات الطلبة السلمية فقبض على ثلاثمائة منهم وفى اليوم الذى تلاه ، أى يوم ١٠ مارس، اشتركمعهم طلبة الأزهر فانتهزالغوغاء فرصة هذه المظاهرةفاعتدوا على قطار الترام وكسروا زجاج بعض الحوانيت . وفى يوم ١١ منه تظاهر الطلبة مظاهرة سلمية فاطلق عليهم الرصاص فقتل منهم . وفى يوم ١٢ منه استأنفوا مظاهراتهم السلمية فاطلق عليهم رصاص البنادق والمدافع الرشاشة فقتل منهم أيضا . ويومئذ قامت بطنطا مظاهرة سلمية قوبلت برصاص المدافع الرشاشة فكثر القتل والجرح فى المتظاهرين . وفى يومى ١٣ و ١٤ منه حصلت فى القاهرة مظاهرة من هذا القبيل فقوبلت بالرصاص أيضا . ولاشك فى ان اطلاق الجنود البريطانيين الرصـــاص على الطلبة العزل فى هذه المظاهرات السلمية على هذا النحو ، وفى مثل هذا الظرف من شأنه أن يحدث فى البلاد أثرا سيئا لابد أن يكون هو النقطة الأخيرة التى فاض بها كأس الصبر فى نفوس أهل البلاد . لأنه فى يوم ١٥ ابتدأت تأتى أخبار الاعتداء على طرق المواصـــلات ووقوع البلاد طرا فى هذا الاضطراب الشديد . ذلك ولم يقف الاستياء من هذه المعاملة القاســية لأمة غير محاربة عند حد الرجال . فان السيدات المخدرات لم يطقن أيضا احتمال هذه الصدمة ، ولم يقف حجابهن الكثيف فى طريق اظهار عواطفهن بل قمن نحو الثلاثمائة من عقائل أعلى البيوتات فى القاهرة بمظاهرة نشرت الجرائد صبح يومها أى يوم ٢٠ مارس أنها مصرح بها . فلما نزلن من عرباتهن وقطعن مسافة من طريقهن حتى وصلن الى بيت سعد زغلول أحدق بهن الجنود البريطانيون مصوبين أفواه البنادق وسنان الســنج نحوهن فوقفن فى الشمس محصورات بقوة السلاح نحو الساعتين ، لا يسمح لهن بالسير ولا بركوب عرباتهن والانصراف الى منازلهن ثم سمح لهن أخيرا بعد أن رآهن على تلك الحـــال رجال الوكالتين الســياسيتين الأمريكية والايطالية . وكان هذا أيضا مظهرا من مظاهر سياسة الاحراج . تلك السياسة التى يجب عدلا وانصافا أن تكون هى المسئولة عن النتائج التى نجمت عنها .

غير أن السلطة العسكرية مع ذلك قد استدعتنا مرة أخرى يوم ١٦ الجارى وأعلنت الينا اننا مسئولون عن هذا الاضطراب واننا مسئولون

عن ازالته • ولكنها سمحت لنا هذه الدفعة ان نناقش فى أمر المسئولية فاجبناها بأن هذا الاضطراب ليس نتيجة متوقعة ولا غير متوقعة لعملنا ولا يسوغه برنامجنا بحال من الأحوال • بل نحن ناسف له • واما تسكين هذا الاضطراب فليس فى يدنا وسيلة فاعلة فيه ونصحنا بأن أنجح الوسائل فى تهدئة الخـــواطر بالطرق الســـلمية انما هو تأليف وزارة تعطى من الترضيات مايرضى الشعب حتى تستطيع أن تقوم بأعباء الظرف الحاضر • وكان هذا رأى عظماء البلاد من علماء وبطريرك الأقباط الأرثونكس ووزراء ونواب واعيان صرحوا به فى كتابهم المؤرخ ٢٤ مارس الذى ارسلوه الى القائد العام – وفى اليوم التالى وهو يوم ١٧ مارس قابلنا الوزراء الثلاثة – رشـدى باشـا وعدلى باشـا وثروت باشـا ، وافهمناهم بأن يظهروا استعدادهم للمفاوضة فى تأليف وزارة تستطيع أن تقضى على هذه الحركة المخيفة والتى تخشى عواقبها المجهولة ، فاظهروا هذا الاستعداد لرجال دار الحماية ولكن الأمر لم يتم • والاضطراب يأخذ نسبا وأشكال ليس الحكم على نتائجها فى نفوس الناس بالشىء الميسور •

(٣)

والواقع الذى نؤكده لفخامتكم بالصـــراحة التامة هو أن استياء المصريين مسبب عن عدم مساواتهم بالأمم الصـــغرى التى لا تفضلهم فى المدنية بمنعهم عن بسط آمالهم أمام مؤتمر السلام • وكل المصريين من أكبر رجل الى أصغر رجل فيهم هم فى هذا الاستياء سواء • دفعهم اليأس الى اظهار ما فى نفوسهم كل يترجمه على شاكلته • فالرجال المسئولون من رسميين وغير رسميين قد ترجموه بالاحتجاجات المختلفة وبالامتناع عن العمل كالمحامين ، والشبان بالمظاهرات السلمية ، واما سكان الأقاليم فاعربوا عنه بعضهم بالمظاهرات الســلمية وبعضــهم بالاعتداءات المختلفة التى بعضها موجب للأسف •

تلك هى حقيقة الوضع الذى فيه بلادنا الآن بسطناها الى فخامتكم بالاختصار وبالحق • نرجو أن تأمروا بتحقيقها • والرجاء معقود بعدلكم ان تزيلوا هذا الاستياء بالقضاء على أسبابه فان الأخذ بناصر أمة باسرها أقدس واجب على عظماء الرجال •

وتفضلوا بقبول احترامنا الفائق

تحرر فى ٢٩ مارس ١٩١٩

وكيل وأعضاء الوفد المصرى

امضاءات

وفى ٣١ مارس ١٩١٩ طلب المندوب السامى وكيل وأعضاء الوفد وناقشهم فى التقرير المقدم منهم اليه ·

حملة الانجليز وصحافتهم على مصر

توالت الأحداث من مظاهرات واحتجاجات واتهامات خطيرة وقبض وسجن ، وكانت أياما حالكة يلقى فيها القبض على الأبرياء والمتظاهرين وعلى كل من تحوم حولهم شكوك · واشتدت حملات الصحف البريطانية على مصر تتهمها باتهامات باطلة وألقى اللورد كيرزون خطابا فى مجلس العموم البريطانى ضـــد مصر ، فلم يســع الوفد الا أن يرد على هذه المفتريات بخطابات الى معتمدى الدول فى مصر باللغة الفرنسية وترجمتها كالآتى :

جناب المعتمد السياسى

لانزال نحن أعضاء الوفد المصرى فى حاجة الى زيادة البيان فيما يتعلق باغراضنا القومية ووسائلنا اليها تلقاء ما نجده من التحريف سواء فى بعض تصريحات رجال السياسة البريطانية أو فى الصحف ذات التأثير العظيم فى الرأى العام · واذا كانت الاحكام العرفية التى نحن تحت سلطانها الآن تجعلنا عاجزين عن اسماع الرأى العام فى الأمم الأوروبية صوت أمتنا على حقيقته ، فلابد لنا من أن نسمعه حكومات الأمم المتمدنة حتى لا يعلق باذهان رجالها ما تشوه به الحركة المصرية خطأ أو عمدا مما يذاع عنها فى الصحف الكبرى فقد وصفت احيانا فى خطب بعض كبار الساسة وأحيانا فى بعض الصحف الكبرى بصفات تذهب بجمالها فى أعين الأوساط الأوروبية العليا التى لا تسمع الا صوتا واحدا بفضل الرقابة الشديدة على ألسن المصريين وأقلامهم تسمع عبارات تدل على أن المصريين غير متحدين فى غرضهم بحجة أن من يطلبون استقلال مصر ليسوا الا عصبة رجال غير مسئولين ولا معبرين عن الرأى العام · وان الموظفين وهم بالضرورة من خيرة أبناء مصر لا يدل سلوكهم الا على الرضا بالحالة الحاضرة وان المظاهرات الأخيرة مظاهرات سلب ونهب أكثر منها مظاهرات سياسية · ومن قائل ان الاضطرابات قد وقعت فى الأوساط التى يغلب فيها التعصب ضد الأجانب · ومن قائل ان الفلاحين بمعزل تام عن هذه الحركة الى غير ذلك من التهم الموجهة ضد غرض المصريين ووسائلهم التى يعتمدون عليها لبلوغ ذلك الغرض ·

اما غرض المصريين فليس شيئا سوى الاستقلال التام غرض طاهر شريف لا يشوبه تعصب دينى ولا بغض للأجانب بأى وجه من الوجوه · بل هم يعتمدون على حرية الجاليات الأجنبية وصراحتها فى اقامة الدليل على حسن سلوكهم فى حركتهم الوطنية السلمية التى قامت بها الأمة منذ عقد الهدنة · فيبعد والحال هذه ان يشوهوا غرضهم الشريف بمظاهر التعصب التى هى منافية للمبادىء الديمقراطية التى اتخذوها وسيلتهم الوحيدة فى بلوغ غرضهم · على اننا لا نجاوز الحق اذا اكدنا أن مصدر هذه الحركة ليس فيه شيء من العداوة للبريطانيين أنفسهم ، وانما مصدرها مجرد الاحساس الطبيعى لكل أمة فى الاستقلال تلك حقيقة ابناها فى التقرير الذى قدم منا يوم ٣٠ مارس الماضى الى فخامة المندوب السـامى البريطانى الجنرال اللنبى والذى نرفق منه صورة بهذه المذكرة ومنه يتبين كل منصف أنه لا يخالط حركتهم شيء من دلالات العداوة أو الحقد على اية طائفة من الطوائف أيا كان معتقدها أو جنسها ، ذلك الغرض الذى وكلتنا الأمة بالسعى فيه ، فضلا على أنه مشروع أمام القانون الطبيعى ، مأمور به بقانون الأخلاق ، مؤيد بمبادىء الدكتور ولسن التى اقرته عليها جميع أمم العالم ، فانه مجمع عليه من جميع طبقات الأمة المصرية بلا استثناء ·

بهذا الغرض الشريف ظهر الاخاء التام بين العنصـرين المؤلفين للشعب المصـرى المسلمين والأقباط فى أحلى مظاهرة فالقسس الأقباط يزورون بدافع الوطنية مسجد الجامع الأزهر ويخطبون فيه بين العلماء والطلبة خطب الحض على الاخاء والتعلق بالحرية والاستقلال · والمسلمون يخطبون فى الكنائس والمسيحيون فى المساجد الى حد لا نعرف له من قبل فى تاريخ الشرق مثيلا · نؤكد ذلك كما نؤكد ان المسلمين لم يسبقوا اخوانهم الأقباط بخطوة واحدة فى السعى الى الاستقلال · وأن تاليف الوفد المصرى الذى كان أول دلالة على رأى الأمة فى تعيين مصيرها قد كان من العنصرين ثم وكل من العنصرين جميعا · فلما تطورت الحال بفضل سياسة الشـدة على ما يرى بهذا التقرير المرفق بهذه المذكرة ·

وانتقلت من دور السعى فى السفر بالطلبات الكتابية والالتماس الى دور الاحتجاجات كانت هذه الاحتجاجات من المسلمين والأقباط جميعا · فلما انتقلت بفضل تلك السياسة ايضا الى دور مظاهرات الشبان لم يتخلف الأقباط عنها · بل قتل من هؤلاء وهؤلاء وحسبنا أن نحيل كل من يريد تحقيق هذا القول على الحوادث المادية ليعلم ان الاستقلال بغية العنصرين على السواء ·

اما من حيث اجماع طبقات العنصرين على الاستقلال ، فذلك أمر لا يحتاج الى دليل بعد أن علقت الوزارة سحب استقالتها على سفر طلاب الاستقلال وصرح الوزراء بأنهم يطلبون الاستقلال · كما صرح قضــاة الاستئناف والمحاكم الأهلية والنيابات وموظفو الوزارات المصرية كبيرهم وصغيرهم بانهم يطلبون الاستقلال ، واضربوا عن العمل جميعا اظهارا لأن غرضــهم الاســتقلال وبعد أن قامت هيئة المحامين وهيئة الاطباء والمهندسين والتجار بكل ما يستطيعون لاثبات غرضهم فى الاستقلال · وبعد أن وكل أعضاء الجمعية التشريعية وأعضــاء الهيئات النيابية والأفراد المسئولون فى المدن والقرى الوفد فى طلب الاستقلال · وبعد المظاهرات السلمية وهتاف شبان الأمة فى كل مكان بالاستقلال وبعد أن اظهرت طبقات العمال فى العاصمة والفلاحين فى الأرياف ما أظهروه من الاستياء والجزع من أن تبعد البلاد عن الاستقلال فمن هو اذن ذلك المصرى الذى اظهر انه غير راض بالاستقلال بل الذى لم يبد منه ما يدل على التشبث بالاستقلال ·

ذلك غرض المصريين ، فأما وسائلهم اليه فليســت الا الاستمساك بمبادىء الحرية والحق والعدل التى تبوأت مكان حق الأقوى فى ميدان السياسة العالمية ·

غير أن تطور هذه الوسائل المشروعة السلمية الى غيرها لم يكن الا النتيجة الطبيعية لما قوبلت به هذه الوسائل المشروعة من العنف وعدم المبالاة باحساس شعب بقى أربع سنين يغرم فى قضية الحلفاء غرامات ما كان يظن أحد أن تكون المكافأة الوحيدة عليها هى الاكراه بالقوة للرضوخ لحكم الأجنبى ·

ومهما يكن من الشدة التى تستعمل للقضاء على فكرة الاســتقلال لدى المصريين فانه لن يستطاع ارضاؤهم بما دون الاستقلال ·

وهنا يجب علينا أن نلاحظ أن وسائلنا أيضا لم تسلم من سوء الفهم فانه يؤخذ من تصريحات اللورد كيرزون انه قد ظن فى انجلترا أن الوفد المصرى انما يريد الذهاب الى انجلترا فقط · والواقع أن الوفد انما أراد السفر الى انجلترا قبل عقد مؤتمر السلام · فأما وقد عقد مؤتمر السلام فليس للوفد حاجة فى السفر الى انجلترا بل يريد الآن السفر الى باريس فقط ليقدم مطالب أمته أسوة بالأمم الأخرى الى مؤتمر السلام ·

تلقاء ذلك نشهد جنابكم على أن طلب الاستقلال لم يكن خاصــا بعنصر دون آخر ، ولا بطبقة دون أخرى ، بل كل المصريين فى أمره سواء ·

كما نشهدكم على أن وسائلهم لم تكن لتخرج عن الحدود السلمية المشروعة وان تعدى حدود المظاهرات السلمية فى الاقاليم مسبب على سياسة الاحراج التى ابنا مظاهرها فى التقرير المرفق بهذا ·

كما نشهدكم على أن هذه الحركة لم تتعد حدود الغرض منها الى أى عبث ما بحقوق الأجانب أو حدود حسن العشرة التى اعتادوا أن يجدوها فى بلادنا · ولاشك عندنا فى انكم تشاركوننا فى الاقتناع بهذه الحقائق التى لابد أن تكونوا علمتموها كما علمناها من الحـوادث المادية ولذلك يحق لنا أن ننتظر عطف حكومتكم على أمة ما فعلت أكثر من أن تسأل العالم أن يسمح لها هى أيضا بأن تعيش بعد ان صارت لا تستطيع ان تعيش الا بالحرية ·

وتفضلوا بقبل فائق احترامنا ،

وكيل الوفد المصرى

على شعراوى

استعمل الانجليز شتى أساليب الارهاب لكتم أنفاس الناس وقبضوا على كثير من الوجهاء والمحامين وأعيان البلاد ، منهم بعض أعيان أسيوط ومنهم أخى أحمد على علوبة المحامى ، زجوا به فى السجن أربعين يوما ، والمرحوم محمود بسيونى المحامى رفعت عليه دعوى بطلب اعدامه وظل سجينا الى أن ظهر كذب الادعاء ، ومحمد محفوظ باشا من كبار أعيان أسيوط سجن وأهين فى السجن اهانات شديدة · وفى العاصمة كان جنود الجيش البريطانى وخاصة الاستراليون يطاردون الناس فى الشوارع حتى أن أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية ووزير المالية السابق لم يسلم من مطاردتهم فقد كان يمشى هادئا بحكم وقار سنه ومكانته واذا بأحد الجنود الانجليز ينتزع طربوشه من فوق رأسه ، ووقع مثل هذا العسـف لكثير من الكبراء والعظماء · وكان الشــعب يزداد هياجا كلما ازداد المحتلون تعسفا ويزداد تفانيا فى المطالبة باستقلاله كلما ازدادوا به بطشا ، وانى أنقل هنا حادثة وقعت فى بنى سويف تدل على أن ابناء مصر العزل كانوا يجودون بأرواحهم فى سبيل بلادهم · فقد ذكر لى المرحوم راغب بدر (باشا) أيام رياسته لمحكمة جناياتبنى سويف اثر عودته منها أنهفى منتهى الدهشة لما رآه هناك · وروى لى أن مظاهرةكبرى قامت هناك، وأطل هو من دار المحكمة ليرى مايجرى بين جنود الجيش البريطانى والمتظـاهرين العزل ، فرأى بعينيه صبيا يعتلى مدفعا من مدافع الانجليز ويهتف بحياة

مصر غير مبال بالخطر ، وقد اصابته رصاصة من جندى انجليزى أودت بحياته ·

الافراج عن المنفيين والسماح للوفد بالسفر

بلغ الهياج والاضطراب الذروة · فاضطرت سلطة الاحتلال الى الافراج عن المعتقلين فى مالطة فى يوم ٧ ابريل ١٩١٩ ، والسماح لأعضاء الوفد بالسفر الى أوروبا واستصحاب زملائهم المعتقلين فى مالطة ·

وتنفيذا لهذا التصريح اسرعنا فى تجهيز امتعتنا وسافرنا من محطة القاهرة الى بورسعيد وكانت المظاهرات فوق الوصف فى جميع المحطات · ثم ركبنا الباخرة « كاليدونيا » وهى من بواخر السلطة العسكرية المخصصة لنقل الجنود والضباط · وأبحرت بنا فى ١١ ابريل ١٩١٩ وسط الهتافات والمظاهرات الشعبية الى مالطة حيث التقينا بسعد وزملائه وواصلنا السفر جميعا الى مرسيليا فبلغناها فى ١٩ ابريل ١٩١٩ ·

ومما يجدر ذكره أن الباخرة كان بها ضباط وجنود من البريطانيين وعمال وخدم من الهنود مسلمين وغير مسلمين ، وبينما كنا نتسامر فوق ظهر الباخرة اتانى هندى وهمس فى أذنى ان نحترس فى أحاديثنا لأن فى الباخرة بريطانيين يفهمون اللغة العربية وربما يكون بعضهم مكلفا باستراق السمع فشكرته ، وبلغت زملائى ليكونوا على حذر ·

القسم الثالث

القسم الثالث[٢٣]

مفاجاة

وصلنا الى مرسيليا يوم ١٩ ابريل ١٩١٩ ، ووجهتنا باريس لعرض قضيتنا على مؤتمرالصلح وابراز أدلتنا وحقنا فى الاستقلالبعد ان انفصلت مصر عن تركيا ، وشاركت فى الحرب مشاركة فعالة اعترف بها الانجليز انفسهم كما اعلن اللورد اللنبى قائد القوت البريطانية انه كان لمصر اثر فعال فى احراز النصر للحلفاء ٠

كان يحدونا الأمل لأسباب كثيرة :

منها : ان الحماية كانت ـ باعتراف انجلترا ـ ضرورة حربية ، ولم تكن نتيجة معاهدة بيننا وبين الانجليز وبذا كانت ضرورة وقتية لابد ان تزول بزوال الحرب ٠

ومنها : اعلان المبادىء الأربعة عشر التى وضعها الدكتور ولسن وقبلها المتحاربون وكان لها فى النصر اثر كبير ٠

---

(٢٣) هكذا وردت فى الأصل ، ولعل المقصود به القسم الثانى ، وان كاتب هذه الذكريات وقع فى خطأ عند الكتابة ٠ وهناك احتمال آخر وهو أن هذا القسم بالفعل القسم الثالث ، وان علوية باشا لم يتنبه الى تحديد القسم الثانى عند قيامه باملاء ذكرياته على الكاتب ٠ وعلى العموم فقد وردت أرقام الصفحات كاملة ومتسلسلة ٠

ولكنا مع الأسف لم تكد أقدامنا تطأ أرض مرسيليا حتى فوجئنا أن رسول السلام الدكتور ولسن قد أعلن رسميا اعترافه بحماية انجلترا على مصر رغم الوعود والعهود التى تمخضت عن الهدنة ومؤتمر السلام ·

صدمنا بهذا الخبر قبل أن نبلغ باريس فتزعزعت ثقتنا بالحلفاء ، ولكنا لم نيأس اعتقادا منا أن السبيل لنيل الحرية هو الكفاح المتواصل ·

كذلك لم نفقد الأمل فقد يجوز أن نرى بصيصا من نجاح فى مؤتمر فرساى ·

وللمرء ان يتساءل لم أفرجت انجلترا عن المعتقلين الأربعة وصرحت لهم ولباقى أعضاء الوفد بالسفر الى مؤتمر السلام بعد ان عارضت مرارا بلســـان معتمدها الســياسى بالقاهرة تارة وعلى صفحات جرائدها تارة أخرى ويظهر أن انجلترا حين وثقت من أمريكا وظفرت من الدكتور ولسن بموافقته على اقرار حمايتها على مصر لم تر بأسا من ارضاء الأمة المصرية بالتصريح لأعضاء الوفد بالسفر اذ لا حرج من وجود الوفد فى مؤتمر السلام بعد أن اطمأنت الى قرار الحماية ولا يخفى أن أمريكا كانت زعيمة الأمم فى مؤتمر فرساى ·

تمـــويل الوفـــــد

فوجئنا ونحن فى مصر كما قلت بالتصريح لنا بالسفر وكان علينا أن نسرع خيفة ضياع الفرصة فأعددنا حقائبنا وتركنا أعمالنا وكنا فى حاجة الى مال يسعفنا الى أن تصلنا مساعدات من الأمة ، فدفع المرحوم على شعراوى وكيل الوفد من جيبه ثلاثة آلاف من الجنيهات هبة منه للوفد ، وأخذت أنا من المرحوم السيد عبد الرحيم الدمرداش ألف جنيه مصرى سلمتها لعلى شعراوى بصفته أمين الصندوق · ثم اقرض كل منا مائة جنيه لأمانة الصندوق ترد اليه عند قدرة الوفد على الدفع · وقد رد الينا فى أوروبا ما دفعناه فى مصر واحتجنا اليه فى فرنسا ولم ترد طبعا الى على شعراوى الآلاف الثلاثة التى تبرع بها للوفد · وقبل سفرنا ذهب على شعراوى الى أحد المصارف التى يتعامل معها واستبدل بما عنده من النقود نقودا فرنسية بسعر الجنيه ٢٧٫٥ فرنكا على ما أذكر ، وبهذا المبلغ المتواضع سافرنا معتمدين على أن تمدنا بالمال لجنة الوفد العامة فى القاهرة التى أنشأناها لتحل محل الوفد وتكون الصلة بينه وبين الشعب ·

تكوين لجنـــة الوفد العـــامة

تكونت اللجنة العامة للوفد من كبراء القوم ووجهائهم · وانتخب المرحوم محمود باشا سليمان ـ اكبر وجيه فى الوجه القبلى ووالد المرحوم محمد محمود باشا ـ رئيسا لها · كما انتخب المرحوم ابراهيم سعيد باشا وكيلا لها ، وكان من اعضائها المغفور لهم فتح الله بركات باشا وعبدالرحمن فهمى بك ومرقص حنا بك وكثير غيرهم من أعضاء الجمعية التشـــريعية والوجهاء وأعضاء الهيئات الحرة كالمحامين والمهندسين والاطباء والتجار والمزارعين ·

وهذه اللجنة العامة انشأت لجانا فرعية فى المحافظات وعواصـــم المديريات والمراكز وفى القرى وبذلك أصبحت فكرة الاستقلال ـ التى ينادى بها الوفد ـ متغلغلة فى نفوس أفراد الشعب المصرى كافة · وكانت اللجنة العامة تعقد جلساتها فى منزل رئيسها ·

اعمال الوفد فى أوروبا

اقمنا فى باريس من ابريل ١٩١٩ ، وكان علينا أن ننظم أعمالنا ، فاتخذنا هناك مقرا للوفد وجعلنا نتصل بالصحف وننشر فيها ما يمكننا نشره ، ونوالى الكتابة الى رؤساء الدول الممثلة فى مؤتمر السلام ، ونتصل بالمصريين المقيمين هناك من طلاب الجامعات وغيرهم لنتعرف أحوالهم ، كما كنا نوالى دعوة كبار الفرنسيين من وزراء سابقين ومحررى الصحف وأساتذة لنبث فيهم الدعاية لمصر ، وكنا دائما على اتصال بلجنة الوفد العامة لنتعرف أحوال البلد ونقف على حالة الشعب المعنوية · وقد لقينا هناك كثيرا من الصعاب ، فأبواب المؤتمر كانت مغلقة أمامنا ، ولم نجد من كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية ولا من غيره معاونة لنا بعد اعلان أمريكا موافقتها على الحماية بل وصل الأمر الى شىء غير قليل من قلة الذوق من جانب رجال الوفد البريطانى فى باريس ، ذلك أننا ارسلنا تقريرا الى الوفد البريطانى نشرح فيه حقنا فى الاستقلال ورفع الحماية ، وكم دهشنا وألمنا حين وصلنا خطاب من هذا الوفد وفضضنا غلافه فوجدنا فيه خطاب وفدنا ممزقا وبدون أية اشارة معه مما يشـــعر بقلة الذوق وبعنجهية المنتصرين ·

كان مؤسسو الوفد السبعة يحضرون جلســـات الوفد ومعهم من انضموا اليهم وهم اسماعيل صدقى ـ حمد الباسل ـ واصف غالى ـ

جورج خياط ـ سينوت حنا ـ محمود ابو النصر ـ حسين واصـــف ـ ويصا واصف ـ دكتور حافظ عفيفي ـ مصطفى النحاس •

وكان لنا سكرتير للغة العربية هو الاستاذ محمد كامل سليم وآخر للغة الفرنسية هو مسيو « دوماني » وبواســـطة الدكتور حافظ عفيفى اتصلنا بالوفد الايرلندى الذى حضر مطالبا باستقلال ايرلندا تحت زعامة ديفاليرا وكنا دائمى الاتصال به لأن قضيته مشابهة لقضيتنا •

وظل الاستاذ مصطفى النحاس يعمل فى سكرتارية الوفد الى ١٩ ديسمبر ١٩١٩ ثم رجع الى مصر ليفتح مكتبا للمحاماة •

من أعمال الوفد فى باريس أن أوفد محمد محمود باشا الى أمريكا لبث الدعاية لمصر ، وهناك اتصل برجل كبير أسمه « فولك » ليقوم بالدعاية لمصر وحقها فى الحرية والاستقلال واتصل مستر فولك باعضاء البرلمان الأمريكى وبالصحافة وعمل ما فى مكنته فى كافة الأوساط • ومكث محمد محمود فى واشنطن مدة غير قصيرة وهناك مرض مرضا شديدا خيف منه على حياته ثم من الله عليه بالشفاء ورجع الينا فى باريس تاركا مســـتر فولك يكافح ويناضل عن قضية مصر بما هو مذكور فى كتب التاريخ •

استمر الوفد فى باريس يتصل بأوساطها ، ويتصل باللجنة المركزية العامة فى القاهرة وكانت المراسلات فى الغالب مع رئيس اللجنة المرحوم محمود سليمان باشا الذى اظهر غيرة يشكر عليها وأجهد نفسه رغم تقدمه فى السن وضعفت صحته وكان نشاطه سببا فى تجديد محل اقامته ، لمنعه من مواصلة الجهاد وأعماله فى اللجنة معروفة لدى الجميع •

وفـــاة محمـــد فـــريد

وفى باريس وصلنا خبر وفاة المجاهد الكبير المرحوم محمد فريد رئيس الحزب الوطنى الذى ضحى بثروته الواسعة وبوقته وصحته فى سبيل وطنه • وافاه الأجل فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ وهو فى منفاه باوروبا بعد أن قضى سبع سنوات بعيدا عن وطنه وكان لموته غريبا مشردا فقيرا وقع أليم فى نفوسنا وخاصة فى نفسى فقد كنت معه فى مجلس ادارة الحزب الوطنى ، وســـافرت معه الى الاستانة ١٩٠٩ لتهنئة الأمة التركية على دستورها ، وكنا صديقين توثقت بيننا أواصر الود ، واشتركنا معا فى العمل للوطن ، وكان أول واجب علينا نحن أعضاء الوفد أن نشارك الأمة فى أحزانها ، وان يكون تكريم المجاهدين الشهداء أول واجب نحرص على

ادائه · ومحمد فريد كان رمز الوطنيـــة ومثـــلا فذا من امثلة البطولة والتضحية · فعرضنا على الوفد أن يسافر بعضنا الى البلد الذى مات فيه ، ونسعى فى ارسال رفاته الى مصر بدعاية واسعة النطاق تشعر باننا نعرف كيف نكرم ابطالنا ونبجل زعماءنا فنلهب بذلك مشاعر الأمة ·

لكن سعدا مع الأسف رفض تكريم فريد ورفض الموافقة على سفر احد منا للقيام بما تقتضيه المروءة والواجب واصر على الرفض بحجة أن اموال الوفد يلزم أن تصرف على القضية المصـرية لا على جنازات الأفراد وحاولنا ان نثنيه عن فكرته فلم نفلح · وقد وافقه بعض الأعضاء من غير المؤسسين ، فخشينا الفرقة وسكتنا على مضض وفقدنا بذلك شرف تكريم فريد ونقل رفاته ونال هذا الشرف رجل كريم من تجار الزقازيق اسمه الحاج خليل عفيفى نقل رفات الزعيم على نفقته الخاصة ، ووصلت رفاته الى القاهرة فى يونية ١٩٢٠ وكانت جنازته موضـــع احتفـــال بالغ فى الاسكندرية والقاهرة ·

حادثة اصطدام قطارين فى ايطاليا

وفى اوائل شهر مارس ١٩٢٠ وصل الينا نبأ حادث اصطدام فى سكة حديد ايطاليا أصيب فيه بعض الطلبة المصريين ومات بعضهم · ومن الغريب ان سعدا كان ممن رأوا سفر احد منا الى ايطاليا لأداء الواجب · وكلفنا عبد اللطيف المكباتى بك بالسفر وزودناه بالمال ، وفى روما استعان بسفير مصـــر وعمل على ارســـال الموتى الى الوطن ، وتضميد جراح المجروحين ، وكان لهذه المعونة أحسن وقع فى نفوس المصريين ·

رجـــوع بعض اعضـــاء الوفد

سئم بعض رجال الوفد من طول الاقامة فى باريس وفكروا فى العودة ورجع فعلا حسين واصف وجورج خياط ويصـــا واصف وغيرهم أما المؤســـسون فلم يفكروا فى الرجوع قبل انهاء مهمتهم رغم تركهم بيوتهم واعمالهم فى مصر · وكان سعد قد أعد نفسه لطول الاقامة فاغلق بيته فى القاهرة وصحبته السيدة حرمه وكذا خادمه · ولم يكن له بمصر ما يضطره للعودة بعد ان باع ضيعته التى كان يملكها بجهة دمنهور واشترى بثمنها اسهما من الدين الموحد يعتمد على ايرادها بجانب معاشه كوزير سابق ، فوق ايجار ضيعة السيدة حرمه بمسجد وصيف ورثتها عن والدها المرحوم مصطفى فهمى باشا ·

وكان موقفنـــا ونحن فى باريس موقف انتظار وترقب مع قيامنا بالدعاية لمصر ٠

وذات يوم دخلت حجرة مجلس ادارة الوفد فوجدت سعدا يخاطب على شعراوى بحدة وسمعته يقول له : ياباشا أنت غنى ولكن الثروة ليست كل شىء ونحن أيضا عندنا بعض الشىء ، وأنت فى الوفد لثروتك ٠ وكان على شعراوى هادئا هدوءا ممزوجا بالألم لا ينطق بكلمة نابية وانما يكرر قوله « وما ضرورة هذا الكلام ياباشا » وقد فهمت من بعض أعضاء الوفد أن سعدا طلب مالا وان على شعراوى تردد وعز على على شعراوى ، وهو من كبار قومه ومن أكبر سراة المصريين ، والمتبرع بثلاثة آلاف من الجنيهات والذى غادر بلده وترك مصـــالحه لغاية وطنية ، والذى كان شجاعا فى كلامه مع ونجت يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، عز عليه أن يسمع من صديقه القديم مثل هذا الكلام فلم يعد الى مقر الوفد بعد ذلك ، وصمم على الرجوع الى مصر ، وقضى بضــــعة أيام فى انتظار الباخرة حزينا مهموما يقيم وحده فى الفندق الذى يسكنه لا يكلم احدا لأنه لا يعرف لغة أجنبية وقد سعينا فى رأب الصدع وغاية ما وصلنا اليه أن اتفقنا مع سعد على اقامة مأدبة لعلى شعراوى ليلة سفره ٠

كان هذا الحادث مثار الم ممض لمن شاهدوه وأخصهم أصدقاء على شعراوى محمد محمود وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد وكنا نأمل ونحن على مائدة الطعام فى حفل توديعه أن يحل الصـــفاء بين المتخاصمين ٠

وتطرق بنا الحديث الى ذكر المرحوم أحمد فتحى زغلول شـــقيق سعد زغلول الذى توفى عند بدء تكوين الوفد ، وكان على جانب عظيم من الثقافة ورقى فى المناصب الى أن كان وكيلا لوزارة الحقانية ، وكان صديقا لبعض الموجودين فأراد محمد محمود أن يثنى عليه بطريقة سياسية فقال : « رحم الله أحمد فتحى زغلول فقد كان رجلا مؤدبا » وفهمنا من هذه الجملة كما فهم سعد أن محمد محمود كان يعرض بسعد وسوء سلوكه مع على شعراوى ٠

بعد ذلك خرجت أنا وسعد من الفندق ، فاظهر لى أله مما قاله محمد محمود تعريضا به ، فحاولت أن أسرى عنه ، ومما قلته له : انك على حق فى أن تغضب وما كان لمحمد محمود أن يقول ذلك ٠

انى اذكر هذه الواقعة لأبين أن الأعضـــاء المؤسسين للوفد كانوا يعتبرون أنفسهم زملاء وأندادا ، وكانوا رجالا يعتزون بكرامتهم ، فلم

يطيقوا ان يمس على شعراوى ، كما لم يطق محمد محمود ان يسكت عنى ما فاه به سعد لعلى شعراوى ٠

وحادث آخر يدل على احتفاظ هؤلاء الرجال بكرامتهم ، ذلك أننا بعد بضعة اشهر عندما قررنا السفر الى لندره فى ١٩٢٠ للمفاوضة سأل حمد الباسل سعدا بحضورنا عما اذا كانت السيدة حرمه ستسافر أيضا الى لندره فأجابه بجواب غير طبيعى ولا منتظر اذ قال له «وما شأنك والسيدة حرمى ، انها سفاهة » وعز ذلك على حمد الباسل فقال له من فوره : « هل أنا سفيه ـ أنت السفيه » ٠ وأخذ سعد ولم يحر جوابا لأنه هو المخطىء ٠

قارن هذا بما حدث أمامى من سعد لأحد المنضمين الى الوفد حين ناقشه سعد فى أمر فأجابه بما لم يقنعه ٠ فقال سعد هذا خطأ ٠ وعندما اكد هذا العضو ان كلامه صحيح جابهه سعد بهاتين الكلمتين القاسيتين « أنت كذاب » ولم يفه هذا العضو بكلمة احتجاج وغداة ذلك قال لى على انفراد أنه لم يرد على سعد بأية كلمةمحافظة على القضية المصرية وعجبت لهذه الحجة التافهة ولم انبس بكلمة ٠

والواقع أن الوفد بعد أن انضم اليه من انضم أصـــبح مكونا من طبقتين ، طبقة المؤسسين ومن فى مستواهم وهم يرون أنفسهم أندادا لسعد وزملاء فى الجهاد ، وطبقة المريدين والمحاسيب الذين يرون أنفسهم فى حاجة الى رضاء الرئيس ليكون لهم فى المستقبل مجد يباهون به ٠ ولهذا كانوا خاضعين لما يراه منفذين لما يأمر به ٠

اختيارى امينا لصـــندوق الوفد

بعد أن تركنا على شعراوى غاضبا لكرامته وسافر أصبحت أمانة الصندوق شاغرة ، فاختارنى الوفد أمينا للصندوق ابتداء من ٢٣ نوفمبر ١٩١٩ ٠

وبقينا نعمل بكافة الوسائل الممكنة ٠ نتصل بالصحف ، وبلجنة الوفد المركزية فى القاهرة وبالوفود المختلفة فى باريس ، فوق ما نقوم به من خطب ودعوات لكثير من ذوى النفوذ كما سعينا فى أن يقابل سعد مسيو كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية ورئيس مؤتمر الصلح وتمت المقابلة وكانت مع الأسف مقابلة جافة موجبة لليأس ؛ وبذلك أصبح الكل ضدنا ، الرئيس

الفرنسى يتنحى عن مساعدتنا ، والدكتور ، ولسن الأمريكى يعترف بالحماية على مصر[٢٤] ، ومكتب البعثة البريطانية يرد الينا المذكرة ممزقة، وهؤلاء هم الذين كانوا يديرون مؤتمر الصلح ويتحكمون فيه ·

بقينا على هذه الحال والصلة مقطوعة بيننا وبين الثلاثة الكبار بينما الحالة فى مصر مضطربة والاعتداءات والمحاكمات مستمرة ، ولولا ما نعرفه عن ثبات الشعب لتسرب اليأس الى نفوسنا ·

لجنة ملنر

وفى لجة هذا الاضطراب ، اعلنت انجلترا تاليف لجنة برياسة اللورد « الفرد ملنر » وزير المستعمرات وعضوية سير « رنل رود » أحد سفراء انجلترا السابقين وكان من قبل سكرتيرا بالوكالة البريطانية فى مصر ، والجنرال سير « جون ماكسويل » القائد الأسبق للقوات البريطانية فى مصر ، والجنرال سير » أوين توماس » العضو بالبرلمان البريطانى ومستر « سبندر » رئيس تحرير جريدة ، وستمنستر جازيت » ، ومستر « هرست » المستشار القضائى بوزارة الخارجية البريطانية وآخرين · فما أن وصل نبأ تعيين هذه اللجنة للذهاب الى مصر لدراسة حالة الأمة المصرية والوقوف على آراء الشعب المصرى ، حتى قامت المظاهرات احتجاجا على تاليف هذه اللجنة وتجاهلها الوفد المصرى المقيم فى باريس وهو الوكيل المتحدث عن رغبات الأمة وقد وصلت اللجنة الى القاهرة فى ٧ ديسمبر ١٩١٩ ، وبدأت عملها مستعينة بالوزارة التى تالفت فى ذلك الحين برياسة يوسف وهبه باشا بعد استقالة حسين رشدى مرتين ، وبعد أن اضطر أيضا محمد سعيد باشا الى الاستقالة بعد فترة قصيرة ، وكان قد طالب بتأجيل حضور هذه اللجنة ·

بدأت لجنة ملنر عملها بالاتصال بكبار المصريين ، فاتصلت بحسين رشدى باشا وعدلى يكن باشا وقد قال رشدى باشا للورد ملنر : انكم لن تصلوا الى أخذ اية معلومات من الأمة المصرية ، وما عليكم الا أن تتصلوا بالوفد المصرى وكيل الأمة الأوحد ، والمتحدث باسمها والمعبر عن رغباتها· اما هنا فى مصر فانكم لن تجدوا قطة تتصل بكم ·

---

(٢٤) لم يرد فى أصل المذكرات كلمة « مصر » وقد قمنا باضافتها كى يستقيم المعنى ، كما اضفنا حرف الواو قبل كلمة البعثة لانها لم ترد كذلك ·

حقا ان أعمال رشدى وعدلى كانت باهرة ، فرشدى هو الذى أوعز بتكوين الوفد وهو الذى استقال مرتين احتجاجا على منع الوفد ومنعه هو كرئيس حكومة من السفر مع زميله عدلى ليشرح مطالب البلاد • ثم هو يقفمن لجنة ملنر هذا الموقف الرائع •

وكان من نتيجة التضامن بين رشدى وعدلى من جهة ، وبين الوفد المصرى من جهة اخرى ، أن لجنة ملنر مكثت نحو ثلاثة اشهر فى مصر ولم تفز من الأمة المصرية بما كانت تبتغيه اذ كانت المقاطعة تامة بين الشعب المصرى وبينها •

بيد أن الشعب تشكك فى اتصال رشدى ورفاقه باللورد ملنر ورفاقه ، وكتبت بعض الصحف المصرية شيئا عن هذا الاتصال فبادرنا بارسال برقية الى المرحوم ابراهيم سعيد باشا وكيل اللجنة المركزية فى القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٢٠ بالاعتراف بخدمات رشدى وعدلى وثروت فى موقفهم واستهجان الحملة عليهم وهاك نص البرقية :

باريس فى ٢٦ يناير ١٩٢٠

ابراهيم سعيد باشا بالقاهرة

سيصلكم خطاب بالموافقة على تقريركم وقد أرسلنا قرارنا تلغرافيا الى اصدقائنا الوزراء الثلاثة الذين بعثوا الينا بصورة أحاديثهم مع اللورد ملنر وقد تبينا ان ما قالوه كان مملوءا حكمة ووطنية خالصة •

سعد زغلول

وفى ١٢ فبراير ١٩٢٠ اجتمع الوفد فى باريس وقرر بالاجماع ان يرسل الى عدلى شروط الوفد فى تحفظاته وطلباته عند المفاوضة • وقرر أمرا هاما بالاجماع ايضا هو تحريم الوزارة على أعضاء الوفد حتى لا يظن فيهم أحد انهم يخدمون أشخاصهم • وارسل سعد برقية فى نفس التاريخ أى فى ١٢ فبراير ١٩٢٠ بمختصر شروط الوفد الى عدلى وطلب اليه أن يؤلف حكومة برلمانية حائزة لثقة الأمة • ومما جاء فى هذه البرقية « •• وصار اذن من اللازم مبدئيا تحضير دستور بتأليف وزارة ثقة تكون غايتها المفاوضة للوصول الى مشروع معاهدة تضمن لمصر استقلالها ، ولانجلترا مصالحها الخاصة • ثم عرض هذا المشروع على الجمعية الوطنية التى يأتى بها هذا الدستور الجديد » وفى نفس التاريخ أرسل سعد الى عدلى خطابا مفصلا هذا نصه :

« صديقى العزيز :

ان الطريقة التى عرضناها فيما كتبناه لكم (فى البرقية) هى فى اعتبارنا أمثل طريقة لحل العقدة الحاضرة · لأنه من الطبيعى ان تجرى المفاوضات مع هيئة رسمية موثوق بها - خصوصاً من الأمة وان من يصدق على ما تنتهى اليه المفاوضات من النواب الذين تختارهم لهذه الغاية - وعلى طريقة تقرب فى ظننا من التى تظهر أن اللورد يدلى بها فى محادثته معكم ، ولا يصعب ان يتضمن بروجرامكم عبارة الاستقلال التى أوضحناها فيما كتبناه لكم ، لأنها لا تربط غيركم ، وهى فوق هذا ضرورية جداً حتى لاتقابلكم الأمة بالنفور الذى تلاقى به كل وزارة لا يكون السعى الى هذه الغاية أول قصدها وأكبر همها · نعم ان فيها مشقة عظيمة لكم ومسئولية كبرى عايكم ولكنها ليســـت فوق همتكم ، وانتم أهــل لتحمــل مثل هذه المسئولية فى خدمة بلادكم · والوفد مستعد لأن يعمل ما فى وسعه لتسهيلها عليكم · ولهذا يرى أن يكون أعضاؤه خارجين عن هيئتكم ، حتى لا يساء الظن فى نزاهتهم ، وتبقى الثقة فيهم · يستعينون بها فى تأييدكم ، وتمهيد الطرق أمامكم ، وبعد ان تتالف الهيئة الجديدة تحت رياســـتكم ويعلن بروجرامها لا يترددون فى العودة ليكونوا قريبا منكم يعملون على تنوير الأفهام ، وصيانة الرأى العام من خطرات الأوهام التى لا يقصد بها ذوو الأغراض الفاسدة من بثها فيه وتسليطها عليه الا ترويجا لمقاصـــدهم الفاسدة وتحصيلا لمطامعهم الباطلة ولا يهمنا فيمن تختارونهم لمعاونتكم الا ان يكونوا محلا لثقتكم وأهلا لأن يتضامنوا معكم فى تحمل تلك المسئولية الكبرى ··· » ·

سعد زغلول

وقد أظهر عدلى تباطؤه فى قبول تأليف وزارة ، فبادر سعد باظهار رغبته فى أن يلجأ الى عدلى ليحضر الينا فى باريس بعد ان غادر ملنر ولجنته الاسكندرية الى لندره فى ١٨ مارس ١٩٢٠ ·

علم سعد ان ملنر قد انتهى من ابحاثه قبل سفره بايام وانه قد تجاهل الوفد ، فبادر بأن عرض علينا هو وبعض الأعضاء أن نرسل الى عدلى نطلب اليه اللحـــاق بنا فى باريس وكان ملنر وزمـــلاؤه قد انتهوا من عملهم - كما علمنا - قبل أوائل مارس ولا اخفى انى سالت اخوانى عن الفائدة من حضور عدلى ، ذلك الرجل الهادىء السكوت الذى لم يكن لى به اتصال وكنت أظن فيه الكبرياء لكن سعداً بادرنى بقوله : ان عدلى رجل عظيم وستسر من حضوره وعمله · وثلكا عدلى بخطاب ارسله الى سعد

فارسل هذا نيابة عنا برقية اخرى فى ٦ مارس ١٩٢٠ الى عدلى رداً على خطابه بما مضمونه اننا سنكون سعداء بحضوره لباريس واننا نرى تاليف وزارة موثوق بها كما نرى عدم اشتراك احد فيها من اعضاء الوفد الحاليين والسابقين واننا مستعدون لتأييدها ·

وبلغ من الحاح سعد على عدلى أن أرسل برقية ثالثة فى ٢٢ مارس ١٩٢٠ بالموافقة على رأيه فى رفض طلبات لجنة ملنر فى القاهرة ودعاه فى هذه البرقية للحضور سريعا الينا وهاك نصها :

عدلى يكن باشا بالقاهرة

نرجوكم تقديم ميعاد وصولكم الى باريس بقدر المستطاع

زغلول

ولعل عدلى كان يعلم من طباع سعد ما حمله على التردد وربما كان يخشى ما قد يضيره · فارسل برقية فى ٢٣ مارس ١٩٢٠ الى سعد يفهم منها شيء من اعتذار ، فبادر سعد وأرســـل اليه برقية رابعة ، (برقية مستعجلة) فى ٣٠ مارس ١٩٢٠ يخبره فيها بوصول برقيته ويطلب اليه أن حضوره باسرع ما يمكن مفيد لتبادل الآراء وهاك نصها :

عدلى يكن بالقاهرة

« نكون سعداء برؤيتكم فى أقرب فرصة »

زغلول

وفى ١٣ ابريل ١٩٢٠ أرسل سعد الى عدلى برقية خامسة يخبره فيها بحجز حجرة له بالفندق ·

وفى ٢٢ ابريل ١٩٢٠ حجزنا عربات لأعضاء الوفد ليقابلوا عدلى يوم حضوره بعد أن وافق اثر الالحاح الشديد · وقد وصل باريس فى ٢٢ ابريل ١٩٢٠ ·

وفى هذا التاريخ كان ملنر ورفاقه فى انجلترا ، وعدلى معنا فى باريس

اتصــــال لجنة ملنر بالوفد

بعد ايام من وصول عدلى ، جاءنا من لندن احد اعضاء لجنة ملنر وهو مستر «هرست» وقابل سعدا فى ١٢ مايو ١٩٢٠ لدعوته للذهاب الى لندره هو ورفاقه للمحادثة مع ملنر · وارجح كثيرا بل اعتقد ان حضور مستر هرست كان لسببين ، احدهما مقاطعة الأمة المصــرية للجنة ملنر

مقاطعة تكاد تكون تامة ، والآخر ما قام به عدلى ورشدى من اقناع لجنة ملنر بضرورة المحادثة أو المفاوضة مع الوفد ممثل الأمة حتى قال رشدى الملنر ورفاقه ما سبق ذكره من انهم لن يجدوا قطة تفاوضهم غير الوفد ·

ثم كرر مستر هرست زيارته لنا فى ١٨ مايو ١٩٢٠ كتب فيها دعوة بحضورنا الى لندن واتفق مع سعد على السفر ·

سفر الوفد للمرة الأولى الى لندن

اجتمعنا وقررنا السفر وهنا قام اشكال · ذلك ان سعدا أصر على الا يذهب الى انجلترا مؤقتا وان يذهب ثلاثة اعضاء مع عدلى وسألناه السببفاجاب أن الثلاثة الأعضاء يذهبون لاستطلاع الحالة ، ولما الححنا عليه لنعرف الدافع الحقيقى لموقفه هذا أجاب بانه ربما يكون الغرض من الدعوة استدراجه الى لندن للقبض عليه هناك · وقلقنا لتمسكه بفكرته لأن عدم سفره يعتبر مفاجأة للجنة ملنر وعدم رعاية لها ، وخاصة اذا كان سبب امتناعه وهو رئيس الوفد أمر غير مفهوم لدى لجنة ملنر · وقلنا وقال عدلى : انه لا يليق بوفد يطالب بحقوق البلاد الا يذهب رئيســه وأعضاؤه للمفاوضة فان هذا يجرح احساس ملنر ورفاقه لكن سعدا أصر على رأيه حتى اضطررنا الى الموافقة · وسافر عدلى الى لندره وصحبه عبد العزيز فهمى ومحمد محمود وعلى ماهر وأرســل ســعد برقيتين مستعجلتين الى المرحوم محمود سليمان باشا رئيس لجنة الوفد المركزية بالقاهرة احداهما فى ٢٠ مايو ١٩٢٠ يخطره بدعوة ملنر للوفد · وثانيتهما فى ٢٢ مايو ١٩٢٠ بسفر ثلاثة من اعضاء الوفد الى لندره · وســافر الأعضاء فعلا فى ٥ يونيه ١٩٢٠ وقابلوا اللورد « ملنر »(٢٥) فسأل عدلى

---

(٢٥) تمت المقابلة الاولى بين الطرفين فى ٧ يونية . وقدم ملنر مشروعا بعقد اتفاق ودى بين انجلترا ومصر تعترف فيه انجلترا باستقلال مصر مع ضمانات لمصالحها ومصالح الأجانب ومن ذلك اقامة حامية عسكرية فى اماكن يقررهـا الخبراء ، وابداء الراى فى التشريع الذى يمس الأجانب الى أن ينزلوا لبريطانيا عن امتيازاتهم التى تعوق استقلال البـلاد ، وقيام حكومة ملكيـة دستورية تنص عليها المـاهدة . وفى ١٧ يوليو اسفرت المفاوضات عن مشروع تسوية قدمه ملنر الى الوفد فرفضـه ، كمـا رفض ملنر مشروع قدمه الوفد . ثم جرت مقابـلات بين عدلى باشا وبين اللورد ملنر انتهت بتقديم مشروع آخر للوفد يقوم على تسع قواعد اسـاسـية ثار خـلاف حولهـا ومنها : مسـألة المستشارين الانجليز فى الحكومة المصرية ، والعلاقات السياسية بين مصر والدول الاجنبية فتقرر تأجيل البحث فيها بضعة اسابيع . (٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ اصدار مؤسسـة الاهرام . ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

طبعا عن سبب تخلف سعد وباقى رفاقه ، وحاول عدلى بلباقة ان يذكر مبررات لذلك بيد ان ملنر ادرك ما كان يخشاه سعد وقال لعدلى : قل لسعد أن يطمئن على حريته فى بلادنا فنحن قوم غير متوحشين ندعوه لزيارتنا ونحبسه ٠

وفى ٣٠ مايو ١٩٢٠ ورد الينا خطاب من الأعضاء الثلاثة بلندره بنتيجة المحادثة بين عدلى وملنر وان هذا الأخير اعترف بأن الوفد يمثل أغلبية الأمة ، وانه بذلك لا يستمع الى أعضائه كشهود ، وان لا تعارض بين استقلال مصر ومصالح بريطانيا ٠

وعلى اثر ذلك قررنا فى الصباح ضرورة سفر الوفد كله للمفاوضة اداء للواجب رغم شعورنا بسوء نية الانجليز وفى اجتماع آخر بعد الظهر انضم الينا سعد بعد أن كان مترددا ٠

وفى ٥ يونيه ١٩٢٠ سافرنا جميعا الى « لندره » ٠

وقبل شرح ما قام به الوفد فى مفاوضاته بلندره مع لجنة ملنر يجب علينا أن نذكر حقائق لابد لنا من ذكرها ذلك اننا مدة اقامتنا فى باريس قبل المفاوضة كان بيننا نحن أعضاء الوفد ورئيسه تضامن وود سائدان٠ ولم يكن هناك ما يعكر صفونا سوى تلهفنا على تحقيق مطالب البلاد ٠ وان كانت بعض هنات وقعت من سعد أو غيره فانها لم تكن ذات أثر فى علاقاتنا الودية وثقة بعضنا ببعض ٠ وكنا نداب على نشر الدعوة هنا وهناك ٠

وبعد أن ذهبت لجنة ملنر الى مصر ولقيت اعراضا من الأمة المصرية بفضل وطنية الشعب ، وما قام به الوفد ولجانه المنبثة فى مصر من توجيه وارشاد ، ثم رجعت اللجنة الى لندره دون أن تعرج على الوفد وتفاوضه باعتباره الهيئة الوحيدة المتحدثة عن مصر طلبنا الى عدلى باشا الحضور — كما ذكر — وكانت النتيجة أن أتى مندوب لجنة ملنر يدعونا للمفاوضة واعتزمنا السفر الى لندره ٠

ولما اغتبطت الأمة المصرية بهذه الرحلة حضر الينا حسين رشدى باشا ونحن على أبواب المفاوضة وأبدى لنا النصح الكريم بانه قد يجوز أن يتفق الوفد على ما يرضى لكنه يرى أن لجنة ملنر ربما تعرض على الوفد دفاعا مشـــتركا فاذا قبلنا شيئا من هذا فيجب أن يكون الدفاع من مصر داخل حدودها بمعنى انه لا يصح لنا أن نقبل دفاعا مشتركا عاما يفضى الى اشتراك الجيش المصرى مع انجلترا فى مشاكلها العديدة ، فتكون النتيجة امكان خورج الجيش المصرى من بلاده والدفاع هنا وهناك

فى بقاع الأرض، ومع العلم بأن لانجلترا ـ وهىامبراطورية مترامية الأطراف ـ مشاكل عديدة فى ممتلكاتها ومستعمراتها فى جميع القارات فلا تلقوا بأيديكم الى التهلكة • وقد كان لهذه النصيحة أثرها وكان رشدى هو أول من لفت الأنظار الى هذا الاحتياط •

المفاوضة الأولى فى لندره

بدء انشـــقاق الوفـــد

ذهبنا جميعا الى لندره • ثم بدأت المفاوضات من شهر يونيه ١٩٢٠ وانى أرجع هنا الى مفكراتى التى سجلتها واحتفظت بها واعرض بعض ما فيها تقريرا للواقع وانصافا للحقيقة فمن ذلك ما يأتى :

سبق أن ذكرنا اننا أرسلنا الى عدلى وهو بالقاهرة برقية وخطابا فى ١٢ فبراير ١٩٢٠ بتأليف وزارة الثقة التى يختارها وان يتفاوض هو ووزراؤه كهيئة رسمية مع لجنة ملنر وان تكون جمعية وطنية تصادق على ما تنتهى اليه المفاوضات على أن يتضمن برنامج عدلى عبارة الإستقلال لأنها لا تربط غيره • وبمعنى آخر أراد الوفد أن تتفاوض وزارة عدلى مع التصريح منها بانها انما تتفاوض للاستقلال دون أن يرتبط الانجليز بهذا التصريح أى أن وزارة الثقة برياسة عدلى ستتفاوض وهى حرة طليقة مع الانجليز •

لكنا عندما ذهبنا الى لندره وكان سعد فى ذلك الوقت معبود أكثرية الأمة وموضع ثقتها وكان مركزه فى البلاد أعظم من مركز يوليوس قيصر كما قيل له • قد خفيت اسماء شركائه وزملائه فى الجهاد وكانت المناداة فى مصر فى المظاهرات وغيرها بحياة سعد ومن معه دون ذكر لأسماء هؤلاء الزملاء حتى أصبح اسم سعد رمزا لامانى البلاد وأصبح زملاؤه جنودا مجهولين •

دخل الوفد فى المفاوضة وسعد على ما ترى وزملاؤه على ما علمت وابتدأ معنا عدلى يعمل وكانت النتيجة بعد اخذ ورد أن بدأ ملنر بتقديم مشروعه الأول ومن كلامه لنا أنه قال ان المحادثات اذا انتهت فانها ستكون مرحلة لمفاوضات رســمية تشترك فيها الحكومتان المصــرية والبريطانية واخبرناه اننا لا نقبل مذكرته كأساس للمفاوضة لأنها تتنافى مع توكيلنا •

ومما قاله ملنر وكرره ان ليس للوفد ان يتعاقد انما التعاقد يكون بين وزارتين رسميتين وانه انما يسمع ملاحظات الوفد فقط ليسجلها فى تقريره تمهيدا للمفاوضة الرسمية ٠

هنا مع الأسف تغيرت خطة سعد وكان يظن ان المفاوضات ستكون معه وانه هو الذى يبرم المعاهدة ويوقعها وكانت حجة الانجليز انه ليس لأحد ان يوقع سوى الحكومتين الرسميتين كما جرت بذلك التقاليد العامة فتناقشنا مع سعد ونحن نعلم ان ليس بينه وبين السلطان ود ٠ وانه لن يختاره لتاليف وزارة كما انه كان فى مناقشاته مع ملنر غير ودى وكان يقول له فى بعض الجلسات « أن أمتى لا تقبل هذا » فيئس من أن يكون رئيس وزارة يتفاوض ـ ويئس من أن يوقعمعاهدة تاريخية تنيله مجدا ٠ فناقشناه على أن يكون الحل تاليف وزارة من عدلى للمفاوضة ، كما سبق أن كتب هو لعدلى بذلك ونحن لا ندخل فيها تنفيذا لقرار الوفد كما أسلفنا فأبى وغضب وأخرج من جيبه بطاقة عليها اسمه باللغة الفرنسية وفيها « سعد زغلول باشا » وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ورئيس وفد الأمة المصرية» بدل ماكان يكتبه من قبل من انه « رئيس الوفد المصرى» ، وقال لنا بانفعال: يجب أن أوقع أنا المعاهدة بين مصر وانجلترا بهذه الصفات الواردة فى بطاقتى وانى لا أقبل أن يوقعها أى شخص آخر وسأحارب كل شخص مهما يكن مركزه يفاوض ليوقع دونى ٠

كان هذا بدء الخلاف الشديد بين بعضنا وبين سعد وهو خلاف قد يفضى الى عرقلة المفاوضات بل والقضاء عليها ٠

وفى حوالى منتصف شهر يوليو ١٩٢٠ ـ وكنا نعالج هذه الحالة ونخشى مغبتها ـ ذهبنا فى أحد أيام الآحاد وكان يوم عطلة الى جهة من ضواحى لندره نتناول الغداء هناك على ضفة نهر التاميز(٢٦) وممن كان معنا فى هذه الرحلة سـعد ومحمد محمود وحمد الباسل وأحمد لطفى السيد وعلى ماهر وأنا وهناك بعد الغداء والتبسط فى الحديث أخبرنا سعد برغبته فى استشارتنا فى أمر ارتآه وهو التساهل مع ملنر فى بعض طلباتنا بشرط ان يعزل السلطان فؤاد ونظر الينا يريد ابداء آراءنا وأنكر أن على ماهر أجابه أن الموضوع يحتاج الى تفكير٠ وسأله أحدنا : ومن يكون سلطانا اذن ؟ فأجاب بان يكون الرضيع فاروق سلطانا بدل أبيه مع تعيين وصى

---

(٢٦) هو نهر التيمز Thames ، ولكن كتب هنا حسب اللفظة الفرنسية La Thamise ٠

عليه ففهمنا من هذا ان سعدا كان يبغى أن يكون هو الوصى على العرش اى على عرش طفل عمره بضعة اشهر ، وسيكون فوق ذلك رئيس الأمة باعتباره رئيس الوفد المصرى فيصبح الحاكم بأمره فى البلاد ٠

حصلت هذه المناقشة واحمد لطفى السيد صامت وكان من الصق الناس بسعد ، وكان امل سعد أن يقره لطفى السيد لكنه ظل صامتا ٠ فسأله سعد : لم يا لطفى لا تتكلم وتتركنى أتحمل مسئولية قولى ؟ فأجابه : ماذا اقول ياباشا ! فلم يكن من سعد الا أن قال له بحده « روح ياشيخ» ٠ وارجح ان عبد العزيز فهمى كانحاضرا بدليل انه حكى الرواية لآخرين ٠ ثم كرر لى سعد هذا على حده فى يوم آخر فنصحته بالعدول عن هذه الفكرة وربما تكلم بها مع غيرى حتى ينال من الأعضاء منفردين موافقة على ذلك ٠

وبعد تردد على لجنة ملنر وظهور عدم الانسجام بينها وبين سعد رأى أعضاء الوفد ومنهم سعد أن يكون عدلى صلة التفاهم بين الوفد واللجنة ٠

وانى اذكر هنا ما سطرته فى مفكراتى فى هذه المرحلة ٠

٢٥ يوليو ١٩٢٠

أخبرنى محمد محمود ان سعدا اعترفله بالأمس بانهيقبل مشروع ملنر الأول برمته بشرط عزل السلطان فؤاد وقبول تولية ابنه دون الأمير كمال الدين حسين بحجة ان هذا الأخير ابن جارية وأخبرنى لطفى السيد ان سعدا قال له فى مأدبة انه يريد أن يكون قيما على ابن السلطان اذا خلع ٠

٢٦ يوليه ١٩٢٠

اخبرنى عبد العزيز فهمى ظهر اليوم ان سعدا قال له هو ولطفى السيد وعلى شعراوى ومحمد محمود فى منزل هذا الأخير قبل بدء تكوين الوفد الا ضرورة لعمل اى شىء ـ اى لتكوين الوفد ـ لاستحالة عمل شىء ٠ وأن الأولى تكوين جمعية منهم للسعى فى مصلحتهم الخاصة واصدقائهم لدى الحكومة فاشمازوا من ذلك ٠

واخبرنى عدلى بأن سعدا قال له ـ فى الماضى ـ ان كنت ياعدلى وزيرا فانى اقبل أن اكون مستشارا لوزارة الأوقاف بدل حسن صبرى ـ فنصحه عدلى بعدم السعى فى ذلك ٠

ولهذه المسألة قصة • فقد كانت زياراتى لسعد كثيرة أيام الحرب واستشارتى فيما اذا كان يصح أن يكون مستشارا لوزارة الأوقاف فنصحته بعدم التفكير فى هذا الأمر • وقلت له لا يصح لمثلك كوزير سابق وكرجل له مركزه أن تقبل ان تكون خلفا لحسن صبرى الذى خلف ابراهيم الهلباوى ، وان تكون فى الوزارة أقل درجة من وزير الأوقاف بل ومن وكيلها ، وتعرض عليهما اورايك فيما يستشيرانك فيه • لكنه أجابنى بالا ضرورة للذهاب الى الوزارة ، وانه يفكر أن يكون مستشارا للأوقاف يقيم فى بيته وتعرض عليه الوزارة ماتراه من استشارات • فقلت : انك لو افترضت هذا الفرض وطلبك الوزير أو الوكيل لأخذ رأيك شفويا فسيضطرك واجبك الى الذهاب اليهما فى الوزارة • ومن غير المفروض أن يأتى اليك الوزير أو الوكيل فى منزلك • وهنا سألنى عما أريده له فأشرت عليه بان يفتح مكتبا للمحاماه وان يكون معه مساعدون ، فيصبح حرا محتفظا بمنزلته يقبل من القضايا مايشاء ويترافع فى بعضها كما يشاء وله من المساعدين من يحتفظون له بمنزلته • فسكت ولم يحر جوابا •

من هذا الذى سمعته بنفسى من سعد ومما سمعته فى اوروبا من عدلى ، يفهم أن سعدا كان شغوفا بوظائف الحكومة بعد أن رأى ما رأى من غضب عباس الثانى عليه ، ومن كراهية فؤاد له ، ومن اعراض الانجليز عنه • فكانت فى نفسه عقدة كراهية ضد هؤلاء جميعا • وكان ما كان من تشبثه برياسة المفاوضين حتى تتم المعاهدة على يديه •

ولهذا بعد أن أيقن ان المفاوض يجب أن يكون رئيسا للحكومة أو وزيرا جمع الوفد وعرض عليه أن يلغى القرار السابق صدوره بعدم دخول أحد من أعضاء الوفد فى الوزارة فعارضناه نحن الأعضاء المؤسسين فى ذلك وتمسكنا بعدم دخول أحد فى الوزارة • فأحتد وقال ما أثبته بحروفه « وهو يعنى أحنا نطبخ الطبخة وغيرنا يأكلها » •• وعرض الأمر على الأعضاء جميعا ، وكانت النتيجة مع الأسف أن انحازت اليه الأغلبية — وكانوا من المنضمين للوفد — دون الأعضاء المؤسسين •

٢٧ يوليو ١٩٢٠

أرسلنا الرد على خطاب ملنر واخبرناه فيه أننا لا نقبل مذكرته كأساس للمفاوضة لأنها تتنافى مع توكيلنا وننتظر نتيجة المفاوضة مع عدلى •

ذهب عدلى لملنر الساعة الخامسة ومكث عنده ساعتين بحضور « هرست » للمناقشة فى مشروع ملنر معدلا طبق المحادثة الشفوية بيننا وبينه • وقد أظهر ملنر أنه يخشى عند الاعتراف بزوال الحماية من الآن الا يصل من الدول الى الاقرار بحلول بريطانيا محلها فى الامتيازات • وقال « هرست » ان الأفضل التعاقد مع مصر دون التكلم عن الحماية باعتبار أن المصريين قالوا بعدم مشروعيتها وان الانجليز قالوا بمشروعيتها فلتترك اذن بدون نص فى الاتفاقية فرد عليه عدلى بعدم امكان اغفال ذلك لأن الحماية واقعة ـ بالفعل وآثارها قائمة فى مصر ـ ويرجح ملنر تقديم تقريره محتويا آراءه وآراء الوفد ويشير بما يراه • وقد أثر ذلك تأثيرا سيئا علينا واساءنا الظن بلجنة ملنر بعد قبول مبدأ الاستقلال أى الغاء الحماية • وسيذهب عدلى غدا لملنر • وقال ملنر ان ليس للوفد أن يتعاقد وظننا بذلك انه يريد أن يعلق الأمر على الدول وأن تسعى انجلترا فى عرقلة الموضوع فتلقى المسئولية على الدول اذا لم توفق على أن تحل انجلترا محلها فى الامتيازات • واقترح ملنر الاتفاق على مشروع يبقى بدون امضاءات ومعلقا على قبول الدول لمسألة الامتيازات وأظهر الشك ببعض الحلفاء •

٢٨ يوليو ١٩٢٠

ذهب عدلى لملنر فى الساعة الخماسة مساء وأخبره هذا الأخير بأنه يرى صعوبة فى الوصول مع الوفد الى حل مرض وأنه كان يريد الوصول الى استقلال مصر مع الضمانات الكافية لانجلترا • وقال انه قد سار شوطا فى هذا السبيل وللوفد أن يضع الضمانات التى ذكرها فى المشروع وهو يفضل تقديم التقرير وستجتمع لجنته غدا ليقرر اعضاؤها ما يرونه فى الصباح ثم يقابله عدلى بعد الظهر •

وردت برقية أمس مساء بان المدعى العمومى فى قضية عبد الرحمن بك فهمى وآخرين أمام السلطة العسكرية بمصر قال أن عبد الخالق مدكور أعطى نقودا لبعض أعضاء الجمعية السرية مساعدة للخديو • وان الدعوى لم ترفع ضد عبد الخالق مدكور بسبب أنه عضو فى الوفد •

أخبر سعد أعضاء الوفد اليوم بأن من الحكمة عدم قطع المفاوضة مخالفا بذلك رايه الأول •

٢٩ يوليو ١٩٢٠

بعد هذه التقلبات فى الراى عرضنا على عدلى نحن أحمد لطفى السيد

ومحمد محمود وعبد العزيز فهمي وأنا ومن ينضم الينا اننا متفقون على تعضيده الى النهاية فى مشروعه المقدم منه وجعله أساسا للمفاوضة عوضا عن قطع المفاوضات ٠

ولقد قال لنا عدلى ان سعدا لا يريد ترك انجلترا وانما يريد بعض اخوانه وهم سينوت والمكباتى وواصف غالى الذهاب من انجلترا واضاف سعد أنهم مصـــممون على ذلك ليلقى المسئولية عليهم مع أنه هو الذى شجعهم على ذلك مرارا ٠

وحضر الى فندق « كلاردج » بلندن حمد الباسل وعلى ماهر مع محمد محمود وقابلوا سعدا وأخبره الأولان انهما متفقان معنا ٠

٣٠ يوليو ١٩٢٠

قارن سعد بين مشروع ملنر الأصلى والمشروع المعدل بمعرفة عدلى وخرج من هذه المقارنة بأن المشروع المعدل « حماية » وذكر أسباب ذلك ـ ثم أتى بعد الظهر وقال انه يقبل التعـــديل الذى ارتآه عدلى والذى سيعرض على ملنر ٠

٣١ يوليه ١٩٢٠

قابل عدلى ملنر فى الساعة الرابعة وحضر الينا فى الساعة الخامسة وعشر دقائق وأخبرنا ان ملنر قال له أنه يريد الاتفاق مع الوفد وهو حريص على الاتفاق مع رجال موثوق بهم واتفق مع عدلى على أن يحضر هذا الأخير عنده يوم الثلاثاء (٣ أغسطس) لأن اليومين الآتيين يوما عيد ٠ وسيكون معه هرست للنظر فى مشروع عدلى المعدل ٠

اول اغسطس ١٩٢٠

أخبرنى سعد أنه يرى المشروع المقدم من ملنر حماية وأخذ يشرح لى أقواله السابقة فعارضته فيما ارتآه من قطع المفاوضات لأن عدلى مستمر فى تخفيف القيود التى جاءت فى المشروع خاصا بقناة السويس والدفاع عن حرية المرور فيه وقصر امتناع مصر عن عقد محالفات سياسية ضارة بانجلترا على الكيفية التى سيعرضها عدلى فقال لى سعد انه رأى فكرة هى أن المشروع الذى ننتهى عليه نعرضه على جمعية وطنية بمصر دون أن نقيد أنفسنا بقبوله ٠ وهناك ـ أى أمام الجمعية الوطنية ـ نشير عليها بقبوله ونحيط أعضاء الوفد وعدلى علما بهذه الفكرة ٠ ويرى أن ملنر سيقبلها ويقيد نفسه بها قبل سفرنا حتى نحتفظ بسمعة الوفد أمام الأمة ٠

وقد أجبته بأن الأمر لا يخلو من أحد وجهين فاما ان ترتاح ضمائرنا الى فائدة الاتفاق فنقره ونتحمل مسئوليته تحت تصديق الجمعية الوطنية وأما ألا نرى الاتفاق صالحا فيجب علينا ان نرفضه وأن يرجع كل منا الى بلده وعمله ٠

وأمام هذا التردد من سعد سألته وكنت من أصدق اصدقائه لم لا نقبل أى مشروع يقدم ونتحمل مسئوليته اذا كان نافعا لمصر مهيئا لها فى المستقبل بفضل التطور أن تثب وثبات أخرى بفضل ما تناله من حريات ٠ وانى أرى أن انجلترا وقد أصبحت صاحبة الحول والطول فى العالم وأقر حلفاؤها حمايتها على مصر والشعب المصرى أعزل أرى متى ارتاحت ضمائرنا الى نيل ما يؤكد استقلالنا وحريتنا فى العمل تهيئة لالغاء تحفظات تراها انجلترا غير مانعة لتطورنا أرى استمرار المفاوضة حتى نصل الى ما نبتغيه٠ ولو كانت هناك بعض تحفظات أعتقد أنها ستكون مؤقتة اذا استمرت الأمة فى نهضتها ٠ وما الذى يمنعك ياباشا من البت فى هذا الموضوع قبولا أو رفضا تحت مسئوليتنا جميعا ٠ فأجابنى سعد بانه لن يتفق مع الانجليز على أية اتفاقية فانها ستحوى تحفظات خفيفة أو ثقيلة ، وانها ولو كانت خفيفة واقتنعنا بالاتفـــاقية فانى لن أرضـــى بها خيفة أن يقتلنى هؤلاء الأولاد(٢٧) من الحزب الوطنى ولهذا لن أوقع أية اتفاقية ٠ فقلت له ماذا نعمل هنا ؟ أننا حضرنا لنحمل مسئولية ومن العسير علينا أو على بعضنا أن يقبل المعاهدة فى السر ويرفضها فى العلن أو يعرضها على جمعية وطنية لا تعرف ممن ســـتؤلف ونحن هنا وكلاء الأمة يجب أداء حق الوكالة والتحدث باسم الشعب وتحمل المسئولية والا فلا ضرورة لبقائنا ٠

وأن الخوف كل الخوف ان نرضى بمعاهدة ضارة وأن نسعى لدى الجمعية فى قبولها ٠ وكنت أعتقد فى نفسى وهو ما أفضيت به لبعض زملائى فى ان الوسيلة الوحيدة وقد تنحى سعد عن تحمل المسئولية هى أن يكون عدلى الذى ظهرت كفايته فى المفاوضات يستمر فيها وان رشـــدى يكون مستشارا للوفد وفى المفاوضة لما هو عليه من علم واسع وأن نبقى نحن برياسة سعد كتلة نراقب المفاوضات ونقبل أو نرفض ما تنتهى اليه ٠ وأن يحتفظ سعد وهو رئيس الوفد بزعامة الأمة كما يحتفظ الوفد بمنزلته ٠

---

(٢٧) كان من رأى الحزب الوطنى أن لا مفاوضة الا بعد الجلاء ٠

وتلك هى الضمانة الوحيدة فيما يصح أن نعمله والا وجب علينا الرحيل الى بلادنا واذا أصر سعد على غير ذلك فالمسئولية واقعة عليه لا محالة ٠

٢ اغسطس ١٩٢٠

نشــرت جريدة « التيمس » اليوم مقــــالا بان المفاوضــــات يجب انهاؤها وان طلبات الوفد غير معقولة وغــير مقبولة وجاء رجل انجليزى أعرج اسمه « ولنر » كان يتردد كثيرا على سعد ويلتقى بنا عرضا ، أخبرنى بانه علم من وزارة الخارجية الانجليزية انها لا تعارض الآن فى استقلال مصر ولم اتمكن من معرفة ما اذا كان الاستقلال سيكون ضمن المعاهدة متى تمت باقرارها كما كان يكرر ذلك اللورد ملنر ويكرر تخوفه من أن اعلان الاستقلال من الآن يحول دون احلال انجلترا محل الدول الأجنبية فى امتيازاتها واشرافها على المحاكم متى ادمجت المحاكم المختلطة فى المحاكم الأهلية ٠

٣ اغسطس ١٩٢٠

دعانى مستر « هرست » للتحدث معه فى أمر المحاكم المختلطة(٢٨) والتشريعات الموضوعة لها وقد قابلته وتناقشنا كثيرا وعرضت عليه ما يجب أن تكون عليه المحاكم المصرية عندما تتولى أمور الأجانب فيها ٠

٥ اغسطس ١٩٢٠

حضر عدلى فى المساء وأخبر الوفد بأن ملنر عرض عليه مشروعا لم يقرأه لنا وذكر ملخصه ـ ملطفا ـ وبعد خروج الأعضاء سلمنى صورة منه ولم يطلع الوفد عليه خوفا من الفشل فهو مشروع ثقيل حقا وعدلى أخبر الوفد بأنه اتفق مع ملنر على عدم اخبار الوفد بما دار بينهما من حديث الى أن ينتهى الطرفان على حل يمكن عرضه على الوفد ٠

وفى مشروع ملنر يكون لانجلترا جميع حقوق الأجانب ويعطى لمصر عند الخلاف فى التشريع للأجانب عرض هذا الخلاف على عصبة الأمم كما

---

(٢٨) انشئت هذه المحــاكم فى مصر عام ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦ للفصــل فى أوجه النزاع الذى يقوم بين الأجانب والمصريين ، وتختص بنظر جميع الدعــاوى المدنية والتجــارية بين الأجانب والأهالى اذا اختلفت جنسياتهم ٠ وتنظر مع ذلك فى جميع المنازعات العقارية كما تفصل فى المخالفات التى يرتكبها الأجانب ٠ وهــذه المحاكم درجات ، جزئية وابتدائية واستئناف وقد الغيت بمقتضى معاهدة مونترو فى ٨ مايو ١٩٣٧ نهائيا فى ١٤ أكتوبر ١٩٤٩ بعد فترة انتقال ٠

كان عليه نص مشروعه الأول وان يكون لانجلترا حق تعيين موظف كبير فى وزارة الحقانية وحق صيانة مواصلاتها مع ممتلكاتها فى الشرق بواسطة مصـــــــر ٠

٧ اغسطس ١٩٢٠

حضر عدلى بمقر الوفد وأخبرنا بانه وصل اليوم مع ملنر الى الأمور الآتية :

١ ـ يكون الاتفاق على الاعتراف باستقلال مصر وبانها تضــــمن لانجلترا مصالحها وتعطيها الوسائل لحلولها محل الأجانب ٠

٢ ـ تعقد محالفة بمقتضاها تدافع انجلترا عن مصر وهذه تساعدها فى أرضها بما يمكنها من الوسائل ٠

٣ ـ لا يكون لانجلترا حق استعمال موانىء مصر وسككها الا فى حالة وجود انجلترا فى حرب (بعكس مضمون المشروع الأول الذى أعطى هذا الحق لانجلترا فى أى وقت) ٠

٤ ـ لمصر حق التمثيل السياسى فى الخارج ٠ وتتعهد بعدم ابرام اية معاهدة تضر بمصالح انجلترا وعند عدم وجود ممثل لمصر فى جهة ما تعهد مصر بمصالحها لممثل انجلترا ٠

ولم يحصل اتفاق نهائى على النقطة العسكرية وسيستمر الحديث مع لجنة ملنر بعد غد ٠

وسعد مصمم على السفر لباريس ويظهر دائما عدم الثقة بالمفاوضات واخبرنا بانه لا بأس من أن يعرض عليه كل شىء نتفق عليه حتى ينظر فيه فى باريس وظهر لنا أنه يرمى لقطع المفاوضات ٠

٨ اغسطس ١٩٢٠

ورد اليوم خطـاب رقيق من ملنر وبخط يده لســـعد يرجوه فيه تاجيـــل ســـفره خشـــية أن يؤثر ذلك تاثيرا ســـيئا فى مصـــــر ولندره ويأسف لطول الوقت الذى مضى ويعتذر بأن التاجيل كان بسبب كثرة تردده على البرلـــــان ومجلس الوزراء ويأمل انتهاء دورة مجلس العموم قريبا وساعد ذلك على الوصول الى حل سريع يرضى الطرفين ٠

ويقول ملنر فى خطابه ان المفاوضـــات مع عدلى برضى الوفد مازالت مستمرة ٠

٩ اغسطس ١٩٢٠

رد سعد على ملنر اليوم بخطاب قال فيه انه كان يود البقاء مدة لكنه يرى ان المسألة لا تنتهى قريبا ولكن اللورد وقد أخبره بخطابه أنه يأمل الوصول سريعا الى حل مرض فانه يقبل تأجيل سفره ٠

والمدهش من هذا الخطاب أن فيه تلميحا بان مداولة عدلى مع ملنر كانت بسبب ان ملنر أراد ذلك ٠

والأغرب ان سعدا جعل خطابه شبه رسمى ولم يقبل أن يضعه فى قالب خصوصى كما أنه لم يقبل ان يترك التلميح الى مهمة عدلى وأظهر انها لم تكن بطلب من الوفد وانما كانت باتفاق بين عدلى وملنر ٠ وصمم على أن يكون الخطاب كما يريد هو ضد رغبة الأعضاء الذين رأوا عدم الضرورة فى ايلام ملنر بما لا فائدة منه ويلوح أن سعد زغلول عندما رأى تصميم أعضاء الوفد على عدم قطع المفاوضة أراد خلق المشاكل للوصول الى قطعها ولو من الانجليز ٠

حضر عدلى من عند ملنر ولم ينته معه على شىء ٠

١٠ اغسطس ١٩٢٠

حضر عدلى من عند ملنر اليوم وقال أنه لم ينته معه فى أمر النقطة العسكرية وان ملنر قبل أن يكون لانجلترا الحق فى أن تعارض فى تنفيذ القوانين على الأجانب اذ كانت مخالفة للقواعد المتبعة فى الدول صاحبة الامتيازات كما تعارض فى الضرائب عند عدم المســـاواة بين الأجنبى والوطنى فيها ٠ وأن مصر اذا اخرجت الموظفين المدنيين أو العسكريين الانجليز قبل مضى سنتين تدفع لهم تعويضات يتفق عليها بين مصـــر وانجلترا وان ملنر ســـيرسل مشروعا بما انتهى عليه الأمر الى الآن وسيدعو الوفد للمناقشة فيه يوم الجمعة ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٠ ٠

١١ اغسطس ١٩٢٠

أرسل ملنر الى عدلى خطابا بتاريخ اليوم يقول فيه أنه ارتكب خطأ بقبوله فى المفاوضة مبدأ استئناف الخلاف بين مصر وانجلترا لدى عصبة

الأمم فى موضـــوع ســـريان القوانين على الأجانب وقال ان الحكومة الانجليزية والراى العام الانجليزى لا يرضيان بوجود مخالفة تنص على امكان ظهور انجلترا ومصر امام عصبة الأمم بمظهر المتخاصمين بعد تنازل انجلترا عما لها الآن • وعليه فسيرسل مشروع الاتفاق للوفد خاليا من هذا الشرط •

وفى المساء قدم عدلى المشروع باللغة الانجليزية وشرع فى ترجمته للمناقشة فيه •

١٢ اغسطس ١٩٢٠

عرض مشـــروع ملنر الأخير على الوفد وارتأى سعد الا يقبل أن يكون هذا المشروع أساسا للمفاوضة لأنه لا يختلف عن المشروع الأول فى شىء ذلك المشروع الذى تقرر عدم قبوله أساسا للمفاوضة لكن جميع الأعضاء رأوا المفاوضة أملا فى الوصول الى ما يرضى البلاد من المناقشة وأن المشروع الثانى يختلف عن المشروع الأول •

أرسل ملنر لسعد يدعوه لمقابلته غدا فى الساعة الرابعة بعد الظهر ويجتهد سعد على ما يظهر فى قطع المفاوضات مع انه اخبر عدلى أمس بانه يرى المشروع مفيدا من بعض الوجوه ولم يخبره بانه مصمم على رفضه فتنقطع المفاوضة •

تركنا سعد فى الليل اثناء المناقشة فى المشروع لينام واستمر الأعضاء يتناقشون الى نصف الليل حتى انتهوا من دراسته •

١٣ اغسطس ١٩٢٠

ذهب سعد وعدلى الى ملنر فى الساعة الرابعة وسألا ملنر عن طريقة تنفيذ الاتفاق الذى ينتهى عليه مع الوفد أى عن الاجـــراءات التى تتبع فأفهم ملنر سعدا وعدلى أن الحكومة الانجليزية تنفذ ما يتفق عليه • لكن سعدا تكلم معه فى أمر تعيين وزارة الثقة فأجاب ملنر : بان هذا الموضوع مع تعيين مندوب سام آخر متعلق بهم فقال سعد : اننا اذا لم يمكننا عزل السلطان فلنا على الأقل ان نسأل عن تعيين وزارة الثقة ، وتكلم عن تهمة عبد الرحمن بك فهمى والأحكام العسكرية الجارية فى مصر فأسف ملنر لها وقال انه لا يمكنه أن يعمل الآن شيئا فيها وطلب المناقشة فى الموضوع الأصلى ويظهر أن طريقة مناقشة سعد ادت الى انفعال ملنر وانتهى الأمر بأن قال أما ان يقبل المشروع أو يرفض ولم يغير فيه شيئا •

١٤ اغسطس ١٩٢٠

حضر الى مقر الوفد مستر « ولنر » (الاعرج) ذلك الذى يأتى كثيرا وقد انفرد بسعد فأخبره هذا أى سعد بانه لو حصلت تعديلات فى المشروع فى مسألة النقطة العســكرية والموظف الانجليزى بالحقانية وأن تنفذ المعاهدة بعد ذلك بمجرد التصديق عليها من مصر وانجلترا فانه لايمكن له ولا للوفد أن يقبل المشروع قبل عرضه على الأمة ، وغاية ما يعمله أنه لا يعارضه .

ولما وقفنا على هذا الحديث من سعد والأعرج فهمنا طبعا ان هذا الاعرج كان رسولا سياسيا غير رسمى من لجنة ملنر لا يقيدها بشىء كما فهمنا ان سعدا يعلم ذلك وانه جعل مستر « ولنر » وسيطا بينه وبين لجنة ملنر حتى يسهل الأمر على اللجنة ويعرض مشــروع الاتفاق على الأمة المصرية دون أن يرتبط سعد بأى رباط سوى انه فى السر يوافق على ما ينتهى اليه استفتاء الأمة وبذلك يكون راضيا على المشروع وغير مرتبط به وتكون حجته انه ينفذ رأى الأمة ويحتفظ بسمعة التطرف فى الوطنية من جانبه والخروج من اية مسئولية مع تنفيذ الاتفاق مظهرا بذلك أنه أكثر الناس وطنية وانه كان عونا فى سبيل تنفيذ المعاهدة فيحتفظ بذلك برضا الانجليز وبزعامته للأمة المصرية ويتنصل بذلك من أية مسئولية فيكون له من الفريقين المجد الفريد .

علمنا بهذا الحديث بعد خروج الاعرج فكان له علينا أسوأ الأثر وقد يحمل ملنر على الا يقبل اى تعديل فاحتججنا على عمل سعد وقلنا له ان التعديل لو حصل واطمأنت له نفوسنا فاننا نأخذ على عاتقنا السعى فى تنفيذه لدى الأمة ونحمل مسئولية ماترضى به ضمائرنا واننا لا نقبل هذا الموقف المبهم من سعد والتنصل من اية مسئولية والقائها على الشعب فاننا نعتقد اننا واقفون على دقائق المفاوضة وتطوراتها ونخشى اذا نحن فاجأنا الشعب وتركنا اليه الأمر وحده ان يكون هناك بلبلة وخطأ فى التقدير فيجب علينا أن نكون صريحين نرشد الأمة الى الضار والنافع . وقد أخبرنا الأعرج برأينا هذا حتى يزول الأثر مما أدلى به اليه سعد .

وفى المساء بعد ان رأى سعد اجماعنا على الاحتجاج على ما أدلى به الى الاعرج أخبرنا بما يفيد اننا لو قبلنا المفاوضة بعد تعديل المشروع فهو لن يعاكس وربما يساعد على نفاذه ولو لم يوقعه لما ارتآى فيه من الفائدة للأمة ـ هذا مع العلم بأن المفاوضات الرسمية أو غير الرســمية ستكون بعد اقتناع الوفد بفائدة المشروع .

١٥ أغسطس ١٩٢٠

حضر اليوم لنا عدلى من عند ملنر بعد ان عرض عليه التعديلات وقال ملنر أنه شخصيا يميل الى تحديد النقطة العسكرية فى جهة القنال ويميل الى جعل مسالة موظف الحقانية قاصره على صيانة الأجانب ولكن المسألة الأولى وهى تحديد النقطة العسكرية تحتاج الى مشاورة العسكريين أما المسألة الثانية فانها تكون قاصرة على ان الموظف الانجليزى يحق له ان يخبر ناظر الحقانية بما يراه فى شأن صيانة الأجانب من حيث عمل الادارة أو البوليس وأن توضع هذه الفكرة فى المشروع بحيث لا تمس حقوق البلاد ٠

وفى الساعة الرابعة حضر ملنر لمقر الوفد لتوديع سعد الذى قرر السفر وأخبره بانه يود الاتفاق مع مصر ٠

قرر سعد السفر غدا الى فرنسا وقرر الوفد الذهاب اليها ايضا وان يسافر لمصـــر احمد لطفى السيد ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتى وعلى ماهر للوقوف على رأى الأمة فى المشروع وأن يبقى عدلى يومين أو ثلاثة فى لندره حتى ينتهى مع ملنر فى التعديلات ونعرفها تماما ٠

واتفق ملنر مع سعد على أن لجنته والوفد يعلنان بانهما لم ينتهيا الى الآن من المباحثات وانهما سيعودان اليها وان يضع ملنر تقريره بما يراه واننا نضع رأينا بعد الوقوف على رأى الأمة من قبول أو رفض وأن تقرير ملنر سيظهر فى آخر شهر سبتمبر ٠

١٦ أغسطس ١٩٢٠

سافر اليوم سعد وسينوت حنا وواصف غالى الى باريس ٠ قابل عدلى سير سيسيل هرست فى وزارة الخارجية وناقشـــه فى بعض نقط فى المشروع كما سبق أن كلم ملنر قبل هذا اليوم وقد وعد ملنر بأن التعديل سيرسل اليه اليوم أو غدا صباحا قبل عرض المشروع على اللجنة بعد ظهر غد ٠

بعد ظهر اليوم أرسلت التعديلات الى عدلى لابداء رأيه فيها فاجتمعنا فى حجرته فى الساعة التاسعة والنصف مساء وكانت التعديلات كما يلى :

١ ــ تتعهد مصر المســـتقلة بعدم التعاقد مع الغير على ما يمس التحالف او يضر مصالح انجلترا ٠

٢ ـ النقطة العسكرية (لا النقط العسكرية) يكون سببها مراعاة مصالح الامبراطورية البريطانية وتحدد فيما بعد فى المعاهدة نفسها التى تعرض على الجمعية الوطنية ٠

٣ ـ يكون للموظف القضائى (الانجليزى) حق الاتصال بناظر الحقانية ويبدى له آراءه فيما يختص بتطبيق القوانين على الأجانب ، ويستشار فيما يختص بالنظام والعدل ٠

٤ ـ لا يكون للموظف القضائى الحق فى المعارضة فى تطبيق القوانين على الأجانب الا فيما ينافى العدل ٠

وبعد المداولة وعد عدلى بمقابلة هرست غداً ٠

١٧ اغسطس ١٩٢٠

علمنا اليوم ان « فرصوفيا » سقطت فى ايدى الروس أمس وهذا يساعد على تحقيق مطالبنا ويزيد مشاغل أوروبا الغربية .ويجب أن ننتهز هذه الفرصة ٠

ذهب عدلى اليوم الى ملنر وبعد تبادل الآراء وعد ملنر بأن يرسل النسخة الأخيرة من المشروع الى عدلى غدا ٠

١٨ اغسطس ١٩٢٠

أرسل ملنر المشروع النهائى الى عدلى وقررنا نحن الموجودين بلندره جميعا السفر الى باريس غد(٢٩) وكان سعد قد أخذ معه « دومانى » السكرتير الفرنسى للوفد ومحمد كامل سليم السكرتير العربى ٠

لم يتحقق سقوط « فرصوفيا » وقد ساعد الفرنسيون البولونيين بضباطهم فى صد هجوم البلشفيك ٠

١٩ اغسطس ١٩٢٠

سافر باقى أعضاء الوفد اليوم لباريس كما سافر عدلى وقد تأخرت أنا بلندره لمرض اصابنى ٠

---

(٢٩) أرسل سعد باشا زغلول برقية فى ١٦ اغسطس الى لجنة الوفد المركزية بالقاهرة يقول فيها « سارت المفاوضات للآن بطريقة مرضية . وقد أجل ابرامها بضعة أسابيع حتى يسمح للطرفين باجراء مفاوضات واستشارات لابد منها . ورأينا من المستحسن قضاء هذه الأسابيع فى فرنسا » (٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ . ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧) ٠

٢٠ اغسطس ١٩٢٠

سافر سعد اليوم الى فيشى واخذ معه « دومانى » ومحمد كامل سليم معتبرا أن مركز الوفد هو محل وجوده أينما ذهب ·

٢٢ اغسطس ١٩٢٠

سافرت اليوم من لندن الى باريس ·

٢٣ اغسطس ١٩٢٠

بحضورى اليوم الى محل الوفد قابلنى طراف على أفندى وهو شاب حصل على شهادة الهندسة من السنترال وأخبرنى انه قابل سعدا غداة يوم وصوله الى باريس وقد اخبره سعد بشروط المشروع وان زملاءه راوا عرضه على الأمة (بخلاف رايه السابق) وعدد طلبات الانجليز وأخفى عنه رأيه النهائى فاستنتج طراف أفندى ان سعدا يتبع الأمة المصرية فيما تقرره ولا يريد ان يتحمل اية مسئولية فهو معها فى القبول أو الرفض واستنتج أن سعدا يخاف ان يتحمل اية تبعة وانه يريد أن يحافظ على سمعته على كل حال · وانتقده على هذا التصرف وعزا اليه أنه أخبره بأن الانجليز يشترطون وجود ضباط منهم فى الجيش المصرى وقد اكتشف طراف هذا الخطأ ثانى يوم مقابلته وأخبر سعدا بأن أغلب الطلبة يوافقون على عرض المشروع على الأمة ·

٢٨ اغسطس ١٩٢٠

سافر أحمد لطفى السيد ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتى وعلى ماهر اليوم مساء الى مرسيليا وسيبحر بهم الباخرة يوم ٣٠ اغسطس بقرار من الوفد لاستطلاع رأى الأمة فى المشروع ·

٥ سبتمبر ١٩٢٠

نشر سعد وهو فى « فيشى » بيانا بجرائد مصر(٣٠) بسفر أعضاء الوفد الأربعة الذين ذهبوا لاستطلاع رأى الأمة وان يشترك معهم أعضاء موجودون فى مصر وهم ويصا واصف وحافظ عفيفى ومصطفى النحاس لما عرف فيهم من صفات طيبة ذكرها فى بيانه ولم يشترك معهم على شعراوى وعبد الخالق مدكور وجورج خياط وغيرهم من أعضاء الوفد

---

(٣٠) انظر نص البيان بالملحق رقم (٤) ص ٣١٥ ·

المقيمين فى مصر وجعل أن هذا البيان قد وضعه الوفد مع أن سائر الأعضاء لم يشتركوا فيه فانهم يقيمون فى باريس وهو فى فيشى وقد جاء فى هذا البيان ما يأتى :

« ٠٠ ولهذا لم نجد بدا من الذهاب الى لندره للدخول فى المفاوضة وقد باشرناها منذ وصولنا اليها ٠ ومكثنا نزاولها الى ١٦ اغسطس ٠ وانتهت المناقشة بوضع ثلاثة مشروعات أولها من لجنة ملنر ٠ ورفضناه بتاتا ٠ والثانى ٠ منا ورفضته هذه اللجنة كذلك ٠ والثالث منها وهو الأخير وقد صرح رئيسها لنا عند البحث فيه انه غير قابل للمناقشة فى الاساسات التى بنى عليها وانه يلزم اما اخذه كله أو تركه لأنه تضمن فى اعتباره اقصى مايمكن لانجلترا الاتفاق مع مصر عليه ٠ » ولكننا وجدناه مع ذلك معلقا تنفيذه على غير ارادتنا وغير واف بمطالبنا فلم يسعنا قبوله لخروجه عن حدود توكلينا واظهرنا للجنة ملنر عدم رضائنا عنه » ٠

غير أنه نظرا لاشتماله على مزايا لا يستهان بها ، وتغير الظروف التى حصل التوكيل فيها ، وعدم العلم بما يكون من الأمة بعد معرفتها بمشتملاته ، وقياس المسافة التى بينه وبين امانيها ، راى اخواننا معنا ، خروجا من كل عهده ، وحرصا على كل فائدة واستيفاء لكل فرصة الا يبتوا فيه رسميا بما يقتضيه توكيلهم قبل عرضه عليكم أنتم نواب الأمة المسئولون وأصحاب الرأى فيها ٠ وبناء عليه اتفقنا مع اللورد ملنر على تأجيل القرار النهائى الى ما بعد هذه الاستشارة ، وتعيين كل من حضرات محمد محمود وعبد اللطيف بك المكباتى ولطفى بك السيد وعلى بك ماهر وويصا بك واصف وحافظ بك عفيفى ومصطفى بك النحاس لهذه الغاية ٠ وليشرحوا لكم بالنزاهة المعلومة فيهم ، والدقة المعروفة عنهم ، الحقائق والوقائع التى ترون الوقوف عليها لازما لتكوين اعتقادكم ، حتى تبدوا بعد استشارة ضمائركم ، والتأمل فى حاضركم وقابلكم رايكم فيه فى الرفض أو القبول ، فاذا رفضتم أعلن الوفد رسميا رفضه ، واذا قبلتم دخلت المسألة فى دورها النهائى ، ووضعت على القواعد التى تضمنتها ، وعرضت على الهيئة النيابية للتصديق عليها ووضع نظام دستورى للبلاد » ٠

ومن الغريب أن سعدا ، وهو من المحبذين لعرض المشروع على الأمة ، وكاتب هذا البيان الذى نشره ، كتب فى اليوم نفسه الى الثلاثة المقيمين بمصر وهم مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وويصا واصف خطابا سريا يتنافى كل المنافاة مع ندائه العلنى للشعب ويعتبر المشروع المعروض عليه حماية، وكانه يطلب من هؤلاء الثلاثة ان ترفض الأمة هذا المشروع ، ويريد

بذلك أن يفهم الناس أنه لم ينشر هذا البيان من مقره فى «فيشى» الا ارضاء لاخوانه أعضاء الوفد · وكان مع الأسف مخطئا كل الخطأ · فليس من اللائق أن يعلن زعيم نداء فى الأمة يخـــالف كتابه الخصـــوصى الذى أرسله سرا الى الثلاثة المقيمين فى مصر · كما يظهر بجلاء لكل منصف أن سعدا فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ عندما قابل سير «ونجت» المندوب السامى تبرع دون أن يستشير زملاءه بقبوله اعطاء الانجليز حق احتلال قناة السويس عند الاقتضاء ومبدأ الدفاع المشترك ، اذ قال « بان نجعل لها (أى لانجلترا دون غيرها حق احتلالها (أى قناة الســـويس) عند الاقتضاء بل نحالفها على غيرها ويقدم لها عند الاقتضاء ما تســـتلزمه المحالفة من جنود » ·

وهو نفسه كشف لنا عن رأيه ـ غير مرة بأن نتساهل مع الانجليز فى مطالب مصر مقابل عزلها السلطان ·

وليس من حق رجل مثله اخترناه رئيسا للوفد أن يتقلب هذا التقلب فيقبل أمرا ثم يرفضه ثم يعود الى قبوله ثم رفضه · وأدلتنا على ذلك كثيرة، منها : أنه اتفق معنا على تحريم الوزارة على أعضاء الوفد ثم عمل على الغاء هذا القرار بمشـــايعة انصـــاره الجدد ومنها انه الح على عدلى بالحضور الى باريس لمعاونتنا وكال له المديح ثم انقلب عليه وطعنه فى وطنيته وكرامته وسيأتى تفصـــيل ذلك ومنها : أنه كان معنا على اتفاق بالتمسك بالأهداف الوطنية ثم انفرد بعرض التنازل عن بعض هذه الحقوق مقابل عزل السلطان وغير ذلك كثير وهاهو اليوم يصدر بيانا للأمة ثم يشفعه بخطاب سرى يتنصل به من تبعة بيانه العلنى ·

على أن خطابه السرى هذا لم يكن له أى تأثير فان الأعضاء الثلاثة ـ وكانوا من اشد أنصاره ـ عرضوا مشروع ملنر الأخير باخلاص كما سمعنا وانتهى الاستفتاء الشعبى الى اعتبار هذا المشروع صالحا لأن يكون أساسا للمفاوضة مع اضافة بعض تحفظات ·

٧ سبتمبر ١٩٢٠

وصل مندوبو الوفد الأربعة الى الاسكندرية فقوبلوا أحسن استقبال وتكونت لجنة للحفاوة بهم برئاســـة المرحوم أحمد يحيى باشا وكانت مظاهرات حاشدة ·

٨ سبتمبر ١٩٢٠

وصل المندوبون اليوم الى القاهرة وارسلوا لنا برقية بان الاحتفاء بهم كان بالغا وامضوا ساعتين للوصول من المحطة الى منزل سعد باشا وسط الجماهير الغفيرة وتكونت لجنة لاستقبالهم والحفاوة بهم برياسة حسن حسيب باشا الوزير السابق ٠

١٦ سبتمبر ١٩٢٠

وصل سعد باشا الى باريس من فيشى ٠

١٨ سبتمبر ١٩٢٠

ارسل مصطفى النحاس برقية بتاريخ أمس وصلتنا اليوم وبها ان التجار والماليين قد عرض عليهم المشروع يومى الاربعاء والخميس (١٥ ، ١٦ سبتمبر) وسبق ان كتبنا ملخصه فى البيان السابق ذكره الصادر عن سعد وقد نشرت اللجنة بيانا مطولا عن المشروع وعن التحفظات نشرته جرائد مصر ومنها جريدة المقطم فى ملخص لها بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ وذكر مصـــطفى النحاس فى برقيته « ان هؤلاء التجار والماليين قرروا بالاجماع الثقة بالوفد وان المشروع يصلح أساسا لاستمرار المفاوضات للوصول الى ابرام معاهدة نهائية مع ترك الحرية للوفد فى الوصول الى أقصى ما يمكن تحقيقه من الأمانى وان أعضاء الجمعية التشريعية قد اجتمعوا يوم ١٥ سبتمبر وحضر منهم ٤٩ وارسل أربعة آخرون آراءهم بالتلغراف فيكون المجموع ٥٣ قرر ٤٨ منهم كما قرر التجار وامتنع اثنان مؤقتا لابداء آرائهما كتابة فيما بعد ، ورفضه ثلاثة » ٠

وبعد أن أطلع سعد على هذه البرقية خرج منها بان يستمر الوفد فى المفاوضة لعقد المعاهدة النهائية بمعرفة الوفد بعد أن كان هو ممتنعا عن الدخول فى المفاوضة وكان ضد المشروع فى آرائه الأخيرة ٠

وفى اليوم نفسه حضر طالبان مصريان من برلين واستفسرا من سعد عن رأيه فى المشـروع فامتنع عن ابداء أى رأى وغضـــب وربما يكون خافهما ٠

٣٠ سبتمبر ١٩٢٠

عرض علينا اليوم سعد ــ وكنا ثلاثة حمد الباسل وسينوت حنا وأنا ــ انه يرى الآن ضرورة تعيين بعض أعضـــاء الوفد فى الوزارة المزمع

تاليفها للمفاوضات الرسمية ويرى أن تكون اغلبية الوزراء من اعضاء الوفد وأنه لا يمكنه هو شخصيا الدخول فى الوزارة لأسباب خاصة فوافقه حمد وسينوت ، أما أنا فقد صارحته بوجوب عدم اشتراك الوفد فى الوزارة حتى لا يظن احد أننا نعمل لمصلحتنا الخاصة فصمم على رأيه محتجا بان فكرته تمكن أعضاء الوفد من خدمة القضية المصرية وهم أقدر على خدمتها ممن لم يشتغلوا بها .

٣ اكتوبر ١٩٢٠

عرض علينا سعد بحضور عدلى انه يرى أن يستمر الوفد فى المفاوضة الرسمية وان يعترف له ملنر بهذه الصفة الرسمية مستندا على أن الأمة كررت ثقتها به فهو بذلك أولى بالمفاوضة الرسمية من وزارة مصرية تعين لهذه الغاية . وهذا تغير فى آرائه الســـابقة التى عرضها فى اجتماعات الوفد وسجلها فى مراسلاته ونداءاته للأمة .

٧ اكتوبر ١٩٢٠

رجع الينا من مصر مندوبو الوفد الأربعة ـ أحمد لطفى الســـيد ومحمد محمود والمكباتى وعلى ماهر ـ بعد الوقوف على آراء الأمة وحضر معهم ويصا واصف وحافظ عفيفى ومصطفى النحاس وقد أخبرونا جميعا ان ثقة الأمة بالوفد مطلقة وأنها تفوضه فى كل شىء الا فى قطع المفاوضات .

٨ اكتوبر ١٩٢٠

عرض سعد على أعضاء الوفد موضوع قضية عبد الرحمن بك فهمى وادانته مع آخرين وأراد أن يعرف تأثير هذا الحكم على سير اجراءاتنا وما نستنتجه من حسن نية الانجليز أو سوء نيتهم فى المفاوضات فقرر جميع الأعضاء أن أمر عبد الرحمن بك فهمى وزملائه لا يمنع من السير فى المفاوضة .

٩ اكتوبر ١٩٢٠

قال سعد لأعضاء الوفد الأربعة الذين حضروا من مصر انه كان يود قبل بدء المفاوضات الأولى فى لندره أن يبقى بعض الأعضاء فى باريس حتى اذا أريد قطع المفاوضات يكون قطعها بحجة استشارة باقى أعضاء الوفد المقيمين فى باريس أى أن ذلك يكون بطريقة مستترة لا تفيد القطع بصفة رسمية وأضاف سعد أنه عندما لم يقبل الوفد ذلك وذهب كل اعضائه

الى لندره كانت فكرة اســـتشارة الأمة فى الحقيقة لغرض الخروج من لندره بصورة مرضية ـ هذا ما قاله سعد ردا على قول المندوبين بأن الأمة لا تريد قطع المفاوضات وكان هو يريد هذا القطع بعد أن ظهر له عدم تمكنه من القيام بالمفاوضة الرسمية كرئيس للمفاوضين ٠

١٠ اكتوبر ١٩٢٠

تقرر سفر الوفد اليوم الى لندره لاستئناف المفاوضة بعد حضور مستر « ولنر » الاعرج من لدن ملنر ومقابلته لسعد وتهنئته اياه على نتيجة استشارة الأمة وسيقوم الأعضاء يوم الاربعاء الآتى (١٣ اكتوبر) الى لندره وسعد غير راض عن ذهابه ويود لو بقى هو فى باريس ٠

١٢ اكتوبر ١٩٢٠

حضر عندى سعد وأنا مريض ومعه الدكتور حامد محمود واخبرنى بانه فكر الليلة الماضية طويلا فى مسألة سفر كل أعضاء الوفد الى لندره وانه لايزال مصرا على ضرورة سفر البعض وهو يقبل الا يذهب الى لندره اذا رئى ذلك فاجبته بأن سفره ضرورى وأن سفر البعض دون البعض يخالف قرار الوفد بسفر الكل ٠

١٤ اكتوبر ١٩٢٠

حضر عندى أحمد لطفى السيد ليعودنى فى مرضى وأخبرنى أن سعدا مصر على تنفيذ سفر البعض وانه اتفق مع بعض الأعضاء على هذا الرأى،

وفى المساء زارنى محمد محمود واخبرنى بما سبق أن أخبرنى به لطفى السيد بأن النية معقودة على اختيار عبد العزيز فهمى وعلى ماهر ليسافرا مع سعد وقد قلت لمحمد محمود انى نظريا أرجح الاكتفاء بسفر من نراهم ضروريين للمفاوضة فى صحبة سعد وكذلك للمفاوضة مع هرست فى أمر قوانين المحاكم المختلطة ولكن بما أن فى المسألة أغراضا فانى أرى ضرورة سفر الكل خوفا من عمل مالا تحمد عقباه بلندره فى غيـــاب الباقين ٠

١٧ اكتوبر ١٩٢٠

اليوم فى غيابى لمرضى حتم سعد سفر الجميع الى لندره والا فانه هو لا يذهب ويريد بذلك أن ينفرد وحده بالمفاوضة كمتحدث رسمى عن

الأمة وقد قرر الاعضاء أخذ الآراء على سفر سعد بمفرده أو مع البعض فتقرر سفر البعض مع سعد واختارت الأغلبية عبد العزيز فهمى وعلى ماهر • ثم اقترح حمد الباسل ســـفر مصطفى النحاس معهم كسكرتير فتقرر ذلك •

١٨ اكتوبر ١٩٢٠

علمت وأنا مريض أنه تقرر اليوم سفر جميع أعضاء الوفد الى لندره بعد مرور عشرة أيام من سفر سعد ورفاقه ما لم يرجع سعد ومن معه أو يخبرنا بحضورهم وذلك كله اذا لم يوجد سبب يمنع من السفر •

٢١ اكتوبر ١٩٢٠

ســـافر اليوم سعد وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر والنحاس الى لندره • وهنا يجب أن نقول أن سعدا فى بيانه السابق ذكره والذى أرسله من فيشى الى القاهرة كان قد ارتأى قبول الدخول فى المفاوضة اذا رضيت الأمة بقبول المشروع كأساس للمفاوضة كما أن مندوبى الوفد بعد استفتاء الأمة فى مصر أتوا معلنين أن الأمة تقبل الاستمرار فى المفاوضات على أساس المشروع مع مايراه الوفد من تحفظات تحقق أمانيها مع عدم قطع المفاوضات •

ويلاحظ أيضـــا أن عبد العزيز فهمى قد وضـــع تقـريرا برأيه فى مشروع الاتفاق الذى وضعته لجنة ملنر وعبد العزيز فهمى هو من فريق المعارضين لسياسة سعد • وقد ارتأى فى تقريره ان استقلالنا هو بمقتضى المشروع وحده حماية من النوع الحديث ، نظرا للمراقبة السياسية على مصر فى صـــلاتها بالخارج وان المشـــروع فيما يختص بالداخل مفعم بالاشتراطات الماسة بالحرية وبسيادة البلاد • وذكر فى تقريره أنه « مع موازنة مزايا هذا المشروع ومضاره وسماع رأى البلاد التى تكلفنا بقبوله مع التحفظات التى نرغبها لا يرى سبيلا سوى متابعة رأى البلاد والتصريح بقبوله مع التحفظات •• » الى آخر ماجاء فى تقريره المؤرخ اكتوبر ١٩٢٠ ونشر بنصه فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢ مارس ١٩٢١ •

٢٣ اكتوبر ١٩٢٠

قابل سعد اللورد ملنر واظهر اللورد رغبته فى ان تتولى الحكومة المصرية المفاوضات الرسمية بعد ان وقفت على رغبات الأمة المصـــرية وسيقابل مندوبونا جميعا لجنة ملنر بعد غد •

ومن هذه المقابلة التى أعلن فيها ملنر أن المفاوضة تكون بمعرفة الحكومة المصرية ، ادرك سعد انه لن يراس المفاوضات الرسمية ليأسه من أسناد وزارة اليه بسبب ان انجلترا كما تاكدنا قد أخبرت السلطان فؤاد بواسطة مندوبها السامى فى القاهرة أن سعدا عرض على ملنر أن يتساهل فى طلباته اذا عزلت انجلترا السلطان فؤاد وأقامت ابنه الطفل على عرش مصر ، وكنا نعلم أن سعدا قد نفذ رأيه وعرض على ملنر نيته هذه التى سبق أن أخبرنا بها مما ذكرناه فى حينه ٠

٢٥ اكتوبر ١٩٢٠

قابل سعد وعبد العزيز فهمى وعلى ماهر ومصطفى النحاس ملنر اليوم ٠ وقدم سعد بيانا بالتحفظات التى تطالب بها الأمة وأهمها ما يأتى :

١ ـ الغاء الحماية صراحة ٠

٢ ـ عدم تحويل الامتيازات الأجنبية الى انجلترا عند الغاء الامتيازات ٠

٣ ـ حرية مصر فى عقد المعاهدات بانواعها الا المعاهدات السياسية الضارة بانجلترا ٠

٤ ـ أولوية مصر فى مياه النيل اللازمة لأراضيها المنزرعة والقابلة للزراعة ٠

وقد أخبر ملنر سعدا بانه لم يعد مطلقا باعلان الغاء الحماية ٠

وقال سعد لملنر « اننا بينى وبينك نقبل الحماية بشرط الغاء باقى القيود » ولم يوافقه باقى الأعضاء على هذا القول ٠

٢٦ اكتوبر ١٩٢٠

وصلت اليوم برقية بتاريخ أمس من سعد يدعونا فيها للحضور الى لندره باسرع وقت ٠

ولم نعرف السبب فى ارسال هذه البرقية فان سعدا كان لا يود حضورنا الى لندن وان الوقت لم يتسع للمفاوضات فى كل رغبات الأمة ٠ ولو كان يائسا لحضر الينا فى باريس بحجة اخذ رأى باقى الأعضاء ثم يقطع المفاوضات هنا بطريقة لبقة كما صرح لنا بذلك قبل سفره ـ ولكن يظهر ان أرسال هذه البرقية قبل الدخول فى المفاوضة كان بارادة ملنر ٠

٢٨ اكتوبر ١٩٢٠

سافر باقى أعضاء الوفد الى لندره وسافرت معهم ٠

٣٠ اكتوبر ١٩٢٠

أخبرنا اليوم سعد بان ثلاثة من الطلبة المصريين بلندره قابلوه يوم السبت الماضى وكان معه عبد العزيز فهمى وعلى ماهر ومصطفى النحاس وسالوه عن المشروع فأخبرهم سعد بأنه حماية ووافقه عبد العزيز فهمى على ذلك وقال الطلبة لو كان مندوبو الوفد أخبروا الأمة بحقيقة الحال فانها كانت ترفض المشروع أما على ماهر والنحاس فقد أجابا الطلبة بانهما يريان المشروع استقلالا اذا ألغيت الحماية ٠

أفضى سعد بحديث الى مكاتب جريدة «الأهالى» المصرية أعلن فيه أن مشروع ملنر حماية وقالت الجريدة بحصول شقاق بين أعضاء الوفد كما نشـــرت بعض الصـــحف الانجليزية مثل « المورننج بوســـــت » و « وستمنستر جازيت » بحصول شقاق بين الأعضاء ٠

حضر عدلى ظهرا بعد أن قابل ملنر ومكث معه ساعة ونصف ساعة وأخبرنا بان ملنر يرى تأليف وزارة للمفاوضات الرسمية ٠

١ نوفمبر ١٩٢٠

قابل سعد مستر « سبندر » فى فندق سافوى وهذا أخبر سعدا بامكان الوصول الى نص فى شأن الحماية يوفق بين رغبات المصريين واحساس الانجليز فان هؤلاء يعتبرون أن النص الصـــريح بالغاء الحماية يمس كرامتهم ٠ وأن أمام ملنر صعوبات ٠ وهنا قال له سعد أن يقبل أن يقال أن مصر تتبع انجلترا فى أمورها الخارجية فقط ـ وتلك غلطة كبرى من سعد ٠

أرسل سعد اليوم الى ملنر يطلب مقابلته ويقول فى خطابه ان للأمة تحفظات لابد من تحقيقها حتى يتسنى تأييد المشروع ٠

٢ نوفمبر ١٩٢٠

حضر « رينل رود » و « سبندر » الى سعد اليوم وأخبراه بأنه مدعو لمقابلة ملنر غدا وكان ذلك بحضور على ماهر وأخبرنا سعد بأن « رينل

رود » قال له أن من المستحيل التصريح بالغاء الحماية • فقرر الوفد بالاجماع انه ان لم يصرح بالغاء الحماية فانه لا يقبل الدخول مع الانجليز فى اية مفاوضة •

وكان ملنر قد قال لسعد ان بالمشروع أصول الحماية نظرا للتمثيل الخارجى فالنص على الغائها يعتبر تناقضا •

٣ نوفمبر ١٩٢٠

حضر « رينل رود » ظهرا لتناول الغذاء هو وزوجته مع سعد ومعهما محمد محمود والمكباتى وظهر أن رينل رود غير يائس من ايجاد حل وقد نشر اليوم فى جريدتى « ستار » و « المورننج بوست » ما معناه ان مطالب المصريين فى التحفظات حقه وان من اللازم عدم التشبث بالألفاظ لضياع المشروع •

قابل سعد ومحمد محمود ملنر فقال لهما أن التصريح بالغاء الحماية من الآن غير ممكن ويؤدى الى سقوطه هو والمشروع • وعند المفاوضات الرسمية يكون من الممكن الوصول الى ذلك بعد أن يكون الرأى العام على استعداد لقبوله •

وحمد الباسل ولطفى السيد ومحمد محمود وأنا على اتفاق فى أن الطريقة الوحيدة هى أن يكتب لملنر بالتحفظات التى بها نساعد المشروع أمام الجمعية الوطنية والا نعاكس وزارة الثقة اذا وضعت برنامجها على هذا الأساس ولكن سعدا وأنصاره يرون معاكسة أية وزارة ان لم يعترف من الآن بطلباتنا •

ويرى سعد السفر من لندره يوم السبت (٦ نوفمبر) الى باريس وقال ملنر لسعد « نحن الآن فى مازق » •

٤ نوفمبر ١٩٢٠

عرض علينا سعد اليوم ارسال خطاب رقيق لملنر ، وان نترك لندره أملا فى أن يذلل ملنر الصعوبات التى امامه •

ولطفى السيد ومحمد محمود وحمد الباسل وأنا متفقون على أن المفاوضات الرسمية قد تذلل هذه الصعوبات وقد عرض لطفى السيد على سعد أن يكون الخطاب حاويا للتحفظات التى نراها ونساعد المشـــروع بسببها فاذا حققت المفاوضات الرسمية هذه التحفظات أصبح مشـــروع

ملنر جديرا بالقبول لكن سعدا رفض رأينا رفضا باتا فهمنا منه أنه لا يريد اطلاقا أية مفاوضات رسمية على يد غيره وأنه يفضل قطع المفاوضات على تحقيق التحفظات على يد غيره ٠

وفهم بعضنا أن سعدا لا يريد اعلان التحفظات كي يمكنه الطعن على كل ما يحصل عليه غيره بمفاوضـــات رســـمية حتى ولو حققت كل التحفظات ٠

٥ نوفمبر ١٩٢٠

تناول سعد الغداء على مائدة « رينل رود » وزوجته فى فندق سافوى وقد أخبره رود أن لجنة ملنر ستجتمع فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم

٦ نوفمبر ١٩٢٠

اجتمع سعد وأعضاء الوفد فى غيابى اليوم صباحا رغم الاتفاق على أن يكون الاجتماع بعد الظهر واعتمادا على هذا ذهبت فى الصباح الى البنك لامور تتعلق بالوفد ٠

وقرروا ارسال خطاب لملنر يشف عن عدم اشتراك الوفد لا مباشرة ولا بالواسطة فى المفاوضة الرسمية اذا لم تقبل التحفظات من الآن كأساس للمفاوضة ٠

وبعد الظهر حضر عدلى من عند ملنر وقال لنا أن ملنر أخبره الآن بانه من الممكن التنويه على التحفظات فى تقريره الذى سيرفعه لحكومته ولا مانع من الغاء الحماية وقبول التحفظات فى المفاوضة الرسـمية وان ملنر وزملاءه الوزراء يرون أن الحماية ســقطت بالفعل وانه أى عدلى متفائل كل التفاؤل من النص على ذلك للوصول الى المفاوضة الرسمية ٠

ذهب لطفى السيد بالنيابة عنا الى سعد ليلا لتعديل الخطاب المزمع ارساله لملنر فابى سعد محتجا بصدور قرار الوفد بذلك ولا يمكن تغييره بأية حال ، وانه يحارب كل وزارة تدخل المفاوضة ولو كانت من عدلى أو ثروت أو سواهما ٠

٧ نوفمبر ١٩٢٠

انعقد الوفد اليوم وقد عدل سعد عن ارسال الخطاب واتفق معه فى ذلك زملاؤه المنتمون اليه وكان من رأيى عدم ارسال هذا الخطاب لأنه بمثابة قطع للمفاوضة وتقرر بين أعضاء الوفد اتخاذ مضمونة خطة لهم

وهى أن الوفد لا يدخل المفاوضات الرسمية الا بعد أن تكون التحفظات أساسا للمفاوضة وفقد فريقنا الثقة بمفاوضة سعد ويرى فائدة البلد فى أن تجرى المفاوضات وزارة من عدلى ورشدى اللذين ماكنا لهما اصدقاء وكان سعد صديقنا الأول ولكن تجاربنا معه فترة وجودنا فى فرنسا وانجلترا لم تقنعنا بفائدة مفاوضة من سعد ونحن جميعا ـ أى المفاوضين ـ سنكون بعيدين عن الوزارة طبق قرار الوفد الأول الذى ألغاه سعد وسواء لدينا أكان رئيس المفاوضة سعد أم غيره فاننا سنبقى على كل حال أعضاء فى الوفد المصرى الى أن تتكون الجمعية الوطنية ونرشح أنفسنا فيها ظفرنا بالعضوية أو لم نظفر ٠

يظهر الآن على سعد أنه يخشى عاقبة قطع المفاوضات حتى لا تمس مكانته الشخصية ٠

وقد عرض عبد اللطيف المكباتى اقتراحا بارسال خطاب الى ملنر يسجل فيه أن الوفد لا يعضد أى مشروع الا اذا كان قائما على أساس التحفظات وقد رفض سعد واشياعه هذا الاقتراح لأنهم ظنوا أنه يقصد به تعضيد أية وزارة رسمية تؤلف من غير سعد اذا كان أساس برنامجها تحقيق التحفظات ٠

٨ نوفمبر ١٩٢٠

دعينا للحضور غدا لوزارة المستعمرات فى الساعة الثالثة بعد الظهر لجلسة عامة بين لجنة ملنر والوفد ٠

٩ نوفمبر ١٩٢٠

ذهبنا فى الساعة الثالثة لوزارة المستعمرات وبعد التحية تلى علينا ملنر مذكرته ورد عليه سعد ردا فيه كثير من الجفوة وانعدام الكياسة مما آلم ملنر ثم أرسل سعد اليوم الى مصر برقية بان الوفد قرر عدم الدخول فى المفاوضة لعدم قبول التحفظات من الآن ـ وذلك رغم ما وعد به ملنر من ان التحفظات ستكون موضع بحث فى المفاوضة الرسمية ٠ ورغم ما رأيناه من الاستعداد لقبولها فى المفاوضة ٠ ومع ذلك فقد قال سعد فى البرقية ان الأمل لم يضع٠

١١ نوفمبر ١٩٢٠

تركنا جميعا لندره اليوم الى باريس

١٣ نوفمبر ١٩٢٠

اليوم عيد تكوين الوفد وهو يوم ١٣ نوفمبر وقد مضى على تاليفه سنتان فاحتفلت به الأمة المصرية فى القاهرة وغيرها وكان من المحتفلين بهذا العيد فى القاهرة حسين رشدى وألقى خطابا فى ذلك اليوم قال فيه « اليوم هو اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر • وانه ليوم عظيم • يوم مشهود فى تاريخ مصر الحديث ففى مثله من ١٩١٨ هب سعد باشا زغلول ومعه اثنان من رفاقه للمطالبة رسميا باستقلال مصر ••» ثم قال « يوم ذاك حيت الوزارة المصرية ـ أى رشـــدى وعدلى ـ هذا الحادث الذى كان يتفق تمام الاتفاق مع امانيها ، والذى لم تكن تألو جهدا فى التمهيد له » • وهذا كله مصداق ما أثبتناه فيما سبق من الايعاز بتكوين الوفد ومعاونته بعد ذلك •

وفى هذا اليوم حضر عدلى الينا فى مركز الوفد بباريس بعد رجوعه أمس من لندره وأخبرنا بحضور سعد ان الاستاذ احمد نجيب مكاتب جريدة « الاخبار » المصرية والذى يقيم معنا فى مكتب سكرتيرية الوفد ارسل برقية الى جريدته بان عدلى يسد الأبواب فى وجه الوفد ويسعى فى عرقلة أعماله وأن الجريدة تريثت فى نشر ذلك وان محمود باشا سليمان ارسل لعدلى برقية يستفسر فيها عن هذا الخبر وقامت مناقشة غير ودية بسبب هذه البرقية بين عدلى وسعد • ثم قال عدلى انه قابل ملنر أمس الأول وان هذا أخبره بانه لا يمكن ضياع المشروع لأجل كلمة وهى التصريح من الآن بالغاء الحماية •

مع العلم بان نفقات ارسال برقيات الى جريدة الأخبار كانت كلها من مال الوفد ولم يطلع الأعضاء على هذه البرقية قبل ارسالها وفهموا ان سعدا هو الذى أوعز بارسالها ولذلك كانت مناقشة بعضهم لســـعد انتقادا صريحا على ارسال البرقية •

١٥ نوفمبر ١٩٢٠

ارسل سعد خطابا موصى عليه الى اللورد ملنر باننا ننتظر قبول التحفظات وبانه لا يمكن لمصرى مهما تكن الثقة به ان يقبل المفاوضات الرسمية على أساس المشروع الحالى •

١٦ نوفمبر ١٩٢٠

وصلت الى محمد محمود من والده اليوم برقية بان مصطفى النحاس بصفته سكرتيرا للوفد ارسل لهم بمصر برقية بان عدلى باشا يعرقل أعمال الوفد وكان كارثة عليه • ثم حضر عدلى وأخبرنا بعلمه بارسال برقية من النحاس واستفسر من سعد عن هذه الحملة الظالمة التى بدات ببرقية احمد نجيب ثم اعقبتها برقية مصطفى النحاس فتظاهر سعد بانه لا يعلم عن هاتين البرقيتين شيئا مع انهما ارسلتا على نفقة الوفد وكنت أنا باعتبارى أمين الصندوق اسلم الى مصطفى النحاس مبالغ لارسال المراسلات والبرقيات جملة دون معرفة بالتفصيلات وذلك ثابت فى دفتر صندوق الوفد •

لكن سعدا رغبة منه فى اظهار عدم علمه بهاتين البرقيتين طلب مصطفى النحاس من حجرة السكرتارية واستفسر منه عن البرقية التى ارسلها دون علم منا ومنه فأجاب مصطفى النحاس بانه ارسل البرقية بصفة خاصة بينه وبين الاستاذ أمين الرافعى صاحب جريدة الأخبار • ويلاحظ أن مصطفى النحاس ارسل هذه البرقية بالشفرة ومن ذلك فان سعدا طلب اليه بهدوء عدم ارسال مثل هذه البرقيات فيما بعد دون أن يظهر عليه أى انفعال مما أثبت لنا بطريقة قاطعة أن سعدا كان الموعز بارسال البرقيتين، فبهتنا جميعا واظهرنا له اشمئزازنا منهذه الطريقة • فلما رأى عدلى ذلك واقتنع أن الأمر كان بايعاز من سعد رغم الخدمات التى اداها عدلى والعمل مع الوفد أشهرا عديدة وما ضحى به من راحته وماله ـ لما رأى ذلك ثار هذا الرجل الرزين لهذا الجحود وغضب لطعنه فى سمعته وشرفه وأخذ يسرد خدماته لسعد وأنه ما كان يود الحضور لولا تكرار برقيات سعد اليه ثم انتهت ثورته بان قال لسعد هذه الكلمات :

« ياسعد انني وطنى مثلك ونظيف مثلك » واظهر سعد ألمه من هذه الجملة • ثم تركنا عدلى غاضبا معتزما الرجوع الى مصر •

كانت البرقيتان أكبر سبب فى انشقاق الوفد وقد احتججنا بشدة على هذه الفعلة النكراء التى توقع الضرر بالبلاد وقد سببت فعلا تبلبل الأفكار فى مصر وأحدثت انقساما بين الناس •

لم أستطع السكوت على هذا الجحود وهذا الظلم فذهبت الى مقر عدلى بالفندق وأظهرت له ألمى وألم زملائى ودعوته الى الغداء فاعتذر • وكررت الدعوة والححت فيها حتى قبل وذهبنا نحن الاثنين الى مطعم بشارع «الشانزليزيه» اسمه مطعم « امباسادور» وأخذت أهون عليه ـ أثناء

الغذاء ـ وقع البرقيتين وما أظهره سعد من عدم اكتراث وأضفت أن الأمة والتاريخ سيقدران جهوده · وكان يسمع والألم يحز فى نفسه ولم يجب الا بقوله : انه يأسف لما ارتكبه من خطأ مع سعد ذلك انه كان صديقا له ومازال صديقا ، وتعاونا معا فى القضية المصرية ، وماكان يجوز له ـ أى لعدلى ـ أن يقول لصديقه «انه وطنى مثله ونظيف مثله» فقلت له ياباشا أنت تدهشنى من أن التعبير منك عن غضبك وغاية أملك ان تقول لسعد أنك وطنى مثله ونظيف مثله ولو كنت أنا محلك وطعنت فى وطنيتى وشرفى لما اكتفيت بهذا التعبير فأجابنى عدلى بانه يعتقد على كل حال أنه أخطأ فيما قاله لسعد وماكان يصح له أن يحتد بهذه الصورة ·

والحق انى أعجبت بهذا النبل من رجل ما كنت صديقا له وأسفت على أن مثله يكون موضع هجوم وتجريح كما حصل ثم افترقنا والألم يحز فى نفسى ·

١٧ نوفمبر ١٩٢٠

أمام ما أبدينا لسعد من اعتراضات اعترف بخطئه مع عدلى، وذهب اليه اليوم وسعى فى الصلح معه ، وانتهينا بان يرسل كل منهما برقية بعدم وجود شقاق بينهما ، فأرسل عدلى برقية بما اتفق عليه ، أما سعد فانه أرسل فى برقيته أن عدلى لن يعمل شيئا دون اتفاق مع الوفد ·

١٩ نوفمبر ١٩٢٠

سافر عدلى اليوم من باريس لمصر ، واقام له الوفد مأدبة وداع بفندق الكنتننتال بباريس ·

٢١ نوفمبر ١٩٢٠

حاول اليوم سعد استرضاء الأعضاء المعارضين له بكلام عام لم يقنع أحدا وفى الوقت نفسه أيد مصطفى النحاس فى ارساله البرقية الى أمين الرافعى ·

علمت أن سبب سعى سعد فى استرضائنا انه وجد نفسه فى الأقلية بعد ان أصبح حافظ عفيفى وويصا واصف على غير رأيه ·

٢٩ ديسمبر ١٩٢٠

استمر التقاطع بيننا وبين سعد أياما وامتنع هو عن الحضور لمقر الوفد· وحضر اليوم على ماهر للتفاهم مع فريقنا بغرض الصلح مع سعد

وجاء فى كلام على ماهر أن سعدا أخبره بانه عندما عرض على محمد محمود أن يكون بعض أعضاء الوفد فى الوزارة ليكونوا أغلبية فيها وأن يكون محمد محمود وزيرا ضمن هؤلاء الوزراء كان هازلا وأنه كان يريد معرفة ما يضمره محمد محمود ويظهر أن سعدا كان يريد بمسعاه هذا بين المعارضين أن يتهمهم فيما بعد بممالأة عدلى لغاية شخصية فى نفوسهم فلما ظهر خطأه ولم يقبل محمد محمود دخول الوزارة أفهم على ماهر انه كان هازلا فيما عرضه ٠

٣١ ديسمبر ١٩٢٠

لم يحضر سعد لمحل الوفد من نحو خمسة عشر يوما الا مرة واحدة وهو يصدر لمصر خطابات ونداءات من فندقه دون أن يطلع عليها أعضاء الوفد وانحصر همه فى منع تأليف وزارة الثقة التى سبق أن طالب هو والوفد بها مرارا وأصـــبح الآن يتهم بالمروق كل من يقبل تأليف وزارة تتولى المفاوضات فهو يخشى أن يؤلف عدلى وزارة تحوز ثقة الأمة ٠ وهو بما يكتبه كرئيس للوفد يحمل الوفد نتيجة تصرفات لا يعلم عنها الأعضاء شـــيئا ٠

٢ يناير ١٩٢١

ارسل لى سعد الاستاذ محمد كامل سليم السكرتير العربى للوفد يطلب منى أن أرسل له تحويلا بمبلغ ألف جنيه ولما كان سعد قد استلم منى مبالغ كبيرة لم يقدم عنها حسابا ولم يخبرنى بأوجه صرفها عرضت الأمر على زملائى وأشعرتهم انى أريد الاســـتقالة من أمانة الصندوق ـ وكنت أعطيت نقودا الى سعد كقرض دون قرار من الوفد على أن يردها ولم يسدد عرضت الأمر على زملائى فثار عبد العزيز فهمى وأخذ يعاتبنى كصديق وزميل وانتهى الأمر بالاتفاق على عدم قبول استقالتى والاكتفاء بالا يعطى لسعد شىء فيما بعد الا بقرار من الوفد ثم ارسلنا على الفور خطابا خاصا الى سعد بامضائنا جميعا (حمد الباســـل وعبد اللطيف المكباتى ومحمد محمود ولطفى السيد وأنا ٠ وبإقرار عبد العزيز فهمى الذى أبى أن يرسل بامضائه شيئا مكتوبا الى سعد) نحتج فيه على انفراده بالعمل دون أن يطلعنا على شىء وقررنا انه ان أجابنا بعدم امكانه العمل معنا نسافر جميعا الى مصر فورا وهاك نص الخطاب :

٢ يناير ١٩٢١

خصوصى وسرى

حضرة صاحب المعالى رئيس الوفد المصرى

لاشك أن معاليكم قد أحطتم علما بالحال السيئة التى فى مصر الآن انقسام فى الآراء ، وانصراف بعض الناس عن الوفد ، والاعراض عن اتباعه وتخاذل فى جسم الاتحاد الذى هو سندنا فى كل عمل والذى هو معقد رجائنا فى بلوغ الغاية التى ننشدها • حال سيئة لا نتأخر عن أن نصارح معاليكم بان سياسة الانفراد بالعمل مباشرة أو بالواسطة ـ تلك السياسة التى ظهرت فى الوفد من اواخر الصيف الماضى ـ يجب أن تحتمل قسطها الوافر من هذه النتيجة • ويسوءنا أيضا أن هذه الخطة ، مع ظهور نتائجها السيئة هنا وفى مصر لاتزال متبعة الى الآن ، اذ ان معاليكم انفردتم بارسال تلغراف الى اللجنة المركزية ، وارسال خطاب الى اللورد ملنر • وخطابات أخرى الى هيئات كثيرة فى مصر دون أن نشترك فى أمرها، فى حين اننا مسئولون دائما عما فيها •

لم نشأ ان نحتج على هذا التصرف فى حينه بل واظبنا على الحضور الى الوفد ، ولاحظنا أن معاليكم لا تحضرون ، فحملنا هذا الامتناع على خير مايحمل عليه ، ولم يكن لنقدر ان الغرض من ذلك الاصرار على الاستمرار دون مشاركتنا حتى علمنا من الحركات الأخيرة ، انكم ممتنعون قصدا عن الحضور دون أن يعرف سبب خاص لهذا الامتناع ، ثم علمنا امس أن بينكم وبين مستر «بلنت» شأنا يتعلق بالقضية المصرية ، وانكم ارسلتم الدكتور حامد محمود الى لندره لهذا الغرض ، وانكم تريدون ارسال احد الأعضاء لهذه الغاية نفسها كل ذلك بلا مشاورة لنا ، ثم علمنا اليوم انكم طلبتم من حضرة أمين الصندوق ألف جنيه لا يبعد أن تكون لتنفيذ هذه المهمة •

تلقاء هذه التصرفات الانفرادية التى ليست مباحة فى ذاتها والتى ظهرت بالحس نتائجها نرى من الواجب علينا ان نحتج على هذه الخطة وان نطلب الى معاليكم العدول عنها ، والرجوع الى العمل مع الوفد كله باعتباره جسما تاما تلقى وكالته من الأمة وتحمل كذلك بمجموعة كل المسئولية عن تنفيذ هذه الوكالة •

على اننا الآن ، تلقاء ما هو جار فى البلاد أحوج ما يكون هذا الوقت الى البحث فى تلافى ما وقع من اضرار السياسة التى اشرنا اليها ، والتى يضيق المقام الآن عن الافاضة فيها ، فان الحالة أحرج من أن يلافيها غير

الحزم والتدبر ، والوقت آزف من أن يحتمل المغاضبة والاهتمام بالشخصيات •

وتفضلوا يامعالى الرئيس بقبول تحياتنا واحترامنا

حمد الباسل ـ عبد اللطيف المكباتى ـ محمد محمود ـ أحمد لطفى السيد ـ محمد على •

٣ يناير ١٩٢١

حضر سعد لمحل الوفد وكانت نتيجة محادثتنا معه أنه يرى ما يأتى :

١ ـ ان لجنة ملنر قد انحلت نهائيا •

٢ ـ استحالة قبول الانجليز تحفظاتنا وخصوصا الغاء الحماية صراحة •

٣ ـ عدم ثقته بعدلى ورشدى ومن معهما مثل ثروت وغيره وانه لا يتصور أن عدلى يستقيل اذا ألف وزارة لم يصل فيها الى الغاء الحماية•

٤ ـ ان الوفد كان قد قرر عدم رضائه عن تشكيل أية وزارة صديقة قبل قبول التحفظات (وهذا خطأ فان الوفد لم يقرر ذلك وانما رأت أغلبيته أمام اصرار سعد عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية قبل قبول التحفظات مخالف فى ذلك قرارات له سابقة) •

٥ ـ سألنا سعدا ـ وقد أصر على قطع المفاوضة بدون مبرر ماذا نعمل اذن ؟

فقال « لا شىء ونتكل على الله » •

ولما لاحظ امتعاضنا أردف : « لابد من الاعتراف بالهزيمة والا فهل تريدون عمل ثورة فى مصر ؟ وما رأيك يالطفى بك ؟

فقال لطفى بك : «اننا لا نقبل الاعتراف بالهزيمة ، وبقطع المفاوضات • أما عن الثورة فانى بصراحة اذا اقتنعت بان من مصلحة بلادنا أن نقوم بثورة كنت أول المجندين الداعين اليها » •

تلك كانت آراء سعد النهائية • كذلك أعلن أنه سوف لا يكتب الى مصر نداء يعرقل تأليف وزارة بعد قبول انجلترا للتحفظات • ويريد أن تؤيد الجرائد الموالية فكرته وتمتنع جرائد المعارضة عن نشر ما يخالفها •

طلب الى سعد أن أقابله فى منزله مساء اليوم (٣ يناير) لشرب الشاى معه . فذهبت اليه فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وكانت مقابلته ودية ، ثم طلب منى أن أعطيه الألف جنيه التى سبق له ان طلبها . فأجبت بانى أعطيته من قبل مبالغ متعددة دون قرار من الوفد على أن يردها ولهذا اعتذر عن عدم الدفع وأوضحت له انى مستعد لدفع أى مبلغ يقرره الوفد وأخبرنى الا داعى لعرض الأمر على الوفد وانى كصـــديق له يمكننى أن أعطيه المبلغ ليكون دينا عليه لى شخصيا . فأعتذرت وأخبرته بانى مسئول عما دفعته اليه وانى لما عرضت الأمر على الوفد قرر الموافقة على السلفيات التى صرفت اليه بشرط عدم تكرار الاقراض . وبعد أن أخبرت أعضاء الوفد بانى مسئول شخصيا عما اقرضته ـ أى لسعد ـ اعفانى الأعضاء من هذه المسئولية . ثم ودعته وانصرفت بعد أن ذكرنى بصدور قرار من الوفد يقضى بان يكون صرف الشيكات بتوقيعه وتوقيعى .

٥ يناير ١٩٢١

ارسل لى سعد اليوم الخطاب الآتى نصه :

حضرة الاستاذ محمد بك على

يظهر انكم الى الآن لم تكتبوا ما اتفقت معكم على كتابته الى بنك الكريدى ليونيه من تقييد جميع المبالغ المودعة فيه للوفد بحساب الوفد وان يكون الصرف منها باذن ممضى منكم ومنى طبقا للقرار الســـابق صدوره .

فأرجوكم ان تنفذوا هذا القرار طبق ما تم عليه الاتفاق بينى وبينكم . كما أرجوكم ان ترسلوا المبلغ السابق طلبه ولحضرتكم التحية والاحترام ،،

سعد زغلول

فبادرت بارســـال الرد اليه فى نفس اليوم أى يوم ٥ يناير ١٩٢١ ونصـــه :

حضرة صاحب المعالى الأكرم

تشـــرفت بخطاب من معاليكم اليوم خاص بالمبالغ المودعة فى بنك الكريدى ليونيه لحساب الوفد وانى لزيادة الاطمئنان سارسل للبنك خطابا فوق ماعنده من التعليمات . أما عن الذى تطلبه معاليكم فقد رأى جميع حضرات الأعضاء الذين كانوا بمحل الوفد اليوم ان تعرض المسالة على جلسة الوفد حتى يقرر فيها بالاشتراك مع معاليكم مايراه ـ لهذا أرجو التكرم بافادتى بما ترونه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

محمد على

٦ يناير ١٩٢١

كان الدكتور حامد محمود قد ذهب الى «لندره» ثم رجع الى باريس ، وكنا قابلناه صدفة يوم ٤ يناير ١٩٢١ وسألناه عن سبب ذهابه الى لندره فاخفى علينا السبب ٠

واليوم اعترف لنا الدكتور حامد محمد بانه أخفى علينا سبب سفره لأن سعدا كان قد أخبره بسرية المأمورية وانه يعترف لنا الآن بعد أن صرح له سعد ٠ أنه ذهب بخطاب من سعد الى اللورد ملنر لم يقرأه هو ولم نعرف طبعا شيئا عن مضمون هذا الخطاب السرى ٠

دعانى اليوم سـعد للتفاهم معه فيما كان بيننا من خلاف وكانت المقابلة بفندق الكونتننتال وجرى بيننا عتاب سببه انى من المعارضين كما كان سببه مسألة النقود ٠

٧ يناير ١٩٢١

حضر اليوم سعد لمحل الوفد وقد عرضـنا عليه مضـمون بعض الخطابات التى وردت من مصر عن الحالة ، وفيها ان الانقسام فى الآراء وسد الطريق على وزارة موثوق بها موجب لدخول السلطان وشيعته فى الميدان وتولى المفاوضات الرسمية٠ وفى هذا من الخطر مافيه٠ فأجاب سعد بأن لا لوم علينا اذا حصل ذلك ، فاننا موكلون فى الاستقلال ويئسنا من الحصول عليه ولا يمكننا أن نعمل شيئا آخر كما لايمكن مطلقا أن نتضامن مع أية وزارة أو نؤيدها مع علمنا بانها خادعة أو مخدوعة ٠

وقد أجبناه بانه لم يفكر أحد فى التضامن مع وزارة ولا فى تأييدها وانما المطلوب هو حيدتنا لتكوين وزارة ثقة تدخل على أساس تحقيق تحفظاتنا ويكون لديها ما يطمئنها من الضمانات ٠ فقال أن الحياد غير ممكن وان الواجب أن نعلن أننا غير راضين عنها خوفا من أن يقال اننا معها سرا ان كان لديها وعد من الانجليز فهذا غير كاف ولا نصدقه وان كان لديها وثيقة كتابية فلم لا ندخل نحن ولا يمكننى أن اتنازل عن وكالتى عن الأمة ٠

وأظهر لنا أنه يفضل الآن سفره لمصر ولكن يظهر أنه غير جاد فى قوله هذا ٠

وقد طلع علينا برأى آخر جديد غير الآراء السابقة المتناقضة هو انه يقبل لالغاء الحماية والدخول فى المفاوضة أن ينص فى مشروع ملنر بما يأتى : « لأجل أن يبنى استقلال مصر أمام انجلترا وباقى الدول على أســـاس كيت وكيت » • وسرد الأمور التى نطلبها جميعا دون أن تلغى انجلترا الحماية صراحة •

وبعبارة أخرى فان سعدا يقبل بهذا الدخول فى المفاوضة على مجرد وعد بالنظر فى طلبات الوفد ، لا على اعلان الغاء الحماية فورا والواقع أن سعدا كان يريد وضع ألفاظ براقة فى مشروع ملنر يتمكن بها من أن يفاوض بنفسه وان يرأس المفاوضات دون أن يلاحظ الجمهور أنه غير ثابت على رأى واحد ويريد أن يدخل فى روع الأمة المصرية دائما انه الحفيظ على آمال الأمة والمتشدد فى طلباتها •

٨ يناير ١٩٢١

نشرت جريدة « الأخبار » فى عددها الصادر اليوم على لسان مكاتبها فى باريس ما يأتى :

ســـألت الرئيس عن حقيقة ما تزعمه بعض الصـــحف من ان الوفد يلح ان نتلغى انجلترا الحماية فى الحال بحيث ان مصر تدخل فى المفاوضات باعتبارها حكومة حرة مستقلة • وأجابنى الرئيس بمايأتى : « ان مثل هذا التحتيم غير مقبول فنحن نريد أن المعاهدة التى تعقد بين الطرفين تتضمن بين أحكامها حكما يلغى الحماية الغاء صريحا • واننا نقبل الدخول فى المفاوضات متى أعطى تأكيد بذلك » •

ومن الغريب أن مكاتب الاخبار المذكور لحكمة لا نعلمها كتب بعد ذلك بأشهر أى فى ٢١ يوليو ١٩٢١ أنه لم يأخذ حديثا فى ٨ يناير ١٩٢١ من سعد وانما استلم الحديث من الدكتور حامد محمود مكتوبا بخط واصف بطرس غالى بك أحد أعضاء الوفد وأقرب المقربين الى سعد والذى لم يعارض سعدا مطلقا فى أى رأى أدلى به للوفد سواء كان ذلك فى باريس أو لندره •

٩ يناير ١٩٢١

حضر سعيد اليوم بمحل الوفد ثم جاء الاستاذان عبد الملك حمزه واسماعيل كامل وأخبرانا انهما حضرا من مصر موفودين من محمود باشا سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية للوقوف على حالة الوفد وما قد اشيع من الانقسام بين أعضائه وليخبرا الوفد بحقيقة الحال فى مصر وقد

ذكرا أن الحالة هناك سيئة وان بعض القوم هناك ينسبون الى الوفد أنه قرر عدم الدخول فى المفاوضة وعدم الرضا عنها اذا كانت بواسطة حكومة ثقة الا اذا أعلنت انجلترا رسـميا قبول التحفظات · وان أنصار عدلى يزدادون عددا وقد أجابهما سعد بان ما يريده هو أن يعلن أن الغاء الحماية سيكون ضمن المعاهدة عند ابرام الاتفاق ·

وزاد سعد بان قال ان الفرنسيين الذين يقابلهم ينصحونه دائما بقبول المشروع باعتباره فرصة ما كانوا يظنون سنوحها ·

اجتمعنا اليوم مساء بالفندق الذى يقيم فيه أحمد لطفى السيد وقررنا التشديد على سعد فى ارسال النداء الذى وضعناه له · وقررنا تهديده بان نرسل نحن هذا البيان باسمائنا الى لجنة الوفد فى مصـر ان هو رفض ارساله ·

١٠ يناير ١٩٢١

حضر سعد لمحل الوفد · ثم حضر عبد الملك حمزه واسماعيل كامل وتناقشا مع سعد ومعنا وبعد ذلك أدليا الى بانهما تأكدا من سوء نية سعد ومن أنه لا يريد سوى المحافظة على شهرته بما يتخذ من أعمال ـ وقد ثبت من محادثة له مع مندوب الاخبار وارسلها اليوم تلغرافيا لمصر انه يخطىء القائلين بالتصريح بالغاء الحماية فورا وانما اذا حصل تأكيد بان الغاءها سيكون فى المعاهدة الرسمية فان الوفد يدخل فى المفاوضة ·

هذا مع العلم بان قرار الوفد نص على الا يدخل المفاوضة الا على أساس جميع التحفظات ·

دعا سعد أحمد لطفى السيد ومحمد محمود لمقابلته فى الفندق اليوم للتفاهم معهما · ثم أخبرهما برغبته فى أن يكون فى الوزارة أعضاء من الوفد وأما هو فانه لا يقبل بحجة ان رياسة الوزارة صغيرة بالنسبة اليه وانكر ماعزاه اليه صديقه على ماهر من أنه امتنع عن الحضور لمحل الوفد غضبا وعرض عليهما خطابا من ملنر يشكره فيه على تهنئته برأس السنة ·

١١ يناير ١٩٢١

نشرت اليوم جريدة الديلى الانجليزية حديثا لسعد جاء فيه :

« تناقش معى سـعد زغلول باشـا رئيس الوفد المصرى فى باريس فى تقرير لجنة ملنر عن مصر وقال ان وفده لم يطلب الغاء الحماية حالا تمهيدا للمفاوضات ولكن الأمة المصرية مع ذلك تطلب أن أية معاهدة تعقد



بين البلدين على أساس تقرير ملنر يجب أن تتضمن قبل كل شيء آخر الغاء الحماية ـ فاذا أعطته الحكومة ضمانا صريحا فان الوفد لا يتردد فى دخول المفاوضات معها ·· واعرب سعد باشا عن تقديره العظيم لبعد نظـــر اللورد ملنر وحكمته واعتداله وأدبه وعن أســـفه لما سمعه عن استقالته ·

لم يحضر سعد اليوم لمحل الوفد وقد أخبرنى دومانى الســـكرتير الفرنسى للوفد بصفة سرية انه كان مع زوجته مدعوا للغذاء مع سينوت حنا فى مطعم بضواحى باريس وكان معهم على ماهر وجرى الحديث فى موضوع اختلاف أعضاء الوفد وانقسامهم فى الراى وقد قال له على ماهر انه علم أن سبب الخلاف هو ان لطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على قد وعدهم عدلى بان يكونوا وزراء معه وانهم اتفقوا على تاليف الوزارة فعلا ولم يتهم عبد العزيز فهمى بهذه التهمة لأنه مصـــاب بروماتيزم فى أعصابه كما لم يتهم عبد اللطيف المكباتى بحجة انه سليم النية وبسيط ويظهر لى أن هذا الاتهام آت من سعد ·

دعا سعد حمد الباسل والمكباتى فى الفندق للتفاهم معهما فذهبا ·

١٤ يناير ١٩٢١

عرض علينا عبد الملك حمزه ـ فى مقر الوفد وفى غياب سعد ـ أنه مكلف من اللجنة المركزية بأن يعرض على الوفد السعى فى تاليف وزارة من عدلى وشرح حالة البلد الموجبة للأسف وقال ان لم نتداركها كانت المسئولية عظمى ونظرا لتغيب سعد فقد كلفنا عبد العزيز فهمى بان يذهب اليه ويعرض عليه ما ارتآه عبد العزيز وهو أن نسعى فى أن يكون سعد ضمن المفاوضين الرسميين دون باقى أعضاء الوفد وان لم يمكن ذلك فاننا نساعد فى تاليف المفاوضين من وزارة عدلى صيانة للبلاد ويكون ذلك منا بنداء للأمة مثلا بتأييد عدلى واظهار الثقة به لما فى ذلك من الفائدة لقضية مصر وقد وعد عبد العزيز بالذهاب الى سعد وطلبنا من عبد الملك حمزه أن يكتب لنا تقريرا بمأموريته فوعد بذلك ·

١٥ يناير ١٩٢١

حضر عبد العزيز فهمى الينا اليوم بمقر الوفد ـ وسعد غائب ـ واخبرنا بانه ذهب اليوم لسعد وعرض عليه ما اتفقنا عليه فأبى كل الاباء تأييد عدلى وأضاف ـ أى سعد ـ أن أنصار عدلى هم الذين أوجدوا الشقاق

بما كتبوه فى جرائد مصر وما على عدلى الا أن يعلن أنه مع الوفد ويسير على مبادئه وبهذا ينتهى الاشكال وطلب من عبد العزيز أن ينصحنا بذلك وأضاف بانه متمسك بمبادىء الوفد فى جميع تصرفاته وأنه أرسل الدكتور حامد الى مستر «بلنت» ليخبره ان يقول للنر ان من الممكن ان سعدا يقبل الدخول فى المفاوضة الا على أساس قبول جميع التحفظات لكن سعدا أجابه عبد العزيز لسعد ان هذا العمل مخالف لقرار الوفد الذى صـــدر بعدم الدخول فى المفاوضة الا على أساس قبول جميع التحفظات لكن سعدا أجابه بأنه يمكنه أن ينكر تكليف حامد بالمأمورية التى كلفه بها اذا رأى الوفد عدم قبول المفاوضة على الأساس الذى أرسله الى « بلنت » • وعندئذ عارضه عبد العزيز ولم يستسغ هذا الانكار • فأجابه سعد بان السياسة يجوز فيها الكذب • كما اعترف له بان المحادثة التى أرسـلها بالتلغراف لجريدة الأخبار بمصر كانت خاصة بالغاء الحماية •

١٦ يناير ١٩٢١

قررنا اليوم نحن الخمسة ـ لطفى السيد ـ محمد محمود ـ حمد الباسل ـ المكباتى ـ وأنا ـ السفر الى مصر نظرا لحالة سعد وتباعده واخترنا الباخرة سفنكس التى تقلع من مرســيليا فى ٢٠ يناير ١٩٢١ وسيكون معنا عبد العزيز فهمى الذى قرر السفر وقطع التذكرة قبلنا •

١٧ يناير ١٩٢١

أخذنا التذاكر بالباخرة سفنكس وظهر اليوم فى جريدة « الأوفر » الفرنسية ان حديث سعد مع مكاتب الأخبار أحدث تأثيرا سيئا فى مصر وقامت مظاهرات فى الاسكندرية والقاهرة نودى فيها بسقوط الوفد •

ومن الغريب أن سعدا أرسل الينا فى مقر الوفد صورة تلغرافين يريد ارســـالهما لمصـــر احدهما لمحمود باشا سليمان يستفسر فيه عن الحالة والآخر لمصطفى النحاس يقول فيه ان الأخبار مقلقة فعجبنا لهذا التصرف من سعد ومن أنه يريد اشـــراكنا فى أمره ورددنا اليه صورة التلغرافين وأخبرناه بان يتصرف كما يريد بعيدا عنا •

ذهب اليه عبد الملك حمزه واسماعيل كامل وأخبراه باننا نريد منه نداء يجمع كلمة الأمة ويوجد الثقة بعدلى لحمل الانجليز على تعيينه فى الوزارة خوفا من أبعاده وتقوية توفيق نسيم وقلنا ان يخبراه بان هذا نداء لا ينشر فى الجرائد الا مع نداء من عدلى نفسه ، فابى سعد نهائيا

وقال أنه لا يثق بعدلى فهددناه بســـفرنا وأجابهما سعد بان قال لهما : فليسافروا ـ وقد لوحظ وجود سينوت حنا وعلى ماهر وواصف غالى فى منزل سعد وانهم يعقدون معه مجلسا فى أغلب الأيام ٠

وفى اليوم نفسه أرسلنا الخطاب الآتى الى سعد

١٨ يناير ١٩٢١

حضرة صاحب المعالى سعد زغلول باشا رئيس الوفد المصرى

نتشرف بان نعرض على معاليكم ما يبلغ الوفد الآن عن حال البلاد انها مضـــطربة الفكر متشـــعبة الأهواء وانكم تعلمون علما بديهيا أن المفاوضات الرسمية انما تحصل على تأييد الوزارة المصرية ٠ وتعلمون ان من المصلحة الكبرى ان تكون هذه الوزارة مؤلفة من رجال يؤمل فيهم الحرص على هذه المصلحة وان أولى الرجال اللائقين برئاسة الوزارة هو عدلى يكن باشا ٠ وتعلمون مما ورد من الاخبار ان له مشـــايعين كثيرين ٠ كما تعلمون ان له فى حركة الاستقلال يدا وفضلا عظيما فى كثير من المواطن ٠ فمن المتعين اذن ان يحرص الوفد على مثله ويستبقيه لينتفع به سواء فى الحال أو الاستقبال ٠

وقد عرضنا عليكم جمعا للشتات وتوحيدا للكلمة ، وتقوية لمركز الوفد واستبقاء لعدلى باشا ، وحملا لأولى الأمر على تكليفه بتاليف الوزارة ان تكتبوا للبلاد كلمة تدل على ثقة الوفد به ، وتاييده اياه ، لا ثقة عمياء ، وتأييدا مطلقا ، بل مشروطا بان يكون على مبدأ الوفد ، والا يقبل المفاوضات الا اذا كان لديه تصريح بالغاء الحماية ، كما عرضنا عليكم ان المصلحة الكبرى للبلاد تقضى بعدم دخول أحد من أعضاء الوفد فى الوزارة ولكن تطمينا للوفد عرضنا أن يحصل اتفاق خصوصى مع عدلى باشا على أن تكونوا أنتم ضمن المفاوضين الرسميين الذين تنتدبهم الحكومة المصرية عرضنا ذلك كله فلم نجد منكم الا اباء تاما لم نفهم له دافعا صحيحا ٠ ولقد خطر فى بالنا أنكم ربما تشكون من حالة البلاد الآن وحرج مركزها من جهة ما بها من الانقسام وتشعب الأهواء هذا المرض الذى أخذ يدب فيها على ما يشتهى خصومها ، وانكم ربما كنتم مطمئنين أن الوفد يبقى قويا الى الأبد ، وان لن يؤثر فى مركزه مؤثر ، خطر لنا هذا وهو ما نتوهمه داعيا لابائكم وعدم اجابتكم طلبنا متمشيا مع هذا الخاطر من جهة وسعيا فى ازالة خطر الانقسام المحدق بالبلاد من جهة أخرى نجد أنه لا محيص لنا من درس الحالة بالدقة للوقوف على حقيقتها بالمشاهدة ، فنطلب منكم كما كنا

طلبنا من قبل ان تسافروا أنتم وجميع أعضاء الوفد الى مصر فى أقرب وقت لهذه الغاية والبحث فى مداواة هذه الحال بالطرق الممكنة ٠٠ والا فانا مضطرون جميعا للسفر لمصر على أقرب مركب لدرس الحال واصلاح ما نستطيعه منها وايقافكم من هناك على مجريات الأمور ٠ وعلى كل حال فلقد كان موضع اتفاق بيننا وبينكم جميعا أن محل العمل الحقيقى الآن فى هذه الظروف السيئة هو مصر لا جهة أخرى ٠

وان زملينا عبد العزيز فهمى بك الذى تضطره حالته الصحية للسفر لمصر والانقطاع عن العمل ريثما تعود اليه القدرة عليه ٠ كما سبق أن استأذن الوفد فى ذلك يشاركنا فى هذا الرأى ويوافق عليه تمام الموافقة ٠

وتفضلوا يا معالى الرئيس بقبول تحياتنا واحترامنا ،،

أوافق على صواب هذا الرأى ،

عبد العزيز فهمى

من هذه الخطابات يظهر جليـــا مبلغ رغبة أعضـــــاء الوفد فى التضامن مع سعد وحرصهم على الا يكون فى البلاد انشقاق ، ومبلغ احترامهم لسعد كرئيس للوفد المصرى رغم تصرفاته مع زملائه وتناقضه فى آرائه ومبادئه وان الأعضاء كانوا حريصين على احترام قرار الوفد الأول القاضى بعدم دخولهم وزارة الثقة ، وان يكونوا مجاهدين لا طلاب مصلحة شخصية ولا مجد ٠ وان يبقوا هكذا جنودا مجهولين يشتركون فى الجمعية الوطنية اذ انتهى الأمر باتفاق على معاهدة مع الانجليز ٠

كان حالنا مع سعد فى هذه الآونة مما يؤسف له فقد قاطعنا واتخذ لنفسه من غير مؤسسى الوفد بطانة من الذين يريدون زحزحة المؤسسين والحلول محلهم مع ان المؤسسين هم الذين جاءوا بسعد واقنعوه بالتضامن معهم فى تكوين وفد يسعى لاستقلال مصر ، وجعلوه رئيسا لهم لأنه كان اكبرهم سنا ووزيرا سابقا ووكيلا منتخبا عن الجمعية التشريعية ٠

استمر التباعد بيننا نحن المؤسسين وبين سعد ٠ وقررنا الســـفر فذهبنا اليه واخبرناه باننا حرصا على مصلحة البلاد واتقاء للفرقة نريد ان نترك له حريته فى أوروبا حتى اذا ظفر بخير للبلاد كان الفخر له وحده ٠ واذا لم يظفر كنا بعيدين عن اية مســـئولية من تصرفاته فانه فى الواقع يتصرف منفردا ولا يقبل منا رأيا ونحن سنذهب الى القاهرة نعمل مع اللجنة المركزية دون أن يشعر احدا بفرقة او اختلاف فى الرأى ٠ ومن لايستطيع منا العمل يبقى فى بيته أوعمله الخاص ورجونا له النجاح لكن سعدا

اجابنا بما يشعر أنه غير محتاج الى مساعدة أحد « وأنه مطمئن » فتركناه وانصرفنا بعد توديعه ·

١٩ يناير ١٩٢١

لم نقصر فى امداد سعد بما يحتاج اليه من نقود · وارسلت بالاتفاق مع زملائى خطابا الى واصف غالى بصفتى امينا للصندوق بتاريخ اليوم ونصـــــه :

حضرة صاحب العزة واصف بطرس غالى بك المحترم

بما اننا مسافرون اليوم الى مصر فقد قرر حضرات الأعضـــاء الموجودين فى مركز الوفد اليوم اعطاء حضرتكم مبلغ مائة وخمسين ألف فرنك للصرف منها على أعمال الوفد ، مع العلم بأنى لو تأخرت فى الرجوع واحتجت الى نقود فما على حضرتكم الا اخبارى فى وقت مناسب لارسال ما يكون ضروريا ·

وتفضلوا بقبول فائق احترامى ،،

محمد على

وطبعا عرض واصف غالى الأمر على سعد وكانت الاجابة أن رد واصف الى خطابى هذا مصحوبا ببطاقة زيارة باسمه دون أن يكتب عليها شيئا وأخذ تحويل البنك ·

عرفنا بعد ذلك أن سعدا طلب الى ابراهيم سعيد باشا وهو الذى كان يرسل الينا النقود فى باريس أن يخطر بنك « الكريدى ليونيه » وبنك «روما» فى باريس بأن جميع النقود التى أرسلها باسمى أو باسم الوفد انما كانت مرسلة لشخص سعد باشا زغلول وطلب تحويل جميع المبالغ لحساب سعد وفعلا حولت النقود جميعها باسم سعد فى باريس ، واذكر ان ما حول فى ذلك الوقت كان نحو ٨٥ الفا من الجنيهات عدا نحو ١٤ الفا كانت لدى اللجنة المركزية معدة لتحويلها مع ما يضاف اليها مما يرد من تبرعات ·

محاولة للابقاء على وحدة الوفد

ولقد قرر الوفد فى الوقت المناسب عدم الدخول فى المفاوضات الرسمية الا بعد أن يجاب الى اضافة التحفظات التى طلبها على المشروع ، لتكون كلها أساسا للمفاوضات الرسمية · ولايزال يرى المصلحة فى التمسك بهذا

القرار الى النهاية ، فلن يدخل فى المفاوضات الرســـمية بالذات الا على هذا الشرط • ولكنه مع ذلك يرى من المصلحة ومن الواجب عليه الا يتخطى رغبة الأمة تلك الرغبة التى تقضى عليه بأن لا يكون بعيدا عن المفاوضات الرسمية فى اية حال • وبديهى أن القيام بهذا الواجب لا يتيسر وان ـ المفاوضات الرسمية لا تنتج النتيجة التى تطلبها بريطانيا العظمى ومصر ، كلا الأمرين لا يتم الا اذا باشرت المفاوضات الرسمية وزارة تكون موضع ثقة الشعب ، مجردة الميول ، معروفة المواقف فى حركة الاستقلال ، ومع ذلك فانه مما لا شبهة فيه ان الوزارة مهما كانت ثقة الشعب بها لن تنال تعضيده الا اذا كان عندها تصريح بان النص على الغاء الحماية أساس من الأسس التى تبنى عليها المفاوضات الرسمية ، والا لعرضت نفسها للتعاقد على الحماية فى حين ان الأمة صاحبة الكلمة الأخيرة لا تقبل بحال الا الاستقلال •

رجوعنا الى مصر

طعنـــة فى الظهـــر

تركنا فرنسا وكلنا أمل فى أن ينشر النداء من سعد على الأمة • وارسلت الأقلية التى بقيت مع سعد فى فرنسا صورة النداء الى لجنة الوفد المركزية بالقاهرة فى نفس الباخرة التى اقلتنا •

ولكن حدث مع الأسف الشديد ان سعد حال دون نشر هذا النداء بان أرسل برقية(٣١) الى جريدة « الأخبار » نشرتها قبل وصول باخرتنا الى مصر بيومين جاء فيها :

«••• غير أن فكرة نبتت الآن فى بعض النفوس ترمى الى أن الوفد مع تمسكه بهذه الخطة (أى التحفظات) فى خاصة نفسه لا يمنع الغير من الدخول فى المفاوضة علي خلاف هذا الشرط بل يلزمه أن يؤيده ويعلن ثقته به متى كان من أصدقائه ، وهى فكرة اقل ما فيها انها غير مفهومة ولا قابلة للفهم ، ولا يترتب عليها الا افساد خطة الوفد » •

كما حذر الأمة من هؤلاء الذين يعنيهم ببرقيته ، أى أنه حذرها منا ، وسعى فى ايجاد شك فى أعمالنا ووطنيتنا ونحن فى عرض البحر بين السماء

---

(٣١) انظر نص البرقية كاملا ملحق رقم (٥) ص ٣١٨ •

والماء ، أملا فى أن تقابلنا الأمة بالسخط والكراهية وبتلك الحيلة النكراء يسد الطريق أمام تكوين أية وزارة موثوق بها بعد أن أيقن استحالة تعيينه رئيسا لوزارة تباشر المفاوضات بسبب كراهية السلطان له وخاصة بعد أن علم بسعيه فى خلعه مقابل التساهل فى بعض المطالب الوطنية وما كنا نعلم بما أقدم عليه سعد من ارسال برقية ضدنا حتى اتتنا برقيتان من مصر فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢١ ونحن فى الباخرة نص أولاهما :

« لطفى بك السيد بالباخرة سفنكس

سفركم سبب دهشة عظيمة نرجوكم واصدقاءكم عدم التصريح بشىء الى أى شخص قبل أن تقابلونا ·

عفيفى ـ ويصا ـ النحاس

ونص البرقية الثانية :

« محمد محمود باشا بالباخرة سفنكس

وردت انباء باريس تطالب الوطنيين باليقظة منكم وبقبولكم المفاوضات الرسمية على غير أساس الغاء الحماية بترويجكم مشروع ملنر فسبب ذلك تأثيرا سيئا أفيدونا ·

جورج خياط ـ سيد خشبة

حرنا فى أمرنا من هذا التصرف الغريب الذى أترك للقارىء تقديره والذى جرح قلوبنا جرحا عميقا وترك فى نفوسنا مرارة ممضة فما كنا نتصور أن يصل الافتراء الى هذه الدرجة وان ينزل المفترون الى هذا الدرك وان يتحكم الهوى فى النفس الى حد اختراع الأباطيل اشباعا للشهوة ونيلا من المعارضين · ·

ولما وصلنا الى الاسكندرية قابلنا اصدقاؤنا وقابلتنا الجماهير بالاستفسار عما حدث وتجمعوا فى بهو الفندق الذى نزلنا فيه فخطب بعضنا فيهم بما يشعر بوجود شقاق أو انقسام وطلبنا الى الناس أن يعتصموا بالاتحاد ·

ثم سافرنا الى القاهرة وكانت الجماهير تحيينا فى المحطات بالهتاف للوفد ، وكنا نؤكد اتفاقنا وتضامننا · ثم كان استقبالنا فى القاهرة بالغا منتهى الروعة ، وكان البعض يستفسر عما قصده سعد ببرقيته فكنا نجيب بكلام يدل على التضامن ثم ذهب كل منا الى منزله ورأينا ازاء تصرفات سعد الا نذهب الى لجنة الوفد المركزية وان ينصرف كل منا الى عمله مع

الابقاء على علاقتنا باللجنة . وكنا ندلى لمن يتصل بنا باننا وقد تعبنا نحو السنتين فى أوروبا نحتاج الى شىء من الاستجمام .

تأليف وزارة عدلى

بقينا على هذه الحال الى أن كلف السلطان عدلى باشا بتأليف الوزارة فى ١٦ مارس ١٩٢١ وفرح الناس خاصة بعد الذى علموه من سيرة عدلى ولما كان بينه وبين الوفد من صلات وتعاون ونثبت هنا جواب عدلى الى السلطان بقبول تأليف الوزارة(٣٢) ليكون القارىء على بينة من برنامجها :

«... أتقدم لعظمتكم بجزيل الشكر على ما أوليتمونى من الثقة الغالية اذ تفضلتم بتكليفى بتأليف الزارة فى الظروف الحاضرة وشرفتمونى بتقليدى رتبة الرياسة .

ولقد كان لى من جليل شرف عظمتكم أكبر تشجيع على قبول تلك المهمة ووضع اخلاصى كله فى خدمتكم وفى خدمة البلاد .

« لذلك اتشرف بأن أعرض على عظمتكم اسماء الوزراء الذين تتألف منهم هيئة الوزارة وقد قبلوا مشاركتى فى العمل ، حتى اذا صادف ذلك الاستحسان العالى بصدور الأمر الكريم بالتصديق عليه (وذكر اسماء الوزراء ولم يكن منهم أى واحد من أعضاء الوفد كما كانوا يتقولون) » .

« ان الوزارة ستجعل نصب عينيها فى المهمة السياسية التى ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك فى استقلال مصر ، وستجرى فى هذه المهمة متشبعة بما تتوق اليه البلاد، ومسترشدة بما رسمته ارادة الأمة، وستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك فى العمل لتحقيق الغرض .

« ومما يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بان المفاوضات ستجرى على أساس الغاء الحماية ، من شأنه ان يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة ، فان ذلك التصريح الذى يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدعو الى الأمل بان المفاوضات التى ستحصل بهذه الروح

---

(٣٢) لمعرفة التشكيل الوزارى انظر كتاب النظارات والوزارات المصرية جـ ١ ، ص ٢١٩ .

ستفضى الى اتفاق محقق للأمانى الوطنية ، ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين ، شعاره المودة وتبادل الثقة وسيكون للأمة على لسان الممثلين لها فى الجمعية الوطنية القول الفصل فى هذا الاتفاق .

« وبما أن هذه الجمعية ستكون أيضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستأخذ على عاتقها تحضير مشـــروع دستور موافق للمبادىء الجديدة للأنظمة الدســتورية وســتحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التى تكفل تمام حريتها وتنظم بكيفية تحقق تمثيل رأى الأمة تمثيلا صحيحا .

« وفى هذا المقام تعرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع فى الرجوع الى النظام العادى ، وبأنها ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة فى القريب العاجل ، وأنا نعتمد على حكمة الأمة فى تسهيل هذا العمل الذى يحقق نجاحه أعز أمانى الوزارة .

واننا لندرك حق الادراك ما تحتاجه البلاد من الاصلاحات الكبرى بيد اننا لتمسكنا باشتراك الأمة فى وضعها نمتنع عن كل تغيير جوهرى قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد ، على اننا بتأييد عظمتكم لنا ســـنسعى بادارة أمور البلاد وننشط بها فى خير الطرق وأصلحها للمحافظة على مرافقها ولتوسيع نطاق رقيها ، وستكون المسألة الاقتصادية الحاضـــرة موضع اهتمامنا العظيم .

هذا وان الوزارة على يقين من أن هذا المنهاج يوافق المقاصـــد التى مازالت عظمتكم تصـــبو اليهـــا لخـــير رعـــاياها ، وهى مع ما تشعر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود ، معتزة بعطف وتعضيد عظمتكم ، ومعتمدة على ثقة البلاد .

وانى لعظمتكم ... الخ

عدلى يكن

القاهرة فى ٧ رجب ١٣٣٩ (١٧ مارس ١٩٢١)

ولما أعلن فى الصحف نبأ تشكيل وزارة عدلى وبرنامجه الذى أرسله للسلطان اهتزت الأمة فرحا . وكيف لايكون ذلك وقد تألفت وزارة الثقة التى طالما سعى سعد ورفاقه الى تأليفها . وكيف لا يفرح الشعب وقد أعلن عدلى فى كتاب تأليف وزارته أنه يتمسك بالتحفظات التى كان الوفد يعلنها .

وطالما طالب سعد عدلى بالدخول فى المفاوضات مع من يختارهم من الوزراء وان يكون الوفد بعيدا يرقب نتيجة هذه المفاوضة ·

اذن فقد كان عدلى منفذا لرغبة الوفد ، منفذا لرغبة سعد صديقه ، رغم مالاقاه منه فى باريس ولندره من طعن وتجريح بعد أن أدى للوفد خدمات لا يجوز انكارها ·

ولقد كان المؤسسون للوفد ـ وهم زملاء سعد ـ أكثر الناس اغتباطا ، لأنهم قد حققـــوا رغبتهم فى ألا يكونوا أعضـــاء فى الوزارة وأن يبقوا متراصين فى الوفد يعملون ويراقبون ما تقوم به وزارة يرأسها عدلى ذلك الرجل الذى سعى سعد فى احضاره الى أوروبا ولبى الدعوة بعد الحاح شـــديد ·

ونقف هنا قليلا فنقول كيف يمكن الظن بأن زملاء سعد يفضلون عدلى عليه وسعد هو صديقهم الأول ورفيقهم فى الجهاد وماذا يفيدون من تمسكهم بان تكون رئاسة المفاوضين لعدلى · انهم لم يشتركوا فى الوزارة ، ولم يفكروا فى الاشتراك فى المفاوضة الرسمية · فتحبيذهم المفاوضة بواسطة عدلى لم يكن الا لأن مصلحة البلاد تدعو لذلك بعد أن وقر فى نفوسهم أن سعدا غير كفء للمفاوضة بما لمسوه مذ كانوا فى باريس ولندره وما لاحظوه فى عدلى من كفاية وجدارة ·

ان عدلى لا يصلح لأن يكون زعيما شعبيا وانما الذى يصلح لهذا هو سعد ، فهو نشيط وخطيب وكان محاميا قديرا وهو كثير الاصدقاء ومنهم أولئك الذين ألفوا الوفد معه ·

أما عدلى فكان قليل الاختلاط بالناس · وما كنا نعرف عنه قليلا او كثيرا وقد آزرنا سعدا فى الجمعية التشريعية ليكون وكيلها الأول وأصبح عدلى وهو الوكيل المعين فى المرتبة الثانية ·

كان هذا اعتقادنا فى الاثنين · لكنا بعد التجارب الطويلة القاسية بين باريس ولندره من ابريل الى نوفمبر ١٩٢٠ عرفنا ان عدلى وأن لم يكن يصلح للزعامة الشعبية فانه «رجل دولة» أى انه سياسى ودبلوماسى من الطراز الأول · ولقد سمعنا ونحن فى أوروبا من أجانب ذوى مراكز رفيعة ممن اتصلوا بعدلى وبسعد أن أكبر دولة فى أوروبا تفاخر بأن يكون لها رئيس وزارة مثل عدلى ·

أضف الى ذلك ان الرجل اثبت لنا دقة تفكيره وصبره فى المفاوضة ، كما أظهر لنا أدبا جما وهو لا يحقد على من يخالفه فى رأى ويسعى فى الوصول الى الحق ويرجع اليه دون أن يرى فى ذلك غضاضة بخلاف سعد فانه كان يرى ألزام غيره الاقتناع برأيه ولو كان خاطئا ، ويعتبر التشبث برأيه جزءا من كرامته ، ولطالما جـــرح من حادثوه أو ناقشوه ، لكنه والحمد لله قد وجد أمامه رجالا طالما صدوه ومنهم على شعراوى ومحمد محمود وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد والمكباتى وحمد الباسل · وكنت أنا معجبا بهؤلاء الرجال كما كنت آسفا على ما وضعتنا الظروف فيه ولا أخفى أن بعضنا فى آخر مراحل وجودنا فى أوروبا وصل أمرهم الى الأسف على الاشتراك مع سعد فى تأليف الوفد وغيابهم عن الوطن نحو عامين ضاع فيهما الكثير من أرزاقهم وتعرضـــوا لكثير من المتاعب ثم هم لم يطمعوا فى زعامة أو وزارة وكانت نتيجة جهادهم أن أســـرف سعد فى تجريحهم وآذاهم فى وطنيتهم ·

الف عدلى وزارته وبرنامجها كما علمت وقد أعلن فيه دعوة الوفد الى المساهمة معه فى المفاوضة تحقيقا لتضامن الأمة فى مرحلة حاسمة من مراحل جهادها ·

لكن سعدا آثر بقاءه فى باريس ، وارسل الينا فى القاهرة لنعود اليه ثانية كى يكون أعضاء الوفد جميعا معه هناك· ورغم ماقاسيناه من سلوكه وخاصة برفقته الأخيرة الى مصر ، رغم هذا كله قبلنا الرحيل ثانية ، وأعددنا حقائبنا ، وأخذنا جوازات السفر ، وبينما نحن نتأهب لمغادرة البلاد واذا سعد يبرق الينا بعدم السفر وبأنه حاضر الى مصر ·

وقد علمنا بعد ذلك أن المقربين اليه من أعضاء الوفد ارسلوا اليه من القاهرة أن عدلى قد كبر شأنه وان الأمة آخذة فى الالتفاف حوله ، وان من المصلحة له أن يعود الى مصر حتى يحتفظ بمكانته لدى الشعب ·

عودة ســـعد من اوروبا

وصل سعد الى الاسكندرية فى ٤ ابريل ١٩٢١ ، وكنا فى استقباله وكانت هناك مظاهرات واحتفالات ·

وخطب سعد فى وليمة عشاء اقيمت له بالاسكندرية قال فيها :

« ·· وجاءت الوزارة الجديدة ببيان كلكم قرأتموه جاء فيه وعد بأنها تتمشى مع ارادة الأمة وتسترشد بارشاداتها ، وجاءت فيه دعوة للوفد

المصرى بأن يدخل فى المفاوضات الرسمية والوفد ورئيسه يهتفون أنفسهم بانهم يرون وزارة تتربع أو تتولى الأحكام فى مصر وتريد أن تتمشى مع ارادة الأمة ، فانه لا شىء أحب الى الوفد الذى يمثل الأمة من أن يرى على منصة الأحكام وزارة مستعدة لأن تتمشى مع هذه الارادة » ٠

انظر كيف كان سعد متحرزا لا يمدح الوزارة ولا يذمها ، وكان كل همه أن يعلن للناس أن الوزارة انما هى خاضعة لارادة الوفد أى لارادة الأمة ٠

وأعدت وزارة عدلى باشا قطارا خاصا أقل سعدا ومن معه الى القاهرة ٠وكان الناس متراصين فى المحطات يهتفون بحياة سعد والوفد ووزارة الثقة ، وعندما وصلنا محطة القاهرة واتجهنا بالسيارات الى منزل سعد كانت الآلاف المؤلفة تحتشد فى المحطة وفى ميدانها وفى الطرقات وفى شرفات المنازل الى أنوصلنا الىبيت سعد وبقينا برهة معه فى مكتبه وأتى كثير من الناس يهتفون باسمه ويحيونه ٠

ولقد لفت نظرى أمر له أهميته ذلك أن سعدا فاجأنا ونحن فى مكتبه ، وبعد دقائق من وصـــولنا انه بعد الذى قوبل به من الهتافات والابتهاج والتكريم كان همه ان بادرنا بأنه غاضب على السلطان وغاضب على عدلى بسبب ان السلطان فؤاد لم يرسل كبير أمنائه سعيد ذو الفقار باشـــا لاستقباله فى المحطة رسميا باسم السلطان ٠ وكان ذنب عدلى أن نادى محمد على لم يرفع العلم عند مروره بشارع سليمان باشا ابتهاجا وتعظيما له وعدلى هو رئيس هذا النادى ٠

دهشنا لهاتين الملاحظتين فى وقت كان يجب أن يقدر فيه اغتباط الأمة وفرحتها بقدومه لا أن ينظر الى هذه الأمور ويجعلها محل اعتبار ٠ ولم نستبشر خيرا بنتيجة هذا النوع من التفكير الذى ماكان يليق برجل مثله ان ينساق فيه بل كان يجب وهو زعيم الأمة ان يشغل بمسئولياته عن هذا الصغار ٠

رأى عدلى الا يشكل الوفد الرسمى للمفاوضة حتى يشرك ســـعدا معه ٠ ولما انتهت الاحتفالات بمقدم سعد ، اخذ عدلى يفاوضه فى أمر تشكيل هيئة المفاوضين لكن سعدا وقد اطمأن الى مكانته فى الشعب صمم على أن يكون هو رئيس المفاوضــين والا فانه يمتنع عن الدخول فى المفاوضـــة ويحاربها ٠

ولما لم يجد النقاش معه نفعا ، وكان يستحيل أن يرأس المفاوضين وفيهم رئيس الحكومة ووزير الخارجية مما يخالف كل تقليد للحكومات ، انحصر الخلاف اذن فى رئاسة المفاوضة التى تشبث بها سعد ونجم عن ذلك مهاجمة سعد لوزارة صديقه عدلى فى حفلة اقيمت بشبرا فى ٢٥ ابريل ١٩٢١ مهاجمة عنيفة هزأ فيها بالتقاليد الرسمية فى العالم كله التى تقضى بان يكون رئيس الحكومة أو وزير خارجيتها هو الذى يرأس المفاوضات ووصم عدلى بانه موظف انجليزى عينه السلطان الذى يستمد سلطته من المندوب السامى الانجليزى وان مفاوضة عدلى مع الانجليز انما هى مفاوضة جورج الخامس مع جورج الخامس · ووصف عدلى ومن يؤيدونه بانهم « برادع الانجليز » كما اعلن انه سيهاجم كل وزارة مصرية تفاوض الانجليز الا اذا رأس هو المفاوضين ، مع العلم بأن رياسته للمفاوضين لابد أن تكون بمرسوم من السلطان نفسه ·

وبعد اعلان سعد فى خطبته هذه محاربة عدلى ، اجتمع الوفد يوم ٢٨ ابريل ١٩٢١ وقررت الأغلبية عدم اشتراك الوفد فى المفاوضة وعدم محاربة الوزارة لكن سعدا شذ عن الجماعة وأصر على اعلان عدم الثقة بالوزارة وعلى محاربتها · ولم يؤيده سوى واصف بطرس غالى وسينوت حنا وويصا واصف ومصطفى النحاس وعلى ماهر وكانت النتيجة ان استقال على شعراوى واستقال بعده بقليل جورج خياط ، وارسل خمسة من الاغلبية خطابا الى سعد فى نفس اليوم جاء فيه :

« قضت مصلحة البلاد التى اخذنا انفسنا بالقيام عليها أن نصارحكم القول اننا لا نستطيع ان نقركم على جعل القضية المصرية قضية شخصية يصح أن يكون للميول الذاتية فى أمرها محل من الاعتبار ·

« نقول والأسف يملأ قلوبنا انكم بغير اجازة الوفد بل خلافا لقراراته الصريحة قد أعلنتم عدم الثقة بالوزارة بعد أن أجابت كل طلباتكم ، ماعدا شرط الرئاسة الذى لا نراه يقدم أو يؤخر شيئا فى حسن سير المفاوضات ·

« فعلتم ذلك فلما عرض الأمر اليوم على الوفد ولم تقركم اكثريته على هذه الخطة الضارة صممتم عليها واستهنتم برأى الأكثرية مرة أخرى وجئتم بمثال من ذلك فى معاملتكم لاحدنا عبد اللطيف بك المكباتى ·

« تلقاء هذا الاستئثار بالرأى والانفراد بالعمل لا يسعنا حقا وعدلا الا أن نبرأ الى الله والى الأمة من تبعة الشقاق الذى نجم عن انتحاء هذا النحو

والذي طالما سعينا فى اتقائه الى حد مجاراة بعضنا اياكم على دخول الوفد فى المفاوضات خلافا لخطته .

« والآن نرى أن الواجب الوطني يقضى علينا أن نعلن ثقتنا بوزارة نزلت على ارادة الأمة ووافقت الوفد على كل ما اشترط من حيث مهمة المفاوضين الرسميين والاغراض التى يجب عليهم السعى لبلوغها . فان الوزارة لا تستطيع أن تصل الى تحقيق آمال البلاد الا اذا كانت متينة المركز فى الامة معضدة الخطة من أولى الرأى فيها ولا تحال خذلانها الا خذلانا للغرض الأسمى الذى عاهدت الأمة على الوصول اليه .

« نعلن رأينا هذا ونصرح تلقاء الخلاف القائم فى الرأى العام بأن الخطة المثلى هى عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية اتباعا لخطة الوفد الأولى منبهين الوزارة الى أن كل اتفاق ليس شاملا للتحفظات التى أيدتها الأمة والتى تتمسك بها كل التمسك لا يقابل من الجمعية الوطنية الا بالرفض الصــريح .

« ولقد نشعر ان الذين صبروا الى اليوم خليق بهم أن يصـــبروا ويقدموا قربانا جديداً على مذبح الاتحاد فى هذا الموقف ، ولكن الأمر أجل من أن يحتمل تساهلا ، وأعجل من أن يقبل أناة والاتحاد أوشك أن يكون مقصودا لذاته لا لثمراته ، فالله نسأل ان يوفق أهدى الفريقين منا سبيلا الى تحقيق آمال البلاد .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،

حمد الباسل ـ عبد اللطيف المكباتى ـ محمد محمود ـ أحمد لطفى السيد ـ محمد على .

ولم يوقع على شعراوى هذا الخطاب لاستقالته كما لم يوقعه جورج خياط لاستقالته أيضا ولم يوقع عبد العزيز فهمى لعدم ثقته بسعد واعتقاده بعدم فائدة أى نصح نسديه لسعد . وانضم الينا فى الرأى الدكتور حافظ عفيفى .

لم يكن من سعد بعد خطابنا اليه الا أن نشر فى اليوم التالى أى فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢١ بيانا فى الصحف ينم عن نفسيته ويكشف عن اعتقاده بانه وحده هو الوفد ومما جاء فيه :

« .. لهذا فاننا اعتمادا على الثقة التى شرفتنا الأمة بها ، وأبدتها عند كل مناسـبة وعلى الأخص فى المظـــاهرات التى قابلتنا بها ، وعلى

التشجيعات التى لاتزال تبديها ، والتأكيدات الوثيقة التى تأتينا من كل الجهات مؤيدة لتوكيلنا ومحبذة لخطتنا ، نؤكد بان الوفد الممثل للأمة بعد انفصال المخالفين عنه مستمر فى العمل ٠٠ الخ ٠٠ » ٠

ومن هذا التاريخ اعتبر سعد نفســـه هو الوفد ، واعتبر اغلبية الأعضاء ومنهم المؤسسون جميعا من المنشقين ٠

ترتب على هذا الشقاق انقســـام الأمة الى فريقين ٠ فريق عدلى ويضم كثيرا من المثقفين ووجهاء البلاد ممن عرفوا حقيقة الحال وفريق سعد ويضم كثيرا من حسنى النية الذين أثرت فيهم النداءات والمهرجانات ومن النفعيين الذين ينتهزون الفرص ، ومن العامة والبسطاء ٠

حال سيئة زادها سعد وشيعته سوءا بالخطب الكثيرة والمظاهرات الصاخبة وكلها طعن وسب فى عدلى ورشدى وثروت ومن آزرهم ٠

وقد بلغ الاسفاف فى المظاهرات التى أوعز بها فريق سعد الى حد أن المتظاهرين كانوا ينادون بسقوط عدلى ورشدى ومن معهما ويصفونهم بالخيانة وبأنهم برادع الانجليز وأن الحمـــاية على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى ٠

وفى الوقت الذى أسرف فيه سعد فى اتهامه مواطنيه كان يعلن ان الانجليز « خصوم شرفاء معقولون » ٠

كان مركز عدلى واخوانه فى غاية الحرج ٠ فلم يكن منه وهو رئيس الوزارة وقد اشتد الاضطراب فى البلاد ، وتعطلت الأعمال واصيب الابرياء بكثير من العنت والاضـــرار الا أن أصـــدر بيانا فى ٥ مايو ١٩٢١ هذا نصـــــه(٣٣) :

« ماكنا ننتظر مطلقا عند دعوة الوفد المصرى للاشـــتراك معنا فى المفاوضات الرسمية أن يعترض قيامنا جميعا بالواجب نحو الوطن أى خلاف ٠

---

(٣٣) بمطابقة هـذا النص بما ورد فى أرشيف مجلس الوزراء لوحظ وجـود اختلافات بين النصين فى الكلمـات التى تحتها خط كمـا يلى بترتيب ورودها وهى لشرك ـ تخالف بها ـ المفاوضون ـ للثقة بها ـ تشأ ان ـ يلازم ـ العيشة ـ للاتفاق معه فقد ـ نطقه الكريم لى ٠

« لما طلبت حكومة بريطانيا العظمى الى عظمة مولانا السلطان تعيين وفد رسمى للمفاوضات تفضل عظمته وأصدر أمره الكريم بتكليفى بتأليف وزارة للقيام بهذه المهمة وقد وضعت الوزارة برنامجا سياسيا يسع تحقيق مطالب البلاد » .

« ولما كان غرض الوزارة هو نفس الغرض الذى يسعى له الوفد المصرى فقد رأت ، توحيدا للقوى أن يشترك هذا الوفد معها فى المفاوضة ونصت فى برنامجها على دعوته لذلك .

تقبلت البلاد برنامج الوزارة بالارتياح العام ، لأنه جاء مطابقا لآمالها ، وأظهرت الأمة ما أظهرت من الثقة فى هذه الوزارة ومن تعضيدها » .

« عاد سعد باشا زغلول ومن معه من زملائه ، فاستقبلتهم الوزارة بالترحيب ، وسهلت كل السبل للمظاهرات والاحتفالات التى اقيمت لهم ، وبعد قليلدعوناه والوفد للاشتراكمعنافىالمفاوضاتفاشترطلذلك شروطا بعضها يتعلق بموضوع المفاوضات وبعضها خارج عنه .

« تداولت الوزارة معه فى تلك الشروط ، فكانت نتيجة البحث والمداولة أن الخلاف بينها وبينه أصبح منحصرا فى نقطة واحدة هى رئاسة المفوضين ، تلك الرئاسة التى مازال يتشبث فى طلبها لنفسه .

« ولقد أوضحنا له أن التقاليد السياسية فى جميع البلاد لا تسمح بحال من الأحوال أن يدخل رئيس حكومة فى مفاوضة سياسية ولا يكون هو رئيس الهيئة الرسمية التى تتولاها من قبل البلاد .
« أما القول بأن مصر ليس لها تقاليد فى هذا الصدد فلا وجه له اذ أن مصر وهى ساعية فى أن تكون فى عداد الدول المستقلة ، لا يجوز لها أن تبتدع بدعة تخالف تقاليد تلك الدول التى تريد أن تكون فى مصافها » .

« فلما أبلغته الوزارة أنها لا تستطيع اجابته الى هذا الطلب محافظة على كرامة الحكومة ، أخذ يبرره بنظرية أنه ان سلم بها أدت حتماً الى استحالة كل مفاوضة رسمية بين مصر وبريطانيا العظمى أيا كان المفوضون مادامت السلطة المصرية التى تكسبهم الصفة الرسمية هى التى تستمد منها الوزارة سلطتها . ومما يؤسف له أنه استعمل فى التدليل على هذه النظرية عبارات جارحة لعواطف من مدوا يدهم اليه ، لا تبررها أية ضرورة اذ زعم (ان رئيس الوزارة ليس الا موظفا من موظفى الحكومة الانجليزية ، يسقط ويرتفع باشارة من المندوب السامى وهو بهذه الصفة

لا يمكنه ان يكون بازاء رئيسه وزير خارجية انجلترا حرا فى الكلام لأنه مدين له بمركزه) • على أنه يجب أن يعلم هو وغيره اننى لست موظفا انجليزيا ، وان ليس وزير خارجية انجلترا رئيسا لى ، بل اننى رئيس حكومة مصر ، قبلت هذا المركز لأقوم فيه بالواجب على لوطنى بحرية لا يحدها أى اعتبار من الاعتبارات •

« وكيف لا أكون حرا فى الدفاع عن مصالح بلادى امام وزير خارجية انجلترا ، وأنا الذى صرحت فى بيان وزارتى الرسمى أننى لم أقبل هذا المركز الا للمطالبة بالغاء الحماية وتحقيق الاستقلال للبلاد » •

« وقد انتهى أمره مع الوزارة بأن صرح بانه لا يرضى بالاشتراك معها فى المفاوضات الرسمية مطلقا ولو قبلت جميع شروطه وحجته فى ذلك أن الوزارة ترغم الناس على الثقة بها ، وانها أصدرت أوامرها الى جميع الموظفين بالا يشتركوا فى اى احتفال يقام من اجله كما انها اكرهت كثيرا منهم على تغيير آرائهم التى ابدوها تأييدا له ، وحرمت المظاهرات التى يهتف فيها باسـمه ، بل ان جزاء الهاتفين له فى طنطـا كان ضـرب الرصـاص •

« فأما ما يزعمه من ارغام الناس على ابداء الثقة بالوزارة فما كانت الوزارة فى حاجة الى السعى فى الحصول على مظهر جديد من الثقة ، وهى لم تشأ نشر ما ورد ولايزال يرد عليها بكثرة من رسائل التعضيد والتأييد ، سواء من الهيئات النيابية أو من الأفراد •

« وأما اصدار الأوامر بمنع الموظفين من اقامة احتفالات لسعد باشا فالحقيقـة فى ذلك أن الحكومة نبهت الموظفين الذين كونوا لجنة لدعوة زملائهم الى اقامة حفلة تكريم له الى أن هذا العمل الذى أتى فى وقت جهر فيه سعد باشا بالعداء للحكومة والطعن عليها لسبب شخصى لا تعلق له بجوهر القضية المصرية لا يتفق مع واجباتهم نحوها بصـفتهم هيئة من الهيئـات العمومية • هذا حق لا يمكن انكاره على اية حكومة من الحكومات ، والا اختل النظام وضربت الفوضى أطنابها •

« وأما المظاهرات فان الحكومة منعتها طبقا لأحكام القانون العام ، واذا كان لأحد من الناس حق الامتعاض من هذا فليس هو سعد باشا • فلقد دامت المظاهرات بعد حضوره أياما عديدة ، والحكومة عاملة على حفظ النظام جهد الاستطاعة ، غير أن الناس ضـجوا من استمرارها ، وظهرت لهم آثارها السيئة فى أسواق التجارة والحالة الاقتصادية على

العموم • ثم ان سكان المدن لا يستطيعون ان يعيشوا تحت رحمة المتظاهرين ، ومايلزم المظاهرات من تشويش العاطلين وليست عيشة المظاهرات المستديمة هى المعيشة العادية فى أى بلد من بلاد العالم • وللناس مصالح يغدون ويروحون لقضائها ، وقد جعلت الطرق العمومية لتسهيل أداء هذه المصالح لا لمظاهرات المتظاهرين أو لهتاف الهاتفين ثم أن البوليس المكلف بحفظ النظام عليه واجبات تعوق باشتغاله بملاحظة هذه المظاهرات التى ابتذلها التكرار •

« وأما حادث طنطا(٣٤) فليس أحد أشد أسفا من الحكومة لوقوعه ، وها أمره الآن بيد النيابة العمومية وسينال كل من تثبت ادانته فيه جزاءه الحق •

« هذا ونظرا الى أن الخطة التى انتهجها سعد باشا قد سدت كل طريق للاتفاق معه ، قررت الوزارة السير فى عملها الذى أخذته على نفسها ، وعرضت الأمر على عظمة السلطان وصدر نطقه الكريم بتأليف وفد المفوضين الرسمى تحت رياستى • وتنفيذا لهذا النطق السامى ستعرض الوزارة على عظمته التقرير المبين لمهمة المفوضين واسمائهم لاستصدار أمره الكريم على ذلك •

« وانا لنعتمد على حكمة الأمة وحرصها على مصلحتها فى أن تهيىء للمفاوضات جوا صالحا ليسهل على المفوضين القيام بالمهمة الموكولة اليهم والى الأمة وحدها بعد ذلك القول الفصل فى نتيجة تلك المفاوضات • وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير البلاد » •

١٥ مايو ١٩٢١

عدلى يكن

بعد هذا البيان الصريح من رجل كان صديقا لسعد ، وأدى واجبه مع الوفد ومع لجنة ملنر • وأمضى أشهرا بين لندره وباريس يضحى بما

---

(٣٤) فى يوم ٢٩ أبريل ١٩٢١ وبعد تأدية صلاة الجمعة بالجامع الأحمدى بطنطا ، خطب بعض الطلبة فى المجتمعين مهددين بالقيام بالمظاهرات وتقديم الاحتجاجات ضد كل وزارة تقف ضد الوفد وتتعرض لسياسته . وتدخلت مشيخة الجامع للحيلولة بين الخطباء وبين الجماهير واستدعت مأمور قسم بندر طنطا لتفريق المتظاهرين الأمر الذى انتهى بالصدام بين الطرفين . ولقد أوقف حكمدار بوليس الغربية عن العمل وقدم للمحاكمة العسكرية . (أرشيف مجلس الوزراء ، تقرير عن حادث طنطا مقدم من النائب العمومى لدى المحاكم الأهلية الى وزير الحقانية فى ٥ مايو ١٩٢١) .

يضحى من ماله وراحته ، لم يقبل فريقنا أن يساير الضلال وقرر ان يشجع عدلى ويعترف بوطنيته ونزاهته بخطاب أرسلناه اليه ونصه :

الى حضرة صاحب الدولة عدلى يكن باشا

يا صاحب الدولة

ان الظروف الصـــعبة التى فيها أخذ كل منا واياكم بنصيب من المسئولية فى قضية الاستقلال سواء عند تأليف الوفد المصـــرى أو مدة المفاوضات الماضية قدمكنتنا من الاقتناع بمقدرتكم السياسية السامية وتفانيكم فى خدمة القضية المصرية من أجل ذلك لم تدهشنا من جانبكم هذه المذكرة الخطيرة التى بعثتم بها الى الحكومة البريطانية احتجاجا على تصريحات وزير المستعمرات • فانها على ما تشف عنه من الحذق السياسى دليل واضح للمفاوضين الانجليز على انكم لن تفرطوا لهم فى صغيرة ولا كبيرة من أغراضنا القومية ولا من المقاصد التفصيلية التى تتعلق بتلك الاغراض، وبرهان جديد على أن المفاوضين عن مصر رجال أحرار ليسوا تابعين فى عملهم لسلطة غير سلطة ضمائرهم ، لا يلينون فى دفاعهم عن حقوق الأمة أمام أى اعتبار من الاعتبارات •

أما وهذا عنوان خطتكم فى المفاوضات الرســـمية ، وذلك ماضيكم الشريف فى المفاوضات غير الرسمية وفى كل موقف وقفتموه من قبل أنتم وزملاؤكم فى قضية الاستقلال ، لا يسعنا الا أن نناديكم بأن تسيروا على بركة الله مؤيدين من الأمة واثقين بأن مصر على رغم هذه المحنة السطحية أعطف الأوطان على ابنائها العاملين لمجدها المتفانين فى خدمتها •

سيروا مؤيدين من الأمة ، ولا تخشوا تفرقا فى الكلمة ، فاننا معشر أبناء النيل لا نلبث وقت الشدة أن نجمع صفوفنا ونسعى متكاتفين بخطوة واحدة الى غرضنا الأسمى الذى قد عرفنا ان نضـــحى فيه بكل مصلحة شخصية وبكل رابطة مذهبية أو حزبية فلن يعوزكم اجماعنا على تأييدكم أثناء المفاوضات ، فاننا نعلم يقينا ان هذا الاجماع هو العلة الوحيدة للنجاح نسأل الله ان يوفقكم الى تحقيق آمال البلاد •

وتفضلوا يا دولة الرئيس بقبول تحياتنا وعظيم احترامنا ،،

١٢ يونية ١٩٢٠

على شعراوى ــ محمد محمود ــ عبد العزيز فهمى ــ أحمد لطفى السيد ــ محمد على ــ عبد اللطيف المكباتى ــ حافظ عفيفى •

سفر وفد عدلى

لم يتراجع عدلى نتيجة ما وقع فى البلاد من احداث ، وارتأى من واجبه ان ينفذ برنامجه بالمفاوضة وقرر السفر الى لندره مع من اختارهم من المفاوضين والمستشارين وان يكون سفره يوم أول يوليو ١٩٢١ ٠

ومما تجب ملاحظته ان حسين رشدى الذى كان نائبا عن الخديو أذ كان رئيسا لمجلس الوزراء فى عهد عباس ثم فى عهد السلطان حسين هذا الرجل لم يتردد فى ان يكون عضوا من أعضاء الوفد الرسمى للمفاوضة مع كيرزون وتحت رياسة عدلى يكن الذى كان وزيرا تحت رياسته سنوات طويلة ، ولم يعتبر حسين رشدى عمله هذا تضحية منه بل اعتبره واجبا يؤديه لخدمة بلاده ٠

سافر الكثيرون الى الاسكندرية لتوديع عدلى ، وازدحمت بهم المدينة ، والقيت هناك كلمات وقصائد منها قصيدة قالها المرحوم حافظ ابراهيم بك جاء فيها(٣٥) ٠

(أيه عدلى انى ادخرتك للجلى وقد تصلح الشعوب بفرد) ٠

لكن سعدا لم يسكت وارسل بعض أعوانه الى لندره ليعرقلوا سير المفاوضات وليضعفوا مركزعدلى٠وهناكنشروا ما نشروا فازدادالانجليز فهما لحقيقة الانقسام فى الامة واشتطوا فى طلباتهم مع عدلى فرفض ما انتهت اليه المفاوضة مع اللورد كيرزونالتىاستغرقتمن١١يوليو الى ١٩ نوفمبر ١٩٢١ واعتزم الرجوع الى مصر ٠ وقبل عودته نشر على الأمة المصرية البلاغين الآتى ذكرهما :

البلاغ الأول :

لندره فى ١٩ نوفمبر ١٩٢١

« سلم اللورد كيرزون الى الوفد الرسمى المصرى مشروع معاهدة وضعتها الوزارة البريطانية وقد أجاب الوفد عليها بان هذا المشروع

---

(٣٥) القصيدة التى نظمها حافظ ابراهيم عن عدلى بعنوان « مصر تتحدث عن نفسها » ومطلعها :

وقف الخلق ينظرون جميعا ... كيف ابنى قواعد المجد وحدى

وتتكون من ٥٩ بيتا اختتمها الشاعر بالبيتين الآتيين :

ايه عدلى انى ادخرتك للجلى ... وقد تصلح الشعوب بفرد

لست أنسىلك المواقف فالبس ... كل يوم بردين من نسج حمدى

لا يسمح بالوصول الى اتفاق وعلى ذلك قرر الوفد العودة الى مصر ، وسيغادر لندره غدا صباحا · وقد قابل دولة الرئيس اليوم اللورد كيرزون لآخر مرة مودعا » ·

البلاغ الثانى :

باريس فى ٢٠ نوفمبر ١٩٢١

«غادر الوفد الرسمى المصرى مدينة لندره هذا الصباح · وقد سبق أن ارسل الى مصر بطريق البريد نص مشروع المباحث الذى وضعته الحكومة البريطانية ورد الوفد عليه · وسننشر هاتين الوثيقتين(٣٦) بعد ·

هذا وقد أعلنت وزارة الخارجية البريطانية من جهتها أنها بعثت بهاتين الوثيقتين بواسطة جناب الماريشال اللنبى ومعهما مذكرة ايضاحية لم يطلع عليها الوفد » ·

عـــودة وفـــد عـــدلى

قطع عدلى المفاوضـــات لأنها لم تحقق ما أعلنه فى برنامج تأليف وزارته فاثبت بذلك ما يعلمه الناس عنه وما يعلمه عنه سعد نفسه ، من أن هذا الرجل وطنى شريف وأنه ليس بموظف انجليزى كما اتهمه سعد فى أحاديثه وخطبه ، وغادر أوروبا ووصل الاسكندرية يوم ٧ ديسمبر ١٩٢١ فهرع الناس لاستقباله والاحتفاء به تقديرا لمسلكه الوطنى · وكان المفروض ان تنتهى أثر ذلك الخصومة بين سعد وعدلى بل ان يستغفر سعد صديقه القديم · ولكن ذلك مع الأسف لم يحصل ، واليك الدليل :

استقل عدلى والمفاوضون معه ومستشاروه وجمهور من الوجهاء والعلماء قطارا خاصا من الاسكندرية الى القاهرة وقريبا من دمنهور لاحظ سائق القطار وجود كتلة من الحديد ربطت بالقضبان اذا اصطدم بها القطار انقلب وأصيب جميع من فيه ، وكلهم من أعز ابناء مصر عليها ومن أبرهم بها فاوقف السائق القطار فورا وازيلت الكتلة الحديدية ونجت الأرواح البريئة من موت محقق ·

---

(٣٦) هما مشروع مباحثات عدلى فى بريطانيا .

وصل عدلى ومن معه الى القاهرة · وقد لاحظت بنفسى اثناء مرور موكبه فى ميدان باب الحديد وجود عدد كبير من الصبية يقتربون من الموكب ويرشقون السيارات بالطين وغيره كما لاحظت ان « رسل » باشا حكمدار القاهرة والمكلف بحفظ النظام لم يعن باتخاذ الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على موكب الرئيس فيبعد هؤلاء الصبية ، وهذا الحكمدار الذى أهمل واجبه انجليزى ويعلم ان عدلى قد قطع المفاوضة مع الانجليز فهل كان لاحساسه أثر فى تراخيه ؟

كذلك شاهدت سعدا يمر بعربته فى الميدان فجرى الصبية خلفه وأخذوا يهتفون له مما جعل الناس يتساءلون عن سبب مروره فى تلك الآونة وهل كان مجرد صدفة أو انه أراد الاطمئنان على ان الصبية أدوا واجبهم نحو استقبال عدلى ومن معه ·

وأعد أصدقاء عدلى حفلة تكريم له فى فندق الكونتننتال حضرها بعد ان ذهب الى سراى عابدين ورفع للسلطان تقريرا عما دار فى المفاوضات ، وهذا نصه :

« ياصاحب العظمة

اتشــرف بان ارفع الى عظمتكم بيان ما جرى فى المفاوضـــات التى دارت بين وزارة الخارجية الانجليزية وبين الوفد الذى ألف بمقتضى الأمر الكريم الصادر بتاريخ ١٩ مايو ١٩٢١ » ·

« أبحرنا من الاسكندرية أول يولية ووصلنا الى لندره فى الحادى عشر من ذلك الشهر ، وقد ارسل لى اللورد « كيرزون » يوم وصولنا يدعونى لمقابلته ، وعلمت انه هو الذى سيتفاوض مع الوفد الرسمى المصـــرى من جانب الحكومة الانجليزية يعـــاونه بعض كبار موظفى وزارته · فقصدت اليه فى اليوم التالى ، وكان لى معه حديث تمهيدى لتحديد اجراءات المفاوضة ، وقد أفضى لى فى ذلك الحديث بانه يقدر صعوبة المسألة ولكنه شعر بالرغبة فى الوصول الى اتفاق يرضى البلدين ، ورجا ان يتذرع كلانا بالاناة والصبر فى الخلاف ، والا تمنعنا شدته فى أمر من ان نتركه حينا ونعالج غيره من الأمور واذ كنا قد اتفقنا معه على ان تكون المناقشـــة مطلقة من كل قيد ، وان يدلى كل فريق فيها بما يراه ، كان لنا ان نتوقع أن تظهر مسافة الخلاف بين وجهتى نظرنا ونظر الحكومة الانجليزية واسعة أول الأمر على الأقل ·

نعم ان الدعوة التى وجهتها الحكومة الانجليزية الى عظمتكم قريبة فى صيغتها العامة من اساس برنامجنا الذى تضمن جوابنا على تلك الدعوة، ولكنه قد يسهل الاتفاق على مبدأ ويختلف على تفصيل ذلك المبدأ والتفريع عليه ٠ أما وجهة النظر المصرية فكانت سهلة واضحة ، اذ تنحصر فى طلب الاستقلالوالغاء الحماية٠ ويترتبعلى ذلك ان تكون مصر متمتعة بكل الحقوق التى تتمتع بها الدول المستقلة ذات السيادة التامة ٠ غير انه لما كان الشعور العام فى مصر قد درج من أول الحركة المصرية على التسليم بتقديم الضمانات الواجبة لصالح انجلترا ومصالح الأجانب على العموم ، لم يكن لنا بد من ان نطلب من اللورد كيرزون بادىء الرأى ان يحدد تلك الضمانات ، لنتعرف مبلغ اتفاقها مع معنى الاستقلال فان كانت لا تنافيه قبلناها أو كانت تنافيه وتجعله اسما على غير مسمى لن نتردد فى رفضها ٠ اما الاعتراف باستقلال مصر والغاء الحماية الانجليزية فلم يكونا مثار خلاف بيننا وبين الحكومة الانجليزية ، اذ ان مفهوم المناقشة أنه اذا وصلنا الى اتفاق بشأن تلك الضمانات كانت نتيجة ذلك الاتفاق وضع معاهدة تقرر استقلال مصر والغاء الحماية دوليا وتثبت تلك الضمانات ٠

« لم تكن مسألة الضمانات أمرا جديدا أو موضوعا بكرا ، فقد جرت بشأنها أحاديث فى العام الماضى، ووضعت لجنة اللورد ملنر عنها مشروعا أبدى عليه المصريون بعض التحفظاتوأعلنتالحكومة الانجليزيةفىدعوتها انها لم تعلن قرارها بشأنه وذكر لنا اللورد كيرزونفىجلستنا الأولىانها لم ترتبط بما فيه ، وانها لا ترتبط بغير الدعوة التى وجهت الى عظمتكم بواسطة الماريشال اللنبى فى ٢٦ فبراير ١٩٢١ ، فهو اذا لم تلتق أرادة الفريقين على أساس الحلول التى عرضت فيه ، فلا نزاع فى انه حصر وجوه الاستشكال ومواقع الصعوبة فى المسألة المصرية ٠ وقد جرت المناقشة فى الجلسات التى حضرها الوفد مجتمعا فى ١٣ و ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٢٩ يوليه فى مسائل القوة العسكرية الانجليزية فى مصر وتمثيل مصر السياسى ، والموظفين الانجليزيين فى وزارتى المالية والحقانية والامتيازات باعتبار انها المسائل التى ترتبط بمعنى الضمانة والتامين ٠

« اما مسألة القوة العسكرية التى كانت فى مشروع اللورد ملنر وسيلة لتحقيق غاية هى حماية المواصلات الامبراطورية ، فقد أصبحت فى نظر الحكومة الانجليزية وسيلة لتحقيق غايات مختلفة :

أولاها : الدفاع عن سلامة المواصلات الامبراطورية فى حالتى السلم والحرب ٠

والثانية : مساعدة مصر فى الدفاع عن سلامة الحدود المصرية من أى اعتداء خارجى اذا دعت اليها الحالة ٠

الثالثة: حماية المصالح الأجنبية ٠

الرابعة : مساعدة الحكومة المصرية فى قمع الفتن الخطيرة وحفظ النظام اذا دعت الحاجة الى ذلك ٠ وأصبح لهذه القوة أن ترابط فى أى مكان من مصرى ولأى زمان ٠

« وقد يظهر من تعدد هذه الغايات وامتدادها الى أهممظاهرالحياة السياسية أن القوة العسكرية اصبحت بنفسها غاية لا وسيلة ٠ وقد قيل لنا أن الحكومة الانجليزية لم تشـــاطر لجنة اللورد ملنر الرأى فى هذه المسألة ، وكانت حوادث الاسكندرية حجتها الكبرى فى هذا المذهب الذى كان جديدا علينا ٠

« واما التمثيل السياسى فقد وجدت الحكومة الانجليزية أن لجنة ملنر تجاوزت مدى ما يحسن التسليم به لمصر ٠ وعندها أنه يحق لمصر ان تكون لها وزارة خارجية ووزير خارجية ، على ان يكون هذا الوزير فى أوثق اتصال والصق علاقة مع مندوب انجلترا السامى ، وأن يكون تمثيلها السياسى موكولا الى ممثلى انجلترا ، وانما يجوز لها أن تعين قناصل للأعمال التجارية وانها ليس لها أن تعقد أية معاهدة من غير موافقة انجلترا ٠

« اما الموظفان الانجليزيان للمالية والحقانية فقد اتخذت الوزارة الانجليزية بشأنهما الرأى الذى ورد به المشروع الأخير ، وهو من كل الوجوه أشد مما ذهبت اليه لجنة اللورد ملنر ٠

«واما الامتيازات فقد كانت وزارة الخارجية سائرة فى طريق المفاوضة رأسا مع الدول على أساس ينقصه التعريف والتحديد ٠

« يتبين من هذا أن الموقف الذى اتخذته الوزارة الانجليزية بشأن المسائل التى تدور حولها الضمانات الواجبة لمصالح انجلترا ومصالح الأجانب يختلف فى جملته وتفصيله عن المذهب الذى تعهدنا بالســـعى فى تحقيقه ٠ وقد قضينا الجلسات الخمس الأولى نمحص هذه المسائل ونرد النتائج الى أسبابها والمعلولات الى عللها الحقيقية ، وشفعنا المناقشـــة الشفهية بمذكرات ارسلت بتاريخ ٢٦ و ٢٨ يوليو جلونا فيها بعد ما بين آراء الوزارة الانجليزية والاستقلال ٠

« ونعتقد اننا فى نهـــاية هذا الدور ظفرنا باقناع اللورد كيرزون بمذهبنا فى علاقات مصر الخارجية وتمثيلها السياسى ٠ ثم انه لما كان

الأساس الصحيح فى نظرنا للمفاوضة مع الدول فى الغاء الامتيازات لا يتعين الا بعد الفراغ من وضع المعاهدة بيننا وبين انجلترا ، وكنا نخشى ان هذه المفاوضات يطول أمدها ، ولا نريد ان يعلق نفاذ المعاهدة على انتهائها ، فقد رأينا ان خير ما يتحقق به ذلك النفاذ ويتقى به التعليق هو أن تبقى الآن الامتيازات وان تجرى المفاوضات بيننا وبين انجلترا على أساس بقائها ، وقد وجهنا البحث الى هذه الغاية فافسح اللورد كيرزون صدره لهذا الرأى ثم تلقاه بقبول حسن ، ولكننا لم نمارس فى هذا الدور تفضيل ذلك الرأى وترتيب النتائج عليه ، وفوق ذلك فقد تقدم الكلام فى الموظفين المالى والقضائى ، اللذين أصبحا يسميان مندوبين ، شوطا يسيرا ، غير انبعدما بين مذهبنا ومذهبهم فى المسألة العسكريةكانيقضى علينا قبل أن نخطو خطوة جديدة ان نعالجها معالجة شديدة • وقد كان لى مع اللورد كيرزون حديث فى ذلك الشأن ، تلته مذكرة جديدة منه على تلك القوات ، وليس بين مذكرته الأولى فى هذا الموضوع وهذه المذكرة الجديدة اختلاف جدى فى تعريف أغراض القوة واحكام وجودها • وكل ما زادته الثانية على الأولى ان عدد تلك القوات والأماكن التى ترابط فيها أصبحا محلا لاعادة النظر • وقد اقترحت المذكرة الجديدة ان تكون هذه المادة من المعاهدة قابلة للتعديل باتفاق الطرفين بعد عشر سنين ويراعى فى ذلك التعديل ما سوف يجد من الظروف ، وعلى الأخص قدرة الحكومة المصرية على احتمال قدر أكبر من المسئولية عن تنفيذ الأغراض التى نيط بتلك القوة القيام عليها • وقد دعانا اللورد كيرزون الى استئناف اجتماعاتنا اذا نحن قبلنا هذه المقترحات اساسا لها • فتبينا ان الاتفاق على هذه المسألة عزيز المنال ، اذ كنا قد ابدينا حججنا فى هذا الصدد وأعدناها أكثر من مرة ، ولكننا لم نكن نعرف بعد مدى ما تقبله الحكومة الانجليزية فى غيرها من المسائل ، اذ لم تكن المقترحات التى عرضت علينا الا أولية لا تلبث ان تتكيف بفعل المناقشة والتفاهم الى صيغ وحلول أخرى ، غير اننا كنا نخشى من جهة ان يعتبر اللورد ان قبولنا الاستمرار فى معالجة المسائل الأخرى بعد ذلك الكتاب رضى منا بمقترحاته فى المسألة العسكرية •

ونؤمل من جهة أخرى ان نجلو وجه المسألة المصرية ، ونتعرف حقيقة مذهب الحكومة الانجليزية ، اذا نحن استزدنا من المناقشة فيها ، وكنا بين ان نجتزىء من المناقشة بذلك القدر الناقص ونقفل راجعين قانطين من الوصول الى حل قبل أن نتبين حقيقة مقاصد الحكومة الانجليزية أو أن نأخذ بما اتفقنا عليه فى الجلسة الأولى من أنه لا يمنعنا اتساع مسافة الخلف بين مذهبينا فى مسألة من ان نعالج غيرها من المسائل ، فرجحنا الرأى الأخير • على اننا أردنا أن ننفى كل شبهة تستفاد من استئنافنا

المناقشة فرددنا على اللورد كيرزون برسالة كاشــفناه فيها مرة أخرى بحقيقة رأينا ورأى الأمة فى اقتراحاته بشأن المسألة العســكرية ، وأبدينا استعدادنا للمناقشة فى المسائل الأخرى ليكون البحث كاملا شاملا لوجوه القضية المصرية وليسمح بقياس مسافة الخلاف بيننا وبينهم ٠

وعلى اثر ذلك سارت المناقشات فيماعدا مسألتى القوة العسكرية والتمثيل السياسى سيرا معتدلا ٠ أما هاتان المسألتان فقد بقيتا معلقتين حتى فرغ من المسائل الأخرى ، وبقى كل منا محتفظا برأيه الى حين يجىء دورهما ، وقد بدأنا هذه المفاوضـــة التفضيلية مجتمعين ثم توليتها وحدى أو مع زميل لى وامتدت من ١٧ ــ ٢٦ أغسطس عقدت فيها خمس جلسات قطعنا فيها شوطا بعيدا فى تقريب ما بين وجهتى نظرنا ونظرهم فى المسائل التى تعرضنا لها ٠

« أما مسألة الامتيازات فقد أصبح من المسلم به تأجيل البحث فيها، فانقطع بذلك الكلام فيما ارتبط بها من أحكام مشروع لجنة ملنر التى بنيت على تقدير ان الغاء الامتيازات جزء من المعاهدة لا يتجزأ ، وشرط لازم لنفاذها ، وانقطع أيضا تبعا لذلك الكلام فيما يتعلق بهذه الاحكام من التحفظات المصرية ٠ كذلك بقى صندوق الدين باختصاصه الحالى باعتباره نظاما دوليا ينطبق عليه ما ذكرناه عن الامتيازات من طول الزمن اللازم للمفاوضة فى تغييره ٠ وقد ترتب على هذه الحالة وعلى ما حصلنا عليه من التأكيدات المتعددة بان الحكومة الانجليزية ليست راغبة فى التدخل فى الادارة المصرية ، وان الحديث فى الوسائل التى يراد بها حماية المصالح الأجنبية لم يعد يتخذ صورة المندوبين المالى والقضــائى بل أصبح من المنتظر الا تكون تلك الوسائل ذات خطر على الاستقلال » ٠

« وقد عرضت وزارة الخارجية للمناقشة شؤونا شتى ، منها مسألة قنال الســويس ٠ وكانوا قد طلبوا أن تنظر الحكومة المصــرية فى تأمين الشــركة على مد امتيازها ومسألة أسلاك التلغراف البحرية ومحطات التلغراف اللاسلكى ، والترخيص من الآن للحكومة الانجليزية وللشركات التى توصى بها تلك الحكومة بانشاء ما ترى انشاءه منها ، واشترط موافقة المندوب السامى على انشاء الأسلاك والمحطات فى الحالات الأخرى، ومســـألة تعهــدات مصـــــر فيمـــا يتعــلق بالخـــراج الذى تدفعــــه مصـــــر ســــدادا لدائنى تركيـــا ومنهـــا تعويض الموظفين الذين تخرجهم الحكومة المصــرية من خدمتها على اثر تنفيذ المعاهدة ويخرجون من تلقاء أنفسهم وقد كانت هذه المسائل محلا لابحاث مستفيضة ومذكرات وافية قررنا فيها وجهة نظرنا ٠ ويظهر ان ردودنا على المسألتين الأوليين حملتهم على الاقتناع بالعدول عن مطالبهم بشأنهما ٠

« اعترضنا هنا فصل الاجازة وهو الفصل الذى توقف فيه جلسات البرلمان وينقطع رجال السياسة عن العمل مدة تتراوح بين الثلاثة والخمسة الأسابيع ، وقد مضى الامر هذا العام على سنته المعروفة ، فلم يكن بد من التربص بعملنا حتى تنقضى هذه الفترة ، وقد غادرنا لندره فى هذا الفصل ، وجعلنا نستعد لاتمام ما بدأناه من تضييق مسافة الخلف فى المسائل التى كانت تشغلنا فى هذا الدور فلما عدنا فى نهاية الأسبوع الأول من اكتوبر استأنفنا احاديثنا وعقدنا ثلاث جلسات بين الحادى عشر والسابع عشر من اكتوبر .

« لم يبق شىء من أغراضنا خافيا أو مجهولا وقد أصبحت المسألة ناضجة لأن تنتقل المناقشة من المبادىء الى النصوص لذلك ذكر لنا اللورد كيرزون منذ عودتنا فى اكتوبر انه بعد انتهاء المناقشة سيحصر ما انعقد عليه الاتفاق وما ثار عليه الخلاف ، فما استطاع تسجيله من هذا فعل ، ومالم يستطع عرضه على الوزارة البريطانية ، باذلا جهده الى التوفيق عاملا على ذلك .

« فى اليوم الثانى من نوفمبر ، بعد الفراغ من هذه المناقشات اجتمعت بالمستر لويد جورج ، وكان قد سبق لى به اجتماع قبل سفرنا للاجازة وعدنى فيه بانه سوف يهتم شخصيا بمسألتنا بعد عودته من الأجازة ، فقصصت عليه نبأ ما جرى من المفاوضات ، واحطته علما بموقفنا فى مختلف المسائل وقد ذكر لى انه أجل المناقشة فى المسألة المصرية فى الوزارة حتى يتحدث معى فى شأنها ، وأنه شديد الرغبة فى صداقة الأمة المصرية ، ثم وعد بارسال المشروع بمجرد الفراغ من وضعه ، فلبثنا ننتظر ما يستقر عليه رأى الحكومة الانجليزية وتنتهى اليه رغبتهم فى الاتفاق .

« فى اليوم العاشر من نوفمبر سلمنى اللورد كيرزون مشروع الحكومة الانجليزية وقد رددنا عليه بالايجاز معلنين فى ختام ذلك الرد أن المشروع لا يجعل محلا للأمل فى الوصول الى اتفاق ،وقد رأينا لذلك أن لا وجه للبحث فى الطريقة التى يكون بها الاعتراف باستقلال مصر دوليا ، كما لم نر وجها لاعادة البحث والمناقشة فى أبواب المشروع الأخرى . وان عظمتكم لتجدون فى المذكرات التى تبادلناها مع وزارة الخارجية ، وفى محاضر الجلسات التى أثبتنا فيها مذكراتنا الشفهية تفصيل ما كان منا ومنهم ، وهذه المذكرات والمحاضر تغنينا عن نقد المشروع وتفصيل الرد عليه ، اذ الواقع ان هذا المشروع غاب عنه كل أثر للتطور الذى جرى فى المفاوضات ، فهو لم يتحول عن الاقتراحات الأولى التى عرضت فى شهر يوليه الا فى مسألة التمثيل

السياسي، وقد قبله المشروع ولكنه احاطه بقيود لاشت من اثره ومعناه ، بل لم يقتصر الأمر فيه على إيراد الاقتراحات الأولى نفسها ، فان المادة المتعلقة بالمسألة العسكرية ، فضلا عن انها لم تعد تذكر مسألة التوقيت ، عدلت بيان الأغراض التى ينبغى من اجلها وجود القوة العسكرية ، فاستبدلت من حماية المصالح الأجنبية والمساعدة فى قمع الفتن اذا دعت الحاجة لذلك الدفاع عن المصالح الحيوية لمصر ، وهى عبارة ابعد مرمى وأوسع مدلولا لا يكاد يمتنع معها اى قدر من التداخل فى شؤون الادارة المصرية ٠

« على ان فداحة الاقتراح الانجليزى الذى عرض علينا فى يوليه كانت تجعلنا نعتقد انه اقتراح ابتدائى لا يلبث ان يتغير تحت فعل رغبة التفاهم ، خصوصا وقد استمر المفاوضون الانجليز فى المفاوضة بعد أن لم نترك لهم محلا للشك فى اننا لا يسعنا قبوله أو دعوة الأمة الى قبوله وقد جاء المشروع فى هذا الصدد مختلفا جد الاختلاف عما اقترحته لجنة لورد ملنر ٠ وانه وان كان حقا ان الحكومة الانجليزية تحفظت فى دعوتها للحكومة المصرية فلم تذكر انها وافقت على اقتراحات تلك اللجنة ، فانه كان لنا بحق أن نذكر أن الحكومة الانجليزية تركت اقتراحات لجنة اللورد ملنر تنشر ويستشار فيها ، وهو امر لم يجر له مثال فى هذا النوع من المفاوضات ، ويصعب جدا بعد ذلك على من يحكم بدون هوى أو تحيز أن يقدر أن الحكومة الانجليزية تفكر جديا فى ارضاء المصريين والوصول معهم الى اتفاق على أساس أقل مما عرض عليهم فى العام الماضى وهو ما لم يقبلوه الا معدلا بتحفظاتهم ٠ نعم ان اللجنة لم تربط الحكومة الانجليزية ، وان هذه لم ترتبط ، ولكن نشر مشروع اللجنة رسميا فى مثل هذه المسائل يغنى عن التعهد الصريح بالا تنزل الحكومة دونه ، هذا اذا لم تدفعها رغبة الاتفاق الى قبول ما فوقه ٠

« لا ننكر أن حوادث الاسكندرية وقعت بعد ذلك ، وكنا اول الآسفين لها ، غير انه مهما يكن من خطورة تلك الحوادث ، ومن تهويل بعض الأجانب فيها ، واضطرابهم بسببها ، فقد بينا وجه الحق فيها واظهرنا انها لم تنشأ عن تعصب أو كراهية للأجانب ، وانها عرضية لم تكن لتحدث فى غير الدور التاريخى الذى حدثت فيه ، وكما اقتنع الأجانب هنا بانهم يعيشون مع المصريين فى أمن ودعة فقد كنا نرجو ان تقتنع الحكومة الانجليزية بان المصالح الانجليزية والأجنبية على السواء غير مهددة ، فلا ينبنى على تلك الحوادث أو مايشبهها حكم دائم أو نظام ثابت ٠

« وقد لا نكون على العموم توقعنا مشروعا يرضينا لأول وهلة ،

بل مشروعا يترك محلا للأخذ والرد ، وانما يترك الى جانب ذلك أملا فى انا لانزال به حتى نصل منه الى أساس صالح للاتفاق •

« والذى لا نزاع فيه ان هذا المشروع يصدر عن شىء كثير من الحذر والحرص من جانب الحكومة الانجليزية ومع ان قدرا من الحذر والحرص معقول ومقبول ، فان الغلو فيها نافر للثقة التى يجب ان تكون أساسا لمحالفة بين بلدين مناف لها •

وقد اشـــرنا الى المحالفة بين البلدين ، وكانت أحـــاديث العام الماضـــى قد جـــرت بانها خـــير ما يبرم بين البلدين من العـــلاقات وجاءت دعوة الحكومة الانجليزية الى انشاء علاقة مرضية بين البلدين مؤيدة لذلك الرأى ، ثم جاءت المادة الأولى من المشروع تذكر المحالفة بالنص الصريح ، ولكننا قبلنا المشروع كله فلم نجد فى ثناياه غير تلك الاشارة المجملة ، وكان حقا الا تلتقى المحالفة وما تذهب اليه انجلترا من أنها مسئولة عن مصر ، فى مشروع واحد ، وان لكل من الوجهتين معنى وحكما لا يتفقان وقد أدرك واضع المشروع ذلك ، فجعل المساعدة التى تبذلها مصر لانجلترا ، والتى هى أهم مظاهر المحالفة من الجانب المصرى نتيجة لازمة عن المسئولية التى تقبلها انجلترا متطوعة بها منفردة فيها بدلا من أن تكون أحد العوضين فى عقد له طرفان •

« اخذنا على انفسنا ان نسعى للاعتراف بمصر دولة مســـتقلة فى الداخل وفى الخارج ولالغاء الحماية الغاء صريحا ، ولكننا الغينا المشروع الذى تمخضت عنه مفاوضات طويلة عسيرة لا يحقق الغاية التى ذهبنا للمفاوضات من أجلها ، فكان حقا علينا أن نرى المفاوضات غير منتجة ، وألا نسترسل فيها لأكثر من ذلك •

« وبعد عودتنا الى مصر اطلعنا على المذكرة التفسيرية التى ارسلتها الحكومة الانجليزية الى عظمتكم بيانا لخطتها فى المفاوضـــات ، ومرامى سياستها فى مصر ولسنا فى حاجة لأن تقول أن هذه المذكرة أيدت ما فهمناه من المشروع ، وقد كان محور المفاوضة تأمين المصالح الانجليزية والأجنبية وكنا مستعدين لأن نقدم ما يلزم لذلك من الضمانات ، اذ لا ننكر ان الاتفاق على هذه الضمانات مدعاة لحسن التفاهم وصدق التعاون بين البلدين ، ولكن ما نفهمه نحن فى هذه الضمانات انها تترك استقلال مصـــر قائما سليما، وتتقدم الى جانبه لحماية تلك المصالح فقط دون افتيات على حرية مصر ، غير أن المذكرة تبنى على تلك المصالح حقوقا تتعدى مجرد المحافظة عليها الى تقرير مشروعية وضع يد انجلترا على مصر ، فلم يكن لهذه المذكرة اذن أن تجعلنا نغير رأينا فى المشروع أو نتحول عن الخطة التى سلكناها •

« ولا يفوتنى قبل أن أختم هذه الكلمة أن أشير الى الصدمة العنيفة التى باغتتنا بمرض صديقى رشدى باشا وهو أشد ما يكون انهماكا فى العمل وزهدا فى دواعى الراحة ، وما خلقه ذلك الحادث فى نفوسنا من الحزن العميق ، وقد كنا وهو على اتفاق تام فى كل ما فعلناه قبل أن يصيبه ذلك المرض وعلمنا منه انه موافق على ما جرى بعده ·

« كذلك لا يفوتنى أن أشير الى العون الجليل الذى لقيته أنا وزملائى أعضاء الوفد من المستشارين الفنيين ورجال السكرتارية ·

« وان من دواعى الفخر والسرور لنا ما أظهرته الأمة المصرية من الحكمة واليقظة أثناء سير المفاوضات ، ومن التحمل والتجلد عند انقطاعها ، وان ذلك لجدير بان يتغلب على الظنون والمخاوف التى لاتزال تساور الوزارة الانجليزية على مصير البلاد اذا ترك أمرها بيدها ·

« وقد يخفف عنا أن الرأى العام الانجليزى بمقدار ما تنطق بلسانه صحافته الكبرى ، وتعبر عنه الأوساط السياسية المختلفة التى غشيناها أحسن ظنا بمصر اذا حققت آمالها واجيبت مطالبها وانه لا يعتبر ارضاء مصر تهاونا أو تفريطا بل عدلا وحسن سياسة ·

« وعلى كل حال فليس لنا أن نيأس من روح الله ، أو من صحة عزيمة الأمة على المطالبة باستقلالها ، ولنا بعد ذلك فى عظمتكم خير من يرعى هذه الأمة ويسهر على مصالحها ·

« والله اسأل ان يكلأ عظمتكم بعين رعايته ، وان يوفقكم الى ما فيه خير البلاد ·

····· الخ ··

عدلى يكن

القاهرة فى ٩ ربيع الثانى ١٣٤٠ (٨ ديسمبر ١٩٢١)

وفى اليوم نفسه أى فى ٨ ديسمبر ١٩٢١ قدم عدلى استقالته الى السلطان بالخطاب الآتى :

يا صاحب العظمة

لما أولتنى عظمتكم عالى ثقتها ، ودعيتنى الى تشكيل وزارة يكون أخص أعمالها أن تتولى المفاوضة لوضع اتفاق مع الحكومة البريطانية تشرفت فعرضت على عظمتكم بتقريرى المؤرخ ١٧ مارس ١٩٢١ برنامجنا الوزارى ، وزدته تفصيلا عندما شكل الوفد الرسمى ·

« وبما أن المفاوضات التى باشرها الوفد الذى رأسته فى لندره منذ بضعة اشهر لم تسفر عن تحقيق ذلك البرنامج ، فانى أتشرف بان أرفع لعظمتكم استقالة الوزارة ، وأرجو أن تتكرم عظمتكم بقبولها وقبول جميل شكرى وعظيم إكبارى للتعطف السامى الذى تفضلتم على به ·

« وانى ···· الخ ،   عدلى يكن

من هذا يمكننا ان نقول ان عدلى قد اســـتقال فورا بعد أن قطع المفاوضات وتعذر تنفيذ برنامجه الذى عاهد الأمة عليه فلم يكن اذن بالرجل الذى تطمح نفسه الى البقاء فى وزارة دون أن يكون له غرض وطنى يخدم به بلاده ، ولم يكن اذن بالرجل الذى يستحق المطاعن التى وجهها سعد اليه ·

ويرى المطلع على التقرير الذى قدمه عدلى للسلطان أن اللورد كيرزون او الحكومة البريطانية ان شئت كانت أكثر تشـــددا مع عدلى من لجنة ملنر مع الوفد · فقد طالب كيرزون باشياء لم تعرضها لجنة ملنر من قبل ·

وفى رأيى ان هذا التشدد يرجع الى الانقسام الذى سببه سعد فى الوفد وفى البلاد ، والى الحملات القاسية التى قام بها سعد ضد عدلى فى مصر ولاحقه بها فى لندره بواسطة مندوبين أرسلهم الى هناك للطعن فى المفاوضين واتهامهم بانهم لا يمثلون الأمة وهذه السنة هى التى سار عليها خلفاء سعد من بعده حين ذهب المرحوم محمود فهمى النقراشى ـ رئيس الوزراء ـ الى أمريكا لا ليفاوض وانما ليطالب الانجليز بالخروج من مصر أمام هيئة الأمم المتحدة · فبادر خلفاء سعد بارسال برقيات الى هيئة الأمم المتحدة والى الصحف الأمريكية يؤكدون فيها أن النقراشى لا يمثل الأمة ـ كما فعل سعد مع عدلى من قبل ـ مع ان مهمة النقراشى كانت مقصورة على الطعن فى الاستعمار وطلب جلاء الانجليز عن مصر أمام هيئة الأمم المتحدة فمن ذا الذى يرضى لنفسه ان يعرقل مثل هذا العمل حتى ولو كان صادرا من غير مصرى ؟ ولقد علمنا أن أرباب الصحف الأمريكية دهشوا من هذه الوسيلة ، وتعففوا عن نشر هذه البرقيات فى صحفهم ·

الأزمة الاقتصـــادية

وحدثت فى تلك الأيام أزمة اقتصـــادية طاحنة لا أريد البحث فيها ولا تقصى أسبابها ، وانما الذى أثبته أن أسعار القطن ارتفعت فى ١٩٢٠ حتى جاوز القنطار خمسة وأربعين جنيها وقام الخبير الاقتصادى الوفدى المرحوم حسين بك هلال بنشر رسائل كثيرة تحت عنوان ضـــخم هو

« لا تبيعوا أقطانكم الا بمائتى ريال » فتأثر الناس بهذه النداءات المتكررة الصادرة من رجل اقتصادى من حزب سعد ، وتهافت كثير من الأهالى والتجار المصـــرين على شــراء القطن وشراء الأطيان بأثمان فاحشة ، وانتهز غير المصريين الفرصة فباعوا أطيانهم بأثمان عالية • وهبط سعر القطن الى أقل من ستة جنيهات للقنطار فكانت النتيجة أن أفلس كثير من المصريين بسبب عجزهم عن دفع ثمن ما اشتروه من أطيان وأقطان فكانت كارثة اقتصادية فوق المأساة السياسية •

بعد اســتقالة عدلى

قلنا ان عدلى استقال فى ٨ ديسمبر ١٩٢١ والفوضى ضاربة أطنابها فى ذلك الوقت فوضى ومظاهرات وتخريب واتهامات تلقى جزافا على عدلى ورشدى ومن عاونهما ومنهم مؤسسو الوفد فتردد السلطان فيمن يكل اليه تكوين وزارة جديدة وطلب الى عدلى الاستمرار فى العمل الى أن تؤلف وزارة أخرى تحمل أعباء الحكم فى تلك الأوقات العصيبة ، لكن عدلى امتنع عن الذهاب الى ديوان الرياسة وترك زملاءه يصـــرفون الأعمال الادارية الى أن يبت السلطان فى استقالته •

فى هذا الوقت وسعد دائب على الشغب وأنصاره يتظاهرون ويسبون ويخربون ، أمرت الســـلطة العسكرية سعدا بأن يمتنع عن الاشـــتغال بالسياسة ، لكنه كان فى حالة لا تمكنه من الرضوخ لهذا الطلب لأن حوله أنصارا لا يرضون ترك ما الفوه • ولما لم ينفذ سعد هذا الأمر بدعوى أن أعماله سلمية قبضت السلطة الانجليزية عليه وعلى بعض أنصاره فى ٢٢ ديسمبر ١٩٢١ ونفتهم الى سيشل •

ولم يطق عدلى هذا العسف البريطانى ، فقدم فى اليوم التالى أى فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ خطابا الى السلطان يطلب فيه قبول استقالة الوزارة احتجاجا على ما عملته السلطة البريطانية مع فريق من المصريين وهاك نص الخطاب •

« صاحب العظمة :

تشرفت على أثر عودتى من أوروبا بعد قطع المفاوضات مع الحكومة البريطانية بأن رفعت لعظمتكم استقالة الوزارة وقد بقى زملائى يقومون بانجاز الأعمال العادية اطاعة لأمر عظمتكم ولما كان عدم قبول الاستقالة

رسـميا الى الآن قد يجعل سـبيلا لتحميل الوزارة شيئا من التبعة عن اجراءات لا علم لها بها ، ولا دخل لها فيها ، فانى اتشرف بالتماس صدور امركم الكريم بقبول تلك الاستقالة ٠

عدلى يكن

فلم يسع السلطان الا قبول الاستقالة ٠

انظر كيف كان نبل عدلى مع من ناصبوه العداء ، ووصفوه باشنع الأوصاف ، وطعنوه فى كرامته ووطنيته وشرفه ٠

ماذا فعل الأعضاء المؤسسون للوفد

وعلى اثر اعتقال سعد ورفاقه هب الأعضاء المؤسسون للوفد يدافعون عن الحرية ، والتأموا مع فريق سعد حرصا على مصلحة البلاد ٠ واتفقوا جميعا على التضامن معا ضد العسف البريطانى وابرموا ميثاقا بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٢١ هاك نصه :

« يستمر حضرات أعضاء الوفد المصرى على الاشتراك فى العمل السياسى معا طبقا لمبادىء الوفد وقد قبل الجميع الاتفاق على ما يأتى :

أولا ــ أن يبدأ الوفد بكامل أعضائه الأصليين فى العمل فيصدر بيانا للأمة عن الحالة الحاضرة يتضمن العطف والاحتجاج على اعتقال معالى سعد زغلول باشا وزملائه بشرط ألا يشير هذا البيان من قريب ولا من بعيد للسياسة التى اتبعت بعد انشطار الوفد لا تحبيذا ولا انتقادا ويتضمن عدم تعضيد اية وزارة تشكل على حدود مذكرة اللورد كيرزون ومادامت الحالة السياسية الحاضرة مستمرة ٠

ثانيا ــ تبقى الرياسة لمعالى سعد زغلول باشا ، فلا ينتخب رئيس جديد للوفد ، انما ينتخب له سكرتير يمضى أوراقه الا اذا رأى الوفد أن يوقع جميع أعضائه ٠

ثالثا ــ ينتخب فريق حضرة عبد العزيز فهمى بك وأصحابه ثلاثة أعضاء جدد يحلون محل الأعضاء المعتقلين ويكون ذلك فى ظرف اسبوع اعتبارا من أول جلسة ويقع الانتخاب من الكشف المرفق بهذا المقدم من حضرتى واصف غالى بك وويصا واصف بك ٠

رابعا ــ تعقد أول جلسة باكر فى محل اجتماع الوفد بمنزل معالى

سعد زغلول باشا ويصح عند اللزوم الاجتماع فى اى مكان آخر يتفق عليه الأعضاء ٠

ووقع هذا الميثاق حافظ عفيفى وويصا واصـــف وواصف غالى ٠ وعلى ماهر ٠

حمدنا الله على قيام اتفاق يعيد الى الأمة سابق تضامنها حتى تستمر فى جهادها ويعرف منه الكافة أن مؤسسى الوفد لا يبغون سوى تحقيق آمال البلاد ، ولا يفكرون فى وزارة أو مجد أو غير ذلك من اعتبارات لم ترد فى خاطر احد منهم رغم الاتهامات الكثيرة التى صبها عليهم ســـعد وشيعته ٠

وفى اليوم التالى ذهبنا جميعا الى منزل سعد ٠ ودخلناه وسط هتاف الجموع المحتشدة خارجه وما ان جلســـنا باحدى حجراته حتى ارتأى واصف بطرس غالى أن يقابل السيدة حرم سعد ٠ وبعد دقائق عاد الينا واقتربت السيدة حرم سعد من باب حجرتنا وحيتنا ببضع كلمات فرددنا تحيتها وواسيناها وأفهمناها اننا سنواصل الجهاد ، ثم انصرفت وتبعها واصف غالى الذى أصبح من الصق التابعين لسعد ثم رجع الينا يخبرنا ان السيدة حرم سعد تريد أن يعرض عليها كل قرار يصدره الوفد لتقره قبل اعلانه ٠ حمل الينا واصـــف غالى هذا الطلب العجيب ولمحنا منه موافقته عليه فاشمأززنا وأدركنا أن هذا النفر من اتباع سعد لم يقدروا وقوفنا معهم رغم ما ارتكبوه نحونا فى الماضى ، فهم يريدون الآن اذا صدر قرار من الوفد بأكمله ان يبحثوه فيما بينهم وبين السيدة حرم سعد زغلول وجعلوا لها حق الفيتو ، وهى سيدة محترمة لكنها بعيدة كل البعد عن السياسة وتقضى علينا الرجولة أن نحتقر هذا المسلك فاظهرنا لهم ذلك وخرجنا مصرين على قطع الصلة نهائيا بهؤلاء النفر خرجنا جميعا عدا حمد الباسل الذى ارتأى الانضمام اليهم ٠

اضطراب الحالة بعد استقالة عدلى

قدمت وزارة عدلى يكن باشا استقالتها فى ٨ ديسمبر ١٩٢١ ولم تقبل الا فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢١ بعد اعتقال سعد وبعض أعوانه وبعد أن الح عدلى فى قبولها لعـــدم رغبته فى البقـــاء بالحكم عقب ما اتخـــذته السلطة الانجليزية من عنف ضد سعد ومن معه ٠ فاضطربت الأمة بجميع عناصرها ومختلف هيئاتها ، واحتجت على العسف والقبض والمحاكمات التى اجرتها السلطة البريطانية ٠

وكان لابد من تأليف وزارة ولو ادارية تقوم بأعباء الحكم • وكان مؤسسو الوفد قد اعجبوا بتصرفات عدلى بعد أن شـاركوه العمل مدة طويلة أيام كان فى باريس ولندره فى مفاوضـة لجنة ملنر وبعد أن ولى الوزارة وأيام مفاوضاته مع كيرزون • وقد اطمأنوا اليه وازدادوا تقديرا له • وكان يشارك عدلى عمله الرسمى وغير الرسمى لفيف من أصدقائه اخصهم حسين رشدى وعبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى ، وهؤلاء الثلاثة ومعهم عدلى كانوا أبرز السياسيين الذين يعملون للقضية المصرية يؤازرهم ويشترك معهم فريق الأعضاء المؤسسين للوفد ، وجمهور كبير من الأمة • اما العامة فلم تكن كلها معهم لأنها تسير بعواطفها البريئة وتتأثر عادة بمؤثرات طارئة وهى غير مكلفة بالتعمق فى المسائل السياسية وفيما يخفى عادة على غير المطلعين •

كان لابد للسلطان من تأليف وزارة ، وكان أول المرشحين الذين تتجه اليهم الأنظار فى ذاك الوقت هو محمد عبد الخالق ثروت ذلك العبقرى النشـيط الذى كان نائبا لرئيس الوزراء فى وزارة عدلى عند غيابه هو ورشدى للمفاوضة •

عرض السلطان على ثروت تأليف الوزارة فاعتذر ، ولم يعرضها السلطان على غيره • وكان أجماع طبقات الأمة على ضرورة اضراب المرشحين عن قبول الوزارة •

لكن الوطنية والسياسة المجدية ليس معناهما الاضـراب والعمل السلبى فحسب ، وانما واجب الرجل الذى يعمل ويفكر هو أن يسعى فى ايجاد حل لأزمة قد تكون نتائجها ضارة اذا لم يسـعفها السـياسيون القادرون بالعلاج • ولهذا تضامن ثروت ورفقاؤه واصدقاؤه فى استمراره على رفض الوزارة • وقد اتصل به السلطان واللورد اللنبى وجرت بينه وبينهما محادثات أصر فيها ثروت بتأييد اصدقائه وتفكيرهم معه على أن قبوله تأليف الوزارة يجب أن يكون مسبوقا ببيان من انجلترا بالغاء الحماية واعلان الدسـتور واعادة وزارة الخـارجية كما كانت وغير ذلك من المطالب •

وظل اللورد اللنبى مع مستشاريه يفاوضـون ثروت حتى اقتنعوا وارسل اللورد تقريرا الى حكومته وبرقيات بقبول ما عرضه ثروت بعد أن تعذر تأليف أية وزارة •

لكن الحكومة الانجليزية رفضت ما عرضه اللنبى فلم يكن منه وهو قائد القوات التى انتصرت فى الشرق الأدنى وحاز شهرة عالمية وأصبح ذا نفوذ كبير لدى حكومته لم يكن منه الا أن أخذ معه مستشاريه وسافر الى لندره وهناك الح فى قبول ما عرضه ثروت ، ويقال انه هدد بالاستقالة فلم تر الحكومة الانجليزية بدا من الاذعان لما طلب ، فرجع الى مصر وقدم الى السلطان فؤاد تبليغا مصحوبا بتصريح من انجلترا لمصر ٠

التبليغ والتصريح البريطانيان

أما التبليغ فهاك نصه :

دار الحماية

القاهرة فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢

يا صاحب العظمة

١ ـ اتشرف بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا فى تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التى قدمتها الى عظمتكم فى الثالث من شهر ديسمبر مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياسيتها وهو ما آسف له أشد الأسف (وهى المذكرة التفسيرية لمشروع كيرزون)(٣٧) ٠

٢ ـ ولقد يخال المرء مما نشر عن هذه المذكرة من التعليقات العديدة أن كثيرا من المصريين ألقى فى روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع فى نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأمانى المصرية وانها تنوى الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسى ادارى لا يتفق والحريات التى وعدت بها ٠

٣ ـ غير انه ليس شىء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة بل أن الأساس الذى بنيت عليه المذكرة التفسيرية هو ان الغاية من الضمانات التى تطلبها بريطانيا العظمى ليست ابقاء الحماية حقيقة أو حكما وقد نصت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة فى أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميزات أهلية ومن مركز دولى ٠

---

(٣٧) العبارة بين القوسين توضيح من محمد على علوبة نفسه ولم ترد فى النص الأصلى للتبليغ ٠

٤ ــ واذا كان المصريون قد رأوا فى هذه الضمانات أنها تجاوزت الحد الذى يلتئم مع حالة البلاد الحرة فقد غاب عنهم أن انجلترا انما الجاها الى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر خصوصا فيما يتعلق بتوزيع القوات العسكرية ، على أن الأحوال التى يمر بها العالم الآن لن تدوم ولا يلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد فى مصر منذ الهدنة ، والأمل وطيد فى أن الأحوال العالمية صائرة الى التحسن ، هذا من جانب ومن جانب آخر فكما قيل فى المذكرة سيجيء وقت تكون فيه حالة مصر مدعاة الى الثقة بما تقدمه هى من الضمانات المصرية لصيانة المصالح الأجنبية ٠

٥ ــ أما أن تكون انجلترا راغبة فى التدخل فى ادارة مصر الداخلية فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية ولاتزال تقول أن أصدق رغباتها وأخلصها هو ان تترك للمصريين ادارة شؤونهم ولم يكن يخرج مشروع الاتفاق الذى عرضته بريطانيا العظمى عن هذا المعنى ٠ واذا كان قد ورد فيه ذكر موظفين بريطانيين لوزارتى المالية والحقانية فأن الحكومة البريطانية لم ترم بذلك الى استخدامهما للتداخل فى شؤون مصر وكل ما قصدته هو أن تستبقى أداة اتصال تستدعيها حماية المصالح الأجنبية ٠

٦ ــ هذا هو كل مرمى الضمانات البريطانية ولم تصدر هذه الضمانات قط عن رغبة فى الحيلولة بين مصر وبين التمتع بحقوقها الكاملة فى حكومة أهلية ٠

٧ ــ فاذا كانت هذه هى نوايا انجلترا فلايمكن لأحد أن ينكر أن انجلترا يعز عليها ان ترى المصريين يؤخرون بعملهم حلول الأجل الذى يبلغون فيه مطمحا ترغب فيه انجلترا كما تتوق اليه مصر ، أو ان ينكر انها تكره ان ترى نفسها مضطرة الى التداخل لرد الأمن الى نصابه كلما ادركه اختلال يثير مخاوف الأجانب ويجعل مصالح الدول فى خطر ٠ وانه ليكون مما يؤسف له ان يرى المصريون فى التدابير الاستثنائية التى اتخذت أخيرا اى مساس بمطمحهم الأسمى أو أية دلالة على تغيير القاعدة السياسية التى سبق بيانها ، فأن الحكومة البريطانية لم يعد غرضها أن تضع حدا لتهييج ضار قد يكون لتوجيهه الى أهواء العامة نتائج تذهب بثمرة الجهود القومية المصرية ولذلك كان الذى روعى بوجه خاص فيما اتخذ من التدابير مصلحة القضية المصرية التى تستفيد من أن البحث فيها يجرى فى جو قائم على الهدوء والمناقشة باخلاص ٠

٨ ـ والآن وقد بدأت تعود السكينة الى ما كانت عليه بفضل الحكمة التى هى قوام الخلق المصرى والتى تتغلب فى الساعات الحاسمة فاننى لسعيد ان انهى الى عظمتكم أن حكومة جلالة الملك تنوى أن تشير على البرلمان باقرار التصريح الملحق بهذا ، وانى لعلى يقين بان هذا التصريح يوجد حالة تسود فيها الثقة المتبادلة ويضع الأساس لحل المسألة المصرية حلا نهائيا مرضيا ·

٩ ـ وليس ثمة ما يمنع منذ الآن من اعادة منصب وزير الخارجية والعمل لتحقيق التمثيل السياسى والقنصلى لمصر ·

١٠ ـ اما انشاء برلمان يتمتع بحق الاشراف والرقابة على السياسة والادارة فى حكومة مسئولة على الطريقة الدستورية فالأمر فيه يرجع · الى عظمتكم والى الشعب المصرى ·

واذا ابطأ لأى سبب من الأســـباب انفاذ قانون التضمينات (اقرار الاجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) الســـارى على جميع ساكنى مصر والذى أشير اليه فى التصريح الملحق بهذا فاننى أود أن أحيط عظمتكم باننى ـ الى أن يتم الغاء الاعلان الصادر فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ ـ ساكون على اســـتعداد لايقاف تطبيق الاحكام العرفية فى جميع الأمور المتعلقة بحرية المصريين فى التمتع بحقوقهم السياسية ·

١١ ـ فالكلمة الآن لمصر ، وانه ليرجى انها وقد عرفت مبلغ حسن استعداد الحكومة البريطانية ونواياها ـ تسترشد فى أمرها بالعقل والروية لا بعامل الاهواء ·

ولى مزيد الشرف ··· الخ ·

اللنبى (فيلد مارشال)

وهاك نص تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ :

تصـــريح لمصـــر

بما أن حكومة جلالة الملك عملا بنواياها التى جاهرت بها ترغب فى الحال فى الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ·

وبما أن العلاقات بين حكومة جلالة الملك وبين مصر أهمية جوهرية للامبراطورية البريطانية · فبموجب هذا نعلن المبادىء الآتية :

١ ـ انتهت الحماية البريطانية على مصر ، وتكون مصـــر دولة مستقلة ذات سيادة ٠

٢ ـ حالما تصدر حكومة عظمة السلطان قانون تضمينات (اقرار الاجراءات التى اتخذت باسم السلطة العسكرية) نافذ العمل على جميع ساكنى مصر تلغى الأحكام العرفية التى أعلنت فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ ٠

٣ ـ الى أن يحين الوقت الذى يتسنى فيه ابرام اتفاقات بين حكومة جلالة الملك وبين الحكومة المصرية فيما يتعلق بالأمور الآتى بيانها وذلك بمفاوضات ودية غير مقيدة بين الطرفين تحتفظ حكومة جلالة الملك بصورة مطلقة بتولى هذه الأمور وهى :

(أ) تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر ٠

(ب) الدفاع عن مصـــر من كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات أو بالواسطة ٠

(ج) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات ٠

(د) الســـودان ٠

وحتى تبرم هذه الاتفاقات تبقى الحالة فيما يتعلق بهذه الأمور على ماهى عليه الآن ٠

وصل عبد الخالق ثروت ورفاقه الى هذا التصريح دون أن ترتبط مصر بمعاهدة أو باتفاق يقيدها بالتزامات ، فهو تصريح من جانب واحد الغيت به الحماية وبرزت به مصر بشخصيتها الدولية وأصبح لها استقلال دولى كما أصبحت لها وزارة خارجية مستقلة ولم يقل أحد انه تحقيق لجميع أمانى مصر وحقوقها ، وانما هو بلا شك أساس لايجاد الثقة بين الطرفين ، وتمهيد لوثبات من مصر تساعد على التطور متى حافظت مصر على كيانها وحقوقها وعملت على رفع شأن بلادها بتلك الحرية المتواضعة التى تسمح لها بالظهور على المسرح الدولى والتصرف فى شؤونها الداخلية وتتيح لها فرصا لرفع مستواها الاقتصادى والثقافى والاجتماعى وتمكنها مع الزمن من الوصول الى باقى مطالبها ٠

واعتقادى أن رفعة البلاد لا تتحقق الا بهذه القوى الرئيســية : الثقافة ورفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى بفضل ما تقوم به حكومة تؤدى واجبها وبرلمان يراقب تصرفاتها مراقبة رشيدة ٠ وبهذا يتكون وعى

وطنى سليم يغذيه العلم الصحيح فى المعاهد والمصانع ويدفع المواطنين الى التضامن والثقة المتبادلة والتعاون على ازالة كل عقبة تقف فى سبيل حرية البلاد وعظمتها ومقاومة تحكم الفرد وديكتاتوريته فتصبح الأمة حقا مصدر السلطات

ولست ممن يعتقدون أن أمة منقسمة على نفسها ، تتطاحن فيها الفئات تطاحنا مرا بالطعن والقذف والسباب ، وهى عزلاء والأجنبى جاثم فوق صدرها ، يمكنها أن تحقق أمانيها بالصياح وتعطيل المصالح وتخريب المحال التجارية وحرق الترام واعتداء الصبية على ذوى الرأى والنزاهة ٠

قبول ثروت تأليف الوزارة

بعد أن ظفر ثروت بتصريح ٢٨ فبراير قبل تأليف الوزارة فى أول مارس ١٩٢٢ وهذا نص خطابه الى السلطان :

« ياصاحب العظمة

لم يكن لزملائى ولى ونحن نشاطر الأمة أمانيها فى الاستقلال الا أن نقر الوفد الرسمى الذى تولى المفاوضات لعقد اتفاق مع بريطانيا العظمى على مافعل ٠ فلم يكن يسعنا أن نتولى أعباء الحكم مادامت المبادىء التى تسترشد بها الحكومة البريطانية فى سياستها نحو مصر هى تلك التى كانت تظهر من مشروع ١٠ نوفمبر من العام الماضى ومن المذكرة التفسيرية التى تلته فان تولى الحكم فى ظل مثل هذه المبادىء قد يكون فيه معنى القبول بها ٠

غير أن الكتاب الذى رفعه فخامة المندوب السامى البريطانى الى عظمتكم وتصـــريح الحكومة البريطانية فى البرلمان قد أحدثا فى الحالة تغييرا كبيرا فأصبح من الممكن أن تتألف هذه الوزارة اذ انها ترى أن الشعور القومى أصاب ترضية من هاتين الوثيقتين لا من ناحية الاعتراف باستقلال مصر حالا وقبل أى اتفاق فحسب ، بل ولأن المفاوضات المقبلة ستكون حرة غير مقيدة بأى تعهد سابق ٠

اما وقد جزنا هذا الدور بخير ، فلم يبق على مصر الا أن تثبت لبريطانيا العظمى أن ليس بها فى سبيل حماية مصالحها من حاجة للتشدد فى طلب ضمانات قد يكون فيها مساس باستقلالنا وان خير الضمانات فى هذا الصدد وأجلها أثرا هى حسن نية مصر ومصلحتها فى حفظ العهود ٠

على أن الوزارة ترى أنه لكى تكون جهود البلاد فى سبيل تحقيق كامل أمانيها بحيث تؤتى جميع ثمرها يجب ان يؤلف بين عمل الحكومة وبين هيئة تنوب عن الأمة وان تسعى الهيئتان متساندتين لاغراض متحدة •

ولذلك فان الوزارة عملا بأوامر عظمتكم ستأخذ فى الحال فى اعداد مشروع دستور طبقا لمبادىء القانون العام الحديث وسيقرر هذا الدستور مبدأ المسئولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسى المقبل •

وغنى عن البيان ان انفاذ هذا الدستور يقتضى الغاء الأحكام العرفية وانه على اية حال يجب أن تجرى الانتخابات فى أحوال عادية ، وفى ظل نظام تمتنع معه جميع التدابير الاستثنائية وقد سلمت بهذا الوثيقتان اللتان ابلغتا أخيرا الى عظمتكم • وستتخذ الوزارة بلا امهال ما يدعو اليه الأمر فى ذلك من التدابير كما انها ستبذل جهدها اعتمادا على حسن موقف الأمة فى الحصول على الرجوع فيما اتخذ من التدابير المقيدة للحرية عملا بالأحكام العرفية •

هذا وان اعادة منصب وزير الخارجية سيعين على العمل لتحقيق التمثيل السياسى والقنصلى لمصر فى الخارج •

ونظرا لأن النظام الادارى الحالى لا يتفق مع النظام السياسى الجديد ومع الأنظمة الديمقراطية التى ستمنحها البلاد ، فان الوزارة قد اعتزمت ان تتولى الأمر بنفسها وبلا شريك فى الحكم التى ستتحمل كل مسئوليته أمام الهيئة النيابية المصرية وسيكون رائدها فى ادارة شؤون الأمة توجيهها الى المصلحة القومية دون غيرها •

والوزارة موقنة بأن أكبر عامل لنجاح مصر فى تسوية المسائل التى بقى حلها ، وأقوى حجة تستعين بها فى تأييد وجهة نظرها هو أن تقبل على هذا الدور الجديد متحدة الكلمة مؤتلفة القلوب وان تأخذ بدواعى النظام وتلتزم جانب الحكمة •

والوزارة تحيى العصر الجديد الذى كان لعظمتكم اجل اثر فى طلوعه على الأمة بفضل ما بذلته عظمتكم من المساعى الوطنية العالية ، وهى واثقة ان ستلقى من لدن عظمتكم كل تأييد فى عمل الغد وانها لترجو ان يكون مكللا لجهود البلاد •

« وانى ••• الخ ثروت

أول مارس سنة ١٩٢٢

راى سعد فى التصريح

اعلن ثروت فى خطاب تاليف وزارته امله فى « ان تقبل مصر على هذا الدور الجديد متحدة الكلمة مؤلفة القلوب » فما الذى حدث ؟ ايد مؤسسو الوفد وجمهور المثقفين « ثروت » فى موقفه اما سعد فقد اعلن ان هذا التصريح « نكبة على الأمة » وظل يوالى مطاعنة فى ثروت واصـــدقائه ومؤيديه يطعنهم فى وطنيتهم وفى شرفهم حتى طفح الكيل ، فارسل اليه ثروت خطابا كله ادب ولين يشـــكو فيه من المطـاعن والعـــراقيل التى يضعها فى سبيله ، وطلب اليه ان يحتكما الى كبار الأمراء فيما شجر بينهما من خلاف ، وكان جواب سعد خطابا نشره فى الصحف ومما جاء فيه « اما الاحتكام الى الأمراء فهو شرف لا يناله الا الأكفاء ‏٠٠ !!

اعـــلان اســـتقلال البـــلاد

كان من الضرورى ان يستمر ثروت فى تنفيذ خطته بعد ان صـــدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وبعد ان انتهى من تاليف وزارته ٠

وفى يوم ١٥ مارس ١٩٢٢ اعلن السلطان على الشعب ان مصر اصبحت امام العالم دولة متمتعة بالسيادة والاستقلال وانه اتخذ لنفسه لقب صاحب الجلالة ملك مصر ، واعلن هذا النداء فى المحافظات والمديريات وقررت الحكومة جعل هذا اليوم عيدا وطنيا سنويا ٠

وضـــع الدســـتور

ثم سعى ثروت فى تكوين لجنة لوضع دستور يليق ببلاد تطمح فى الرقى ، وعرض الأمر على فريق ممن يعرف فيهم الكفاءة ومنهم بعض اتباع سعد ، فرفض هؤلاء الاشتراك فى وضع الدستور بأمر من سعد وكان من بينهم المرحوم مرقص حنا (باشا)فقد اعتذر عن دخول هذه اللجنة التى وصفها سعد بانها « لجنة الاشقياء » ٠

وارسل ثروت الى من قبلوا الاشتراك فى اللجنة خطابات هذا نص واحد منها :

رياسة مجلس الوزراء

نمرة ٢

حضرة صاحب العزة محمد على بك (علوبة)

بمزيد السرور ابلغ عزتكم صورة من القرار الصـــادر من مجلس الوزراء بتاريخ ٥ شعبان ١٣٤٠ (٣ ابريل ١٩٢٢) بتاليف لجنة لوضع مشروع دستور وقانون انتخاب وبتعيين عزتكم فى عضوية هذه اللجنة •

وانى اشكر لعزتكم حسن تفضلكم بقبول مؤازرتنا فى هذا العمل الخطير ، ولى كبير الثقة انه سيكون للبلاد من عنايتكم الحظ الوافر والأثر المشـــكور •

وتفضلوا بقبول مزيد احترامى

القاهرة فى ٨ شعبان ١٣٤٠

٦ ابريل ١٩٢٢

رئيس مجلس الوزراء
ثروت

وارفق بهذا الخطاب مذكرة من رئاسة مجلس الوزراء هذا نصها :

« اشار الأمر الكريم الصادر الى بتاليف هذه الوزارة الى رغبة حضرة صاحب جلالة الملك فى تحقيق التعاون بين الأمة والحكومة بواسطة نظام دستورى وعهد الى الوزارة باعداد مشروع ذلك النظام وقد كان جواب الوزارة على هذا الأمر الكريم انها ســـتأخذ فى الحال فى اعداد مشروع دستور طبقا لمبادىء القانون العام الحديث ، وان هذا الدستور سيقرر مبدأ المسئولية الوزارية ويكون بذلك للهيئة النيابية حق الاشراف على العمل السياسى المقبل •

وبما ان الوزارة ترى أن تستعين فى القيام بهذه المهمة الخطـــيرة بآراء هيئة يكون أعضاؤها من ذوى الخبرة والصفة النيابية •

لذلك أتشـــرف بأن أرفع هذه المذكرة الى مجلس الوزراء راجيا الموافقة على تاليف لجنة تتولى وضـــع مشـــروع دستور وقانون انتخاب ويكون أعضاؤها حضرات أصـــحاب الدولة والمعالى والسعادة والعزة الآتية اسماؤهم : ويأتى بعد ذلك أســـماء المرشـــحين لهذه اللجنة • وقد صـــادق مجلس الـــوزراء على هذه المذكـــرة فى ٣ ابريل ١٩٢٢

ويلاحظ أن الأعضاء المؤسسين للوفد كانوا عند كلمتهم التى اتفقوا عليها فى باريس وصدر بها قرارا جماعى بحضور سعد، فلميدخلوا فى وزارة عدلى ، ولم يدخلوا كذلك فى وزارة ثروت معتقدين ان خدمة البلاد تتحقق بجهادهم الوطنى وهم بعيدون عن مقاعد الحكم • ولما كان وضع الدستور جهادا وطنيا فقد قبل بعضهم الاشتراك فى هذه اللجنة ، وقد تولى رياستها حسين رشدى باشا الرجل الذى نصح بتكوين الوفد ، وباشرت أعمالها ، وبحث أعضاؤها فى جميع دساتير العالم وفى مقدمتها دستور بلجيكا وكان من أحدث الدساتير وأدقها • ومكثت اللجنة نحو ستة أشهر تكد وتتعب حتى اتمت عملها فى مشـــروع الدستور ومشروع قانون الانتخاب ، ثم احالته الى لجنة فرعية لوضع الصيغة النهائية فى التحرير • وكان أول القائمين بهذا التحرير المرحوم عبد العزيز فهمى • ومما وضعته اللجنة فى الدستور ان يلقب الملك بملك مصر والسودان •

تاسيس حزب الاحـــرار الدســتوريين

صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ من انجلترا منفردة دون تقييد مصر باتفاق او معاهدة ، وفيه كما أسلفنا الغاء الحماية واعلان استقلال مصر دولة حرة ذات سيادة لها حق التمثيل الخارجى •• الخ • فوجب على مصر فى هذه المرحلة الخطيرة أن تدعم مركزها وتســـتعد لمراحل اخرى ووثبات فى سبيل استكمال استقلالها والخلاص من التحفظات التى تمسكت بها انجلترا ولن يكون ذلك الا بصـــلاح ادارة الحكم فى البلاد والنهوض بالأمة على أسس سليمة بتحسين المرافق ورفع مستوى الشعب وأساس هذا كله أن يكون للبلد برلمان يمثل الأمة تمثيلا صحيحا ويحقق ما يقرره دستور كامل من أن الأمة هى مصدر السلطات ــ وبهذا وحده تصل الأمة الى ما تبتغيه •

لهذا فكر مؤسسو الوفد ومعهم اصدقاؤهم فى تاليف حزب يسعى فى تحقيق الحياة الدستورية الصحيحة وضمان حرية الفرد واختاروا له اسم « حزب الأحرار الدستوريين » عنوانا للغاية التى يسعى اليها • وانتخبنا عدلى يكن باشا رئيسا له وكان أجدر رجل يضطلع بتحقيق مبادىء الحزب وقد عرفناه وبلوناه فى جهاده ايام أن كنا فى باريس ولندره وفى المفاوضات مع لورد ملنر وعرفنا مواهبه ونزاهته الســـياسية كما انتخب الحـــزب وكيلين هما عبد العزيز فهمى ومحمد محمود واختارنى سكرتيرا عاما له •

كان ذلك فى اكتوبر ١٩٢٢ ايام وزارة ثروت باشا صـــاحب اليد الطولى فى تكوين لجنة وضع الدستور وفى التمسك بالمشروع الذى وضعته اللجنة تمسكا كان من نتائجه استقالته من الوزارة •

وعقد الحزب أول أجتماع له يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ بفندق شبرد . وكان اجتماعا حافلا خطب فيه عدلى رئيس الحزب الخطبة التى تحدد أهداف الحزب ولم يكن فيها ما يمس سعدا لأن الحزب قام للتآلف والتآزر ولخدمة البلاد والدستور خدمة صـــادقة • وفيما يلى نص الخطبة وقد نشرت فى أول عدد من جريدة « السياسة » اليومية الصادر فى ٣٠ اكتوبر ١٩٢٢ •

خطبة عدلى رئيس حزب الأحرار الدستوريين

« ايها السادة :

اشكركم كثيرا على اجابة دعوتنا بحضوركم هذا الاجتماع الذى عقدناه لنعلن فيه برنامج حزبنا وخططه السياسية والاعتبارات الداعية الى تأليفه ، وقد نكون فى نظر بعض أصــــحابنا قد تأخرنا فى القيام بهذا الواجب الوطنى ، اذ أن بعضكم طالما صارحنا منذ بضعة أشهر بان حالة وطننا السياسية تقتضيه الا أن الظروف غير المناسبة التى لاتزال قائمة الى الآن كانت تعوق تأليف حزب سياسى حر يستطيع أن يؤدى للبلاد خدمة حقيقية • أما ولجنة الدستور قد فرغت من عملها العظيم ، وأصبحنا على باب الحياة البرلمانية ، فلم نعد مختارين فى انتخاب أنسب الأوقات لتأليف حزبنا بل لابد لنا من اقتحام كل عقبة تحول بيننا وبين استكمال عدتنا لحياة جديدة •

« ايها السادة ــ علمتنا تجارب الأمم فى الماضى ، ثم علمتنا تجاربنا بالأمس ان ليس بين أمة وبين ادراك غرض من أغراضها الا مجرد اجماعها عليه اجماعا صحيحا ، وارادتها اياه ارادة صادقة وليس أضر على صحة هذا الاجماع ولا أفسد لصدق الارادة من أن يتطرق الى نفسية الأمة شىء من روح الارتياب فى النجاح ، أو يطوف عليها طائف من التشاؤم يزعزع عقيدة الثقة بالمستقبل ، ويصدع أركان الاتحاد •

« هذه الحقيقة قد علمتها الأمة المصرية حق علمها ، وجرت عليها من بداية حركة الاستقلال فلا محل للشك فى انها ستجرى عليها فى المستقبل ، بعد أن جربت ان الاتحاد هو العـــامل الأكبر فى كل التطور الســـياسى الأخير •

« والى الاتحاد يرجع الفضل فى اقتناع البريطانيين بان الأمة المصرية لا يمكن أن تحكم على ما تختار ، وبأن الحمـــاية رابطة ممقوتة واجبة الزوال ، فعولوا على طريقه الاتفاق التى هى أشرف الطرق وأكدها فى

ترتيب الروابط بين أمتين ولقد قابل الشعب المصرى بالرضا هذه الطريقة التى ترمى الى عقد اتفاق شريف يحقق للمصريين استقلالهم ، ويضمن للبريطانيين مصالحهم غير الماسة بهذا الاستقلال ٠

« أجل نريد اتفاقا صريحا خالصا من شوائب المساومات ، سليما من الأغراض المستترة ، مبنيا على الصداقة المتبادلة ٠

« ان اتفاقا كهذا من شأنه أن يتحقق ، مادامت مصر لا تطلب الا حقها فى الحياة حرة كسائر الأمم المتمدنة ، ومتى كانت بريطانيا العظمى لا تطلب الا صيانة مصالحها صيانة مجردة من فكرة التدخل فى شؤون بلادنا ٠

« ان من دواعى التفاؤل بتحقق هذه الغاية تلك الخطوة التى خطتها الأمة فى سبيل استقلالها التام دون أن تقيد نفســـها بشىء ومهما تكن الأسباب التى تحمل بعض مواطنينا على اظهار عدم الاكتراث بهذه النتيجة فمن المحقق ان الغاء الحماية البريطانية على مصر الغاء دوليا والاعتراف بها مملكة مستقلة ذات سيادة ، والاستعداد لحل المسائل المعلقة بين مصر وبريطانيا العظمى بمفاوضـــات يكون القول الفصل فى نتيجتها للبرلمان المصرى ، كل ذلك يجب ان يعتبر نجاحا سياسيا كسبته الأمة فى اثناء سعيها الى تحقيق غرضها الأسمى ،من المحقق ان كسبنا لهذه الحقوق ، فضـــلا عماله من القيمة الذاتية ، فهو عظيم الفائدة من جهة انه نقطة ارتكاز قوية نستعين بها على حل المسائل المحتفظ بها حلا موافقا لمطالبنا القومية ٠

« لا محل للارتياب فى النجاح بعد أن ادركت الأمة بفضل مجهوداتها هذه الأغراض وبعد أن اتيح لها اختيار الدستور نظاما لحكومتها ان النظام الدستورى هو وحده طريقة الحكم اللائقة بأمة عريقة فى المدنية كأمتنا ٠ وهو وحده الذى يلائم ما لجلالة الملك من الميول الشريفة والمقاصد السامية لارتقاء شعبه فى مدارج الفـــلاح ، فان جلالته منذ جلوســـه على عرش جده العظيم لم يدع فرصة تمر الا اثبت فيها أن النظام الدستورى سيلقى منه اكبر عضد ، متنزه بحكم مركزه الدستورى السامى عن منازعات الأحزاب ٠

« ومما لاريب فيه ان الاسراع بتنفيذ الدســـتور يعتبر خدمة جليلة للبلاد ، لأن التعجيل بتنفيذ الدستور هو فى الواقع تعجيل بمعالجة حل المسألة المصرية ٠

« أيها السـادة ـ تعلمون اذن اننا داخلون على دور من أدوار مسألتنا المصرية دقيق ، داخلون فى نظام من حكم البلاد جديد ، أمران يجب على جميع الرجال الذين هم مسئولون عن مصلحة هذا الوطن وشرعه والذين هم مسئولون عن الحساب الواجب علينا اداؤه للخلائف من بعدنا، ان يقدروهما حق قدرهما ، وان يوفهما من العناية ما تسـتحقه مسألة قومية كبرى يتوقف عليها مصير البلاد ٠

« ان الأمة المصرية قد أثبتت فى كل عصر انها أمة قانون ونظام وهذه الميزة كفيلة بنجاح النظام الدستورى فيها ، ولكن الرجة العنيفة التى يقترن بها عادة الانتقال من حال الى حال ، والتى كثيرا ما تكون فرصة لنمو أضـرار الشـهوات السـياسية يجب ان تلفت نظر الرجال المسئولين ، فيشددوا من عزائمهم ويتكاتفوا للقضـاء على كل نزعة من النزعات المفسدة لفوائد الحكم الدستورى خصوصا متى لوحظ ان فى بداية حياتنا الدستورية ستعرض مسألة تقرير مصيرنا السياسى ، وهذا من شأنه ان يزيد مركزنا دقة على دقته ، ويضاعف واجبنا فى الحذر من العواقب ٠

« ان القيام بمثل هذه الأغراض لا تغنى فيه جهود الأفراد شيئا ٠ بل لابد من جهود الجماعات المؤلفة على برامج محدودة ومبادىء معينة ، أو بعبارة أخرى لابد من جهود الأحزاب ، فان الحزب أثبت من الأفراد رأيا ، وأمن هوى ، وأبقى على الزمان وجودا ، وأعسر على عواصف الحوادث منقلبا ٠

« تعلمون ان الحزب السـياسى هو البيئة الوحيدة التى تكمل فيها التربية السياسية للأفراد ، بل هو النظام الكفيل باسـتمرار المبادىء عائشة زمنا طويلا ، وهو ملاك اتصال التقاليد السياسية للأمم ، وفوق ذلك فان الأحزاب هى أدوات التفاهم السـريع فى المجالس الكثيرة العدد ، فحاجتنا الى الأحزاب السياسية حاجة حالية يدعو اليها واجبنا فى تنظيم صفوف الأمة وتوحيد كلمتها وتوجيه مجهوداتها الى تحقيق ما ينقصنا من مقومات استقلالنا الفعلى حاجتنا الى الأحـزاب السـياسية حاجة مستمرة تدعو الى بقائها الحياة البرلمانية ذاتها ٠

« دعتنا هذه الحاجة القومية أنا وبعض اصدقائى فى السياسة الى ان نعتزم تأليف هذا الحزب باسم « حزب الأحرار الدستوريين » وقد وضعنا له المبادىء والأغراض التى هى صيغ ما تضمر نفوسنا تحقيقه لخير بلادنا ، ونحن نعاهد الله تعالى والأمة على ان نعمل لتحقيقها فى

المجالس التشريعية ، ونصدر عنها فى تقدير أعمال السلطة التنفيذية ، ونرعاها فى كل ما يقوم به الحزب من الأعمال ٠

« ولقد ارى واجبا على قبل عرض هذه المبادىء والأغراض عليكم أن اشير الى الخطة التى يتبعها الحزب فيما يتعلق بالمسائل المحتفظ بها للمفاوضات ، أو بعبارة أخرى فى ازالة العوائق التى تعوق تمتع الأمة باستقلالها الذى كسبته قانونا وهذه الخطة انما ترجع الى مبدأ واحد وهو أن الاتفاق لا يجوز فى حال من الأحوال ان يمس استقلالنا ، ولا ان يعطل مظهرا من مظاهره ٠

« لاشك ان الحيطة السياسية تقضى بالكف عن الخوض فى تطبيق هذا المبدأ بوجه التفصيل على الفروض التى تفترض حلولا للمسائل المحتفظ بها ، فان الخوض فى تطبيق هذا المبدأ بالدقة وبالتفصيل انما يكون عند المفاوضات التى ستكون تحت اشراف البرلمان المصرى ، ولكنى مع ذلك لا أجد بأسا من الاشارة الى أن تطبيق هذا المبدأ عينه قد حمل الوفد الرسمى كما تعلمون ، على رفض كل اقتراح يؤدى الى الاحتلال العسكرى أو ما فى معناه ، كما ادى به الى رفض كل اقتراح يرمى الى التدخل الأجنبى فى شؤون البلاد داخلية كانت أو خارجية ٠ ولئن كان الاستمساك بهذه الخطة قد أدى الى قطع المفاوضات فى العام الماضى ، فان ذلك لا يطعن فى صحتها ، ولا فى انها هى الخطة التى ترضاها أمة حريصة على استقلالها ، متشبثة بأسباب استكماله ٠ فاذا كان لابد لنجاح مفاوضات مستقبلة من أن يغير أحد الطرفين خطته ، فليس الطرف المصرى هو المطالب بهذا التغيير ٠

« كذلك نقول على وجه الاجمال أن كل حل لمسألة السودان يؤدى لفصله عن مصر ، أو يخل بحقوقها فيه أو يعوق تمتعها بسيادتها عليه ، ورعايتها بنفسها منافعها الحيوية فيه ، فهو حل ليس فقط بعيدا عن قواعد العدل ومقتضيات الصداقة التى هى أساس الاتفاق بل يكون حلا لا يمكن ان ينال رضاء المصريين ٠

« أيها السادة — قد أرى من الضرورى أن أبين لكم فى هذا المقام موقف حزبنا فيما يتعلق بمسألة الامتيازات الأجنبية لا شبهة فى أن نظام الامتيازات العتيق قد أصبح غير متفق مع المبادىء الحديثة ، ولا مؤتلف مع روح العصر الحاضر ، كما أصبح ضئيل الفائدة بالنسبة للأجانب انفسهم ٠ ولكننا مع ذلك نرى من الأوفق لمصلحتنا ان تكون الامتيازات

موضع مفاوضات خاصة بين مصر وبين الدول ذوات الامتياز ، وعلى كل حال فان مصر الحرة ترى واجبا عليها ، اعترافا بجميل الأجانب النازلين فيها ، والذين يشاطروننا فى ارتقائها من وجوه عديدة ، ان تحسن ضيافتهم فى المستقبل كما كان الأمر فى الماضى ، وان ترعى مصالحهم ، وتحرص على طمانينتهم وراحتهم ٠

« أيها السادة ـ تلك هى خطتنا السياسية ، اكرر لكم مرة أخرى الأصـــل الذى تركز عليه هذه الخطة (ان الاتفاق يجب حتما الا يمس باستقلال مصر ، ولا ان يعطل مظهراً من مظاهره) ويقيننا ان هذه القاعدة ينبغى ان تطبق بدقة فى كل مفاوضة تدور على اية مسألة من المســـائل المتعلقة باستقلال مصر حيثما تكون هذه المفاوضـــة أريد أن أقول : وفى مؤتمر الشرق ايضا ، اننا نرحب بدخول مصر فى هذا المؤتمر ولكن على شرط ان ندعى اليه بالطريقة التى تدعى بها الدول الأخرى ، وان تدخله بصفتها دولة مستقلة حرة الرأى ، تدافع عن حقوقها التى هضمتها معاهدة سيفر(٣٨) ، وليعترف لها فى معاهدة دولية بكل الحقوق اللازمة لدولة مستقلة تامة السيادة ٠

« أيها السادة ـ فى صدد ايقافكم على خطط حزبنا ، لا يجوز لى أن أتخطى الكلام عن الحقوق التى كسبتها مصر كنتيجة قانونية للاعتراف باستقلالها دوليا اننا نظن الوقت قد حان للتمتع بهذه الحقوق ، ولا نرى أن هناك عوائق تحول دون ذلك ، فانه لا مانع يمنع الحكومة المصرية ، من ان ترتب سفرائها وقنصلياتها فى الخارج ، لا مانع يمنع الحكومة من طلب دخول مصر فى جمعية الأمم على أن فى تحقيق هذين الأمرين تأكيدا للاستقلال ، ومظهراً حيا للتمتع بالسيادة الخارجية » ٠

« كذلك لا نجد مبررا لبقاء الاحكام العرفية الاجنبية التى هى معطلة من غير شك لمظهر السيادة الداخلية ، ورجاؤنا ان تتخلص البلاد على

---

(٣٨) تم توقيع هذه المعاهدة فى ١٠ اغسطس عام ١٩٢٠ ٠ وبمقتضى هـذه المعاهدة تنازلت تركيا لانجلترا عن السـلطات المخولة لها بمقتضى اتفاقية الآستانة الموقعـة فى ٢٩ أكتوبر عام ١٨٨٨ المقررة والمنظمـة لحياد قنـاة السويس ـ غير أن معاهدة سيفر ألغيت بعد نجاح ثورة أتاتورك وحل محلها معاهدة لوزان التى وقعت فى ٢٤ يولية ١٩٢٣ ونص فى المـادة ١٧ منها على تنازل تركيا عن كل حق لها على مصر والسودان ٠

وقد صرح عصمت باشا رئيس الوفد التركى فى مؤتمر لوزان بان لمصر الحق فى تقرير مصيرها بنفسها (وهذا تفسير لمدلول التنازل كما ورد فى المعاهدة ٠ عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ ، تاريخ مصر القومى ١٩١٤ ـ ١٩٢١) جـ ٢ ، ص ٧١ ٠

وجه السرعة من هذا النظام المكروه ، كما نرجو ان تزول آثاره التى مست بحرية الأفراد ، فان حزب الأحرار الدستوريين يمقت أن يبقى للمساس بحرية الأفراد اثر على الاطلاق ·

« ايها السادة — مهما كان وزن الأقوال التى قيلت جزافا فى هذا الحزب من قبل أن يعلن برنامجه ، فانى لا أتعرض الى تمحيصها ، بل اكتفى بان أعلن أن سنتنا فى تطبيق مبادئنا وتنفيذ خططنا ليست عدائية لأى شخص كان ممن يخالفوننا فى مبدأ أو ينازعوننا فى خطة ، بل سنتنا على ضد ذلك هى السعى فى تطهير النفوس من الأحقاد التى يولدها عادة فهم السياسة على غير ما يجب أن تفهم عليه ، ونصيحتى لمن يعملون فى السياسة ألا يدفعهم حب الظفر الى الخروج عن القصد فى ترويج سياستهم والى انتقاص مخالفيهم ان ذلك المذهب ، فضلا على انه غير لائق بالرجال المسئولين ، فانه لا يجر وراءه الا التنافر والتخاذل ونحن أحوج ما نكون الى الاتحاد والتعاون ·

« ان الوطن يطلب منا جهودا جديدة غير الجهود التى بذلناها من قبل ، يطلب جهود الجماعة لا جهود الأفراد ؛ حتى تزول العوائق من طريقنا الى الغرض الأسمى الذى سعت البلاد اليه سعيها ، وضحت بضحاياها ، فلنضم صفوفنا ، ولنوحد كلمتنا ، ولنسع الى غرضنا ، واثقين من النجاح ، والله المسئول أن يسدد خطانا الى هذا الغرض الشريف » ·

وقد أصدر الحزب جريدة يومية باسم « السياسة » ثم أصدر بعد ذلك صحيفة أسبوعية باسم « السياسة الأسبوعية » تبحث فى العلم والفن والأدب والاجتماع · وقد انتشرت صحيفتا الحزب انتشارا واسعا ، وكانتا فخرا للصحافة الشرقية حازتا اعجاب الجميع · وكان يتولى رئاسة تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل ، كما ساهم فى تحريرهما كتاب أفذاذ أخص بالذكر منهم الدكتور طه حسين والمرحوم الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى(٣٩) ·

---

(٣٩) ولد فى (١٩ اغسطس) عام ١٨٩٠ · تخرج من مدرسة المعلمين العليا · اشتغل بالتدريس ثم استقال من هذا العمل وتفرغ للكتابة والصحافة · انتخب عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق ، والمجمع اللغوى بالقاهرة · من مؤلفاته : حصاد الهشيم ، رحلة الحجاز ، شعر حافظ ، صندوق الدنيا ، قبض الريح · (عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٩٨) ·

مقتل اسماعيل زهدى وحسن عبد الرازق

بدأ الحزب يزاول نشاطه أملا فى تحقيق الغاية التى تكون من أجلها ، لكنه فوجىء فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٢ باغتيال عضوين من أعضائه هما اسماعيل زهدى بك المحامى وحسن عبدالرازق باشا . وتفصيل ذلك انى كسكرتير عام للحزب دعوت أعضاء مجلس الادارة للانعقاد فى يوم ١٦ نوفمبر ١٩٢٢ بدار الحزب ثم شاءت الصـــدفة أن يجد سبب قضى بتأجيل الاجتماع فارسلت خطابات بذلك الى الأعضاء ، فلم يحضر أحد سوى اسماعيل زهدى بك وحسن عبد الرازق باشا والدكتور حافظ عفيفى لأن خطابات التأجيل لم تكن وصلتهم وقد اجتمعت بهم بعض الوقت فى الطابق الأعلى من دار الحزب وهو محل انعقاد مجلس الادارة ، اذ كانت ادارة الجريدة تشغل الطابق الأرضى .

ثم رأينا ان ننصرف نحن الأربعة الى منازلنا وشاءت عناية الله بى ان أتأخر فى النزول بسبب لا أدرى الدافع له هو انى أردت التكلم تليفونيا مع قريبة لى ، وشاءت عناية الله أيضا أن أنسى رقم تليفونها فجادلت عاملة التليفون بعض الوقت ، ونزل زمـــلائى الثلاثة الى الدور الأرضى فعرج الدكتور حافظ عفيفى على حجـــرة رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل واستمر الاثنان فى سيرهما الى خارج المبنى وركبا سيارتهما وما أن استقرا فيها حتى هاجمتهما عصابة مسلحة استعدت للفتك بجميع أعضاء مجلس الادارة وهى تعلم وقت انعقاد الجلسة .

سمعت وأنا أهم بالنزول طلقات نارية تدوى من ناحية باب المبنى فبهت واسرعت بالنزول . وأنا أسمع الطلقات العديدة تدوى من ناحية الحارة المظلمة المجاورة للمبنى ، فادركت أن جناة اعتدوا ويفرون فى الحارة ويهددون من يقترب منهم ، وكان اطلاق النار فى الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ١٦ نوفمبر ١٩٢٢ .

ولما بلغت الدور الأرضى ، وجدت هيكل وحافظ عفيفى وبعض موظفى الجريدة يحتشدون على باب حجرة رئيس التحرير واخبرونى ان أشقياء أطلقوا النار على زهدى وحسن عبد الرازق بعد أن استقرا فى سيارتهما وقد توفى الأول فى ١٨ نوفمبر ١٩٢٢ والثانى فى ٢٠ نوفمبر .

كان الشهيدان من أطهر المصريين يدا وأقواهم قلبا وأشدهم وطنية فاسماعيل زهدى كان محاميا محبوبا معروفا بالنزاهة واندمج من قبل فى

الحزب الوطنى ، ولم يكن يرضى عن أعمال التهريج والقذف والسب والمواقف السلبية التى تمنع كل خير عن البلد ٠

أما الثانى وهو المرحوم حسن عبد الرازق باشا فهو ابن المرحوم حسن عبد الرازق باشا الكبير ومن أرفع العائلات فى الصعيد ومن أقطاب رجال الوطنية كما كان أخوته وأهلوه كذلك ولطالما ساهموا فى خدمة البلاد ، وقد تقلب المرحوم الشهيد فى مناصب الحكم الى أن أصبح محافظا للاسكندرية ثم استقال لأسباب وطنية واشتغل بالمحاماة ٠

وكان لوفاتهما أثر عميق فى نفوس رجال الحزب ومن عرف قدرهما من المصريين فى كافة أنحاء القطر وقد تركا بعدهما أرملتين وأطفالا صغارا وأسرا لبست عليهما الحداد ٠

فهم الناس بلا كبير عناء أن هؤلاء القتلة انما أرادوا الفتك بجميع أعضاء مجلس جزب الأحرار وانهم كانوا ـ على الأقل ـ مسممين بالدعاية السيئة التى كان يقوم بها خصوم عدلى ومن معه ٠

وأراد أنصار سعد أن يدفعوا عن أنفسهم كل مظنة فنشروا على الناس براءتهم من القتلة ومواساتهم لأهل الشهيدين وأعلنوا استهجانهم للاعتداء على الأنفس ، ومما جاء فيما نشروا هذا الكلام اللطيف الرقيق « انهم يستنكرون الاعتداء مهما كان القاتل ومهما كان المقتول ومهما كانت أسباب القتل !!! » ٠

انظر كيف استبدت الضغينة والبغضاء بهؤلاء القوم ، وكيف انهم فى مواساتهم يطعنون الشهيدين والحزب كله فى وطنيتهم وشرفهم ٠

وانى لاتساءل ما الذى ارتكبه عدلى ومن معه من خطأ فى أعمالهم الوطنية الطويلة الشاقة وفى تكوينهم الوفد ثم حزب الأحرار ؟ لقد كان عدلى ورفاقه الذين آزروه فى جميع أعماله يخشون الفرقة ، بل كانوا يتنازلون أحيانا عن بعض آرائهم حرصا على وحدة الوفد وبالتالى على وحدة الأمة وأقوال عدلى الرسمية وغير الرسمية لم ترد فيها كلمة نابية ضد سعد وأنصاره رغم الطعنات التى وجهت اليه، كما أن مؤسسى الوفد كانوا حريصين على الوئام فسلوكهم مع سعد وخطبهم وخطاباتهم فى باريس وغيرها كل أولئك يدل على أنه كان موضع رعايتهم ٠ بل وصل أمرهم الى أن تضامنوا مع أنصار سعد اثر نفيه الى سيشل وذهبوا الى منزله يحدوهم الأمل فى أن يوفق الله الجميع الى ما فيه خير البلاد ، ولم يعرضوا عن أنصار سعد الا بعد أن رأوا من واصف بطرس غالى بك وسمعوا ان

السيدة حرم سعد زغلول تريد منهم ـ وهم رجال يعتزون برجولتهم ـ الا يبت فى أمر الا بعد ان تصادق عصمتها عليه ـ فابت عليهم كرامتهم وقضت عليهم مصلحة الوطن ان يتحللوا من هذا الاتحاد المزيف ٠

بعد مقتل زهدى وعبد الرازق

كان لمقتل هذين الشهيدين اثر عميق فى الفرقة النهائية بين مؤسسى الوفد وسعد ، وتطورات فى الأحداث نذكر منها مايلى :

(١)

استقال ثروت فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٢ ، وكان الملك يريد اقصاءه من الحكم ، فان ثروت كان قوى الشكيمة ويصـــر على عدم تعديل أى نص من نصوص مشروع الدستور الذى وضعته اللجنة ٠ وكانت هذه اللجنة قد وضعت نصوصا منها ان الملك يلقب بملك مصر والسودان ٠ ولما كان الانجليز لا يرضون بصفة خاصة عن هذا النص ، وكان الملك من ناحيته غير شغوف بدستور يستلبه السلطة ويجعلها للأمة ، وضع كلاهما العراقيل أمام نفاذ الدستور ، بينما يصر ثروت على عدم المساس به فانتهز الملك فرصة البلبلة التى أعقبت حادث القتل وفكر فى اقصاء ثروت عن الحكم بوسيلة هى انه اعتزم الصلاة بالأزهر يوم الجمعة ودعا ثروت كرئيس وزرائه ليصلى معه وأوعز الى بعض الأزهريين بالقيام عقب الصـــلاة بمظاهرة ينادون فيها بسقوط ثروت فيكون ذلك حجة لاقصائه وقد علم اسماعيل صدقى ـ وكان وزيرا للداخلية ـ بهذه المناورة فأخطر ثروت ليلة الجمعة بما دبر له ، فلم يكن من هذا الأخير الا أن قدم استقالته فورا ولم يرافق الملك فى الصلاة ، وقد بادر الملك بقبول الاستقالة وعين توفيق نسيم باشا رئيسا لوزارة فرح بها أنصار سعد وهللوا لكنها ما لبثت ان وافقت الانجـــليز على مطلبهم فى ان ينص الدســـتور على أن يلقب الملك بملك مصر وان يؤجل موضوع السودان الى أن يتم الاتفاق بشأنه ، كما حصل تعديل فى بعض النصوص الأخرى ولم يمض على توفيق نسيم اكثر من شهرين حتى استقال بسبب كراهية الشعب له ٠ وخلفه يحيى ابراهيم باشا الذى أصدرت حكومته مرسوما بنفاذ الدستور فى يوم ١٥ مارس ١٩٢٣ معدلا بما حقق رغبات الانجليز وبعض رغبات الملك ٠

(٢)

ماســـاة فى اخـــلاق الزعامة

حين رأيت ان الانحراف السـياسى وصـــل الى تقتيل المجاهدين الأبرياء، ثارت نفسى وصممت على كشف بعض الحقائق التى اخفيتها فى صدرى أعواما ٠ وأعلن حزب الأحرار انى سالقى خطابا سياسيا فى ٧

ديسمبر ١٩٢٣ فاجتمعت أمام داره آلاف عديدة فى سرادق أقيم لهذه الغاية · وفى هذا الاجتماع الحاشد سردت بعض أعمال سعد وشيعته فى خطبة نشرتها جريدة السياسة صباح يوم ٩ ديسمبر بعد أن عدلت بعض فقراتها وهاك نصها(٤٠) ·

خطبة الاتهام

أيها السادة ــ أتقدم لحضراتكم بوافر الشكر على ما أوليتمونى من جميل عطفكم بتفضلكم بالحضور لاستماع كلمتى ·

انى أريد أن أحدثكم عن الحالة الحاضرة · وان أردتم تعبيرا صحيحا فانى سأحدثكم عن شىء من المحنة الحاضرة وعن شىء من أسبابها ·

نعم أيها السادة نحن فى محنة يجب ان يعرف الناس طرا أسبابها ــ كما يجب أن يسعى كل مسئول عن خير هذا الوطن وشرفه فى ازالتها بما أوتى من حول وقوة ·

أيها السادة ــ ان واجب المصريين كافة الا ينسوا حق بلادهم عليهم والا يهنوا فى العمل لاستقلال وطنهم وان يعلموا أن الأمة التى تحرم استقلالها فانما تسلب حق البقاء فى هذا الوجود ·

سعينا الى الاستقلال سعينا، ولا تظنوا أن واحدا منا دفع أمتنا الى المطالبة بحقوقها ، وانما الحوادث شاهدة على أنها هى التى دفعتنا الى أن نكون لسانها الناطق وترجمانها الصادق (تصفيق ــ فجاهدت وجاهدنا نصبو جميعا الى ما تصبو اليه الأمم التى تقدر قيمة الشرف والكرامة ·

قالت مصر أن سعيها الى الاستقلال دستورا وبرلمانا فكان من واجب كل من طهر قلبه وصدقت وطنيته ان يهيىء لهذا البرلمان رجالا من ذوى

---

(٤٠) تقع هذه الخطبة فى الصفحات من ٣٦٢ الى ٤١٣ بالمذكرات . وقد أجرينا مطابقة بين نص الخطبة بالمذكرات والنص المنشور بجريدة « السياسة » فى ٩ ديسمبر ١٩٢٣ فلاحظنا اختلافا طفيفا فى بعض العبارات والتواريخ . وقد حرصنا على اثبات كل اختلاف فى موقعه من الخطبة . ويفهم من كلام صاحب المذكرات أن جريدة السياسة عدلت فقرات الخطبة ، وعلى هذا فمن المرجح ان هذا الاختلاف مبعثه ذلك التعديل وان كان تعديلا غير جوهرى فى رأينا .

الكفاءة والنزاهة · رجالا سمت مداركهم وابيضت صحائف ماضيهم حتى يكونوا عدة الأمة فى شدائدها المنتظرة وحتى يكونوا ذخرها وفخرها فى أكبر مظهر من مظاهر حياتها العامة وحتى يمهدوا لها بدرايتهم وتجاربهم سبيل الوصول الى الاستقلال الصحيح، ويظهروا البلد فى مظهره اللائق به ويقيموا الحجة أمام العالم أجمع على أن الأمة المصرية أسمى مما يسمونه تجربة وأكبر من أن تقف جهودها عن مطلبها الأسـمى اللائق بها كأمة شريفة ناضجة (تصفيق حاد) ·

كان الواجب علينا جميعا ان نولى ذوى الكفاية والفضل وان نكلفهم بخدمة بلادهم قبل أن يسعوا هم اليها · وان نعرف ان خذلان ذوى الرأى فى الانتخاب هو خذلان لمصر نفسها ·

كان واجبنا ان نبحث عنهم فى كل مكان وفى كل حزب فان الأحزاب وان افترقت فى سـبل الاستقلال ووسـائله فهى بمجموعها قوة متعددة الوسائل والأساليب للوصول الى هذا الاستقلال وجلاله ·

لا أحزاب للتهافت على المساومة فى حق الوطن ـ حتى ولو كانت هذه المساومة مع « خصوم محترفين شرفاء يراد معافاتهم من السمسرة »(*) وانما تتعدد الأحزاب بحكم الفطرة تبعا لتنوع العقول ووحى الضمائر فى اختيار أنجح الوسائل وأصلحها للوصول الى تحقيق مطالب الوطن ·

هكذا تفهم خدمة الوطن وهكذا نعمل على خدمة الوطن وان تعددت المسالك فالأمة لا تفهم الا وحدة الغاية ·

لهذا قلت وأكرر قولى أن على الأمة واجبا فى الإنتخاب هو اختيار نوابها ممن ظهر ماضيهم وكفايتهم وطهارة ذيلهم من أى حزب كان وفى أية جماعة وجدوا وفى أية بيئة أقاموا وما المجلس النيابى الصحيح الا لسان الأمة حقا ووكيلها حقا ورمز أمانيها حقا وعنوان استقلالها حقا ·

كنا نود أن يفهم الكل أن خدمة الوطن فى ظروفنا الحاضرة فوق كل اعتبار حزبى وفوق كل شهوة شخصية ولكنا والأسى يملأ قلوبنا نرى أمام أعيننا جماعة منا قد دفعها حب الظفر فى الانتخابات الى مزاحمة غير مشروعة بل الى حرب عوان قد استخدمت فيها أسلحة لايزاولها خصم شريف أمام خصم شريف ·

(*) هذا ما كان يقوله سعد عن الانجليز فى خطبه . (هذا الهامش فى أصل المذكرات) .

نعم تملك الأسى قلوبنا لأنى أعلم وكلكم يعلم ألا رجاء لبلد تقوم الزعامة فيه على ايذاء الناس فى اخدارهم وسمعتهم وعلى افساد الضمائر بترغيب أو تهديد أو احتيال ٠

قام اتباع سعد باشا فى غيبته بحرب شعواء سموها معركة انتخابية ضد من لا يرى رأيهم ومن لايدين بمذهبهم ان كان لهم مذهب فى السياسة معروف وقد أسرفوا فى الطعن والسب والافتراء والترغيب والارهاب والايذاء فصبرنا وقلنا عل زعيمهم يرجعهم عن غيهم ولكن ما لبثنا أن رأينا هذا الزعيم يبرق الى احدهم بهذه الجملة الرشيقة « لافض فوك » ٠

صبرنا أيضا على هذا الأذى وقلنا لعل زعيمهم يؤوب الى الحق متى رجع الى وطنه وأعلن ألا رجاء لمصر بغير الجد فى العمل والترفع عن قتل القوى الحيوية فى البلاد بسلاح تأباه الذمة والكرامة ٠ وقلنا بوجوب الصبر احتراما للأدب والحياء واثباتا لمن يقدر للأدب والحياء قيمتهما ان فى مصر ناسا يعرفون كيف يصونون الفضيلة ويحرصون عليها ٠ ففى صيانتها صيانة لسمعة بلادهم وكيف يسلكون فى الحياة العامة مسلك الشرف والصبر على المكاره ٠

أيها السادة ـ صبرنا وانتظرنا حضور سعد باشا ولطالما طالبنا بحضوره فحضر فماذا رأينا ؟

رأينا أيها السادة ان سعدا قد شاطر شيعته وزر آثامها ٠ واشعل نارا وقودها مواطنوه الذين لا يرون فى السياسة رأيه ولا يقدسون شخصه وكان مع ذلك بردا وسلاما على خصوم بلاده ـ رأيناه ينهش مواطنيه فى أعز ما لديهم فى هذا الوجود وهو شرفهم الوطنى وهو مع ذلك ينحنى أمام المستعمرين ويغريهم على قبول اتفاق معه بلا سمسرة ـ رأيناه يسعى فى أن يكون البرلمان ممثلا لشخصه لا لأمته وفى أن تكون الاسماء الموضوعة على مقاعد البرلمان منحصره فى اسم سعد مكررا حتى يتمكن من تحقيق رغبته فى المفاوضة حرا طليقا لا رقيب عليه ولا حسيب ٠

هكذا يريد سعد وهكذا يريد أنصار سعد ليتبوأوا مقاعدهم فى وبرلمان يجلسون باسم سعد لا باسم الوطن ٠ وينطقون بما ينطق به سعد لا بما تملى به مصلحة الوطن ٠ وهم يعلمون ان من يخرج منهم على ارادة سعد فقد خرج فى نظرهم على الوطنية والاخلاص ٠ وهم راضون بعملهم هذا فرحين بما تمن به عليهم هذه الوطنية الفذة من حفلات المحتفلين وتصفيقات

المفتونين وأموال المتبرعين ، ومستبشرين بما آتتهم هذه الوسيلة من فوائد كثيرة وخيرات عميقة ٠

أيها السادة ـ الآن يئسنا من سعد ومن أنصار سعد وايقنا الا أمل لنا فى اصلاحهم والا سبيل الى توجيه قواهم لخدمة البلد ٠ وايقنا ان جهودهم موجهة كلها الى هدم مواطنيهم وايذائهم فى شرفهم وأنتم تعلمون ما هو الشرف ٠

الشرف هو آمال المرء فى الوجود هو نعيمه هو قوته هو مبعث فخره وكبريائه ومرجع انفته وابائه هو التراث لأولاده وأحفاده ٠

قد يرجع للمرء يسره بعد عسره وقد تعاوده صحته بعد ضعفه ولكن هيهات ان يعود للمظلوم شرفه اذا مسته يد السوء وآذته أسلحة الأفك والبهتان ٠

واذا أوذى شرفك فقد أوذى معه شرف أبنائك وذوى قرباك لهذا كان المعتدى على مالك أو على جسمك اخف وطأة واقل جرما ممن يعتدى على شرفك ويلوث سمعتك ـ ولهذا أيها السادة كان الشرف عند من يقدرون الشرف اعز من الحياة نفسها وأثمن من نعيمها ولذاتها (تصفيق وهتاف)

أيها السادة ـ طال صبرنا على المكاره وقتل منا من قتل وأولنا اكثر من ثلاث سنوات ندفع فيها بالتى هى أحسن وكان يمنعنا الأدب والحياء وحب الوطن عن أن ندل على مواضع الضعف فى سعد وشيعته حتى صرنا نرى الأدب استسلاما والحياء جبنا وحب الوطن تفريطا فى حق هذا الوطن ٠

أيها السادة ـ صار من واجبى بعد الذى علمتم وصار من حقكم على أن ادلكم على شىء من أسباب الخلاف بيننا وبين سعد ـ وانى ليحزننى أن أتكلم فى هذا الموضوع وكان الأولى لنا ان نتوجه جميعا لخدمة بلادنا خدمة فعالة مباشرة لولا ان طفح الكيل ونفد الصبر وصارت الخدمة الوطنية محتاجة الى ازالة العقبات التى اقامها فريق منا فى طريق الخدمة الوطنية ٠

انى ليحزننى أن اصارحكم باننا اذا كنا قد كسبنا قليلا من حقوقنا الوطنية(*) فاننا قد فقدنا كثيرا من اخلاقنا القومية بعد أن صار

(*) اشارة الى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى كسبته مصر على يد رشدى وعدلى وثروت . (هذا الهامش فى أصل المذكرات) .

السفهاء منا كراماً بررة وبعد أن صار كرام القوم هدفاً لاعتداء المعتدين واجرام القتلة السفاكين ، وبعد أن صارت الوطنية الحديثة أداة لافساد الأخلاق وايذاء النفوس ووسيلة لاقصاء ذوى الرأى والكرامة عن خدمة بلادهم خدمة صامتة لا تعلن عن نفسها وبالجملة فقد صارت الوطنية الحديثة مهنة للكسب والاثراء وصناعة أدواتها معاول الهدم والتخريب ٠

بوادر الخـــلاف :

أيها السادة ـ ان ما وقع بيننا وبين سعد من خلاف كان نتيجة لازمة لحالة نفسية فيه لا سبيل الى اصلاحها تلك الحالة النفسية الخفية هى التى ترون آثارها فى كل مرحلة من مراحل قضيتنا المصرية وهى التى يرجع اليها كل سبب من أسباب الخلاف وانى لا أسميها وانما اكتفى بان أدلكم عليها من وقائعها ومظـــاهرها المختلفة حتى تعلموا أمرها وتتدبروا فى نتائجها ٠

وانى اصارحكم بانى ما كنت يوما كبير الأمل فيما يدعون اليه من وفاق او اتحـــاد لأنى عالم بان ســـبب الخلاف مبعثه النفس والتكوين الخلقى ٠

تعلمون اننا كنا مع سعد باشا على أتم ما نكون من صفاء واننا فى الجمعية التشريعية قد ناوأنا رئيســـنا الحالى عدلى باشا فى مسألة الوكيلين ٠ وابلينا بلاء لم يغب بعد عن أذهانكم وذكرياتكم ووقفنا وقفة تشرف بلادكم وطلبنا ان يكون لوكيل الجمعية المنتخب حق التقدم على الوكيل المعين من الحكومة ٠

علمنا هذا لا مرضاة لسعد بل ارضاء لضمائرنا وخدمة لوطننا ولو كان عدلى باشا وقتئذ مكان سعد باشا لحاربنا سعدا ولما قام لصداقته بنا أقل وزن ٠

نعم ناوأنا عدلى باشا ولكنا لم نجد منه فى ذلك الوقت اثرا لحفيظة أو امتعاض لأنه كان يعلم اننا ندافع عن فكرة لا عن شخص ويعلم اننا لو سلكنا غير هذا الطريق لكنا من الضالين ٠

جاءت الحرب ثم اتت الهدنة فقام الوفد وانتخبنا من بيننا سعدا رئيسا لنا ثم ذهبنا جميعا الى اوروبا متحابين متضامنين وبعد يومين اثنين من وصـــولنا باريس علمنا ان رئيس الولايات المتحدة قد اعترف

بالحماية على مصـــر • فبدأ ســـعد يقول لنا ويكرر قوله الا أمل لنا فى شىء وان واجبنا قد انحصر فى « تنظيم هزيمتنا » وأن علينا ان نرجع الى مصر متفرقين بعد ان نعمل هنا على « تنظيم الهزيمة » حتى لا تقع علينا مسئولية الفشل •

تلك أقواله التى كان يلقيها علينا من آن لآخر وهو هو بعينه الذى يطعن الآن غيره بانهم دعاة الهزيمة والتردد •

وبعد أيام أتت الينا أخبار مصر تباعابأن الأمة متحدةملحة فى مطالبها ملتفة حول الوفد • ثم أتت الأخبار بان منزلة الرئيس من قلوب الأمة صارت فوق كلمنزلة ففرحنا وبأن صورته قد بيعت فى بلده الرحمانية « ان صدقا وان كذبا » بألف وخمسمائة جنيه ففرحنا ونشرنا هذا الخبر فى صحف أوروبا — ولكنا لاحظنا ان هذه الأخبار وقد أخذت من نفس سعد باشا مأخذا يدل على بعضه أنه كان يوقف جلسات الوفد ومداولاته ليتلو علينا خطابات وصلت الى محمد خادمه من صديق له يظهر فيها محررها الى هذا الخادم ما وصل اليه سعد فى مصر من المكانة فى النفوس وما وصلت اليه الأمة من الالتفاف حوله والنداء باسمه والهتاف له •

ثم حضر الينا فى فصل الصيف بعض أقربائه وأصهاره فوجدنا ان الرجل قد تغيرت حالته ، وانه قد داخله شىء لا أسميه أبعد قلوب زملائه عنه ، وأسفوا على مظهره الجديد وتألموا من سلوكه معهم مسلكا لم يدفعهم الى مقاساة مرارته الا واجب مقدس هو واجب الوطن •

أيها السادة — كنت فى تلك الأيام السوداء مبقيا على صداقتى لسعد مجتهدا فى التوفيق بينه وبين اصدقائه الأقدمين مع شىء من الانحراف عنهم سببه مالاحظوه من ميلى الى مؤازرته حتى لا يندفع فى حالة لا يعلم الا الله مغبتها •

حصل كل هذا قبل مجىء عدلى باشا — ذلك الذى اتهموه ظلما وعدوانا بانه كان سبب انقسام الوفد ليحملوه تبعة أعمال غيره •

بقينا على هذه الحال الى أن ألح سعد باشا الالحاح كله على عدلى باشا بالحضور فحضر وسعى سعيه حتى مهد لنا طريق المفاوضات مع اللورد ملنر وذهبنا الى انجلترا — وكنت كبير الأمل فى أن المفاوضـــات وشدتها تدفعنا جميعا الى الاتحاد والتآزر نستبقى بهما قوتنا وندفع بهما

عن بلادنا غوائل المحن وبقيت الى هذا الوقت أصدق صديق لسعد حتى بدأت المفاوضات مع اللورد ملنر وحتى بدأ العمل الجدى لرجال يريدون ان يحققوا استقلال بلادهم وحتى بدأت المسئولية امام الله والوطن .

فماذا حصل أيها السادة ؟

(١)

حقيقة الخـــلاف :

فى شهر يوليو ١٩٢٠ ذهب أعضاء الوفد فى ثلاث سيارات الى ضاحية من ضواحى لندره اسمها «ميدن هد » وبعد الغداء فى مطعم هناك اعتزمنا الرجوع الى العاصمة « لندن » وقفت بنا سيارتنا فى الطريق لعطب أصابها فنزلنا منها وكنت بها مع سعد باشا واثنين من زملائنا .

وهناك فى الطريق صارحنا سعد باشا «بعد أن عرف مكانته من الأمة» بفكرة هائلة جدا ووجه الى كلامه املا فى أن ابدأ بتحبيذه باعتبـــارى صديقه ومناصره .

ذلك انه عرض على ان يطلب باسم الوفد الى اللورد ملنر أن تخاصم حكومة الانجليز سلطان البلاد(٤١) بحيث اذا رفض الانجليز مسعاه نقطع المفاوضات ونرجع الى مصر معلنين لأمتنا ان الانجليز سيئو النية وان لا فائدة فى المفاوضة معهم وبذلك تنتهى مأموريتنا وينتهى عمل الوفد(*) !!

لا أخفى عليكم أيها السادة انى بعد أن وقفت على نية سعد باشا هذه أسفت وحزنت ـ حزنت لأنى كنت ارجو أن الهتاف باسمه « يخجل تواضعه » ويذكره بالمسئولية العظمى الملقاة على عاتقه ـ حزنت ولكنى

---

(٤١) بعد كلمتى سلطان البلاد : ذلك المركز الاسمى الذى نفتديه بأرواحنا .

(*) حذفت الجريدة من الخطاب ما ذكرته من أن سعدا طلب الينا بعد الغداء موافقته على المطالبة بعزل السلطان فؤاد مقابل تساهلنا مع الانجليز فى بعض طلبـــات مصر . وقد فصلنا ذلك فى موضع آخر (هذا الهامش فى أصل المذكرات) .

كلمت غيظى وخاطبت سعدا فى هدوء[42] بكلام طويل خلاصته ان هذه الفكرة ستؤدى الى حالة خطيرة فى مصر وانها ستكون سببا فى تثبيت اقدام الانجليز فى مصر بحجة المحافظة على العرش وذكرته بسبب الاحتلال الانجليزى وبأن وكالتنا عن الأمة منحصرة فى طلب الاستقلال[43] عن انجلترا • وبأننا اذا قطعنا المفاوضات ورجعنا الى بلادنا قبل السعى فى تحقيق أمانيها وبعد أن ضحت بما ضحت فاننا نكون قد تنازلنا عن الوكالة فى وقت غير لائق ويكون مثلنا فى ذلك مثل جنود فارين من المعركة ولن يكون لنا وقتئذ عذر نبديه أمام أمتنا • لم يرق كلامى هذا لسعد باشا بل كان بداية الشر الأكبر وفاتحة الخصام بينى وبينه •

رجعنا الى لندره ولم تهن عزيمة سعد باشا ، فلم يرجع عن عزمه وجمع الوفد فى اليوم التالى وعرض عليه مشروعه ليصدر قراره فيه •

« وهنا ذكر الخطيب كيف عرض سعد باشا الأمر على الوفد بما فهم منه ان له غرضا ذاتيا وكيف رفض الوفد رفضا باتا » •

رفض الوفد طلب سعد فماذا عمل سعد ؟ هل احترم قرار الوفد وأبقى مخازينا بين جدران حجرتنا ؟ وكيف يحترم سعد قرار الوفد وقانون الوفد واليمين التى حلفها بمراعاة قانون الوفد وهو قد صار زعيم الأمة ووكيلها الأوحد ـ قد صار وكيلها لا فيما وكلت به الأمة وفدها بل فى كل مايراه ويرد بخاطره •• واعتزم أن ينظر الى اعضاء الوفد الى أولئك الذين تلقوا وكالة الأمة معه الى أولئك الذين ناصروه باموالهم وعقولهم وأرواحهم ـ اعتزم أن يعامل هؤلاء كما يعامل الآن اذنابه الذين تشرفوا بالالتصاق به فى السنوات الأخيرة •

قلت ان سعدا لم يحترم قرار الوفد ولم يصن هذا السر فماذا عمل ؟ ذهب خلسة الى اللورد ملنر وكاشفه بنيته وطلب اليه « باسم الأمة المصرية » تنفيذ ما أراد • فكانت النتيجة طبعا خيبة المسعى •

أيها السادة ـ لو كنت من المستعمرين الانجليز لصفقت لسعد باشا على هذه الخدمة التى أسداها اليهم • ولحمدت العناية التى ساقت الى بلادى وفدا مصريا قدم لنا رئيسه ما لو طاوعه عليه الوفد وقطع بسببه

---

(42) بعد كلمة « هدوء » : وسكون .

(43) بدل كلمة الاستقلال : استقلال مصر .

المفاوضات واعلن هذا السبب لأمته لأجهز على آمال تلك الأمة البريئة والا ضاع عليها ثمرة جهودها وتضحياتها • وهى لم تنهض نهضتها الا للاستقلال ولم تضح بما ضحت الا للاستقلال لا لتأييد الاحتلال •

الاتهــــام :

أيها السادة ـ الآن وقد أحطتم علما بهذه المسألة وهى لم تبق بعد سرا مكتوما بعد أن عرفها الانجليز أنفسهم ـ الآن وقد أحطتم علما بها فانى لا أتردد بعد ذلك فى أن أتهم سعدا ـ ذلك الذى يكيل لنا الشـــتائم كيلاً ويتهمنا زورا وعدوانا •

١ ـ أتهم سعد زغلول باشا علنا بأنه فى شهر يوليو ١٩٢٠ بلندره دس الدسائس لدى دولة أجنبية هى بريطانيا العظمى ضد صاحب عرش مصر موهما أنه يتكلم باسم الأمة المصرية وذلك لاغراض ذاتية •

٢ ـ واتهم سعد زغلول باشا علنا بانه بعمله هذا كان يعمل لتثبيت قدم الانجليز فى مصر بحجة المحافظة على العرش ـ تلك الحجة التى اتخذها الانجليز ذريعة لاحتلال مصر ١٨٨٢ •

٣ ـ واتهم سعد زغلول باشا علنا بانه كان يغرينا على قطع المفاوضات وعلى ترك خدمة القضية المصرية ان لم تجبه الحكومة الانجليزية الى مطلبه •

اتهم سعد زغلول باشا بهذا كله ـ اى بخيانة مليكه وبخيانة بلاده وبخيانة موكلى الوفد ونصرائه وأطالب سعدا بحق الصـــدق والرجولة وبحق الشرف والبطولة الحقة أن يجيبنى على هذا الاتهام وأن يعلن للناس تفصيل محادثتى له فى ضاحية «ميدن هد» وان يعلن للناس محضرا صحيحا لجلسة الوفد يوم أن رفض طلبه وان يعلن تفصيل حديثه مع اللورد ملنر فى هذا الشأن (هتاف عال ليحيى الملك) •

أطالبه بهذا كله ولا اعتمد على السب والشتم وانما اعتمد على وقائع خالية من كل لبس أوجهها اليه حتى يعرف الناس حقيقة أمره •

لسعد باشا أن ينكر معتمدا على الطعن فى أقوالى وفى شهاد أصدقائى باننا خصومه ومعتمدا طبعا على سكوت زملائنا الذين بقوا معه الى الآن ولكنى مع ذلك اشك كثيرا فى أن يجرؤ على انكار هذه الواقعة بعد أن علم بها منه الانجليز انفسهم وهم كما يصفهم « قوم محترمون معقولون »

أشك كثيرا فى ان ينكر بعد أن علم الناس أيام عودته الاولى عدم اظهار ولائه للعرش وبعد أن علم الناس بما كانت تحويه رسائله التى كان يرسلها لمليك البلاد من عدم اظهار الخضوع لجلالته والاحترام الواجب لمقامه ٠ وبعد ان علم الناس بما قاساه كبراء الأمة ووجهاؤها وذوو الرأى فيها من اعتداءات انصار سعد عليهم وايذائهم بكل انواع الايذاء وقت ان كانوا يذهبون الى مقر العرش لتقديم واجب التهنئة والولاء لصاحبه فى المواسم والاعياد ــ ومن هم أولئك الكبراء والوجهاء ــ هم الذين اقاموا الوفد بأموالهم فاستعملت هذه الأموال لايذائهم والزراية بهم ٠ كيف يمكن سعد أن ينكر الحقيقة بعد هذا كله وهى ظاهرة ملموسة ولكنى مع ذلك انتظر منه جواب الرجل الذى يقدر للصدق قيمته وجلاله ٠

أيها السادة ــ أتدرون الى اى حد كان يريدنا سعد باشا على الوصول اليه لتنفيذ شهوته فى موضوعنا الذى طرحته على مسامعكم ــ أنه عرض علينا أن نقبل المشروع الأول للورد ملنر ــ وهو مشروع ١٧ يوليو ١٩٢٠ ــ وهو المشروع الذى كنا رفضناه بالاجماع ــ وهو المشروع الذى لا يلغى الحماية عن مصر وانما ينظمها تنظيما شرعيا ــ عرض علينا سعد باشا قبوله لهذا المشروع مع ما فيه من بلاء لمصر اذا قبل الانجليز دسيسته ٠

أيها السادة ــ الى هنا يقف لسانى عن الافاضة فى هذا الموضوع بل هذه المخازى التى ما كنت اريد ان تعرف لولا أن طفح الكيل ونفد الصبر ولولا أن التضليل قد وصل الى منتهاه ٠

(٢)

سعد باشا والاحتلال :

أيها السادة ــ قلت لحضراتكم ان سعدا بعد أن عرف مبلغ النداء باسمه والهتاف له سعى فى استثمار هذه المكانة الشخصية لا لأمته وفى استخدامها لهدم من يقف فى طريق شهواته وقد ظهرت نيته بأوضح بيان بما القيته على مسامعكم ٠

ولكن اعضاء الوفد ما كانوا يرون فى سعد الا انه واحد منهم يجب أن يشاركوه فى العمل كما يشاطرونه فى المسئولية وما كان لرجل يحترم

نفسه ويقدر حقه وواجبه أن يتنازل عن شخصيته وضميره فيلقيهما تحت اقدام غيره يعبث بهما كما يشاء ويهوى ــ لهذا كان التشاد بين الفريقين عظيما ولهذا كانت غلطات سعد قاتلة ٠

من ذلك ما سبق ان قلته فى محاضرة سابقة وأعيده اليوم لعل فية تذكرة وعبرة ٠

ارسل الينا اللورد ملنر مشروعه الثانى فى ١٨ اغسطس ١٩٢٠ فشرع الوفد فى فحصه ووضع المبادىء التى يجوز للأمة المصرية أن تقبل الاتفاق عليها وهى المبادىء التى صار بعضها فيما بعد من تحفظات الأمة بعد عرض المشروع عليها ٠

لكن سعدا كان غاضبا وما كان يريد أن يشترك معنا فى هذا العمل ــ كان سعد غاضبا من يوم أن رفض اللورد ملنر طلبه الشخصى واضاع عليه آماله ٠

ذهبت فى يوم من تلك الأيام الى مقر الوفد مع بعض زملائى فوجدت محمد محمود باشا مضطربا والمكباتى هائجا واخبرانا بان جريمة وقعت فى غرفة الرئيس ٠ فدخلنا فوجدنا معه مذكرة مطبوعة يريد ارسالها الى اللورد ملنر وكانت خاصة بمشروع اتفاق على النقطة العسكرية وهو ينحصـــر فى ان يتنازل الانجليز عن فكرة النقطة العســــكرية الواردة فى مشروعه على ان يختاروا بدلها احد الاقتراحات الآتية :

اولا : تستأجر بريطانيا العظمى كل شبه جزيرة سينا ٠

ثانيا : تخصص مصر قوة من جيشها لحماية قناة السويس ويكون ضباط هذه القوة المصرية من الانجليز ٠

ثالثا : يكون لانجلترا حق التدخل فى مصر بطلب من مصـــــر عند حدوث ثورة فيها ٠

ايها السادة ــ هل أدركتم مرمى الاقتراح الثالث بنوع خاص ؟ وهل لاحظتم خطـــورته ؟ ليس فى الأمر ســـر نذيعه فقد عرفه الانجليز قبلكم ٠ كان يجب على سعد بصفته زعيما حقا « لا زعيم ضرورة » ان يعلم ان انجلترا ايام مفاوضات السير دورمندوولف كانت قد رضيت فى ١٨٨٧ بالجلاء عن الأراضى المصرية مع اشتراط حق العودة عند حدوث ثورة فيها « انظر الكتاب الأزرق ١٨٨٧ » ٠

وكان يجب على سعد بصفته زعيما ان يعرف ان اتفاقية الآستانة الصادرة فى ٢٢ مايو ١٨٨٧ أعطت لتركيا ولانجلترا حق احتلال مصر معا عند قيام ثورة فيها ـ وقد رئى فى ذلك الوقت ان أسباب احداث الثورة فى بلد ضعيف توصلا الى احتلاله احتلالا شــــرعيا من الأمور الهينة لدى المستعمرين فمنع الله عن مصر نفاذ هذه الاتفاقية ٠ وكان يجب على سعد بصفته زعيما ان يفهم أن ماعرضه من حق انفراد انجلترا باحتلال مصر احتلالا شرعيا عند قيام ثورة فيها يتنافى على الأقل مع الحيطة التى يجب على زعيم مثله أن يتخذها من قبل ، وهى اشراك زملائه معه فى الرأى ٠

سألنا سعدا عن تحرير هذه المذكرة وطبعها والشروع فى ارسالها دون مشاركتنا فلم يحر جوابا سوى أن أدعى أنه كان يريد أن يطلعنا عليها قبل ارسالها ـ واعترف بانه كان قد أخبر بمضمونها مندوب اللورد ملنر وبأن اللورد قد طلبها منه كتابه بعد أن أحيط بها علما ففعل وكان المندوب حاضرا لاستلامها فماذا عملنا ؟

احتججنا على هذه التصـــــرفات كما احتججنا كثيرا على غيرها وناقشناه حتى انتهينا معه الى محو الاقتراح الثالث محوا تاما ولما الح بضرورة حفظ كرامته بتنفيذ وعده مع الانجليز اجبناه بانه اذا أرسل الاقتراحين الأولين فانما يرسلهما تحت مسئوليته وعلى اعتبار أن الوفد لم يطلع عليهما ولم يعرفهما ٠

أيها السادة ـ يقول لكم الآن سعد فى خطبته الأخيرة بعد أن افلتت المفاوضات من يده أنه كان يسعى فى الاستقلال التام لمصر والسودان ومن ذلك ما جاء بالخطبـــة التى القاها يوم الجمعة ٢٣ نوفمبر ١٩٢٣ بين مندوبى دائرة قسم السيدة زينب حيث قال :

« على أن شكركم لا يكون بكلام ألقيه عليكم ٠٠ ولكن باستمرارى فى السعى للوصول الى غايتكم التى هى مقصد الأمة الأســــمى وهو الاستقلال التام لمصر والسودان (تصفيق وهتاف) » ٠

ولكن أراد الله أن يقدم سعد بنفسه دليلا قاطعا على ما كان يعمله معنا أيام المفاوضات فقد جاء فى خطبته التى القاها على موظفى الحكومة بفندق الكنتننتال يوم ٦ مايو ١٩٢١ والتى نشرتها جرائده أخيرا للطعن فينا ـ جاء فى هذه الخطبة اعتراف منه صريح بما عرضــــه وقتئذ على اللورد ملنر بشأن الاحتلال فقد قال سعد مايأتى بالحرف الواحد :

« فقلت (أى قال سعد) نضع عساكر من عندنا ويكون لهم ضباط من عندكم فلم يقبل (أى اللورد ملنر) » ٠

« وقال (أى اللورد ملنر) (نريد أن نكون ضيوفكم) » ٠

« فقلت (أى سعد) على الرحب والسعة عندنا شبه جزيرة سينا وهى مكان واسع جدا نعير ادارته لكم للمدة التى تشاؤونها » ٠

هذا اعتراف سعد ـ أيام كانت المفاوضات فى يده ـ بما كان يعرضه على الانجليز وفى هذا القدر كفاية ٠

(٣)

سعد والمفاوضات :

أيها السادة ـ قلت لحضراتكم أن وجودنا مع سعد قد كشف لنا عن خصلة فيه خطيرة ـ وعرفنا أن فى نفسه دافعا يدفعه الى السعى فى بناء مجد له على حساب مصر وعلى اكتاف ابناء مصر ـ ولكنى ما كنت اتصور ان فيه خصلة اخرى كان يريد ان يستخدمنا لها وهى خصلة لا أسميها وانما أدل عليها بوقائعها ٠

رأى سعد ان أمله فى النجاح فيما كان يرمى اليه لنفسه لن يحقق ورأى أنه قد صار فى المفاوضات أمام مستقبل البلد وجها لوجه ٠ وأيقن انه لا يمكنه قطعها لغير سبب جدى مرتبط بموضوع القضية ٠ فماذا يعمل ؟

فى يوم الأحد أول أغسطس ١٩٢٠ كنت مع سعد فى جهة « رتش موند » خارج لندره فصارحنى بانا اذا وصلنا الى مشروع يرضينا ويرضى الانجليز نتفق معهم على أن يعلنوا هم رضاءهم عنه ونقيدهم به والا يعلنوا قبولنا اياه ثم يرجع الوفد الى مصر ويعرض المشروع على جمعية وطنية فاذا لاحظنا أن الجمعية الوطنية راضية عنه حبذناه صراحة وأعلنا رضاءنا به واذا احسسنا بانها غير راضية عن المشروع طعنا فيه وطلبنا رفضه وبهذه المناورة نكون قد احتفظنا بمركزنا وخرجنا من كل تبعة ٠

وليذكر سعد باشا انى أجبته فى ذلك الحين بأنى لا أرضى بهذه الطريقة وباننا تقبلنا الوكالة عن امتنا وصرنا زعماءها ومن كانت له الزعامة فعليه مسئوليتها ، وأولها مسئولية ابداء الرأى والنصح وقلت

انى أرى رفض أى مشروع نحقق ضرره وقبول اى مشروع نحقق المصلحة فيه بشرط تعليق قبولنا أو رفضنا على قرار الجمعية الوطنية ـ فاذا وافقتنا كنا من السعداء واذا خالفتنا فقد انتهت مأموريتنا ويكون مثلنا فى هذه الحالة الأخيرة مثل وزارة لم تحز ثقة البرلمان فهى تتنازل عن مركزها فداء لاستمساكها برأيها ٠

هكذا كان رأيى واضفت اليه أن المفروض من زعامتنا اننا اكثر اطلاعا على دقائق القضية من غيرنا ولذا نكون اكثر مسئولية من غيرنا وقلت لسعد انى أول من يوقع بقبول مشروع يحقق المصلحة لبلادى(٤٤) على شرط اقرار الجمعية الوطنية وانى أول من يحبذه ويؤيده أمام هذه الجمعية ولو عرضت فى سبيل ذلك سمعتى الى الضياع فأجابنى سعد بانه غير مستعد لتضحية سمعته لبلاده ٠

هذه واقعة ارجو أن يجيبنى سعد عليها بحق الذمة والشرف ٠ ومع ذلك كيف ينكرها سعد وقد قالها لغيرى من اعضاء الوفد ليسبر استعدادهم لقبولها وكيف ينكرها وقد ذهب اليه ذات يوم فريق من المصريين من طلبة الجامعات الأوروبية وكانوا اثنين وعشرين او ثلاثة وعشرين طالبا طلبوا اليه أن يبدى رأيه فى مشروع اللورد ملنر فكان جوابه حفظه الله انه فر من الجواب وسالهم عن رأيهم فيه فأجابه بعضهم بأنه يقبله أساسا للمفاوضة وعندئذ قال « وأنا لم أرفضه » وقال بعضهم انه يرفضه فقال سعد « وأنا لم أقبله » وبهذه الحيلة تخلص سعد من المسئولية دون أن يبدى رأيه كزعيم مسئول ٠

ولهذا اكرر لحضراتكم أن سعدا لن ينتهى على أمر فى المفاوضات يكون له فيه رأى صريح وسيكون عمله فى المستقبل استبقاء زعامته السلبية واستغلال شعور الأمة لشخصه وتسخير ضحاياها وأموالها لمجده ٠ وقد رأيتموه أخيرا يعد العدة لذلك حيث قال فى احدى خطبه أنه ينتظر ان يعرض عليه الانجليز المفاوضات لأنه عالم فى نفسه بأن الانجليز فى غير حاجة الى فتح باب المفاوضات ولأنه يعلم انه بمنجاة من مسئولية المفاوضات ـ وقد سخر الله له من مواطنيه من يطعنهم فى شرفهم ويسبهم فى وطنيتهم فيتوارى بهذا السب وذاك الطعن عن كل عمل وطنى جدى الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا ٠

---

(٤٤) بدل المصلحة لبلادى : مطالب بلادى ٠

(٤)

ســـعد والمروءة :

ايها السادة ـ لا اريد أن أحدثكم عن مروءة ســـعد مع زمـــلائه واصدقائه ومواطنيه جميعا وانما اريد أن انكر لكم طرفا مما عمله مع بعضهم وكيف ضـحى بهم وكيف كانت أســاليب محاربته أياهم بعد أن استغل صداقتهم وبعد أن رأى مصلحته الشخصية توجب عليه نكران الجميل ٠

(١)

مع عدلى باشـــا

ترك اللورد ملنر مع لجنته مصر فرأى سعد ورأينا ضرورة المفاوضة معه على طريقة تحفظ كرامتنا وكرامة الأمة التى نمثلها ولم نجد بعد اعمال الفكر وسيلة ســـوى الالتجاء الى مواطننا الكبير عدلى باشـــا نسترشد بآرائه ونستعين بمهارته السياسية على ايجاد حل للحالة الدقيقة التى كنا فيها ٠

لهذا ارسل الوفد الى دولة عدلى باشا التلغراف الآتى :

باريس فى ٦ مارس ١٩٢٠(٤٥)

عدلى يكن باشا بالقاهرة

نكون سعداء برؤيتكم فى باريس ٠ اما عن الاقتراح الثانى فانا نوافقكم عليه ويكون تاييدنا لكم اشد تاثيرا اذا بقى الوفد رسميا خارج اللجنة المكلفة بالمفاوضات ٠

سعد زغلول

ثم اردفناه بتلغراف آخر هذا نصه :

---

(٤٥) بدل ٦ مارس : ٨ مارس ٠

باريس فى ٢٢ مارس ١٩٢٠(٤٦)

عدلى يكن باشا بالقاهرة

نشارككم رايكم فى عدم قبول الأسس كما عرضت (وهى اقتراحات من اللورد ملنر) نرجوكم تقديم ميعاد وصولكم الى باريس بقدر المستطاع ·

زغلول

فرد علينا عدلى بالتلغراف الآتى :

القاهرة فى ٢٦ مارس ١٩٢٠

سعد زغلول باشا رقم ٣٠ شارع شانزيليزيه باريس

قبل تحديد ميعاد للسفر أكون سعيدا باستلام خطاب تفصيلى

عدلى يكن

فأجابه الوفد بالبرقية المستعجلة الآتية :

باريس فى ٣٠ مارس ١٩٢٠(٤٧)

عدلى يكن باشا بالقاهرة

وصل تلغرافكم متأخرا نكون سعداء برؤيتكم فى أقرب فرصة لتبادل الآراء طبق خطابكم ·

زغلول

لم ير عدلى بعد هذا الالحاح بدا من السفر فسافر من الاسكندرية فى ١٦ ابريل ١٩٢٠ ووصل الينا بباريس ·

وصل الى باريس ولم يجد هذا الرجل الكبير هذا الرجل المعروف بالاباء والشمم لم يجد على نفسه غضاضة فى أن يكون مع أصدقائه منفذا لرغائبهم حتى ولو كانت بعض آرائهم مخالفة لرأيه ونصائحه ·

سعى عدلى باشا حتى أوجد الصلة بيننا وبين لجنة ملنر كما تعلمون أوجدها بما يحفظ كرامة مصر بأن بدأت اللجنة تطلب الينا المحادثة معها وحضر الينا السير هرست مستشار وزارة الخارجية البريطانية وأحد أعضاء اللجنة وعرض علينا باسم اللورد ملنر ان نسافر الى لندره لتبادل المحادثات ·

---

(٤٦) بدل ٢٢ مارس : ٢٥ مارس ·

(٤٧) بدل ٣٠ مارس : ٣١ مارس ·

قام عدلى باشـــا بهذا العمل وقام بما هو أشق على النفس منه واليكم البيان :

لما اعتزمنا السفر الى بلاد الانجليز خطر لسعد خاطر هو أنه خاف الذهاب الى لندره بعد أن وعدنا بالسفر اليها خاف الذهاب الى لندره لا احتياطا على القضية المصرية بل احتياطا على نفسه ـ خيل اليه انه اذا ذهب الى بلاد الانجليز فانهم ربما يعتقلونه مرة ثانية وطلب الى عدلى باشا أن يأخذ من اللورد ملنر ميثاقا بأن يكون له الحرية التامة فى الرجوع الى فرنسا متى أراد ٠

رأينا كما رأى عدلى باشا ان هذا الطلب خارج عن المعقول وعن حد رجولة الزعماء وشهامتهم وكان له فى هذا الموضوع شأن مع سعد باشا ٠

قلت لسعد باشا ان من غير المعقول ان لجنة سياسية تطلب الى وفد سياسى ان يتحادث معها فى بلادها وان يكون هذا الطلب احبولة الغرض منها الوصول الى اعتقال رئيس الوفد عندما تطأ قدمه بلادهم ومن غير المعقول ان يرضى الانجليز لأنفسهم بهذه المسبة الكبرى والفضيحة العظمى أمام العالم باستعمال هذا السلاح الدنىء ولو كانت نيتهم كما تفهم لابقوك وزملاءك فى مالطة ولما أخرجوك منها ٠

فاجابنى سعد باشا : انى أخاف والســـلام ، ولابد من أخذ تعهد بحريتى والا فمن المحال أن أسافر وأن أفاوض ٠

فقلت : سافر ياباشا وانى أتمنى أن تعتقل هناك وان نعتقل نحن معك جميعا فان فى ذلك فائدة لبلادنا واعلانا لأمتنا امام العالم المتمدن بأن الانجليز قوم ظالمون لا يرعون عهدا ولا يحترمون ذمة ٠

فاجابنى سعد باشا : أنا أعتقل ! ـ لا ـ انى أخاف الرجوع الى مالطة مرة ثانية وان لم يحصل عدلى باشا على هذا التعهد فانى غير ذاهب ٠

أيها السادة : ـ اتعلمون ماذا حصل بعد ذلك ؟ ـ وفقنا الى حيلة لطيفة لننفذ بها كلمتنا مع لجنة ملنر ونطمئن بها سعد باشا ٠

ذلك اننا أرسلنا الى لندره بعضا من أعضاء الوفد أسميناه لجنة وكانت مكونة من محمد باشا محمود وعبد العزيز بك فهمى وعلى بك ماهر٠ سافرت هذه اللجنة الى لندره وسافر معها عدلى باشا ـ وكان الغرض

الظاهرى ما نشره عليكم سعد فى حينه من أن الوفد يريد« الوقوف من اللورد ملنر على أساس المفاوضة وهل هى تؤدى الى الاستقلال أم لا وكان الغرض الحقيقى ان يسعى عدلى باشا لدى اللورد ملنر فى الحصول على ما يطمئن سعداً على نفسه ·

ذهبت اللجنة وتكلمت مع اللورد ملنر فى موضوع الاستقلال وهذا اجاب طبعا بما يوجب بعض الاطمئنان · وتكلم عدلى باشا مع اللورد فى التحفظ الحقيقى وهو حرية سعد · ولكن عدلى باشا يعلم كما كنا نعلم ان طلبا كهذا موجب للسخرية ومضر بكرامة الوفد ورجالة ونعلم انه لو أمتنع عن التكلم مع اللورد لأبى سعد باشا الذهاب الى انجلترا وانقطعت المفاوضة فماذا عمل ؟

لم يرد عدلى باشا ان ينسب الفكرة لرئيس الوفد وطلب الى اللورد ملنر ان يطمئن أعضاء الوفد جميعا بان تكون لهم الحرية التامة فى تركهم انجلترا متى شاءوا · وأفهم اللورد بان هذه الفكرة من عنديات نفســـه أراد الأدلاء بها اليه منعا لأى ظن ربما يتطرق الى ذهن واحد من أعضاء الوفد بأن حريتهم ليست مصونة ·

فهم اللورد ملنر مايرمى اليه عدلى باشا فأجاب على الفور « أخبر سعد باشا باننا لسنا من أهل القرون الوسطى وليطمئن سعد وأخوانه يحضرون ويرجعون متى شاءوا ولهم أن يرسلوا تلغرافات سرية (شفرة) الى فرنسا أو الى مصر بحيث لا يعرفها سواهم ولا رقيب عليهم فيها » ·

الحمد لله ـ لقد أطمأن سعد على نفسه وقرر السفر وشكرنا لعدلى عنايته ولكن أتدرون ماذا كانت مكافأة سعد لعدلى على هذا كله ؟

صار لسعد حق ارسال برقيات سرية بمسعى عدلى فاستعملها بأن أوحى الى مصطفى بك النحاس ان يرسل برقية سرية الى مصريتهم فيها عدلى باشا بانه كان كارثة على الوفد · ثم كانت مروءة سعد بعد ذلك مع عدلى أن آذاه بكل أنواع الايذاء ـ اتهمه فى وطنيته ـ عرقل المفاوضة الرسمية بطرائق عرف الانجليز منها أن الأمة منقسمة فتشددوا فى طلباتهم حتى انقطعت المفاوضة ـ حرض اذنابه فاعتدوا على الوفد الرسمى يوم حضوره بوسائل تعرفونها · ثم استمر سعد يكيد لعدلى كيدا ويعتبره هو وأصدقاؤه من غير الوطنيين ·

من هذا تعلمون أن سعد باشا كان يرى فى عدلى باشا صـــديقا حميما ووطنيا غيورا وقت الحاجة اليه · ولما ظفر بحاجته ظهرت طبيعة

نفسه وخاف ان يزاحمه فى مجده مزاحم · ثم جاءت مسألة الرياسة فانقلب الرجل فجأة الى الطعن والقدح بما لم نر له مثيلا · واستمر فى طعنه الى الآن بعد ان انقطعت المفاوضات وانتهت موجبات التنازع على الرياسة ·

(ب)

مع المرحوم على شعراوى باشا

كان المرحوم على شعراوى باشا وكيلا للوفد · رأس الوفد فى غياب سعد بما عهد فيه من الحزم والشجاعة والوطنية فى أشد الأوقات حرجا وأكثرها رعبا · وكان الرجل بحكم بيئته وحالته الاجتماعية لا يفكر طبعا فى أن يكون يوما من الأيام وزيرا أو زعيما برلمانيا ولا يطمع فى أن تقام له التماثيل ولكن مع ذلك آذاه سعد وقاطعه حتى ترك الوفد ·

كان ذنب هذا الرجل الكبير ان له كرامة وضميرا يأبى معهما أن يكون خاضعا لسعد متقلبا تقلبات سعد ·

وانى اقص عليكم حكاية صغيرة تعلمون منها طريقة انتقام سعد من المرحوم شعراوى ·

عندما تركنا مصر كان المرحوم شعراوى أمينا لصندوق الوفد فاخذ معه ما اجتمع من نقود الوفد وحولها قبل سفره الى فرنكات بسعر ٢٧٫٥ فرنكا (وهو السعر الرسمى للجنيه فى ذلك الوقت) ـ ثم حول فى الوقت نفسه نقوده الخاصة التى اراد أن يأخذها معه الى فرنكات بسعر الجنيه سبعة وعشرين فرنكا ونصف الفرنك ـ واخبرنا بانه عازم على التبرع للوفد بثلاثة آلاف من الجنيهات ·

اقام المرحوم شعراوى معنا فى فرنسا زمنا قاسى فيه من تصرفات سعد ما قاسى الى أن رأى ان لا طاقة له على البقاء معه فاعتزم الرحيل وسافر فى سكون وتواضع بعد ان نفذ وعده وأعطانا من ماله الخاص فرنكات بقيمة ثلاثة آلاف جنيه بنفس السعر الذى حوله به هذه الجنيهات وقت سفره من مصر ·

ولم يسعنا الا أن نحمده على هذه الاريحية · ولكن سعدا أبى الا ان يذم شعراوى حتى على مكرمته وقال لنا ان شعراوى غير صادق فى انه تبرع للوفد بثلاثة آلاف من الجنيهات وانما الحقيقة فى نظره انه تبرع

بألفى جنيه فقط . وأراد سعد أن يعلن ذلك فى مصر وحجته فى ذلك أن قيمة الفرنكات التى أعطاها الينا شعراوى باشا تساوى ألفى جنيه فقط يوم أن ترك الوفد ورجع الى مصر ولو انها كانت تساوى ثلاثة آلاف جنيه يوم سرفنا من مصر ويوم أن حولها المرحوم شعراوى الى فرنكات كما حول مال الوفد نفسه .

يريد سعد ان يطعن شعراوى باشا حتى فى تبرعه وهبته . ويريد أن يوهم الناس بان شعراوى كان غير وطنى لأنه لم يتبرع الا بألفى جنيه بعد أن وعد بثلاثة آلاف .

قد يجوز أن يكون لسـعد الحق فى ان يحكم على وطنيـة الناس واخلاصهم بمقدار تبرعاتهم للوفد ولكن ما الذى تبرع به سـعد للوفد وما الذى ضحى به من ماله للوفد ؟

ان سعدا أقرض الوفد أيام تكوينه مائة جنيه مصرى كما أقرضه كثير من أعضائه مثل هذا المبلغ . ولما ذهبنا الى اوروبا ورأينا انه قد صار للوفد مال قرر الوفد ان نرد الى الدائنين نقودهم فكان سعد فى مقدمة من استلموا منى فى لندره ـ وأنا أمين صندوق الوفد ـ المائة جنيه المصرى مائة واثنين ونصفا من الجنيهات الانجليزية بايصال (دفتر مصـروفات الوفد صحيفة ٤٣) .

أيها السادة ـ انى مضطر الى اظهار هذه الحقيقة حتى يعلم الناس جميعا ان سعدا لم يتبرع بقرش للوفد وحتى يعلم الناس جميعا انه سواء كان شعراوى باشا متبرعا بثلاثة آلاف جنيه أو بالفين فقط فليس سعد بالرجل الذى يقبل ان يزن وطنية شعراوى واخلاصه بمقدار ما تبرع به .

(جـ)

مع حرم المرحوم اسماعيل زهدى

قتل المرحومان زهدى وحسن عبد الرازق على باب جريدة السياسة بأيدى عصابة السفاكين وكنت وكان صديقى الدكتور حافظ بك عفيفى معهما ولولا ارادة الله لقتلنا وتركنا من خلفنا مثلهما ذرية ضعافا .

قتل زهدى وقد رأيت بعينى دمه الطاهر يسيل من احشائه فى حجرة رئيس التحرير وهو يذكر وطنه وزوجته وابنه الطفل والمولود الذى سيرزقه بعد قليل .

قتل زهدى وحسن ولا أريد أن أعيد عليكم ذكرى قتلهما وانما اقص عليكم شيئا عن تلك السيدة المسكينة زوجة زهدى ٠

كان لسعد صديق حميم هو المرحوم مصطفى بك الباجورى وكان من أمر تلك الصداقة ان كان الباجورى بك يدير أطيان سعد باشا ٠ وكان سعد لا يعرف عن أمر أطيانه شيئا سوى قبض ريعها كل سنة من يد مصطفى بك الباجورى ٠

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كان الباجورى بك يشترى لسعد باشا أطيانا بغير علمه ويدفع جزءا من ثمنها بغير علمه ويدفع أقساطها من ريعها بغير علمه وبهذه الوسيلة كان لسعد مقدار وافر من الأطيان ٠

كان اخلاص الباجورى بك لسعد باشا عظيما حتى قتله ٠ فانه رحمه الله بينما آتيا من جهة قريبة من دمنهور بها أطيان لسعد باشا وقد أراد أن يركب القطار فسقط بين العربات فقطعت ساقه ثم فاضت روحه ٠

ترك المرحوم الباجورى ذرية منها طفلة قاصرة تعين سعد باشا وصيا عليها وهى التى صارت زوجة للمرحوم زهدى ٠

أيها السادة ـ قتل زهدى فهل تكرم سعد بارسال تعزية الى تلك المسكينة التى كان هو وصيا عليها والتى قتل أبوها لأجله ٠ لم يرض سعد أن يشاطر ابنة صديقه حزنها وان يخفف عنها آلامها وان يجفف دموعها الدامية والسيدة اذا لم تجد والدها فى الملمات يواسيها كان لها من وصيها عنه بديل ـ فهل قام سعد بهذا الواجب الانسانى البسيط ؟ حاشا أيها السادة ـ لأن زوجها زهدى المقتول كان على غير رأيه فى السياسة ٠

هنا ينعقد لسانى وأترك لكم أيها السادة الحكم على مروءة سعد وعزاؤك أيتها السيدة الطاهرة أيتها السيدة البائسة التى قتل أبوها بسبب سعد والتى قتل زوجها بسبب سعد عزائى لك ولطفليك ٠ ان أجركم عند الله وحده وان دم زوجك الطاهر قد كان ماء الحياة لشجرة الحرية اليابسة وهاهى الآن قد أورقت وستعطى ثمراتها الطيبة ـ انك ابنة شهيد المروءة وزوجة شهيد الحرية فقد استحققت تقدير الوطن ٠

أيها السادة ـ ضن سعد بتعزية ارملة زهدى وابنة الباجورى وبعد أيام قليلة قتل المستر روبسون(٤٨) فاسرع وهو فى جبل طارق بمحادثة مكاتب روتر بالحديث الآتى :

---

(٤٨) كان المستر روبسون يعمل مدرسا بمدرسة الحقوق الملكية فى تدريس

جبل طارق(٤٩) فى ٢٠ يناير ١٩٢٣

استقبل زغلول باشا اليوم فى بيته هنا مكاتب رويتر واعرب له فى خلال محادثة ممتعة عن أسفه العميق للاعتداءات الأخيرة التى وقعت على الرعايا البريطانيين فى مصر قائلا انه يستنكرها وينظر اليها بعين السخط ومن رأيه ان الذين ارتكبوها ـ اذا كانوا مصريين ـ لا يحبون بلادهم ٠ فأن هذه الاعتداءات كما قال الفيلد مارشال فيكونت اللنبى فى بلاغه ـ عار على مصر وانها تبعث على أعمال العداء ضد مصر نفسها ٠ وقال ان حسن مستقبل مصر يتوقف على الاعتماد الدقيق على العدل الذى يجب ان يحترم وان انتهاك العدل ليس من شأنه ان يساعد القضية المصرية ٠

وأضاف زغلول باشا الى ذلك أنه سره ان المصريين وعلى رأسهم اصدقاؤه وأعضاء الوفد قد احتجوا على هذه الاعتداءات وأعرب عن أمله ان يقدر الشعب البريطانى النبيل السخط الذى شعرت به الأمة المصرية جميعا وأظهرته حيال هذه الجرائم وان يكون له به عزاء وان تعثر حكومة مصر بسرعة على المجرمين وتسلمهم الى العدالة (انظر جريدة الأخبار فى ١٤ يناير ١٩٢٣) ٠

يبادر سعد باستنكار الاعتداء على البريطانيين وهو أمر واجب ٠ ولكن ألم يكن من واجبه كذلك ان يســـتنكر الاعتداء على مواطنيه وأن يستنزل اللعنات على قاتليهم ٠

اظن ان سعدا لم يفكر فى زهدى وحسن لأنهما من مواطنيه المصريين الذين لا يستطيعون فك اعتقاله من جبل طارق فلم تكن له اذن فائدة من اظهار سخطه على قتل رجل غير انجليزى ٠

مادلى : القانون المدنى ، ومقدمـة القوانين ٠ وقـد اطلق عليه الرصـــاص ظهر يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٢٢ فى شارع الجيزة وهو فوق دراجتـه وذلك أثناء عودته الى منزله بالزمالك بعد الانتهاء من القاء دروسه بالمدرسة ٠ وقد صرف تعويض مالى لأرملتـه بواقع ٧٠٠ جنيها مصريا معاشـا سنويا يخفض الى ٣٠٠ فى حالة زواجها ٠ كما تقرر صرف تعويض مالى لولده بواقع ٣٠٠ جنيـه مصرى معاشـا سنوياً حتى بلوغ سـن الرشد ٠ واذا توفيت والدته قبل ذلك ينقل اليه ٢٠٠ جنيه من معاش والدته السنوى وذلك طبقا لأحكام القانون البريطانى ٠ (الأهرام ، ١٩٢٢/١٢/٢٨ ، ١٩٢٢/١٢/٢٩ ٠ الأخبار ، ١٩٢٣/١/٩) ٠

(٤٩) بدل ٢٠ يناير : ١٢ يناير ٠

مع المرحوم محمد فريد بك

أيها السادة ــ قد رأيتم مما سمعتم ان سعدا يريد الرفعة لنفسه مهما كانت وسائلها يريدها وقد كلف بها فهو يسعى اليها بكل ما أوتى من قوة وحيلة بشرط أن يبتعد عن المسئولية ــ يفر من المسئولية لأنها مدرجة الوبال لمن تمتلكه شهواته الشخصية فأفسدت عليه الحكم على المسائل القومية ·

يريد المجد ويحسد الناس جميعا ــ يحسد الاحياء منهم والأموات ــ ودليلنا ما وقع منه مع المرحوم محمد فريد ·· بعد وفاته · مات صديقى وزميلى فريد · مات رئيس الحزب الوطنى ــ وانتم تعلمون من هو فريد ــ هو النفس الطاهرة الأبية هو القوة المسخرة لارضاء الله والوطن · هو الرجل الذى أفنى ثروته وقوته وحياته لمصر (لتحيا ذكرى فريد بك) ·

مات فريد فقيرا طريدا بعيدا عن وطنه وذويه فداء لمصر · فماذا كان جزاؤه من سعد ؟

عرضنا على سعد ان يقوم الوفد بنفقات نقل جثة فريد الى مصر فأبى وكان عذره أن أموال الأمة قد سلمت الى الوفد لخدمة القضية المصرية لا لنقل الموتى ·· ولم يصغ لقولنا ان فريدا قد مات فى سبيل مصر وان المتبرعين لا يرون عملا أشرف وأكرم(٥٠) من اكرام ضحية من ضحايا مصر وشهيد من شهدائها وزعيم من زعمائها البررة · وليس اكرام فريد بأقل شأنا ولا بأضعف أثرا من عمل مأدبة أو اقامة حفلة أو نشر دعوة ــ وان الحكومات تنفق من مالها لتشييع جنازة كبرائها فجدير بالأمم ان تنفق على جنازة عظمائها ·

أبى سعد علينا أن يقوم الوفد بواجب هو اكرام فريد واعتراف بجميل فريد واعتراف بان فريدا قد استحق تقدير الوطن وكيف يستحق فريد تقدير الوطن وتقديره وقف على من ضحى بالسودان أما فريد فانه لم يعمل سوى أن ضحى بوظيفته للسودان وضحى بحياته لمصر والسودان ·

---

(٥٠) بدل كلمة « أكرم » : أكمل ·

أبى سعد ان يكون للموتى ذكرى تزاحم مجد الاحياء وهو لم يتردد بعد قليل من الزمن فى أن يقترض من الوفد عشرين الف فرنك (بايصال تحت يدى) صرفها فى نقل جثة رجل من أقارب مصطفى فهمى باشا ـ والد السيدة صفية زوجته ـ مات فى فرنسا وارسله الى مصر ولم يرد هذا المبلغ الى الوفد كما لم يرد غيره من المبالغ التى اقترضها من الوفد الى أن فارقناه والى ان وضـــع يده على ما بقى من مال الوفد والى ان صار هو الدائن وهو المدين .

أيها السادة ـ أبى سعد علينا أن يقوم الوفد بنفقات نقل جثة فريد بحجة المحافظة على أموال الأمة لتصرف فى سبيل الاستقلال وهو هو بنفسه قد ذهب ذات يوم الى فتوغرافى فى باريس ووقف أمامه مدة أخذ فيها صورته الشريفة على اوضاع مختلفة تارة يشير بيده كانه الخطيب الذى لا يبارى وطورا يضع أصبعه على رأسه كانه يفكر فى تصريف أمور البلاد على أحسن وجه . وآونة يمضى على ورقة كانه يبرم معاهدة الاستقلال التام . ثم أرسل عددا من هذه الى مصر . والذى يعنينا من هذا كله انه أبى أن يدفع أجرة المصور من جيبه وصمم على أن يدفعها الوفد من مال الأمة (والايصال تحت يدى) لأنه رأى حفظه الله ان نشر صورته بين الناس مفاوضات لاستقلال البلد .

يجب أن تعلموا أن صورته المعلقة الآن فى بعض حوانيت مصر انما كانت من أموال الأمة التى جمعت فى سبيل استقلالها .

أيها السادة ـ لم يقنع سعد بتلك الصور الصامتة فتحركت شهواته الى أن دعا فى الصيف الأخير مقاولا من مقاولى الصور المتحركة وقد بلغنا انه دفع اليه من مال الأمة شيئا كثيرا حتى رسمه يتحرك بأوضاع مختلفة وعرضه أخيرا أمام أعينكم فى القاهرة فى دور اللهو واللعب .

يجب أن تعلموا أن سعدا قد دفع من مال الأمة شيئا كثيرا للباخرة التى اقلته واقلت حاشيته الى الصعيد لا لغرض سوى لفت أنظار العامة اليه وسب خصومه فى دورهم وبين عشائرهم .

يجب ان تعلموا أن سعدا دفع من مال الأمة كثيرا على نواب العمال الانجليز لا لغرض سوى التنكيل بحكومة لم ترض برياسته المفاوضات .

كل ذلك تدفعه مصر من أموال المكتتبين للقضية ويضن علينا بقليل من المال لنقل جثة فريد · فلا حول ولا قوة الا بالله ·

اموال الوفد :

أيها السادة ـ سألنى كثير منكم عن أموال الوفد وعما حل بها بعد أن فارقنا سعدا · فطالبنى صديقى المكباتى بك فى خطبته الماضية بتقديم حساب عنها لكم · وها أنا مجيبه الى طلبه ·

وقت أن اعتزمنا السفر من باريس والرجوع الى مصر فى يناير ١٩٢١ كان الباقى للوفد فى بنك الكريدى ليونيه وبنك روما بباريس نحو ثلاثة وثمانين الفا من الجنيهات بعضها بالفرنكات وبعضها بالجنيهات الانجليزية ·

وكان للوفد فوق ذلك فى ذمة سـعد باشا المبالغ الآتية دينا عليه بامضائه :

١ ـ ٢٠٫٠٠٠ عشرون الف فرنك فى ٣٠ اغسطس ١٩٢٠ بتحويل على مدينة فيشى (صحيفة ٣٥ من دفتر الحساب)

٢ ـ ٦٤٫٥ اربعة وستون فرنكا ونصف أجرة التحويل

٣ ـ ٢٢٫٠٠٠ اثنان وعشرون الف فرنك[٥١] على دفعات لغاية ٣٠ سبتمبر ١٩٢١ (صفحة ٣٦ من الدفتر)

٤ ـ ٧٠٫٠٠٠ سبعون الف فرنك فى ٤ اكتوبر ١٩٢٠ بتحويل على بنك روما بباريس (صفحة ٤٠ من الدفتر)

٥ ـ ٢٠٫٠٠٠ عشرون الف فرنك فى ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠ بتحويل على بنك روما بباريس (صفحة ٤١ من الدفتر)

١٣٢٫٠٦٤٫٥٠ المجموع مائة واثنان وثلاثون الفا واربعة وستون فرنكا ونصف

---

(٥١) المنشور بعد كلمة « فرنك » : فى ٣٠ سبتمبر ١٩٢٠ ·

واستدان فى لندره المبالغ الآتية :

جنيه انجليز	
٦ ـ ٥٠٠	خمسمائة جنيه فى ٧ مايو ١٩٢٠ أودعت باسمه فى بنك الكريدى ليونيه بباريس (صفحة ٤٢ من الدفتر)
١٠٠٠	ألف جنيه فى ١٥ مايو ١٩٢٠ أودعت باسمه فى البنك المذكور (صفحة ٤٢ من الدفتر)
٤٠٠	أربعمائة جنيه فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠ (صفحة ٤٥ من الدفتر)
٥٠٠	خمسمائة جنيه فى ٥ نوفمبر ١٩٢٠ (صفحة ٥٠ من الدفتر)
٢٤٠٠	المجموع ألفان وأربعمائة جنيه انجليزى[٥٢] ٠

أيها السادة ـ اقرضت سعدا هذه المبالغ على أن يردها الى ولكنه عوضا عن أن يفكر فى رد النقود دعانى يوم ٦ يناير ١٩٢١ فى فندق الكنتننتال بباريس وطلب منى أن أتحفه بألف جنيه أخرى لا لتكون دينا عليه كما هو الحال فى المبالغ السابقة وانما طلبها على أنها ستصرف فى أعمال الوفد ـ عندئذ طالبته بأن يبين لى هذه الأعمال فلم يقبل وطالبته بأن يعرض الأمر على الوفد ليقرر قرارا بشأن هذا المبلغ بعد اطلاعه على أسباب الصرف فلم يقبل لهذا رفضت طلبه وانصرفت ٠

أيها السادة ـ انى أعترف لكم بعد الذى قلته أن بعض اخوانى قد عاتبنى على صرف هذه المبالغ لسعد باشا وأظن ان من عاتبونى يتذكرون الآن انى أجبتهم وقتئذ بأنى لا أريد مخاصمة سعد وبأن عنده من الثروة ما اطمئن معه على ما استدانه وبانى فوق ذلك أضمن للوفد تلك المبالغ التى صرفتها على غير علم منه ـ فلم يكن من اخوانى بعد ذلك الا أن صادقوا على الحساب وابرأوا ذمتى من هذه المبالغ وجعلوها فى ذمة سعد وحده ٠

أيها السادة ـ حقا انى كنت مخطئا ولا يبرر خطئى تصديق الوفد على الحساب ان كنت مخطئا لما ظهر لى بعد ذلك من نية سعد باشا من الواقعة الآتية :

---

(٥٢) بدل كلمة « انجليزى » : افرنكى ٠

ترون من ضمن المبالغ التى أخذها سعد مبلغ سبعين الف فرنك ليشترى بها سيارة لشخصه ٠

انتظرت بعد ذلك رد هذا المبلغ بعد ان كان قد وعدنى بسرعة رده ولكنه عوضا عن أن يفى بتعهده رأيته ذات يوم فى الوفد مع كثير من زملائنا وقد اطنب لهم فى السيارة ثم قال لهم « أنا أريد أن اسميها (اتومبيل الوفد) » عندئذ تغامز أصحابى ولم نجبه بشىء بعد أن فهمنا غرضه ٠

أيها السادة ـ واما عن المبالغ الباقية لذمة الوفد فى بنك الكريدى ليونيه وبنك روما بباريس فان سعدا أصر قبل سفرنا على ان يقرر الوفد تعيين واصف بطرس غالى بك أمينا للصندوق بعد سفرى ٠ فأجتمعت اكثرية الوفد صباح يوم ١٩ يناير ١٩٢١ وهو يوم مغادرتنا باريس وقررت رفض ما عرضه سعد باشا لما نعلمه من أمانة الصندوق لو أعطيت الى واصف غالى بك واراد سعد أن يتصرف فى النقود فأن الأمر فى هذه يكون ان (سعدا يفاوض سعدا) وكتبت مع ذلك الى واصـــف بك الخطاب الآتى :

باريس فى ١٩ يناير ١٩٢١

حضرة صاحب العزة واصف بطرس غالى بك المحترم

نظرا الى اننا مسافرون اليوم الى مصر قرر حضرات الأعضاء الموجودين فى مركز الوفد اليوم اعطاء حضرتكم مبلغ مائة وخمسين ألف فرنك للصرف منها على أعمال الوفد مع العلم بانى لو تأخرت فى الرجوع واحتيج الى نقود فما على حضرتكم الا اخبارى فى وقت مناسب لارسال ما يكون ضروريا ٠

وتفضلوا بقبول فائق احترامى ؟

محمد على

ثم غادرنا فى اليوم نفسه باريس الى مرسيليا ومنها الى مصر ٠

أيها السادة ـ كيف نخالف رغبات سعد ـ عرض واصف الخطاب على سعد وبه تحويل بمائة وخمسين الف فرنك فما كان من سعد الا أن أمر واصف بك بان يرد الخطاب الى فى مصر ترفعا منهما عن أن يقبلا منا مثل هذا الكتاب وفعلا رده واصف بك ولكن ترفعهما لم يكن كاملا فقد ارسل الخطاب وحده وحجز التحويل ٠

وبعد قليل سمعنا ان سعدا اخذ جميع أموال الوفد بالحيلة الآتية : ذلك ان سعادة ابراهيم سعيد باشا كان هو الذى يرسل النقود الينا بصفته امينا لصندوق لجنة الوفد المركزية فاتفق سعد باشا وابراهيم سعيد باشا وارسل هذا الأخير كتابين لبنك الكريدى ليونيه وبنك روما بباريس بأن النقود التى أرسلها الى تصرف لسعد وتكون تحت أمرة سعد ضاربا صفحا عن قرار اكثرية الوفد ودون ان يستشير لجنة الوفد المركزية وأن يأخذ رأى المكتتبين ٠

بهذا انتقلت نقود الوفد الى سعد باشا ولا أدرى ان كان سدد ديونه للوفد أو أعتبر ذمته بريئة بعد اتحاد الذمة فيه باعتبـــاره دائنا ومدينا معــــا ٠

اخذ سعد نقود الوفد المودعة فى باريس ثم أخذ بعد رجوعه ما كان باقيا للوفد بذمة ابراهيم سعيد باشا وبذمة غيره ويقدره العارفون بنحو عشرين ألف جنيه ٠

أيها السادة ــ الآن وقد وقفتم على شيء من أسرار الوفد ومما كان بيننا وبين سعد ٠ فهل كنتم ترون ان نوافقه على كل أعماله وان نفقد كل شعور بالمسئولية والكرامة ٠

ان لبلادنا علينا حقا يجب أن نصونه وان لنفوسنا كرامة يجب أن نعتز بها ٠ ومن يريد منا تصفيقا أو هتافا فليسمعهما من بين جوانحه ومن اغتباط ضميره ٠ فذلك عندنا هو كل الشرف وهو كل المجد والفخار ٠

أيها السادة ــ لقد قرب موعد انتخاب أعضاء البرلمان وليس لى الا أن انادى ذوى الضمائر الطاهرة ان يتدبروا فى موقفهم وأن يتقوا ما تدخره الأيام لهم من مخاوف قبل أن يحم القضاء فلا ينفع الندم ٠

أريد أن يعلم الناس اننا لا نقبل أن نكون فى البرلمان الا رؤوســــا لا اذنابا والا رجال لا أطفالا ٠

اذا كان الغرض من انتخاب النواب أن يكونوا كالقردة يرقصون متى ضرب لهم بالدف سيدهم وعلى الوضع الذى يريد فليبحث الناخبون عن غيرنا فانا لسنا من هؤلاء نوابكم وكلاء امتكم فاحذروا أن يكون عقد الوكالة معيبا بغش أو تدليس أو تهديد ــ ولا فرق عندى بين من يسلب

اموالكم بطرق احتيالية وبين من يسلب ثقتكم واصواتكم بطرق احتيالية سوى أن الأول معتد على شخص والثانى معتد على أمة باسرها(٥٣) ٠

احذروا اللاعبين بعقول البسطاء ـ احذروا من يتباكون ويستبكون ـ ولا يغرنكم من الذئب أن يرتدى ثوب الحمل ومن أنذر فقد أعذر وأكرر لحضراتكم مزيد الشكر ٠

رد سعد على خطبة الاتهام

كان لهذه الخطبة اثرها البالغ فى نفوس من سمعوها أو قرأوها كان على سعد ان كان بريئا ان يبلغ النيابة عما اتهمته به علنا ، بل كان عليه فوق ذلك ان يتهمنى بالاستيلاء على ما كان بعهدتى من أموال الوفد وخيانة الأمانة ٠

لكنه لم يبلغ النيابة خيفة ظهور الحقيقة واكتفى بتحرير مقال نشرته جريدة من جرائده بامضاء مصطفى النحاس يوم ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ فيه أن جميع ما قلته كذب وبهتان وان الرئيس الجليل لم يفاتح الانجليز فى موضوع عزل السلطان كما انه لم يأخذ المبالغ التى ذكرتها فى الخطبة ـ ولعلمه بأنه وقع باستلام هذه النقود ، ادعى انه لو كانت له امضاءات فانى أكون قد أخذتها منه غشا وتزويرا وقت عرضى عليه أوراقا للتوقيع !! هكذا كان دفاعه عن نفسه فى المقال الذى امضاه مصطفى النحاس ٠

أما عن التهمة الأولى وهى رغبته فى عزل السلطان فقد ادلى بها أمام كثير من أعضاء الوفد كما صرح بها للورد ملنر فى بعض الجلسات وان اللورد أبرق بها وقتئذ الى المندوب السامى فى مصر وهذا بدوره ابلغها للسلطان نفسه ٠ وقد ذهب سعد غداة القاء الخطبة الى السلطان فؤاد واكد له انى غير صادق فى اتهامى اياه كما اكد اخلاصه للسلطان وهذا بدوره كما سمعت أخبره بلباقة أنه مطمئن الى اخلاصه ثم قال لرجال حاشيته بعد انصراف سعد انه علم بهذه المسألة من يوم وقوعها بلندره فى يوليو ١٩٢٠ وأن المندوب السامى أخبره بها فى ذلك الحين ٠

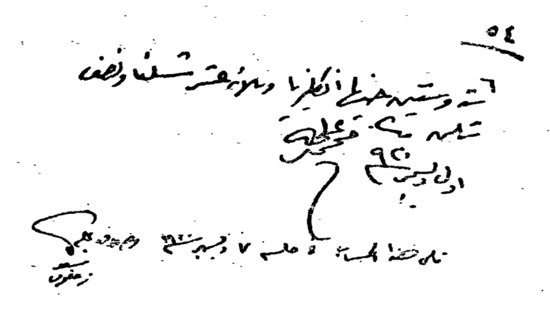
واما عن التهمة الثانية فان دفتر امانة الصندوق خير شاهد على المبالغ التى أخذها سعد وهو ليس بورقة تدس ضمن أوراق تعرض عليه ٠

---

(٥٣) بدل امة باسرها : على مستقبل امة .

وانى كنت أعرض هذا الدفتر على الوفد مجتمعا ثم يصادق سعد على الحساب بخطه وامضائه • وفيما يلى صورة شمسية لمصادقته على آخر حساب قدمته للوفد •

صورة شمسية



تلك اموال اخذها سعد من الوفد وأنكرها ولم يردها الى أن لقى ربه • وكان مجموع مابقى للوفد فى باريس يوم غادرناها ـ كما ذكرنا ـ حوالى ٨٣ الفا من الجنيهات فوق ما كان لدى اللجنة المركزية فى مصر وكان نحو عشـــرين الفا من الجنيهـات عدا ما جمـــع بعد ذلك وكلها صارت فى ذمته • ولا ادرى ما حصل فى أمر هذه الثروة وكيف وزعت ومن هم أولئك الذين ظفروا بها •

اخـــــــــــلاق

على أن سعدا أراد أن يحول الأذهان عن موضوع التهم التى وجهتها اليه فى خطبة ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ لعجزه عن اثبات براءته ، فلجأ ــ فى رده على بامضاء مصطفى النحاس ــ الى ذكر أمر لا يمت بصلة الى موضوع خطبتى هو انه اتهمنى بضعف الوطنية مستشهدا على ذلك بنشر خطاب كنت ارسلته الى رجل من الصق الناس به هو المرحوم الشيخ محمد عز العرب بك المحامى الشرعى • ويجدر بى أن اشرح امر هذا الخطاب حتى يتبين الناس حقائق الأمور :

كنت ايام وجودنا فى باريس ـ بعد أن دب الخلاف بيننا وبين سعد وخشينا أن تؤدى تصرفاته القضية المصرية ويئسنا من وصولنا الى كامل

حقوقنا ـ أرسلت خطابا الى رجل احترمه هو الشيخ محمد عز العرب بك استفسر منه باعتباره من لجنة الوفد المركزية ومن المخلصين لسعد عن الحالة فى مصر وعما اذا كانت الأمة ترى قطع المفاوضات ورجوعنا وضياع القضية المصرية او تفضل قبول ما ترتاح اليه ضمائرنا على أن يكون ما نقبله رهنا باقرار الجمعية الوطنية ولا يحول دون التطور فى المستقبل لنيل باقى حقوقنا وبعبارة أخرى طلبت رأيه ورأى اخوانه فى هل نقبل ما نتمكن من الحصول عليه أو نرفض الكل وهل يكون من مصلحة البلد رفض كل شيء أو قبول مايرضى ضمائرنا وهاك نص الخطاب :

محمد عز العرب بك
[illegible]
شارع [illegible] نمرة ٧٤ مصر
تليفون ٨٧ـ١٤

تحريراً فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٠ الموافق ١٣٣ سنة ١٩

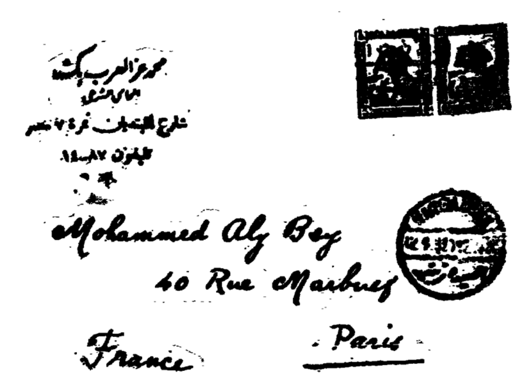
حضرة صاحب العزة [illegible] بك [illegible] حفظه الله تعالى

تحية [illegible] وشوقا واحتراما واجلالا وتعظيما وبعد فقد تشرفت امس بكتابكم واخبركم
بان الاغلبية المطلقة [illegible] على [illegible] اذ هى لا ترى الموافقة فقط بل
[illegible] فهم ان هناك قوما [illegible]
[illegible]
الى مشروع [illegible] الجمعية الوطنية [illegible]
[illegible] وهناك قوم [illegible] المشروع
[illegible] الناس [illegible]
[illegible] الظروف
[illegible]
[illegible]
[illegible] الحديث [illegible] على الاعتبار [illegible]
[illegible]
[illegible] ولكنى اقول [illegible]
كل ما [illegible]
[illegible]
[illegible] واحبابى [illegible] الشكر [illegible]
[illegible] عبد العزيز [illegible]
[illegible]

أعطى الشيخ محمد عز العرب بك هذا الخطاب الشخصى الى سعد فنشره ضمن رده على خطبة الاتهام ليصرف اذهان الناس عما اتهمته به . فرددت عليه بمقال ذكرت فيه انى افاخر بما كتبته فى خطابى هذا الدال على وطنية صحيحة لا على تهريج باسم الوطنية .

وتشاء المصادفات أن أعثر على الرد الذى أرسله لى محمد عز العرب بك فى حينه اثبت هنا صورة شمسية له وللغلاف .

صورة شمسية للخطاب والغلاف


محمد عز العرب بك
المحامى الشرعى
شارع المبتديان نمرة ٧ بمصر
تليفون ١٤٠٨٧

Mohammed Aly Bey
40 Rue Marbuef
Paris
France

تحريرا فى ١٢ سبتمبر ١٩٢٠

محمد عز العرب بك
المحامى الشرعى
شارع المبتديان ٧
ت : ١٤٠٨٧

حضرة صاحب العزة المفضال محمد على بك المحامى حفظه الله
تحية وسلاما وشوقا واحتراما واجلالا وتعظيما وبعد ..

فقد تشرفت أمس بمكتوبكم واخـــبركم بأن الأغلبية المطلقة تجعلك مطمئنا على نتيجة مسعاك اذ هى لا ترى الموافقة فقط بل تعتبر الرفض

ضربا من الجنون . نعم ان هناك قوما ممن لم يشهد لهم التاريخ بعمل فى هذه الحركة يبدون من الاعتراضات ما لم يكن ليوجه الى مشروع اتفاق على قواعد عامة بل يوجه الى مشروع بنصوص الاتفاق مما سيكون من وظيفة الجمعية الوطنية ولكن اقل بيان لمن يقصد منهم المصلحة يجعله يسلم بالموضوع وهناك قوم لا يرضيهم المشروع ولو صرح فيه بالاستقلال التام بلا شرط ولا قيد . ونجد قوما أيضا ينظرون اليه نظر الحذر غير المطمئن من حسن نية أحد الطرفين المتعاقدين لعدم تقديره الظروف التى حملت على تسامحه من ان الحالة العامة هنا قد أشـــربت حب الحرية وأصبحت لا يمكن أن تساس بالعنف وان التشدد معنا قد يجر الى انفجار بركان الشرق والتساهل معنا قد يجعل الشعوب الجديدة التى دخلت تحت الحكم تطمئن الى الحاكم وتحملها على الاعتقاد بان هذا الحاكم متى رأى الشعب مستعدا لحكم نفسه وتركه وشأنه الى غير ذلك من الاعتبارات وهؤلاء طبعا لا يؤمنهم ولا النص الصريح ولكنى أقول لك بوجه عام أن الحالة مرضية وأن كل ما يطلبه العقلاء أن توضع النصوص بغاية التحفظ ما أمكن ومتى برهنا على قدرتنا وصلنا بعملنا الى كل ما نبغى وفككنا كل قيد علينا لحلول الثقة بنا محل الحذر منا ولا يفوتنى أن أقدم لعزتكم ولكل عامل معكم عنى وعن أولادى واخوانى واحبائى فائق الشكر وعظيم الاحترام . هذا وان ولدى عبد العزيز سيكون فى ارسالية المهندســين الميكانيكيين الذين سيصلون لندرة أواخر هذا الشهر فعسى أن يكون له شرف المثول بين أيديكم جميعا عند عودتكم اليها والله يحفظكم .

المخلص

محمد عز العرب

والعنوان ـ كما هو ظاهر فى الصورة الشمسية للغلاف ـ باللغة الفرنسية وترجمته :

محمد على بك ٤٠ شارع ماريوف باريس فرنسا

كتب المرحوم الأســتاذ محمد عز العرب بك هذا الخطاب بيده باللغة العربية . وكتب عنوانه بالفرنسية أحد أبنائه ويغلب على الظن أن يكون الأستاذ أمين عز العرب بك المحامى والذى أصبح فيما بعد سكرتيرا عاما لمجلس الشيوخ ، وسمى شارع المبتديان فيما بعد باسم ابيه صـــاحب الخطاب .

ومن المؤلم حقا أن نرى هذين الفاضلين أو الأب على الأقل يسلم خطابى الى سعد ظنا منه انى فقدت جوابه الى فهنيئا للأخلاق .

معارضة حزب الأحرار فى تعديل الدستور

رفض ثروت باشا اجراء أى تعديل فى مشروع الدســـتور ، وبعد استقالته شرع خلفه توفيق نسيم باشا فى تغيير بعض نصوص المشـروع اســـتجابة لرغبات الســلطة البريطانية ورغبات الملك فؤاد · فتجددت الاضطرابات حتى اضطر نسيم باشا الى الاستقالة فى ٥ فبراير ١٩٢٣ وخلفه يحيى ابراهيم باشا وكان المعروف ان وزارته ستتم ما بداه نسيم باشا من التعديلات فقام حزب الأحرار الدستوريين بحمله شديدة فى جريدة « الســـياسة » ونشر أحدنا خطابين مفتوحين الى يحيى ابراهيم باشـــا – أحدهما فى ١٦ مارس ١٩٢٣ وثانيهما فى ١٥ ابريل ١٩٢٣ – يناشده فيهما بأن يصدر الدستور كما وضعته اللجنة ·

ورغم الاحتجاجات الكثيرة من رجال الأمة ، والحملة الشديدة التى قامت بها جريدة السياسة صدر أمر ملكى باعلان الدستور معدلا فى ١٩ ابريل ١٩٢٣ ·

بعد صـــدور الدســـتور

اعلن الدستور كما قلنا ثم صدر قانون الانتخاب فى ٣٠ ابريل ١٩٢٣ وغير خاف ان سعدا اعتبر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ نكبة وطنية ، كما أنه سمى لجنة مشروع الدستور « لجنة الاشقياء » ثم ان وزارة يحيى ابراهيم عدلت مشروع الدستور فهل يدخل سعد فى الانتخابات تنفيذا لهذا الدستور بعد ذلك كله ؟ أو يقاطعها كما قاطع لجنة وضع الدستور من قبل وطعن هو وشيعته فى كل من أشترك فيها !

الانتخـــابات الأولى

لكن سعدا قرر الدخول فى الانتخابات وقام بحملة شعواء ضـــد مخالفيه مســـتعينا بالنفعيين وذوى الأطماع مســـتغلا عواطف العامة والبسطاء · وكان ينادى بأن من ليس معه فهو خصمه كما كان يكرر ان مخالفيه هم برادع الانجليز ومما يؤسف له أن بعض رجال الدين كانوا يفتون بان من لا ينتخب سعدا وأنصار سعد فامرأته طالق كذلك كان يقول بعضهم « لو رشح سعد حجرا وجب انتخابه » وجرى على السنة العامة « ان اسم سعد مكتوب على ورق الفول » ·

كيف يرجى بعد ذلك فوز لمخالفى سعد والأمية فاشية والتضليل عارم والحقائق مســـتورة ، حتى ان بعض الفاهمين كانوا يقولون : ان حزب الأحرار مكون من قادة بلا جنود وحزب سعد جنود بلا قادة ·

وأمام تيار الدعاية الجارف ظفر حزب سعد فى الانتخابات بأغلبية ساحقة تقرب من التسعين فى المائة ·

اســـتقالة عدلى يكن من الحزب

لم يكن عدلى رجل مهاترات ، ولا يرضى لنفسه النيل من أحد ، فلم يرشح نفسه للانتخابات ، ورغم هذا كان هدفا للمطاعن · من أجل ذلك أظهر رغبته فى الاستقالة من حزب الأحرار لكن نبله أبى عليه أن يعلن تنحيه عن الحزب ابان المعركة الانتخابية خيفة أن يؤثر تنحيه تأثيرا ســـيئا فى نتيجتها فانتظر حتى ظهرت النتيجة الأولى ثم أرسل الى الحزب الخطاب الآتى :

أصدقائى الأحرار الدستوريين :

كنت قد رأيت أن أعتزل العمل فى السياسة من قبل الانتخابات ولكن تأخر تنفيذ هذا التصميم لاعتبارات وقتية أما الآن وقد زالت هذه الاعتبارات فاتشرف بابلاغكم اعتزالى العمل فى الحزب مع الأسف الشديد وأرجو الله أن يوفقكم ويسدد خطاكم فى خدمة البلاد ·

١٧ يناير ١٩٢٤

وتفضلوا بقبول خالص تحياتى ،

عدلى يكن

كان ذلك عقب ظهور نتائج انتخابات مجلس النواب وقبل اجراء انتخابات الشيوخ ·

وزارة ســـــعد

اســـتقال يحيى ابراهيم باشا بعد ظهور نتيجة الانتخابات لمجلس النواب وبعد أن سقط هو نفسه فيها · وكانت انتخابات حرة لا ضغط فيها من جانب الحكومة · فكلف الملك فؤاد سعدا بتشكيل الوزارة فألفها فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ ثم اجريت انتخابات أعضاء مجلس الشيوخ فى ٢٣ فبراير

١٩٢٤ وتمسك سعد بحق الوزارة فى ترشيح الشيوخ المعينين أعتماداً على نصوص فى الدستور الذى سبق له الطعن فيه · وقام خلاف بين الملك وسعد فى هذا الأمر افضى الى تحكيم النائب العام للمحاكم المختلطة وقد أيد هذا المحكم البلجيكى الجنسية رأى سعد ، وكان قراره سليما منطبقا على مبادىء الدستور التى وضعتها اللجنة ·

انعقاد البرلمان الأول

تحدد يوم ١٥ مارس ١٩٢٤ موعدا لافتتاح البرلمان ولا اخفى أن الأمال فيه قد ضعفت نوعا ما بسبب خذلان طائفة من الرجال الممتازين فى الانتخابات ودخول عناصر لم يكن لها اى اثر فى خدمة الأمة لكنا مع ذلك بعد قبول سعد تاليف الوزارة واعلانه تناسى خصـــومته لمن اعتبرهم خصومه كنا نامل أن يكون البرلمان وقد انحصرت فيه سلطات الأمة حجر الزاوية فى رقابة مصالحها والسير بها قدما فى سبيل الاصلاح والرقى ·

والقى سعد فى قاعة البرلمان خطاب العرش باعتباره رئيس الحكومة فماذا قال ؟

« حضرات الشيوخ حضرات النواب

اهديكم اطيب سلامى ، واحيى فيكم ممثلى شعبى الكريم ، واهنئكم منتخبين ومعينين بالثقة العظمى التى حزتموها لتؤلفوا اول برلمان مصرى تاسس على المبادىء العصرية واحمد الله أن تحققت بتأسيسه امنية من اعز امانى ، واول رغبة من رغبات امتى الشريفة ·

اليوم تدخل فى دور التنفيذ النظامات النيابية التى قررها الدستور ، ولا ريب فى انها تبشر باقبال عصر جديد من القوة والسعادة على بلادنا المحبوبة» · الى أن قال : «·· لهذا يحق لى أن أصرح علنا باسمى وباسمكم ان حكومتى مستعدة للدخول معالحكومة البريطانية فى مفاوضاتحرة من كل قيد لتحقيق الآمال القومية بالنسبة لمصر والسودان مملوءة من الرجاء فى الوصول اليها بقوة حقنا وعناية الله القدير ، ومن اهم وظائفكم ايضا ان تســـاعدوا الحكومة وتشـــتركوا معها فى ادارة البلاد على الطريقة التى رسمها الدستور وهى الطريقة المؤسسة على التعاون بين سلطات الدولة وعلى مبدأ المسئولية الوزارية ·· الخ » ·

هنا يتساءل المرء : لم قال سعد ان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى وصل اليه عدلى وثروت ورشدى ورفاقهم كان نكبة وطنية ! ولم قاطع سعد وأنصاره الاشتراك فى وضع الدستور ؟ ولم سمى سعد لجنة الدستور بلجنة الأشقياء ؟ ولم هاجم سعد اصدقاءه الأولين مؤسسى الوفد ومعهم عدلى ورشدى وثروت ونادى بتحريم المفاوضات قبل الاعتراف بتحفظات مبدئية قبل المفاوضات ، ورجع عما كان قد قبله هو وقرره الوفد من الثقة بعدلى حين كنا فى باريس والتوسل اليه أن يحضر الينا وأن يؤلف وزارة من غير أعضاء الوفد تجرى مفاوضات حرة غير مقيدة بقيد أو شرط ٠

ولم سعى سعد بعد ذلك فى الغاء قرار الوفد الذى حرم على أعضائه دخول الوزارة وجعل المفاوضة حرة مآلها تصديق جمعية وطنية ؟

ولم عارض سعد كل مفاوضة وعمل على احباطها ثم ابتكر عرض مشروع ملنر على الشعب بدل عرضه على جمعية وطنية مختارة ليحمله مسئولية عمل خطير وقرر ان الشعب لو قبل المشروع فهو يقبله ولو رفضه فهو يرفضه ثم يكتب خطابا خاصا الى مصطفى النحاس فى مصر عند عرض مشروع ملنر على الشعب يخبره فيه بانه غير راغب فى هذا المشروع وانه عرضه على الشعب بتاثير من اخوانه حتى يتنصل من كل مسئولية ويلقيها على الشعب الذى يصعب عليه ادراك دقائق الأمور ٠

ولم استمر فى مطاعنة ضد اخوانه الذين رفضوا الدخول فى الوزارات وعارضوه فى القرار الذى اتخذه مع من انضموا اليه بالغاء القرار الأول الخاص بتحريم دخول الوزارة على اعضاء الوفد الذين اعتبروا أنفسهم مجاهدين لا شان لهم بالحكم الا أن يكونوا أعضاء فى الجمعية الوطنية أولئك الذين قال لهم يوم الغى القرار الأول « كيف نطبخ الطبخة وغيرنا ياكلها » ٠

لم كان كل هذا وسعد فى خطاب العرش يكيل الآن المديح للدستور الذى وضعته « لجنة الاشقياء » بعد ان عبثت ببعض مواده وزارتا توفيق نسيم ويحيى ابراهيم تحقيقا لاغراض الانجليز والملك فؤاد ٠

كل ذلك وغيره ينبىء بان سعدا كان متقلبا فى مبادئه ملتويا فى تصرفاته ظالما فى مطاعنه التى كالها لمن اشركوه معهم فى تاليف الوفد مسرفا فى تجريح من خالفوه حتى سماهم برادع الانجليز ٠

إنى أترك كل هذا لفطنة القارئ .

لقد وصل الأمر بسعد فى لينه أمام الانجليز انه فى أحدى جلسات مجلس النواب عندما وجه الى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فى جلسة ٢٤ مايو ١٩٢٤ سؤالا الى وزير الاشغال يطلب وقف المشروعات التى يقيمها الانجليز(٥٤) فى الجزيرة بالسودان أن أجابه سعد بقوله « هل عندكم تجريده » ؟ فانظر لقول هذا الزعيم الكبير وكيف كان يضعف أمام الانجليز ؟

وفوق ذلك فقد استمرت وزارة سعد التى سمت نفسها وزارة الشعب فى اطلاق العنان لمظاهرات صاخبة ضد الأحزاب والصحف المعارضة ومنها جريدة الأخبار للمرحوم أمين بك الرافعى · ولما كان الناس يحدثونه عن هذا الظلم وهذا الاعتداء كان يجيبهم بقوله « أتريدون منى أن أحمى خصومى ؟ » متنكرا بذلك لواجبه الأول كرئيس حكومة يتحتم عليه أن يحمى المصريين جميعا متناسيا ما كان يعلنه من انه زعيم الأمة المهمين على مصالحها وحرياتها ·

فهل أدى سعد واجبه أو انحرف عنه كما انحرف فى كثير من الأوقات عن قرارات يشترك فيها ثم يعدل عنها ويرسل الخطابات والبيانات فى غيبة اخوانه المتضامنين معه ·

اسلوب سعد فى الحكم

كنا نظن ونرجو ان سعدا وقد نال اغلبية كبيرة فى البرلمان بمجلسيه وأصبح رئيس حكومة وزراؤها من انصاره واتباعه فوق انه كما يقول وكيل الأمة والمتحدث عنها · كنا نظن وقد أصبحت السلطات كلها فى يده ولا راد لما يقرره أن يؤدى واجب الزعامة كما فعل غيره من زعماء الشعوب خاصة بعد أن أعلن أنه تناسى خصومة معارضيه فاستبشرت الأمة خيرا لكنا ما لبثنا ان رأيناه يطارد معارضيه فى البرلمان وخارج البرلمان بل انه جنح الى اضطهاد من لم يعاونه فى المعركة الانتخابية من رجال الادارة والأهلين فظهرت بدعة وقف عمد البلاد أو فصلهم وعزل مديرى الأقاليم وغيرهم من الموظفين كما

---

(٥٤) وجه النائب عبد الرحمن الرافعى ستة أسئلة الى وزارة الاشغال العمومية بشأن مشروعات السودان بجلسة مجلس النواب فى ١٣ أبريل ١٩٢٤ - انظر نص الأسئلة واجوبة المسئولين بالملحق رقم (٦) ص ٣٢٠ ·

قامت بدعة التشتيت والنقل الى البلاد النائية ورفع المحظوظين الى مراكز عالية وهو اول رئيس وزارة جعل الاستثناءات قاعدة التزمها ليجعل الادارة كلها « زغلولية لحما ودما » حتى يدوم له الحكم ٠

وهو لم يكن يخفى هذا ويضمره بل كان يصرح به ويباهى بعمله ومن ذلك تصريحه لجريدة فرنسية كانت تطبع فى القاهرة وتناصره ، هى جريدة «الليبرتيه» حينما سألته عن المحاباة والترقيات والتعيينات التى يجريها فاجاب بانه يريد حكومة زغلولية لحما ودما ٠ كما أعلن أيضا انه يعتزم عند تساوى الكفايات ان يؤثر اقرباءه لأن ثقته بهم فى تنفيذ مآربه تكون اكبر ٠

هكذا كان يقول سعد وبهذا فشت المحسوبية وأصبحت قاعدة التزمها خلفاؤه من بعده وبهذا أوجد مدرسة جرت على مصر البلاء الأكبر ولست بحاجة الى ذكر أعمال حزب سعد من بعده فلست مؤرخا وانما أنا أروى ذكريات ومشاهدات اشتركت فيها ، فضلا عن أن أعمال خلفائه من بعده قريبة عهد يدركها الناس جميعا ولم يكن لى بها اتصال مباشر ٠

مفاوضات سعد مكدونالد

قال سعد فى خطبة العرش بعد ان اشاد بالدستور الذى وضعته « لجنة الأشقياء » كما سماها قال « ان حكومته مستعدة للدخول مع الحكومة البريطانية فى مفاوضات حرة من كل قيد لتحقيق الآمال القومية بالنسبة لمصر والسودان » ٠

ولا يخفى أن هذا القول يدل على أن سعدا قبل التفاوض مع الانجليز بدون تحفظات ، وجعل الكلام مبهما بما سماه تحقيق الآمال القومية وقد كان ينعى على وزارة عدلى قبول الدخول فى المفاوضات دون ان تصرح انجلترا مبدئيا بقبول تحفظات الأمة ٠

وكانت حجة سعد البراقة لدى العامة ان عدلى كان رئيس وزارة وانه بذلك موظف انجليزى ، بل تمادى فى تجريح عدلى قائلا انه يستمد سلطته من السلطان الذى عينته الحكومة الانجليزية وان مفاوضات عدلى مع اللورد كيرزون ستكون بذلك كمفاوضة جورج الخامس مع جورج الخامس ٠

فاذا كان الأمر كذلك افلم يصبح سعد بعد أن ولى الوازرة واقسم يمين الولاء للسلطان او للملك الذى عينته الحكومة البريطانية كما يقول

وقبل الدخول فى المفاوضات بلا قيد او شرط افلم يصبح سعد بذلك موظفا انجليزيا يفاوض انجلترا كما يفـــاوض جورج الخامس جورج الخامس حسب رأيه ؟ الا ان يستند على تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى اعتبره « نكبة وطنية » ٠

من هذا كله يظهر مدى تجنى سعد على الأبرياء واسرافه فى تجريحهم حتى أن حسين رشدى ـ وهو الرجل الذى أوحى بتاليف الوفد وساندِه وعاونه وقت ان كان رئيسا للحكومة ١٩١٨ ورضى ان يكون مرؤوســـا لعدلى فى مفاوضاته مع كيرزون ليخدم أمته ـ هذا الرجل نال من مطاعن سعد ما اثر فى صحته وكان يقول وهو على فراش مرضه يتهمنى ســـعد بالخيانة ويقولون عنى انى اخـــذت من الانجليز مليونا أو مليونين من الجنيهات رشوة لاعطل مطالب بلادى فهل انا يا سعد ياصديقى القديم ممن يرمى بمثل هذه التهم وأنا فقير ربما لا يجد أهلى نفقات جنازتى ؟

سافر سعد لمفاوضة رمزى مكدونالد رئيس الوزارة البريطانية ، ووصل لندن فى أواخر شهر سبتمبر ١٩٢٤ وكان معه من انصاره مصطفى النحاس باشـــا وغيره من الوزراء وقد كانت الآمال معلقة عليه كرئيس للحكومة المصرية وكزعيم للأمة ، كما كانت الوزارة البريطانية من حزب العمال وكان الناس فى مصر يقولون ان رمزى مكدونالد زار سعدا فى بيته وافهمه انه اذا ولى الحكم امكنه ان يحل قضية مصر فى جلسة لاحتساء فنجان من الشاى ٠

ورغم هذه الآمال العريضة فان المفاوضات لم تستمر سوى ثلاث جلسات انقطعت بعدها فى أوائل اكتوبر ١٩٢٤ ورجع سعد بعد ذلك هو ورفاقه فاستقبلوا استقبال الظافرين بالهتافات والمظاهرات ٠

كان جديرا بسعد بعد فشله فى المفاوضات ان يستقيل كما فعل عدلى ليعطى الفرصـــة لحكومة أخرى ـ ولو من حزبه ـ تحاول الاتفـــاق مع الانجليز لكن سعدا بقى فى الحكم ولما أحس بضعف مركزه وقامت مظاهرات ضده فى الازهر وغيره أراد أن يشغل الرأى العام على ما يظهر فوجه قواه ضد السراى وقدم استقالته بســـبب تعيين حسن نشات بك وكيلا للديوان ٠ وانتهى الأمر بالصلح ووقع مرسوم تعيين حسن نشات بك ، ثم أعلن فى مجلس البرلمان « انه استقال من الاستقالة » ٠

مقتـــل الســــردار

لم ينقض يومان على صلح سعد مع السراى وعدوله عن الاستقالة واعلانه ذلك فى البرلمان حتى اغتيل السير لى ستاك باشا سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ وهو فى سيارته عائدا من وزارة الحربية الى داره بالزمالك ٠

وهذه الجريمة التى اقترفها فريق من انصار سعد والتى لم يكن له طبعا يد فيها تدل دلالة قاطعة على ان الزمام قد افلت من يده نتيجة التهييجات والمطاعن التى كان يوجهها الى كل من يعارضه فتسممت أفكار الشباب وضلت احلامهم فتصرفوا تصرفا كانت نتيجته الاضرار بمركز سعد والاضرار البالغ بمركز مصر والقضية الوطنية ٠

وليس غريبا بعد هذا أن يعلن سعد ان هذه الجريمة قد أصابت مصر وأصابت شخصه فزعزعت وزارته ونجم عنها أنه بعد تشـــييع جنازة السردار فى صباح يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ ذهب اللورد اللنبى بعد الظهر الى مقر رياسة مجلس الوزراء بمظاهرة عسكرية قوامها خمسمائة جندى بريطانى وقدم الى سعد انذارين باللغة الانجليزية ثم رجع الى داره وكانت المقابلة قاســـية مهينة وقد جاء فى أحد الانذارين : (ان الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصرى الذى كان أيضا ضابطا ممتازا فى الجيش البريطانى قد قتل قتلة فظيعة بالقاهرة وأن حكومة صاحب الجلالة تعتبر هذا القتل الذى يعرض مصر كما هى محكومة الآن لازدراء الأمم المتحضرة نتيجة طبيعية لحملة عدائية ضـــد حقوق بريطـــانيا العظمى والرعايا البريطانيين فى مصر والسودان وتلك الحملة القائمة على نكران الجميل نكرانا مقرونا بجحود الأيادى التى أسدتها بريطانيا العظمى لم تكن تعمل حكومة دولتكم على تثبيطها بل اثارتها هيئات على اتصـــال وثيق بهذه الحكومة ٠

ولقد نبهت دولتكم حكومة صاحب الجلالة منذ اكثر من شهر الى العواقب التى تترتب حتما على العجز عن وقف هذه الحملة وخاصة فى شأن السودان لكن الحملة لم توقف والآن لم تستطع الحكومة المصرية أن تمنع اغتيال حاكم السودان العام واثبتت انها عاجزة عن حماية أرواح الأجانب أو انها قليلة الاهتمام بهذه الحماية ٠

فبناء عليه تطلب حكومة صاحب الجلالة من الحكومة المصرية :

أ ــ أن تقدم اعتذارا كافيا وافيا عن الجناية ؛

٢ ــ ان تتابع باعظم نشاط ودون مراعاة للأشخاص البحث عن الجناة وأن تنزل بالمجرمين أيا كانوا ومهما تكن سنهم اشد العقاب ٠

٣ ــ ان تمنع من الآن وتقمع بشده كل مظاهرة شعبية سياسية ٠

٤ ــ ان تدفع حالا الى حكومة صاحب الجلالة غرامة قدرها نصف مليون جنيه مصرى ٠

٥ ــ ان تصدر فى مدى اربع وعشرين ساعة الأوامر بارجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصرى البحتة من السودان مع ما ينشا عن ذلك من التعديلات التى ستحدد فيما بعد ٠

٦ ــ ان تبلغ المصلحة المختصة أن حكومة السودان ستزيد مساحة الأطيان التى تزرع فى الجزيرة من ٣٠٠ الف فدان الى مقدار غير محدود تبعا لما تقتضيه الحاجة ٠

٧ ــ أن تعدل عن كل معارضة لرغبات حكومة صاحب الجلالة فى الشؤون الموضحة بعد الخاصة بحماية المصالح الأجنبية فى مصر ٠

وأضاف الانذار انه اذا لم تلب حكومة مصر هذه المطالب فى الحال فان حكومة صاحب الجلالة تتخذ فورا التدابير المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان ٠

وكان ملخص الانذار الثانى ما يأتى :

١ ــ بعد سحب الضباط المصريين والوحدات المصـــرية الصميمة للجيش المصرى تحول الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة مسلحة سودانية خاضعة وموالية لحكومة السودان وحدها تحت القيادة العليا للحاكم العام وتصدر البراءات باسمه ٠

٢ ــ يجب أن يعاد النظر وفق رغبات حكومة صـــاحب الجـــلالة فى القواعد والشروط الخاصـــة بخدمة الموظفين الأجانب الذين مازالوا فى خدمة الحكومة المصرية وبتاديبهم واعتزالهم الخدمة وكذا الشروط المالية لتسوية معاشات الموظفين الأجانب الذين اعتزلوا الخدمة يجب ان يعاد النظر فيها ٠

٣ ــ ومن الآن الى أن يتم اتفاق بين الحكومتين بشان حماية المصالح الأجنبية فى مصر تبقى الحكومة المصرية منصبى المستشار المالى والمستشار

القضائى وتحترم سلطتهما وامتيازاتهما كما نص عليها عند الغاء الحماية، وتحترم ايضا نظام القسم الأوروبى فى وزارة الداخلية واختصاصاته الحالية كما سبق تحديدها بقرار وزارى وتنظر بعين الاعتبار الـــكامل الى ماقد بيديه مديره العام من المشـــورة فيمـــا يتعلق بالشـــؤون الداخلة فى اختصاصه .

رد الحكومة المصـــرية

وفى يوم ٢٣ نوفمبر اى فى اليوم التالى من الانذارين البريطانيين ذهب واصف بطرس غالى باشا وزير الخارجية الى دار المندوب السامى وقدم رد الحكومة المصرية بانكار مسئوليتها عن حادث الاغتيال وبقبول المطالب الأربعة الأولى الواردة فى الانذار الأول وعدم قبول المطالب الثلاثة الأخيرة .

واصدر المندوب السامى اوامره رأسا الى حكومة السودان باخراج جميع وحدات الجيش المصرى من السودان مع اجراء التغييرات التى تترتب على ذلك وبحرية السودان فى زيادة مساحة الأطيان التى تروى فى الجزيرة الى مقدار غير محدود .

اما عن المطلب السابع الخاص بحماية مصالح الأجانب فى مصر فقد كان رد المندوب السامى عليه أن سيعلم رئيس الوزارة فى الوقت المناسب العمل الذى ستتخذه الحكومة البريطانية تلقاء رفضه اياه .

واضاف المندوب السامى فى رده انه ينتظر دفع نصف المليون جنيه اليه قبل ظهر الغد اى قبل ظهر ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ .

وقبل الميعاد ارسل وزير المالية المصرية تحويلا بالمبلغ على البنك الأهلى وأرفقه سعد بخطاب تاريخه ٢٤ نوفمبر يحتج فيه على ما اتخذته الحكومة البريطانية من قرارات لا مسوغ لها تعتبر مناقضة لما لمصر من الحقوق المعترف بها .

وبعد ان استلم اللورد اللنبى التحويل ، اصـــدر اوامره باحتلال جمارك الاسكندرية باعتبار هذا العمل أول اجراء يتخذه .

امام هذه التطورات ورغم ان سعدا والوزراء ســاروا فى جنازة السردار لى ستاك ورغم اســـتنكاره للجريمة فانه قدم استقالته وهذا نصـــها :

خطاب استقالة سعد زغلول

مولاى

اتشرف بان ارفع لجلالتكم انى لم اقبل مسئولية الوزارة الا لخدمة البلاد تنفيذا لمقاصدكم السامية ، ولكن الظروف الحالية تجعلنى عاجزا عن القيام بهذه المهمة الخطيرة ، ولهذا ارجو من مكارم جلالتكم ان تتفضلوا بقبول استعفائى مع زملائى من الوزارة وانى واياهم مستعدون على الدوام للعمل على ما يرضيكم ، ادام الله علينا نعمة رعايتكم الجليلة وادامكم مؤيدين بالعز والاقبال وموضع كل اكبار واجلال ،

شاكر نعمتكم

٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ — سعد زغلول

انظر كيف تغير مسلك سعد ، فبعد ان كان مترفعا على الملك معتبرا اياه ورؤساء وزاراته موظفين انجليز وبعد أن سعى فى عزله لدى الانجليز أيام مفاوضات ملنر ، وبعد أن كانت تعبيراته تشعر بالشموخ والعظمة تغيرت حالته وارسل هذه الاستقالة الى الملك وكلها ولاء وخضوع واستعداد دائم للعمل على ما يرضيه والدعاء للملك بان يديم الله نعمة رعايته الجليلة وان يديمه مؤيدا بالعز والاقبال وموضع كل اكبار واجلال فسبحان مغير الأحوال ٠

وقد قبل الملك الاستقالة فى اليوم التالى اى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ وهو اليوم الذى ارسل سعد فيه مبلغ التعويض الى المندوب السامى وترك بذلك سعد رياسة أول حكومة برلمانية كان يصفها بانها حكومة زغلولية لحما ودما ، تسعى الى «الاستقلال التام أو الموت الزؤام» وتعمل لتخليص مصر من كل قيد وشرط ٠ واعلن فى جلسة البرلمان المنعقدة مساء يوم ٢٤ نوفمبر انه انما استقال خدمة للمصلحة العامة وانه مستعد مع اصدقائه من اعضاء المجلس لأن يؤيد كل وزارة تشتغل لمصلحة البلاد ٠٠

وبهذا انتهت رياسة سعد بما جرته حكومته على البلاد من ويلات كان آخرها كارثة الانذارين البريطانيين وما تبعهما من نتائج خطيرة ٠

وانى وان لم اتهم سعدا بالاشتراك فى الاعتداء على السردار أو تحبيذه، اسال نفسى لم لم يستقل احتجاجا على طلبات الانجليز دون أن يجيب اى طلب من طلباتهم وكيف يستقيل بعد أن نفذ مطالب أربعة من سبعة ، ويعلن استعداده لتأييد اية وزارة تأتي بعده لخدمة البلاد كما

يقول انى اترك ذلك للقارىء يستنتج منه ما يشاء ليعلم مقدار ما ادته زعامة الأمة للأمة من خدمات ٠

تاليف وزارة زيور

تالفت وزارة يراسها احمد يزور باشا(٥٥) وكان رئيسا لمجلس الشيوخ ـ يوم استقال سعد ٠ واستصدرت غداة يوم تشكيلها مرسوما بتاجيل انعقاد البرلمان شهرا ، وقبل انتهائه استصدرت مرسوما آخر بحل مجلس النواب ٠

ومن الغريب ان يعلن زيور باشا فى الصحف انه يرجو ان يوفق الى انقاذ مايمكن انقاذه ، ثم نفذت وزارته باقى المطالب الانجليزية الواردة فى انذارى المندوب السامى ٠

وربما يظن البعض أن هذه الكوارث سواء من حكومة سعد أو حكومة زيور ليست غريبة ولا تثير الدهشة ، وأن سعدا قد افلت الزمام من يده نتيجة لأخطائه العديدة ، وأن زيور رجل هين لين لا تثير تصرفاته الدهشة ٠

انما المدهش حقا ان سعدا هذا وهو الزعيم المتطرف كما يقولون ادخل فى وزارة زيور رجلين من أخص انصاره وتابعيه هما عثمان محرم بك واحمد محمد خشبة بك ، وكيل مجلس النواب الوفدى الأول لوزارة الاشغال والثانى لوزارة المعارف والحقانية مؤقتا هذا مدهش حقا ومؤلم حقا ٠

---

(٥٥) قوقازى الأصل ٠ ولد بالاسكندرية فى ١٤ نوفمبر ١٨٦٤ وتعلم بمدرسة العازاريين بالاسكندرية لمدة ثلاث سنوات سافر الى بيروت والتحق بمدرسة الجيزويت لمدة خمس سنوات درس فيها العلوم واللغات العربية والفرنسية والانجليزية والايطالية ٠ فى عام ١٨٨٥ سافر الى فرنسا والتحق بكلية « اكس » حيث نال شهادة الليسانس فى الحقوق ٠ وبعد عودته الى مصر تقلب فى الوظائف المختلفة الى ان رأس الوزارة ٠ فقد شغل وظيفة قاضى ووظيفة رئيس محكمة ومحام عام فى كل المحاكم الأهلية ٠ وفى ٢ مارس ١٨٩٦ عين مستشارا لمحكمة الاستئناف الأهلية ثم عين محافظا للاسكندرية ٠ تولى رئاسة الوزارة فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ عقب استقالة وزارة سعد زغلول بعد اغتيال السير « لى ستاك » واستمرت هذه الوزارة الى ١٣ مارس ١٩٢٥ ٠ ثم رأس الوزارة مرة أخرى من ١٣ مارس ١٩٢٥ الى ٧ يونية ١٩٢٦ ٠ (الياس زاخورا ، المصدر السابق ٠ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ٠ محمد فريد ، تاريخ مصر من ابتداء ١٨٩١ ميسيحية (مخطوطة) ص ٩٦٠ ٠ النظارات والوزارات المصرية جـ ١ ٠ ص ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٥٤١) ٠

ومما يلاحظ انه بعد قبول وزارة زيور باشا ـ وفيها عضوان بارزان من حزب سعد ـ بقية المطالب الانجليزية ، اعتقلت السلطة البريطانية فريقا من انصار سعد وقبضت على من اتهمتهم فى قتل السردار ومنهم نواب فى البرلمان المصرى ، كما نفذت جلاء وحدات الجيش المصرى عن السودان ٠

ولم يستطع الوزيران الوفديان البقاء فى الحكم امام السخط العام واضطر عثمان محرم وأحمد محمد خشبة الى الاستقالة ويلاحظ أن هذين الوزيرين لم يشتركا من قبل فى وزارة سعد وبدخولهما وزارة زيور أياما أصبح لهما الحق فى أخذ معاش كامل لوزير ، فبعد ان كان معاشهما محدودا كموظفين عاديين قفز الى ١٥٠٠ فى السنة أى ١٢٥ جنيها شهريا ٠ وكان القانون المعمول به يعطى للوزير معاشا كاملا ولو بقى فى الوزارة يوما واحدا وقد فطنت الحكومة الى هذا الخطأ فى التشريع وصدر قانون بالا يكون لأى وزير حق فى معاش كامل الا اذا كانت مدة وزارته سنتين على الأقل ومدة خدمته فى الحكومة عشرين سنة على الأقل وبهذا انقطع التلاعب فى أمر معاشات الوزراء ٠

وحل محل الوزيرين المستقيلين محمد توفيق رفعت باشا ومحمود صدقى بك ـ كما انشئت قوة عسكرية فى السودان منفصلة عن الجيش المصرى وخاضعة مباشرة لحاكم السودان العام وتدين بالولاء له ٠ وتمت بذلك مأساة انسحاب الجيش المصرى وانهيار الحياة البرلمانية ٠ ولتقوية الوزارة استعين باسماعيل صدقى باشا كوزير للداخلية ، وهو رجل مشهود له بالكفاية التامة فى أمور هذه الوزارة وكان وكيلا لها من قبل ثم وزيرا ، كذلك كان موتورا من سعد منذ اخرجه من الوفد حينما كنا فى باريس ٠

الانتخابات الثانية

بعد حل البرلمان عقب سقوط وزارة سعد زغلول ، عمدت وزارة زيور باشا ـ ولم يكن ينتمى لحزب ـ الى أجراء انتخابات أخرى ٠ وكان اسماعيل صدقى وزير الداخلية والعدو اللدود لسعد يعمل ضد انتخاب انصار سعد ورغم ذلك أسفرت عملية الانتخاب عن فوز فريق سعد بالأغلبية، ولم يفطن الناخبون الى الكوارث التى حلت بمصر من زعامة سعد وتصرفات وزارته ٠

دخول الأحرار الدستوريين فى الوزارة

بعد ظهور نتيجة الانتخابات رفع زيور باشا استقالته فى ١٣ مارس ١٩٢٥ لكن الملك مع قبول استقالته عهد اليه تأليف وزارة جديدة فألفها فى نفس التاريخ من وزراء بينهم ثلاثة من حزب الأحرار الدستوريين كنت أنا واحدا منهم ٠

ولابد لى هنا من تبيان العوامل التى دفعتنا الى قبول الاشتراك لأول مرة فى وزارة يرأسها رجل مستقل مثل زيور ٠

ففى يناير ١٩٢٥ تألف حزب باســـم « حزب الاتحاد » برنامجه الأساسى الولاء للعرش أى للملك برئاسة يحيى ابراهيم باشا الذى كان يرأس اكبر هيئة قضائية فى البلاد وهى محكمة الاستئناف ثم كان رئيس الحكومة التى أجرت الانتخابات الأولى بحرية تامة يدل عليها عدم فوزه هو فى دائرته الانتخابية كما انضم الى حزب الاتحاد وصار وكيلا له رجل من الصق المتصلين بسعد وزعيم لجنة موظفى الحكومة أيام الثورة وهو على ماهر باشا كذلك انضم الى الحزب المذكور المرحوم محمد حلمى عيسى باشا وكان مستشارا لمحكمة الاستئناف ٠

عرض زيور باشـــا على الأحرار الدســـتوريين الاشتراك فى وزارته الثانية مع رجال حزب الاتحاد وبعض المستقلين أمثال المرحوم اسماعيل سرى باشا والرئيس نفسه مستقل ، فتداولنا فى الأمر ومعروف أن رجال الأحرار الدستوريين هم الذين كانت لهم اليد الطولى فى تأليف الوفد ، وهم الذين قرروا فى باريس عدم الاشتراك فى أية وزارة وآثروا ان يظلوا مجاهدين يعملون لتحقيق مطالب مصر ، وهم الذين عارضوا سعدا عندما أراد الغاء هذا القرار والدخول فى الوزارات ٠

ورأى الأحرار الدستوريين تقلبات سعد فى آرائه ، ومحاربته بغير حق لعدلى ورشدى وثروت أولئك الأكفاء الممتازين الذين صب عليهم سعد لعناته وجرحهم بأقذع المطاعن مع انهم هم الذين دفعونا الى تأليف الوفد واستقالوا وقاطعوا الدخول فى الوزارات مادام الوفد لم يصـــرح له بالسفر ٠

ثم رأى الأحرار الدستوريين ما الم بمصـــر من كوارث أدت الى الانذارين البريطانيين بعد مقتل السردار أيام تولى سعد ادارة البلاد كذلك

راوا ان سعدا ادخل من فريقه اثنين فى وزارة زيور الأولى التى نفذت باقى المطالب الانجليزية هما عثمان محرم وأحمد محمد خشبة ٠

كما رأى الأحرار ان تقلب سعد قد أضاع على الوفد الحقيقى آماله ٠ وان مصر رغم الثورة والتضحيات لم تجن من ١٩١٨ الى ١٩٢٥ سوى الضربات المتتالية ، اما تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ـ وهو الكسب الوحيد لمصر فى كل هذه الفترة ـ فقد حصل عليه ثروت ورفاقه ولم يكن لسعد أى دخل فيه ٠

أضف الى ذلك كله قتل عضوين من بينهم هما المرحومان اسماعيل زهدى وحسن عبد الرازق ، وقد شاهدت اغتيالهما ولو تقدمت دقيقتين لاصابنى ما أصابهما ٠

بقينا على ماكنا صممنا عليه من عدم الاشتراك فى الوزارات من ١٩١٨ الى ١٩٢٥ حتى ظهر الفساد الحزبى وساد التشدق بالوطنية الكاذبة والمزايدات فيها بوسائل الطعن والكذب والتجريح فكان علينا بعد أن عرضت الوزارة على الحزب ان يختار احد أمرين ، أما أن نكون فى ولاء مع مليك البلاد وهو عدو سعد وانصاره أو نكون فى ولاء مع سعد وقد أدت ادارته الى افحش الاضرار بالبلاد فوق اننا خشينا ان تباعدنا عن الملك أن يرتمى فى أحضان الانجليز فتكون الطامة أكبر وأعم ٠

لهذا قرر حزب الأحرار الدستوريين الاشتراك فى الوزارة املا فى اصلاح بعض ما افسدته خطة سعد زغلول خارج الحكم وداخله رغم علمنا بحالة الملك فؤاد ومطامعه الشخصية ٠ فانه وهو فرد واحد لا يصل الى الطغيان العارم الذى وصل اليه سعد وشيعته ٠

ويجب أن نذكر هنا أن مؤسسى الوفد مع اصرارهم على عدم دخول الوزارات ، واضطروا فى هذه المرحلة الى الدخول فيها للأسباب السالفة الذكر استمروا بعيدين الى الآن عن الدخول فى ادارات المصارف والشركات وعقد صفقات التصدير والاستيراد والاحتكارات وغيرها مما يدر المنافع الكثيرة رغم العروض التى عرضت على بعضهم وكنت من بينهم ، بل نشرت للملأ حديثا فى الصحف طالبت فيه بتحريم عضوية الشركات على أعضاء البرلمان ورد على فى حينه المرحوم محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ وقتئذ بأن الدستور لا يمنع أعضاء البرلمان من عضوية المصارف والشركات ، واننى وان لم يكن فى الدستور والقوانين تحريم وأود لو ملأ المصريون مقاعد ادارات الشـــركات والمؤسسات فان من رأيى أن يبتعد

النواب عن مواطن التهم والريب ، وكان المؤسسون للوفد من رأيى وهم على شعراوى ومحمد محمود وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد وعبد الطليف المكباتى .

ولا يخفى أن الثلاثة اختيروا للدخول فى الوزارة عن الأحرار كانوا من المحامين الذين انعم الله عليهم برزق واسع من مهنتهم لا يلتمسون النفع بدخول الوزارة .

اختير عبد العزيز فهمى وهو رئيس حزب الأحرار وزيرا للحقانية واخترت أنا وزيرا للأوقاف وتوفيق دوس وزيرا للزراعة . وكان يحيى ابراهيم رئيس حزب الاتحاد نائبا لرئيس الوزراء وعلى ماهر وزيرا للمعارف واسماعيل صدقى للداخلية .

حل مجلس النواب الثانى

اجتمع البرلمان الثانى فى ٢٣ مارس ١٩٢٥ وبعد أن تلا زيور خطبة العرش وانفض المؤتمر واجتمع مجلس النواب لاختيار رئيسه نال سعد ١٢٣ صوتا ونال منافسه ثروت ٨٥ صوتا (عدا الدوائر التى أعيد الانتخاب فيها) وبعد قليل من انعقاد المجلس أعلن زيور مرسوما بحله .

والحق الذى لا مرية فيه أن حل هذا المجلس كان مخالفا لاحكام الدستور الا أن توقع تأليف سعد لوزارة تعبث بكل مقومات الدولة كما حدث من قبل وتشيع الفوضى والمحسوبية والمحاباة وتحرص على اقصاء كل من يظن فيه عدم الاخلاص لها من موظفين وعمد ومشايخ وغيرهم وتطارد الاخيار ورجال الأعمال لتصل من وراء ذلك كله الى جعل الأداة الحكومية ـ وفيها الجيش والشرطة ـ زغلولية لحما ودما . كان توقع هذا هو السبب الرئيسى فى سكوتنا على حل مجلس النواب باعتبار هذا الاجراء ثورة ضد الفساد .

وكان فريق من ذوى الرأى يرجع عدم حل المجلس عملا بقواعد الدستور من جهة وانتظارا لما تتمخض عنه المعارضة وكانت تضم فريقا كبيرا من رجال اكفاء قد يستطيعون تحويل الرأى العام ضد الفوضى والطغيان الا أن كبار المسئولين لم يطمئنوا الى هذه الفكرة خصوصا وأن فريقا من أنصار ثروت انقلبوا بعد دخول المجلس وانحازوا الى جانب سعد رغبة أو رهبة .

فى وزارة الأوقـــاف

دخلت وزارة الأوقاف فى مارس ١٩٢٥ كما أسلفنا ولم أكن موظفا من قبل وبالتالى لن يكون لى معاش وأغلقت مكتبى وتركت مهنة المحاماة ٠

كان من واجبى أن أدير وزارة الأوقاف كرجل لا غاية له سوى الحكم الصالح الخالى من شوائب استغلال النفوذ وشوائب المحسوبية والمحاباة وأصرح بانى كنت حرا طليقا فى وزارتى ولم أر أى تدخل أو معارضة من السراى حتى تركتها فى سبتمبر سنة ١٩٢٥ ٠

ومما لا حظته فى الوزارة ما كان فى بعض حجج الأوقاف من حرمان الأهل والأقارب وحبس الوقف على من لا يستحقون وتجريد الورثة أحيانا من أموال آبائهم ارضاء لشهوات جامحة ونزوات ممقوتة ٠ كما لاحظت ماكانت عليه الأوقاف الأهلية ـ وهو مايسمونه الوقف على الذرية ـ من اهمال شنيع ، حتى كانت الاطلال والخرائب فى القاهرة وغيرها من المدن تدل بذاتها على أنها أوقاف ٠ فبحثت حتى ألهمنى ربى الى أن الأوقاف الأهلية ليست من الدين فى شىء وانها ضارة ضررا اجتماعيا يجب ازالته فصممت على محاربة الأوقاف الأهلية بعد خروجى من الوزارة وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد(*) ٠

اســــتقالة الوزارة

كيف استقلنا من الوزارة وما هى أسباب الاستقالة ؟

سافر زيور باشا فى فصل الصيف الى أوروبا كما سافر اسماعين صدقى واسماعيل سرى ، وشغل الرياسة بالنيابة يحيى ابراهيم باشا وكنا نلاحظ من بضعة أشهر وجود جفاء بينه ـ وهو رئيس حزب الاتحاد ـ وبين عبد العزيز فهمى ـ وهو رئيس حزب الأحرار ـ لمسائل شخصية تتصل بخلاف على ترقية بعض أشــخاص ٠ فلما قامت حركة ضــد الشـيخ على عبد الرازق القاضى الشرعى ـ وهو من أسرة عبد الرازق المعروفة وجميع أفرادها من الأحرار الدستوريين ـ عقب اصداره كتابا بعنوان الاسلام وأصول الحكم » تناول فيه مسألة الخلافة وذكر أنها ليست من الأصول فى الاسلام ، وكان الملك فؤاد على ما تشيعه الشائعات يتطلع الى الخلافة بعد أن ألغتها تركيا ، فحوكم الشيخ على عبد الرازق أمام هيئة كبار العلماء فحكمت باخراجه من زمرة العلماء وتجريده من شهادته وكان ذلك فى شهر أغسطس ١٩٢٥ ٠

(*) انظر التفاصيل ص ٢٧٦ وما بعدها ٠

ولم يقتنع عبد العزيز فهمى باشا وزير الحقانية بصحة هذا الحكم واحال الأمر الى لجنة القضايا بوزارته .

ولكن يحيى ابراهيم لم يرض عن هذا التصرف من عبد العزيز فهمى وكان يضمر له السوء ، ويظهر انه كان على اتفاق فى ذلك مع الملك فؤاد فاتى فى جلسة مجلس الوزراء المنعقدة تحت رياسته ببولكى وسأل عبد العزيز فهمى عن سبب عدم تنفيذ قرار هيئة كبار العلماء وطلب اليه تنفيذه فورا ، فلم يرضخ عبد العزيز فهمى وأصر على انتظار قرار لجنة اقسام القضايا وهنا انفجر يحيى ابراهيم وقال لعبد العزيز انه لا يطيق العمل معه وطلب اليه أن يستقيل فرفض عبد العزيز متمسكا بأن لا غبار على عمله . وهنا قال يحيى ابراهيم لعبد العزيز أنه ان لم يستقل فسيقال من منصبه فتكلمت مع يحيى ابراهيم وأفهمته ان هذا عمل خطير ويجب ان يعدل عما صمم عليه . فاجابنى بتلك الكلمة المعسولة « انك لو طلبت منى حياة ابنى لكان ذلك أهون على من بقائى مع عبد العزيز » وقام من فوره الى السراى ليمضى مرسوما بعزل عبد العزيز .

كان على ماهر وزير المعارف فى ذلك الوقت[٥٦] جالسا بجوارى فأفهمته ان هذا التصرف خطير وان ستكون له نتائج خطيرة . ففهم على ماهر من قولى أنى أهدد بالاستقالة وان الاتفاق بين الأحرار الدستوريين والاتحاديين سينهار نتيجة لذلك ، وقد ظهر على على ماهر التأثر فطلبت اليه أن يبادر باخبار يحيى ابراهيم بمجرد وصوله الى السراى بان يعدل عما صمم عليه والا يقابل الملك فقام على ماهر من فوره وتكلم بالتليفون ثم رجع بادى الأسف يخبرنا بان يحيى ابراهيم فى حضرة الملك ، وان ليس بالامكان مخاطبته وفهم الوزراء ان الأمر سينتهى باستقالة الوزراء الأحرار ، وكان اسماعيل صدقى أخبرنا قبل سفره الى أوروبا انه متضامن معنا يستقيل اذا استقلنا ، فأرسلنا اليه برقية أجاب عليها بالتضامن معنا .

---

(٥٦) عين على ماهر وزيرا للمعارف العمومية من ١٣ مارس ١٩٢٥ الى ٧ يونية ١٩٢٦ فى عهد وزارة أحمد زيور باشا الثانية « ١٣/٣/١٩٢٥ ــ ٧/٦/١٩٢٦ » . (النظارات والوزارات . ص ٥٤٥ ، ٥٨٦) .

ثم قرر حزب الأحـــرار ان يجتمع بكامل هيئته بالقاهرة وفى هذا الاجتماع قرر اســـتقالة وزرائه ، فذهبت من فورى الى وزارة الأوقاف وحررت ليحيى ابراهيم الخطاب الآتى :

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ·

اتشرف بتقديم استقالتى من الوزارة ·

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق احترام ،،

محمد على

كان ذلك فى شهر سبتمبر ١٩٢٥ ولما علم اسماعيل صدقى بذلك أرسل برقية باستقالته · ومما يلاحظ أن توفيق دوس انتظر قليلا ثم ارسل كتابا من صحيفة ونصف الصحيفة يستقيل به ويؤكد فيه اخلاصه للملك ·

ويجب على اظهارا للحقيقة ورعاية للتاريخ واثباتا للوقائع الصادقة أن أذكر انى بعد استقالتى وترك الوزارة قابلنى فى فندق سان استفانو محمد حلمى عيسى باشا أحد الوزراء الاتحاديين وطلب الى أن أرجع الى الوزارة وأسحب استقالتى وذكر أن توفيق دوس مستعد للرجوع اذا أنا قبلت ، وأن كلامه معى بتكليف من حسن نشأت بك وكيل الديوان الملكى فقلت له اذا أراد حسن نشأت بك أن يتكلم فلا يصح له أن يكلفك أنت بل يجب عليه أن يكلمنى هو مباشرة ·

وثانى يوم سعى حسن نشأت بك فى مقابلتى بفندق سان استفانو ثم قابلنى مرة ثانية وفيهما أدلى الى بأن الملك يثق بى ويود أن أسحب استقالتى وأن توفيق دوس مستعد لسحب استقالته اذا أنا فعلت فصممت على موقفى وذكرت له أن سحب الاستقالة لا يتفق مع قرار الحزب ولا مع كرامتى ، وأن اقالة رئيس حزب الأحرار الدستوريين اهانة تمس الحزب كله وتمس الوزراء جميعا فاجابنى بأن من الممكن اختيار عضو من حزب الأحرار يحل محل عبد العزيز فهمى فرفضت ما عرضه وقلت له : ان مركز الوزير أصبح أضعف من مركز موظف عادى · ثم عاتبنى بقوله هلا تعلم أن الملك كان يتدخل فى شؤون بعض الوزارات وانه تركك حرا فى وزارتك تفعل ما تشاء ثقة منه فيك مع انه ناظر الأوقاف ، الا يجب ان تقابل هذه الثقة بأن تنفذ رغبة الملك بسحبك الاستقالة · فاجبته انى رجل اذا قلت استقلت فمعناه انى استقلت وليس معناه انى استقيل من الاستقالة ، واذا كان جلالة الملك قد تركنى حرا ثقة منه بى فلم يكن ذلك لشخصى وانما كان لاعتقاد جلالته انى رجل شريف بعيد عن الاغراض الذاتية ·

وهنا قال محدثى : وما العمل أمام هذه الأزمة ؟

فأجبته : لقد صدر قرار من حزب الأحرار الدستوريين وجب تنفيذه ، ولو لم يصدر هذا القرار لكان واجبى أن أستقيل لما أصيب به مركز الوزير نفسه • واعتقادى أنه يجب أولا وقد أقيل عبد العزيز وهو رئيس حزب الأحرار أن يقال يحيى ابراهيم باشا وهو رئيس حزب الاتحاد واذا تم هذا التكافؤ يمكن عرض الأمر بعد ذلك على مجلس ادارة حزب الأحرار الدستوريين فأظهر دهشته من هذا الجواب لاعتقاده اســتحالة تنفيذه وافترقنا على ذلك •

وأجرى تعديل الوزارة وأصبحت كلها اتحادية تابعة للسراى وأصبح الأحرار بعد ذلك طلقاء غير مقيدين وانفسح المجال للوزارة • فاستصدرت فى ٢٧ اكتوبر ١٩٢٥ وفى غيبة البرلمان طبعا مرسوما بقانون أسمه قانون الجمعيات والهيئات الســياسية حتم فيه اخطار الادارة بمقر الجمعيات والهيئات السياسية ومقر فروعها وأسماء اعضائها واعضاء مجالســها الادارية ولجانها الفرعية وضرورة اخطار جهات الادارة بكل تغيير يحصل فى البيانات المقدمة اليها وان كل جمعية أو هيئة سياسية لا تراعى هذا القانون يجوز حلها بقرار من مجلس الوزراء ولا يعترف بالشخصية المعنوية الا للجمعيات أو الهيئات التى يصادق على قانونها النظامى مرســوم ملكى •

وقد احتجت جميع الأحــزاب عدا حزب الاتحاد طبعا على هذا الاجراء الشاذ •

نتائج انفراد حزب الاتحاد بالحكم

كنا قد رأينا العمل مع حزب الاتحاد وبعض المستقلين املا فى منع طغيان سعد ذلك الطغيان الذى اثر فى أداة الحكم وسبب انحراف سير الحركة الوطنية عن طريقها الصحيح وحول الجهاد الوطنى من عمل فى سبيل الوطن وتضحية لا يضن بها مجاهد الى مهاترات واعتداءات تخدم اغراضا ذاتية وتجلب منافع شــخصية حتى اضطربت الأفكار وموهت الحقائق تمويها جعل الناس حيارى لا يميزون بين الحق والباطل •

اتفقنا مع الاتحاديين والمستقلين مؤملين أن نحيط بالملك فؤاد ونزين له السير فى الطريق السوى •

لكنا والأسف يملأ نفوسنا لم نلبث فى الحكم بضعة أشهر حتى تكشفت لنا حقيقة مرة هى أن الملك فؤاد يريد أن يكون ديكتاتورا يحقق مصالحه الخاصة ويدعم سلطته الفردية ، مستعينا فى ذلك برجال السراى وبحزبه الذى أنشأه ، وتلك حالة تؤدى طبعا الى شل الحياة النيابية السليمة ٠

وقد لمسنا تدخل رجال ديوانه الملكى ورجال الخاصة الملكية فى شؤون الحكم وفى تنمية ثروة الملك بطرق لا ترضاها الضمائر الحية ٠

فمن ذلك تدخله فى أعمال بعض الوزراء واصدار الأوامر اليهم ٠

ومن ذلك حادث استبدال سراى الزعفران التى أعطاها الى الحكومة مقابل تفتيش كبير يضم آلاف الأفدنة قيمته أعلى بكثير من قيمة سراى الزعفران ٠

ومن ذلك ارغام بعض الملاك الذين يجاورون مزارعه على بيع أطيانهم اليه بأثمان بخسة ٠

ومن ذلك ان ناظر خاصته كان يمنع صغار الفلاحين بواسطة حكمدارية الاسكندرية من دخول المدينة فى الصباح لبيع خضرهم وثمارهم وسمنهم وجبنهم حتى تتم الخاصة بيع منتجاتها بأثمان مرتفعة ٠

ومن ذلك ما سمعته من أحد أعضاء البرلمان وكان قد دعى مع فريق من زملائه لزيارة تفتيش « ادفينا » وقص على ما رآه من حسن تنظيم فى الزراعة وفائق عناية بتربية الحيوان وذكر انه وزملاءه طافوا صدر النهار بجزء من التفتيش ثم تناولوا غذاء فاخرا وبعد الاستراحة وتناول الشاى الفخم أيضا مروا بجزء آخر وهم فى طريق العودة ولشد ما كانت دهشتهم عندما رأوا وسط تلك الجنان الفيحاء مساحة من الأرض تبلغ نحو مائتى فدان بها بيت كبير قديم والأرض بور والبيت مهجور فدهشوا لهذا وسألوا ناظر الخاصة عن السبب فأجابهم بكبرياء وأنفه بان القطعة البور هذه يملكها رجل لم يقبل بيعها للسراى ، فكانت نتيجة عناده ان منعت عنه مياه الرى وأصبح لا يستطيع استثمار أراضيه ٠

وقال محدثى أن الأثر الطيب الذى كان فى نفوسهم جميعا قد انقلب الى سخط ومقت وازدراء ٠

تلك أمثلة من تصرفات الملك فؤاد وقد امتدت ديكتاتوريته الى عزل عبد العزيز فهمى رئيس حزب الأحرار من الوزارة ٠ وأمام هذا التصرف

اعتزلنا مناصبنا ووقفنا نطالب باعادة الحياة الدستورية السليمة ، وبقيام البرلمان ، وندعو الى تضافر الأحزاب لمنع طغيان الملك والملتفين حوله ٠

وتفاقمت الحال بعد استقالتنا وتعددت الشكاوى وقامت المظاهرات وكثرت محاكمات العمد وغيرهم حتى تدخل اللورد لويد المندوب السامى البريطانى الذى خلف اللنبى ونصح باقالة حسن نشأت باشا من منصبه بالسراى بحجة أن اسمه قد ورد فى التحقيقات الخاصة بقتل السردار فلم يكن من الملك الا أن صدع لهذه النصيحة وأقال نشأت باشا وعينه وزيرا مفوضا كى يبعده عن مصر مع اظهار الرضا عنه بتعيينه فى منصب كبير خارج البلاد ٠

ائتلاف الأحـــــزاب

قويت فكرة ائتلاف الأحزاب ، وكان الســـاعون فيها كثيرين وفى مقدمتهم محمد محمود باشا وسعد زغلول باشا وانتهى الاتفاق بعد مساع متواصلة الى عقد مؤتمر وطنى فى ١٩ فبراير ١٩٢٦ بمنزل محمد محمود دعى اليه أعضاء البرلمان القديم من شيوخ ونواب كما دعى اليه أعضاء مجالس المديريات والهيئات النيابية الأخرى والوزراء الســـابقون وكان مؤتمرا ضخما ضم أكثر من ألف نفس خطب فيه سعد ودعا الى توحيد الصفوف والى الائتلاف وكانت الأحزاب الممثلة فى المؤتمر ثلاثة ، حزب الوفد وحزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى وكنت من الحاضرين وبعد المناقشات أصدر المؤتمر قرارات منها الاحتجاج على التصرفات التى صدرت مخالفة للدستور ودعوة الأمة الى المطالبة بالانتخابات المباشرة لا الانتخـــابات الثلاثينية ، ووجـــوب تأليف وزارة موثوق بهـــا من الأمة ٠٠ الخ ٠

واذكر بهذه المناسبة ماروى عن سعد من انه قد أبدى أسفه لما حدث من فرقة بينه وبين أصدقائه الأقدمين وهم طبعا مؤسسو الوفد وعدلى ورشدى وثروت وغيرهم ، وذكر انه أحس بوحشة بعد افتراقه عنهم ، وانه كان يود من صـــميم قلبه أن يجتمع بزملائه القدامى الذين يفهمهم ويفهمونه ٠

ونجم عن هذا الائتلاف اتفاق الأحزاب الثلاثة ، فاضطرت وزارة زيور الى اجراء انتخابات لم ينل فيها حزب الاتحاد سوى خمس دوائر من ٢١٤ دائرة ٠ ومما أوجب الغبطة أن الأحزاب الثلاثة المؤتلفة اتفقت على تقســـيم الدوائر فيمـــا بينها وتعهدت بالا ينافس حزب حزبا آخـــر

أثناء الانتخابات ، وخص الوفديين ١٦٠ دائرة والأحرار الدستوريين ٤٥ دائرة والحزب الوطنى ٩ دوائر ٠

وقد حدث أمر يوجب الأسف ، هو ان سعدا وقد اتفق مع الأحرار على عدد الدوائر التى اختصوا بها عارض فى ترشيح عبد العزيز فهمى نظرا لاستمرار العداء والنفور بينهما ، ولأن عبد العزيز فهمى أعلن انه لا يثق بسعد ولن يضع يده فى يده أو يقابله رغم هذا الائتلاف وكانت نتيجة ذلك واصرار عبد العزيز على عدم ثقته بسعد ان استقال من رئاسة حزب الأحرار فاختير محمد محمود رئيسا للحزب ٠

تشـــكيل الوزارة الائتلافية

بعد ظهور نتيجة الانتخابات قدم زيور باشا استقالة وزارته فى ٧ يونية ١٩٢٦ ٠ وكان المفروض ان يتولى سعد رئاسة الوزارة الجديدة باعتبار ان حزبه صاحب الأغلبية انما الذى حصل ان سعدا قد عرف انه غير مرغوب فيه وانه اذا تمسك بتاليف الوزارة تدخل اللورد جورج لويد وعرقل الحياة النيابية ، والأسباب معروف بعضها للناس وللســـراى منها أنه قد اقيمت دعاوى جنائية ضد أشخاص من أقرب المقربين الى سعد اتهموا فى قتل السردار وبعض الانجليز منهم أحمد ماهر(٥٦) ومحمود فهمى النقراشى وقد حكم ببرائتهما لكن الانجليز لم يقتنعوا بهذه التبرئة بدليل معارضة المستشارالانجليزى كرشو رئيس هيئة المحكمة واستقالته احتجاجا على تبرئتهما ٠

ولهذه الأسباب وغيرها آثر سعد أن يكون صديقه القديم عدلى يكن باشا رئيســـا لوزارة ائتلافية شـــكلت فعلا من مســـتقيلين ووفدين وأحرار دستوريين وهم ـ عدلى للرياسة والداخلية ـ وعبد الخالق ثروت

---

(٥٦) سياسى واقتصادى مصرى ٠ ولد فى عام ١٨٨٨ وتخرج من مدرســة الحقوق عام ١٩٠٨ ٠ نال الدكتوراة من جامعة مونبلييه بفرنســا وبعد عودته عين أستاذا بمدرســة التجارة العليا ٠ اشتغل بالحركة الوطنية وانتخب عــام ١٩٢٤ بمجلس النواب ثم رئيسا لمجلس النواب فى ١٨ نوفمبر ١٩٣٩ ٠ تولى الوزارات الآتية : المعارف العمومية (اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٢٤) ، المــالية (يونية ١٩٣٨ ـ اغسطس ١٩٣٩) ، الرياســة (أكتوبر ١٩٤٤ ـ يناير ١٩٤٥) ، الداخلية (اكتوبر ١٩٤٤ يناير ١٩٤٥) ، الرياســة (يناير ١٩٤٥ ـ فبراير ١٩٤٥) ، الداخلية (يناير ١٩٤٥ ـ فبراير ١٩٤٥) ٠ اغتيل فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ وهو فى طريقه الى مجلس الشيوخ من مجلس النواب لاعلانه الحرب على دول المحور الى جانب الحلفــاء ٠ (انظر الموســوعة الميسرة ، ص ٦٢ ٠ النظارات والوزارات المصرية ٠ ص ٥٦٤) ٠

للخارجية ـ ومحمد محمود للمواصلات ـ وأحمد محمد خشبة للحربية والبحرية ـ وأحمد زكى أبو السعود للحقانية ـ ومرقص حنا للمالية ـ وفتح الله بركات للزراعة ـ وعلى الشمسى للمعارف ـ وعثمان محرم للاشغال ـ ومحمد نجيب الغرابلى للأوقاف ٠

تألفت هذه الوزارة فى اليوم الذى استقال فيه زيور باشا وبعد أن أعلن سعد تنحيه بحجة أنه لا يحتمل متاعب المناصب ٠

وانتخب سعد رئيسا لمجلس النواب كما اختير حسين رشدى رئيسا لمجلس الشيوخ ٠

ومما يستحق الذكر انى علمت وأنا عضو فى مجلس النواب هذا أن الملك فؤاد بعد أن حاز سعد على اغلبية فى البرلمان أراد ان يغيظ اسماعيل صدقى بسبب تضامنه مع الأحرار فى الاستقالة من وزارة زيور وعدم خضوعه لمشيئته ، فأوعز الى سعد ان يختار من فاز فى الدائرة التى سقط فيها اسماعيل صدقى ليكون وزيرا وبذلك اصبح الأستاذ محمد نجيب الغرابلى المحامى بطنطا وزيرا نكاية فى اسماعيل صدقى كما سقط عبد العزيز فهمى فى الانتخابات ٠ وهكذا تحققت رغبتا الملك وسعد فى سقوط صدقى وعبد العزيز فهمى رغم الائتلاف وتناسى الماضى ٠

استقالة عدلى يكن

لمح عدلى باشا أيام هذا الائتلاف أن بعض الأعضاء الوفديين فى مجلس النواب قدم اقتراحا برفض اقتراح بشكر الوزارة لاهتمامها بمساعدة بنك مصر ، اكتفاء من الأعضاء بأن الوزارة حائزة لثقة البرلمان ورغبة منهم فى عدم تكرار الشكر فى مناسبات(٥٧) كثيرة وفهم عدلى بعد

---

(٥٧) انظر نص الاقتراح المقدم بشكر الوزارة ونص الاقتراح المقدم برفض اقتراح الشكر بالملحق رقم (٧) ص ٣٢٥ ٠ انظر تحليلا لأزمة الائتلاف الوزارى التى أعقبت هذا الموقف فى : محمد حسين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ، جـ١ ص ٢٧٤ـ٢٧٥ حيث يقول ان عدلى يكن رئيس الوزارة رأى فى رفض اقتراح الشكر ولهجة الكلام الذى قيل حين نظر الميزانية ما لا يدل على ثقة المجلس بالحكومة الثقة الكافية ، وعلى ذلك قررت الوزارة بالاجماع الاستقالة ٠ غير ان النحاس باشا (رئيس مجلس النواب بالنيابة عن سعد زغلول) صارح المجلس بشعور الوزارة فأعلن المجلس ثقته بالحكومة بالاجماع وان لم يحدث اتفاقا بشأن اقتراح الشكر ٠ ولما كان عدلى قد قرر الاستقالة وكان هذا يعنى انهيار الائتلاف فقد بذل سعد زغلول جهدا لاقناع ثروت باشا بتأليف الوزارة لما فى ذلك مصلحة للبلاد فأعاد ثروت تأليف الوزارة من زملائه فى وزارة عدلى مع بعض التعديلات ٠

الذي رآه من تصرفات بعض الأعضاء ان كرامته تأبى عليه أن تكون وزارته عرضة لنقاش من هذا القبيل وصمم على الاستقالة رغم الرجاء المتكرر من كثير من الأعضاء ومن سعد نفسه الذي أصبح يعتز بصداقة عدلي ويتمسك بها بعد أن كال له التهم فيما سبق ، ورغم الرجاء المتكرر ابى عدلي الا أن يستقيل ويترك للبرلمان حريته في اختيار من يخلفه وقدم استقالته في ١٩ ابريل ١٩٢٧ واصر عليها فقبلت وسعى سعد في أن تؤلف وزارة جديدة يراسها ثروت وهو الذى كان أيضا هدفا لمطاعن سعد وكان ينعته بعدم الوطنية وبالخيانة في خطبه ونشراته •

تأليف وزارة ثروت

عين الملك ثروت باشا بناء على رغبة مجلس النواب ورغبة سعد الذي اقتنع بضرورة بقاء الائتلاف بعد أن كان يطعن في كل شخص وكل هيئة تحول بينه وبين الانفراد بالحكم • وبعد أن رأى ما حاق بالبلاد من نكبات بسبب الانقسامات التي سببها هو ، وبعد أن أيقن ان مصلحة البلاد تتحقق بتآلف القلوب وتضامن المواطنين واختيار الأكفاء لخدمة الدولة •

وقد عين الملك ثروت على غير رغبته على ما يظهر لأن ثروت كان صلبا في الحق شجاعا في مواجهة الأمور حريصا على مصلحة البلاد ولو تعارضت مع مصلحة الملك الذى لم ينس له تمسكه باعلان الدستور كما وضعته لجنة الثلاثين واستقال من أجل ذلك •

وفــــاة ســـعد

ومن نكد الطالع وقد استقرت الأمور في نصابها واتسعت آفاق الآمال في خدمة البلاد أقول من نكد الطالع ان ثقل المرض على سعد وتوفى في ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ فكانت لوفاته رنة حزن عميق في القلوب لفقدان رجل سعى مع الساعين في توحيد الصفوف وانتهاج خطة سليمة تنقذ الوطن من التباغض والتهريج •

وقرر مجلس الوزراء تخليد ذكراه باقامة تماثيل له وشراء منزله ليكون من المنافع العامة وان يترك لحرمه سكناه مدى حياتها وغير ذلك من صنوف التكريم(*) •

(*) نقل جثمانه في ١٩ يونيـة سنة ١٩٣٦ الى ضريح خاص به بجوار منزله انشىء على نفقة الحكومة • (هذا الهامش في أصل المذكرات) •

وقد رثاه ممن رثاه ثروت باشا بخطبة مؤثرة كنت من سامعيها ورايت ثروت بنفسى يبكى وهو يخطب مما اشعر الناس ان من المصلحة تناسى الماضى ووجوب البقاء متضامنين حتى نواجه العقبات التى كانت قائمة قبل تكوين الوفد والتى زادها النزاع الحزبى وتفرق الكلمة ٠

بعد وفـــاة ســـعد

ومادمت أسجل ذكرياتى فانى لا أتعرض لما قامت به الحكومات بعد وفاة سعد الا ما كان لى دخل فيه بيد أنى هنا أذكر بطريق عابرة أمرين :

أولهما ــ أن المدرسة التى كونها الخصام بين سعد ورفاقه بعثت من مرقدها اثر موته ، ولم يلتزم خلفاء سعد طريقته الأخيرة القائمة على التضامن والائتلاف ٠

وثانيهما ــ ان المؤيدين للائتلاف وفى مقدمتهم مؤسسو الوفد كانوا يودون لو دفن مع ســـعد رفاقه الأقدمون الذين عملوا جاهدين لتخليص الوطن من ربقة الاحتلال ومنهم عدلى ورشدى وثروت حتى يكون قبرهم مزارا لابناء الوطن وموقدا للعظماء الخالدين كما فعل غيرنا فى اقامة مثل هذا المرقد ، كفرنسا التى خصصت « البانتيون » مرقدا لعظمائها ، وانجلترا التى خصصت « وستمنستر » لهذا الغرض ٠ لكن خلفاء سعد مع شديد الأسف عارضوا هذه الفكرة وفى مقدمتهم المرحومة الســيدة صفية زغلول فقد رفضت رفضا باتا ان يدفن مع زوجها احد سواها ٠ وتم لها ما ارادت واصبح هذا المدفن خاصا بهما ٠

اهم الأعمال القومية فى عشر سنوات بعد الثورة

قامت الثورة فى ١٩١٩ بعد تاليف الوفد ونفى بعض زعمائه واستمر الجهاد طويلا الى أن رجع الوفد من أوروبا ٠ ثم ظهر الشقاق بين أعضائه واستفحل أمره ٠ وقد وقف القارىء على أسبابه الظاهرة والخفية مما هو مسطور فى هذا الكتاب وله أن يقرر أسباب الشقاق وعلى من تقع مسئوليته ، فهو حر فيما يراه ويستنتجه من الحقائق التى بسطناها ٠

واذا كانت الثورة لم تثمر ثمراتها المرجوة بسبب هذا الشقاق الا انه رغم ما حاق بالبلاد من تنابذ وتراشق وانحراف عن الأهداف ، رغم هذا كله ، فان ثورة الأمة قد اثمرت فوائد لم يكن لسعد دخل فيها ٠

منها تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى لا يمكن انكار فائدته فى الغاء الحماية وقيام دستور على أحدث النظم يجعل الوزارة مسـئولة أمام البرلمان فيسقطها أو يؤيدها بكامل حريته اذا احسن النواب القيام بواجباتهم وبه برزت الأمة فى المحيط الدولى بوزارة خارجية لها وزراؤها وسفراؤها وهذا الكسب وان كان لا يرضى أطماعنا ، لكنه حجر الأساس فى تقدم الأمة ورقيها واستقلالها الكامل ولم ترتبط مصر فى هذا التصريح بأى رباط أو اتفاق أو معاهدة تحد من تطورها وتقدمها ٠

ومنها ماقام به طلعت حرب بانشاء بنك مصر وفروعه اعتمادا على يقظة الأمة ووعيها ٠ ولم يكن لأحد من رجال السياسة دخل فى هذا النجاح الاقتصادى الذى اثمر وأينعت ثماره وأصبحت الأمة تباهى بنتائج هذا العمل الباهر الذى لم يكن للسياسة اى دخل فيه ٠

ومنها ، ما قام به محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين عندما كان رئيس وزارة ٠ فقد نال بجهوده اتفاقية مياه النيل ١٩٢٩ ٠ وخفف بذلك من ويلات الانذار البريطانى الصادر فى ١٩٢٤ ذلك الانذار الذى الغى ما كان لمصر من حقوق فى مياه النيل وتمكن محمد محمود من ارجاع تلك الأفضلية لمصر دون أن يكون لسعد أو خلفائه حظ فيه ٠

تلك هى الأعمال التى يجب على كل مواطن ان يتذكرها وأن يقدرها حق تقديرها ٠ وقد قام بها رجال لم يباهوا بما عملوا ، ولم يطلبوا ان تقام لهم المظاهرات او التماثيل ٠

عود الى وزارة الأوقاف

وليت وزارة الأوقاف ١٩٢٥ كما اسلفنا وذكرت طرفا من عملى فيها واريد هنا ذكر بعض مالا يصح اغفاله ٠

معهـــد اســـيوط :

بدا لى أن ازور معهد أسيوط الدينى وهناك رايت ما احزننى فالطلبة ــ وهم صبية ــ مشتتون فى المساجد والزوايا يجلسون على الحصير ٠ وقد انتشرت فيما بينهم امراض منها ضعف البصر والزلال والسكر حتى أصبح

الهزال باديا على اجسامهم من سوء التغذية وفساد الجو فلم أطق صبرا على ذلك وتداولت مع شيخ المعهد وكان المرحوم الشـــيخ الأحمـــدى الظواهرى(٥٨) ورجعت الى القاهرة فاتخذنا قرارا وزاريا بالتساهل مع خريجى معاهد الازهر فى الكشف الطبى على البصر ٠ وبادرت بمقابلة الملك فؤاد والححت عليه فى المطالبة بضرورة انشاء معهد فى اسيوط يليق بمركزها كعاصمة للصعيد ٠ وان يكون موقع هذا الموقع على شـــاطىء النيل وأن يبنى فوق قطعة أرض هناك تملكها الحكومة كانت مقرا لمصلحة خفر السواحل ٠ واقتنع الملك فؤاد وأمر بتحقيق هذه الرغبة وشرع فى انشاء المعهد بالفعل وكنت فى غنى عن ذكر هذه المسالة فانها عمل ادارى بسيط يقوم به أى وزير ٠ انما الذى حفزنى الى ذكرها ان كان افتتاح المعهد بعد خروجى من الوزارة بمدة وشاءت الحزبية أن يغفل ذكر اسمى فى حفلة افتتاحه ، وفى هذا دليل على أن خلفاء سعد أحيوا الطريقة القديمة التى كانت وقت النزاع والشقاق من اغفال ذكر من عداهم ٠

محـــــاربة نظـــــام الوقف :

باطلاعى على نظام الوقف وما فيه من مآس اظهرتها حجج الوقف اقتنعت بعد بحث وتنقيب أن نظام الوقف على الذرية وهو ما يســـمونه بالوقف الأهلى نظام فاسد مخالف للشريعة الاسلامية وانه انما ابتدع لتحقيق رغبات المالكين وهى رغبات لا يقرها عدل ولا قانون ، وتتنافى مع شريعتنا الاسلامية التى تقضى بتحديد ايراث ويحق الوارث فيما يملكه مورثه الا اذا كان قد أوصى لغيره بوصية لا يصح أن تتجاوز ثلث التركة ٠ وقد رأيت فى حجج الوقف ما هو أدهى اذ يحبس الواقف كل أمواله على غير ابنائه وأحفاده وورثته ولو كان ذلك لخليلة له أجنبية عنه ٠

ثارت نفسى أمام هذا العمل البغيض وقمت بالقاء محاضرات منها

---

(٥٨) ولد ببلدة كفر الظواهرى بمديرية الشرقية وتخرج من الجـامع الأزهر حيث نال شهادة العاليـة ـ انضم الى هيئة كبار العلماء وتولى بعض المناصب الدينية مثل مشيخة الجامع الأحمدى بطنطا ومشيخة معهد أسيوط ثم عين شيخا للأزهـر (١٩٣٠ ـ ١٩٣٥) رأس الوفـد المصرى فى مؤتمر مكـة عـام ١٩٤٥ ، وصـــدرت فى عهد رئاسته للأزهر مجلة نور الاسلام ـ من مؤلفاته : العلم والعلماء ، نظـام التعليم ، رسالة فى الاخلاق ، خواص المعقولات فى أصـول المنطق ، الوصايا والآداب ، التفاضل بالفضيلة ـ (محمد رضـا كحالة ، معجم المؤلفين ـ جـ ٩ ـ ص ٣٠ ـ انظر ترجمـة حياته بقلم ابنه فخر الدين الظواهرى بعنوان : السياسة والأزهر ، مذكرات شيخ الاسلام الظواهرى) ـ

محاضرة أمام محكمة الاستئناف فى أواخر ١٩٢٦ وأعقبتها بأخرى فى قاعة المحكمة المختلطة بالقاهرة وانتهيت بوضع بحث عن هذا الموضوع فى كتاب لى طبعته ١٩٤٢ وفيه تفصيل ما أرتأيت(*) ·

لكن الواشين وأصحاب المنافع فى الوقف هبوا يعارضوننى ومنهم بعض علماء الأزهر ولم يكتفوا بمعارضتى بل افهموا الملك فؤاد انى اقصد الطعن فى أوقافه الخصوصية ثم أوعز الى المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية الأسبق بأن يقوم بالقاء محاضرة اختاروا لها قاعة جمعية الاقتصاد والتشريع وقد اكتظت بالازهريين ورجال حزب الاتحاد أى حزب الملك · وقدم المحاضر يحيى ابراهيم باشا رئيس حزب الاتحاد ومحمود أبو النصر بك من أعضاء الحزب وكان ذلك فى أوائل ١٩٢٧ ·

كان المحاضر من كبار علماء الازهر وكان مفتيا للدولة فرغبت فى سماع محاضرته كما حضرها معى عبد العزيز فهمى آملا فى أن يفيد من علم المحاضر الواسع لكنى والأسف يملأ فؤادى لم أسمع من الشيخ الجليل سوى الطعن والتلميح بالالحاد مع تصفيق المصفقين · وكان الدليل الوحيد الذى قدمه لمشروعية الوقف الأهلى قوله أن الوقف على الذرية وارد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وحصر تفسير هذه الآية فى أن الوقف صدقة وان المستحقين هم أولى الناس بالصدقة ، وان رغبة الواقف كنص الشارع وانتهى بأن قال لا ضرر على البلاد اذا كانت كل أملاكها وقفا من اطيان وعقار · قال هذا فى الوقت الذى كنا فيه نرى بأعيننا الخرائب الموقوفة المنتشرة فى القاهرة والاسكندرية وغيرهما ونعلم بالمآسى التى حاقت بالورثة بل وبالمستحقين وبالقضايا التى يقيمها المستحقون على النظار ، ونعرف ما كان يأخذه نظار الوقف من سحت ، ،وقد وصل الأمر فى بعض الأوقاف الأهلية الى أن اصبح المستحقون فيها بتوالى الزمن يزيدون على ٤٥٠ مستحقا فى وقف واحد ، وكان نصيب بعض المستحقين فى السنة ثمانية مليمات اى اقل من ثمن ورقة بريد أو أجرة ترام وبذا اصبح كثير من النظار بفضل المحاباة هم المستحقين فعلا ولو كانوا من غير اقارب الواقف ·

ولما أراد عبد العزيز فهمى باشا الرد على المحاضر ، هب الازهريون يصيحون « اسكت فليسقط الالحاد » فلم يتكلم ثم احاطوا به ليعتدوا عليه ولولا وجود اخوتى وبعض أقاربى لساءت النتيجة ·

(*)انظر كتابى : « مبادىء فى السياسة المصرية » (يشير الى كتابه بهذا العنوان المنشور عام ١٩٤٢) ·

وبعد المحاضرة وخروج المستمعين جاءنى سكرتير الجمعية واعتذر باسم الجمعية عما فاه به فضيلة الشيخ بخيت من الفاظ نابية ، واضاف أن الجمعية أباحت له القاء محاضرة أرسلها اليها مكتوبة لكنه حاضر بما يخالف ما كتبه ، ولو كانت الجمعية تعلم ذلك لما صرحت له بالقائها • ولما كان سكرتير الجمعية وهو الدكتور ليفى لا ينتمى للاسلام ، خشيت ان يسىء الظن بكل علماء الازهر فهونت عليه وقلت له ان فى علماء المسلمين كثيرين من ذوى العلم والاتزان وان الشيخ بخيت انما هو استثناء من العلماء •

ولم يكتف المرحوم الشيخ بخيت بهذا كله بل طبع محاضـــرته فى رسالة باسم (المرهفات اليمانية فى عنق من يقول ببطلان الوقف على الذرية) ومعناها فلنقطع رقاب من يقول ببطلان الوقف على الذرية بسيوف يمانية حادة • رحمه الله وغفر له •

ويحسن أن أضيف هنا ان الشيخ محمد بخيت تطوع لالقاء محاضرته بناء على طلب من حزب الاتحاد وموافقة السراى ، وشاع ان السراى وعدته لقاء ذلك بمشيخة الازهر ولكن هذا لم يتحقق •

كافحت عشرين عاما فى سبيل الغاء الوقف الأهلى ، ثم ظهرت شبيبة ازهرية ناصرتنى وانتهى الأمر ١٩٤٧ بتنظيم الوقف وتنفيذ بعض ما اقترحته ثم جاءت الثورة وقضت قضاء نهائيا على الوقف •

وكان الملك فؤاد قد تأثر بوشاية الواشين على ما يظهر وقام بينه وبينى شىء من الفتور ظهرت آثاره فيما بعد •

الوزارات بعد وفاة ســـــعد

كان ثروت رئيسا لوزارة الائتلاف الثانية وقت وفاة سعد وقد قام بمفاوضات فى انجلترا مع تشمبرلن انتهت بمشـــروع عارضه مصطفى النحاس فاستقال ثروت وألف بعده مصطفى النحاس وزارة ائتلافية وهى لم تكن ائتلافية فى الواقع بعد أن أصبح النحاس رئيسا للوفد ورغم اشتراك محمد محمود فيها ثم توالت الوزارات ولم اشترك فى واحدة منها • فلم اشترك مع محمد محمود فى الوزارات التى اشترك فيها أو التى الفها مع استمرارى سكرتيرا عاما لحزب الاحرار ثم وكيلا لهذا الحزب ، وعكفت على الاشتغال بقضية فلسطين وبالقضايا العربية والاسلامية ولطالما ذهبت

الى فلسطين فى مؤتمرات أو للدفاع عن قضية البراق الشريف مما بسطته فى كتاب آخر(*) • وتعددت أسفارى الى بلاد العرب والهند •

ومما قمت به لمصلحة العرب انى ذهبت الى الحجاز ١٩٣٤ مع السيد هاشم الاتاسى الذى أصبح فيما بعد رئيسا لجمهورية سوريا والمرحوم الأمير شكيب ارسلان والحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر • ذهبنا نحن الأربعة الى المملكة العربية السعودية وقد ندبنا أنفسنا كممثلين لبلادنا للسعى لدى المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود فى وقف الحرب التى قامت بينه وبين اليمن • ومكثنا هناك أياما عديدة نسعى فى حقن دماء المسلمين وكللت مساعينا بالنجاح ، ورجعنا الى بلادنا بعد ان تم الصلح بين العاهلين الكبيرين المرحومان الملك عبد العزيز آل سعود والامام يحيى بن حميد الدين •

قلت انى لم اشترك فى وزارة ولو كان فيها الأحرار الدستوريين وكنت أحس بتباعد بين الملك فؤاد وبينى لكن الأمر الغريب انه طالما أوصى بدخولى فى الوزارة وطالما اعتذرت وقد تكرر الطلب عندما كلف اسماعيل صدقى بتأليف وزارته ١٩٣٠ وعرض على اسماعيل صدقى أن أكون معه وتقابلنا ثلاث مرات آخرها كانت فى منزله بحضور المرشحين معه والمرحوم زكى الابراشى ناظر الخاصة الملكية وشوقى باشا السكرتير الخاص للملك والحوا على أن أقبل دخول الوزارة كما كلمنى فى ذلك بعض الموجودين من المرشحين • فسألت اسماعيل صدقى عن رأيه فى الدستور القائم دستور ١٩٢٣ الذى اشتركت فى وضعه ، فكانت اجابته مبهمة اذ قال لى « اننا نبحث معا أمر الدستور ونقرر مانراه لمصلحة البلاد » ففهمت من ذلك وجود رغبة فى تغيير الدستور ، فاعتذرت نهائيا •

الخلاف بين الملك وبينى

كنت ألقى محاضرات بضرورة عمل معجم للغة العربية مبسط ومصور ، يبدأ بأوائل الكلمات ، ويكون على ثلاث درجات أصغرها مدرسى لصغار التلاميذ والثانى وسيط لطلاب الجامعات والثالث موسوعة عامة لجميع الكلمات العربية والكلمات المستحدثة التى يقرها علماء اللغة وتدخل بذلك فى صلب العربية •

(*) انظر كتابى « فلسطين وجاراتها » (يشير الى كتابه بهذا العنوان المنشور عام ١٩٣٧) •

وصلت جهودى الى مسامع المغفور له فيصل الأول ملك العراق ، ثم علمت ان حكومة العراق أرسلت الى مصر أن جلالة ملك العراق سمع بمشروعى وأن حكومته على استعداد للمســاهمة فيه بمالها وعلمائها وطلبت تكوين لجنة لهذا العمل تحت رياستى فاغتبطت لهذا النبأ ، وذهبت الى سراى عابدين لمقابلة الملك فؤاد واقناعه بضرورة تنفيذ المشروع .

عرضت الأمر على المرحوم سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء فسر به وقال ان الملك سيؤيدنى طبعا ودون من فوره طلب المقابلة . وكان المألوف تحديد المقابلة بعد أيام قليلة كما كان المعروف أن الملك لا يرفض مقابلة وانما يكون مرور ثلاثة أسابيع دون اذن بها علامة على الرفض . انتظرت الى تمام الاسابيع الثلاثة ولم يرد لى طلب بالمقابلة ، ففهمت أن فى الأمر شيئا حال دونها رغم اهمية الموضوع الى أن علمت أن السبب فى ذلك هو انى نشرت أحاديث بأن طلب الخلافة الاسلامية يؤدى الى تنازع ملوك المسلمين عليها ، وبالتالى يؤدى الى تقاطع الشعوب الاسلامية ، وهذا ليس لصالح المسلمين .

والمعروف ان الملك فؤاد كان يرغب فى الخلافة بعد الغائها فى تركيا . أضف الى ذلك محاربتى نظام الوقف الأهلى وما شاع من أنى قصدت بحملتى الأوقاف الملكية . وكانت النتيجة انه لم يأذن بمقابلتى وبهذا تعطل مشروع المعجم . كان هذا التصرف من الملك صدمة لى . فماذا أعمل ؟

قابلت المرحوم الأمير ابراهيم حليم الحفيد المباشر لمحمد على والى مصر ، وكان من أقرب المقربين الى الملك فؤاد وسألته عن السبب فى رفض الملك مقابلتى ، فأنكر علمه بأى شىء وبعد مناقشة بيننا انتهى حديثى معه بما يأتى « يا سمو الأمير ان لى كرامة وانى وان كنت اعتبر سراى عابدين بيت الأمة يقابل فيه كل رجل ذى مركز مليك البلاد لا لغرض خاص وانما لمصلحة عامة كأمر المعجم الذى تحتاج اليه العرب كافة وبما ان الملك رفض مقابلتى فارجوك ان تبلغه احترامى لعرشه لأنه كملك البلاد له مكانته ورفعة شأنه لكنى كانسان اى كفرد وهو فرد أعتبر نفسى مثله لا فرق بينه وبينى » . فاضطرب الرجل وحار فى أمره . ومن ذاك الوقت قاطعت السراى نهائيا ولم أقيد اسمى فى دفتر التشريفات ، كما لم أحضر حفلات أعياد أو مقابلات رسمية .

وبعد تأليف وزارة اسماعيل صدقى قابلنى صديقى نخلة المطيعى باشا أحد الوزراء وأخبرنى بأن الملك وقت ان حلفوا اليمين امامه وبعد

أن علم برفضى الاشتراك فى الوزارة قال للوزراء انه يأسف لعدم دخولى فيها ، وامتدحنى وأثنى على كفايتى ، ثم أسف لأنى عنيد • فقلت لنخلة المطيعى انى لا أعرف العناد ، فانا رجل متى اقتنعت بفكرة ولم يقنعنى غيرى بسواها فان كرامتى تأبى على التقلب واذا اقتنعت بما يخالف رأيى كنت مستعدا للعدول عنه • فليس الأمر عنادا وانما هو اقتناع وكرامة وله أن يخبر الملك بذلك اذ سمحت الظروف •

استمرار القطيعة مع الملك فؤاد

قلت انى رفضت الاشتراك فى وزارة اسماعيل صدقى ١٩٣٠ ، وكان من أسباب ذلك سوء التفاهم بين الملك فؤاد وبينى وما أحسسته من أن اسماعيل صدقى كان ينوى تغيير الدستور وبعد المناقشة معه فهمت أنه كان على اتفاق مع الملك فؤاد على دعوتى للاشتراك معه فى الوزارة وفهمت كذلك ان سوء التفاهم قد زال ولكنى تمسكت بالرفض بسبب موضـــوع تغيير الدستور •

وقد استمررت على عدم دخول الوزارات لما رأيته من تدخل السراى وتدخل الانجليز ومن تصرفات بعض الوزراء وخاصة تصـــرفات بعض أعضاء البرلمان فقد أسرف بعضهم فى استغلال النفوذ كما أسرف بعض الوزراء فى ذلك وفى المحاباة بجانب تفشى الضغينة والحقد بين الأحزاب وانصرفت الى خدمة العرب والبلاد العربية وساهمت فى مؤتمرات كثيرة هنا وهناك وكل هذا مبسوط فى رسالة وضعت بعنوان « المؤتمر العالمى العربى الاســـلامى » وفى كتب ظهرت فيما بعد منها كتاب « مبادىء فى السياسة المصرية » وكتاب « فلسطين وجاراتها » •

وبانهماكى فى هذه الأعمال أصبح وجودى فى حزب الأحرار وجودا غير حزبى لأنى بطبعى مصرى عربى محايد أمقت التحزب وما ينجم عنه من اضرار •

فى وزارة المعـــارف

وفى السنوات التى كنت فيها منهمكا فى اتجاهى الأخير وهو اتجاه يتفق مع طبيعتى خاطبنى الســـيد على ماهر بالتليفون فى منزلى وكان رئيسا للديوان الملكى وذلك ١٩٣٦ واخبرنى بأن الملك عهد اليه تأليف وزارة

وطلب الى أن اكون فيها • فكان جوابى ان هذا أمر لايمكن البت فيهبالتليفون فشدد كما هى عادته فى ضرورة القبول بسرعة ، ولم أجبه وذهبت لمقابلته فى السراى قابلته بمكتبه وكان غاصا بالمرشحين وسألته على انفراد عن سبب ترشيحى • فكان جوابه ان الملك يشدد قبولى الوزارة وان تكون وزارة المعارف بالذات وأبان لى ان وزارة توفيق نسيم باشا قد سقطت لثورة بين طـــلاب الجـــامعة حدث منها بعض التخريب فوق المظاهرات والاضرابات ، والا سبيل لتهدئة الحال الا أن تكون وزيرا للمعارف حتى تخمد الفتنة •

أجبته انى أقبل وزارة المعارف رغم ما هى عليه من ارتباك بشرط ان يكون عملنا اعادة دستور ١٩٢٣ ذلك الدستور الذى استبدل به صــدقى دستور آخر ، وأن نستقيل بعد اعادة الدستور القديم • وحســـبنا المدة للانتخابات واعادة البرلمان وفق الدستور القديم فكانت مائة يوم وقلت له انى على هذا الحساب اقبل فوافقنى على ما ارتأيته ولم يزد حديثى معه على خمس دقائق وانصرفت •

وعند انصرافى لاحظت ان شوقى باشا السكرتير الخاص للملك كان واقفا وســط الحجـرة يريد معرفة ما تم الاتفاق عليه ولما لاحظ ان مدة وجودى كانت قصيرة ظهرت عليه الحيرة وقال لى ان الملك ارسله خصيصا ليعرف رأيى النهائى ، وبعد أن أخبرته بالقبول قال لا شأن لى بعد ذلك هنا وأنا أريد أن أبشر الملك • وتم تأليف الوزارة فى ٣٠ يناير ١٩٣٦ •

دخلت وزارة المعارف فكانت مظاهرات فى الوزارة أياما ، مظاهرات فى الصباح وبعد الظهر وكانت الوزارة تكتظ بالطلبة سواء من المدارس أو الجامعة أو الازهر ، وكلها تشعر بالغبطة والسرور ولا أريد أن اتكلم هنا عن الأعمال العادية فى الوزارة انما الذى يجب أن أذكره أنى اكثرت من الاتصال بالملك مباشرة وعرضت عليه مشاريع لم يتأخر فى قبولها ومنها المشاريع الآتية :

أولا : طلبت تأليف لجنة لوضــــع القواميس الثلاثة للغة العـربية تنفيذا لما كنت أنادى به من قبل وكونت لجنة من رجال اللغة والأدب من وزارة المعارف ومن مجمع اللغة العربية وعرضت عليهم فكرتى • وبعد خروجى من الوزارة الحقت اللجنة المذكورة بمجمع اللغة العربية ويظهر ان المجمع اتجه الى البدء بوضع المعجم الوسيط وسيظهر على ما علمت بعد قليل وقد بدأوا العمل فى المعجم الكبير •

ثانيا : عرضت على الملك فؤاد ضرورة ترجمة القرآن الكريم فظهر عليه شيء من التردد وقال لى أن شيخ الأزهر وهو الشيخ مصطفى المراغى كان قد عرض عليه هذه الفكرة قبل ثلاثة اشهر وانه لم يقبلها اتقاء مجاهرة بعض رجال الأزهر بمخالفة هذا العمل للدين وهو لا يريد اثارة النفوس ٠

لكنى اجبته بان الترجمة حصلتفعلا فقد ترجم القرآن الى لغات عديدة منها الانجليزية والفرنسية والروسية وهى تراجم لا يوثق بها بل يخشى أن يكون فيها تحريف مقصود أو غير مقصود يسيء الى الاسلام ، وأن امبراطورية اليابان مفتحة الأبواب ومفتحة العقول لتفهم الديانات ، والذى أعلمه ان ليس فى اليابان عدد كبير من المسلمين ، وان كان فيها مجلة اسلامية تصدر باللغة التركمانية ويحررها مسلم تركمانى كبير السن اذا مات تعطلت وتعطلت بذلك الدعوة الى الاسلام هناك ٠ ثم ان ارساليات التبشير تتوافد على اليابان ويجب علينا ان نكون مثلهم واول واجب علينا ان نترجم القرآن الى اللغة الانجليزية اولا وهى لغة منتشرة هناك وأن يكون لكل ايةتفسير مبسط موجز حتى يسهل فهمالقرآن، وأن تكون الترجمة مصدقا عليها من الازهر ومن الحكومة المصرية لتكون المرجع الوحيد لكل من لا يعرفون العربية مسلمين كانوا او غير مسلمين ٠ ثم يترجم بعد ذلك الى اللغات الفرنسية والروسية والأسبانية ٠

وبعد هذا النقاش ابتسم الملك واخبرنى باقتناعه بما ارتأيت لكنه وقد رفض من قبل ما عرضه عليه الشيخ المراغى أراد أن اذهب اليه واخبره ان الملك مستعد لقبول اقتراحه ترجمة القرآن اذا اعاد عليه عرضه حتى لا يجرح احساسه ٠ فذهبت من فورى الى مشيخة الازهر فى شارع الدواوين وقابلت الشيخ المراغى وذكرت له ما دار بينى وبين الملك فذهب اليه وتم الاتفاق على ترجمة معانى القرآن وياحبذا لو نفذ هذا المشروع الخطير حتى يفهم الناس قرآننا ٠ ونحن نعلم أن غير المسلمين يقرأون كتبهم المقدسة مترجمة عن لغاتها الأصلية ومع ذلك فهم متمسكون بدياناتهم مقدسون لكتبهم هذه المترجمة ٠

ثالثا : عرضت على الملك فؤاد ان العاصـــمة والمدن فى مصر قد شوهت لعدم وجود قوانين تنظم انشـــاء العمارات والمبانى على طراز عربى شرقى مبسط على أن يكون عدد الطبقات واحد وارتفاع المبانى كذلك فى كل شارع وقلت له ان العمارات الحديثة مقتبسة من طرز أجنبية ومن مصلحة مصر أن تنفرد بمظهر شرقى فلا يكون فيها الا الطراز الشرقى حتى اذا أتى السياح الى بلادنا أحسوا انهم انتقلوا الى عالم جديد ورأوا

أشياء جديدة ليست فى بلادهم ، عوضا عن أن يروا خليطا من المبانى من طرز مختلفة تتنافى مع الفن وتؤذى الذوق والبصر ٠

لكنه والحق يقال كان فى جوابه لى رجلا مطلعا حقا ٠ فقد أجابنى بسؤال منه هو : هل يمكننى أن ألزم الناس باتخاذ طراز خاص بقوانين ، مع العلم أن الذوق لا يكون بقانون وان الناس لا يتخذون طرازا خاصا الا اذا وافق طبايعهم وأذواقهم والأذواق لا تكون بالاكراه ٠

فقلت له من فورى أن الذوق حقا لا يكون بالاكراه وانما انا معتزم أن أقيم معرضا بعد سنة للمســـابقة فى وضع طرز عربية ترضى الغنى ومتوسط الحال وتوافق أذواقهم على أن تتكرر هذه المسابقة كل سنة وان تعطى مكافآت لمن ينال الجائزة الأولى والثانية والثالثة بمعرفة محكمين عالميين يفهمون أصول الفن العربى وطرائق تبسيطه وأن أجعل المسابقة عالمية وأعلنها بجميع اللغات الأجنبية ٠ ففهم ماقصدت اليه ووافقنى عليه وشجعنى فيما ذهبت اليه ٠

كان من اثر ذلك أن أعلنت عن هذه المسابقة باللغات الأجنبية من فرنسية وانجليزية وايطالية والمانية وتركية وفارسية واسبانية فوق اللغة العربية ٠ وحددت ســـنة يقدم فيها الفنانون نماذج من أطرزة عربية فى العمارة وأثاث البيوت وحددت على ما أذكر هذا الميعـــاد فى ١١ ابريل ١٩٣٧ ٠ وقد اهتمت معاهد الفنون فى مصر وفى الخارج من أساتذة وطلبة ٠ واتصل بى بعضهم مبديا اعجابه بالفكرة واعدا بالمساهمة فيها ولكن هذا المشروع سرعان ما دفن ، فقد جاءت وزارة أخرى عقب وفاة الملك فؤاد فالغته وحذفت الاعتماد المخصص له ٠

ومما يجب ذكره أيضا ان الملك فؤاد لم يتدخل فى أى عمل من أعمالى فى وزارة المعارف سواء ما يختص بأعمال الوزارة أو اداريات الموظفين ٠

وبلغ الأمر بى مع الملك فؤاد أن أنعم على بوشاح النيل ثم ارسل الى المرحوم مراد محسن باشا ناظر خاصته يبلغنى وأنا فى الوزارة تحية الملك وأنه يأسف لانقطاع الصلة بيننا وبينه مدة طويلة ويرجو ان يطيل الله فى عمره عشرين سنة نتعاون فيها على خدمة البلاد ٠

وقد أثلج صدرى هذا الاعتراف بالجميل وقوى عزيمتى ، ولكن الله اختاره لجواره بعد بضعة أشهر ٠

وبعد أن أعدنا الدســتور وأجرينا الانتخابات تركنا الوزارة كما اتفقنا من قبل ، وعدت الى المحاماة وعينت عضوا بمجلس الشيوخ •

فى نقــابة المحــامين

رشحت نفسى لأكون نقيبا للمحامين عن سنة ١٩٣٨ ، وقبل اجراء الانتخابات دعى محمد محمود باشا لتاليف وزارة دخل فيها صديقاى لطفى السيد وعبد العزيز فهمى • ودعانى محمد محمود للاشتراك معه ، فحضرت لمنزله وكان أحمد لطفى السيد بين الحاضرين ، واعتذرت محتجا بانى رشحت نفسى لنقابة المحامين وان باب الترشيح قد أقفل وليس لى منافس سوى الأستاذ كامل صدقى المحامى الوفدى فقال لى محمد محمود أن الوزارة أولى من نقابة المحامين ، وهى محققة الآن وليس النجاح للنقابة بمضمون • فأجبته بأن الفوز فى النقابة غير محقق وقد أسقط فى الانتخاب لكنى أكون قد أرضيت نفسى بالحفاظ على كلمتى وعلى ثقة من رشحونى ولا يصح ان اخذلهم بالانسحاب من الترشيح فيصبح كامل صدقى نقيبا بالتزكية • وهنا قال لطفى الســيد : أن علوبة محق فيما ذهب اليه • ولا يصح بعد الذى قاله ان نلح عليه فى قبول الوزارة •

ثم انصرفت ودخلت معركة انتخابات النقابة ، وفزت فيها بأغلبية واصبحت نقيبا للمحامين عن سنة ١٩٣٨ •

فى مجلس الشــيوخ

معــاهدة الشــرف والاســتقلال :

فاوضت وزارة مصــطفى النحاس باشا الوزارة البريطانية وكان واجبا أن يقر البرلمان الاتفاق الذىيتم بين الحكومتين • وقد انتهى النحاس من مفاوضاته الى مشروع معاهدة • ولم يعرقل مسعاهم أى حزب من من الاحزاب كما حدث من قبل فى مفاوضات عدلى وثروت ، وكما حدث من بعد ضد النقراشى حين ذهب الى مجلس الأمن غير مفاوض وانما ليهاجم الاستعمار ويطالب الانجليز بالجلاء •

وكان من الواجب ان تطرح الحكومة على الأمة مشروع المعاهدة ليناقشه الناس وأعضاء البرلمان ويبدون آراهم فيه •

ولما كنت عضوا بمجلس الشيوخ درست مشروع المعاهدة ورايت أنه جدير بالرفض • وحرصت على كتابة بحث مستفيض فى هذه المعاهدة

قبل ان تعرض على البرلمان القيه فى مدينة الاسكندرية وارتأى اصدقائى ان يستأجروا لذلك دارا للسينما هناك · وتحدد لالقاء هذه المحاضرة يوم ٩ اكتوبر ١٩٣٦ · فذهبت الى هناك معتمدا على نصوص الدستور فى حرية ابداء الرأى وخاصة لمن هو عضو فى البرلمان ·

لكن الواقع كان على غير هذا ، فأن حكومة مصطفى النحاس أمرت محافظة الاسكندرية بمنعى من القاء المحاضرة وباغلاق محل السينما وتهديد صاحبه بسحب رخصته ان هو سمح بالقائى محاضرتى ورفض الرجل ـ وكان يونانيا ـ بحجة انه وقع عقد تأجير للحفلة · وازاء هذا أرسلت الحكومة قوة من رجال البوليس وقفت أمام دار السينما وأغلقتها · ولما ذهبت فى الموعد المحدد لالقاء المحاضرة رأيت الجنود وجمعا من اصدقائى · وما لبثنا أن رأينا مظاهرة من انصار الحكومة يقودها رجل جهورى الصوت محمول على محفة ينادى بحياة المعاهدة الانجليزية المصرية وخشيت أن يقع تصادم بين فريق أعزل وآخر يعتز بقوة الحكومة فآثرت العدول عن القاء المحاضرة والانصراف ·

ومن الصدف الطريفة انى كنت قد اعطيت نسخة من المحاضرة الى جريدة الاهرام قبل سفرى فنشرتها الجريدة برمتها صباح اليوم التالى أى يوم ١٠ اكتوبر ١٩٣٦ · وأخبرنى المرحوم انطون الجميل باشا رئيس تحرير الاهرام وقتئذ أن النحاس باشا أظهر له غضبه من نشر هذه المحاضرة وهاك نص خاتمتها :

« أيها الاخوان : ان أردتم منى نصحا فتمسكوا بالحق فى اعمالكم ولا تلينوا لباطل وتنزهوا عن الشهوات فيما يمس شرفكم ووطنكم ، وعارضوا الفكرة الخاطئة والعمل السيىء ما استطعتم واعلموا أن المجاملة على حساب الوطن جناية لا تغتفر فى الدنيا ولا فى الآخرة ·

واذا قيل لكم شيء أحسن من لا شيء فأجيبوا بأن المعاهدة بوضعها الحاضر أسوأ من «لا شيء» وبما أجاب به نابليون بعض أصدقائه فى منفاه بسانت هيلين بعد أن ضاع أمله فى تاج فرنسا · فقد عرضوا عليه أن يهرب وان قد مهدوا له سبيل الفرار ، فأبى ، ولما حاجوه بأن حريته أجدى له من الذل الذى هو فيه قال لهم « زنوا كلامكم ، فانى لست هنا فى الذل وانما انا فى الأسر » ·

حقا ليس الأسير بالذليل ، وانما الذليل من رضى بالذلة والمهانة · واذا أريد بالناس رغم هذا أن يرضوا بالمعاهدة فرحين مستبشرين وان

يروها بحالتها قد حققت الاستقلال الكامل والأمانى الوطنية ، فما على الذين يطبقون هذا الرأى الا ان يغتبطوا وان يقيموا أقواس النصر واعلام الفرح ، وان يظهروا أنواع السرور وأفانين المرح ، وأن يرقصوا رقصة الطير المذبوح ورحم الله الشهداء » ٠

لم أكتف بذلك بل طبعت المحاضرة فى كراسة شرعت فى توزيعها ٠ وأخذ طالب بكلية الحقوق ــ هو الآن الدكتور مصطفى الحفناوى المحامى ــ نسخا كثيرة سافر بها الى الاسكندرية ، لكن البوليس قبض عليه فى محطة دمنهور وسجنه وصادر نسخ المحاضرة فى عهد الحرية الدستورية البرلمانية ٠

ثم نوقشت المعاهدة فى مجلس الشيوخ وعندما أعطيت لى الكلمة ، كان كلامى هينا لينا ٠ خاطبت به ضمائر الأعضاء ومما قلت لهم : اننا على حافة حفرة اذا نجونا منها نجونا جميعا واذا سقطنا فيها سقطنا جميعا لا فرق بين أى واحد والآخر فى الوطنية ٠

وعندما ذكرت لهم ان شبه جزيرة سينا ستضيع منا بوضــــع يد الانجليز عليها واجراء المناورات العسكرية فيها فى كل وقت ، نهض أحد الوفديين محتجا ــ وهو محمد المغازى باشا تاجر الاقطان وصاحب المزارع الواسعة ــ وقال : « ماهى سينا مش شوية رمل » ثم شرع فى الانسحاب من الجلسة غاضبا فقلت له وانا على منبر الخطابة « نعم ياباشا ليس فيها زراعة قطن ولكنها أرض مقدسة وجزء من الوطن فيه من الخيرات ما فيه » ولما أخذت الأصوات وافق الجميع على المعاهدة سوى عدد قليل أذكر منهم المرحوم حافظ حسن باشا وحافظ رمضان باشا وأنا ٠

واعتقادى اننا لو برئت نفوسنا من الغايات الشخصية ونجا مجتمعنا من التطاحن الحزبى لكنا حصلنا فى ١٩٢٠ على ماهو أفضل مما كان فى معاهدة ١٩٣٦ ٠ ولوفرنا على انفسنا جهادا ضـــائعا وكفاحا مريرا ومتاعب جمة مست مستقبل الأمة فى الصميم ، ولكنا وصلنا فى ١٩٣٦ الى الحرية والاستقلال كاملين ٠ لكن الرغبة فى الانفراد بالسيطرة والسعى الى المجد الزائف والتطاحن المخزى والتراشق المسف واتهام العاملين وتجريح الأبرياء وانعدام الثقة كل أولئك عرقل سير القضـــية المصـرية وأضـر بحاضرنا ومستقبلنا وأسلمتنا الى التفكك الذى لاحظه ملنر قديما فتشدد بعد لين وأعقبه كيرزون فازداد تشــــددا مع عدلى ٠ وهكذا دواليك ٠ فالسنوات التى مرت بنا من بداية المفاوضة الى كارثة فلســطين كانت

سنوات عجافا لم نفقد فيها فرصة عقد معاهدة كريمة فحسب بل أضعنا فيها اخلاقنا السياسية ·

تعـــدد الزوجـــات :

عارضت معاهدة ١٩٣٦ فى مجلس الشيوخ كما ذكرنا ثم قدمت لهذا المجلس مشروعات اجتماعية لها اثر عميق فى البيئة المصرية ولم يبت فى امرها الى الآن ، وأرجو الله مخلصا أن تنال عناية ولاة الأمور · ومن هذه المشروعات مسألة تعدد الزوجات فالتعدد بالصورة التى نراها أمر لايتفق وروح الاسلام الذى أجازه لغرض اجتماعى سام· فان ديننا الحنيف لا يبيح للرجل أن يستسلم لنزواته وشهواته فيتزوج باكثر من واحدة بلا قيد أو شرط بل يحتم العدل الكامل بين الزوجات سواء فى الناحية المادية والناحية العاطفية وهذا عسير التحقيق يؤيد ذلك قوله تعالى « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » وقوله تعالى « ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وكتب الفقه مليئة بشروحات تغنينا عن الخوض فى هذا الموضوع · والذى تقدمت به لمجلس الشيوخ وأريد اليوم نكر بعضه لا يخرج عما قضى به الدين وتستلزمه التطورات الاجتماعية المتعاقبة ·

ان الاحصاءات العالمية تدل على أن نسبة النسل فى مصر تكاد تكون اكبر نسبة فى العالم وان عدد سكانها يتضاعف كل خمسين سنة وبلادنا وان اتسعت مساحتها فان اراضيها المنزرعة ضيقة وهى تكاد تكون واحة تحيط بها الصحراء المترامية فمساحتها بالصحارى مليون كيلو متر مربع واراضيها المنزرعة لاتزيد على ٣٦ او ٣٧ الف كيلو متر مربع أى ستة ملايين فدان · اذا وزعت على الأهلين لا ينال الفرد اكثر من ربع فدان · وتوسيع الرقعة المنزرعة يحتاج الى مشـروعات ضـــخمة تتكلف مئات الملايين من الجنيهات وعشرات السنين من الجهد المتواصل · والزيادة فى السكان لا تقف والخطر يتجسم ولهذا اتجهت الحكومة المصرية الى تصنيع البلاد وتنشيط التجارة حتى تتلافى الخطر ·

وعلى ذلك فالنظرة الى تحديد تعدد الزوجات فوق أنه قد يخفف من خطر زيادة السكان وانخفاض مستوى المعيشة ، فانه يساعد على الحد من الشحناء والبغضاء بين الاخوة ويساعد رب العائلة على تربية ابنائه كما يساعد على حفظ ميزانية الأسرة وكم رأينا من خصـــومات وقضايا أمام المحاكم نتيجة لتعدد الزوجات وكثرة الضغائن بين الزوجات

وبين الأخوة غير الاشقاء مما يؤدى كثيرا الى تفكك العائلة تفككا يؤثر فى الحالة الاجتماعية والاقتصادية ٠

لهذا ولغيره عرضت على مجلس الشيوخ أن الرجل اذا أراد التزوج بثانية وجب عليه عرض الأمر على قاض مختص يبحث الضرورة التى تقضى بالسماح بعقد زواج بثانية ، كأن تكون الأولى عقيما أو مريضة وأن يكون الزوج كفء للانفاق على اثنين وعلى نسلهما ٠ فاذا ارتأى القاضى أن طالب الزواج على حق سمح له بعقد الزواج والا منعه ٠ وانى أعتقد ان تحقيق هذا المشروع انما هو تحقيق لروح الدين الاسلامى الحنيف ٠

تقييد حق الطلاق :

كذلك قدمت لمجلس الشيوخ مشروعا بتقييد حق الطلاق ٠ تقييدا يتفق مع قواعد الشريعة الاسلامية ٠ فان الناس قد عبثوا بقدسية الزواج وصار بعضنا يعتقد أن الزواج سلعة أو متعة حتى أصبح الرجل يطلق كما يشاء ولو كان هازلا ولو كان كلامه نتيجة انفعال وقتى ٠ ولا يخفى أن « أبغض الحلال عند الله الطلاق » فهو حلال بغيض يجيز للمشرع تقييده بقيود تدفع الضر عن المجتمع الاسلامى ٠

فما الذى يجب عمله ؟ نحن نعرف ان ديننا أوجد منذ أربعة عشر قرنا ما يسمى الآن بقاضى المصالحات ٠ أوجد الدين هذا حيث يقول القرآن الكريم « فأرسلوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » وعليه فانى أطالب بألا يسمح لرجل بطلاق زوجته الا بعد عرض الأمر على قاض يطلب حكما من أهل الزوج وآخر من أهل الزوجة على أن تكون المناقشة بين الجميع مناقشة سرية عائلية وعلى القاضى أن يبحث الأمر فان أمكن الصلح عادت أمور العائلة الى الهدوء والاستقرار وان استحال كان له أن يصدر أمرا بتحرير وثيقة الطلاق ٠

واذا كانت الحكومة منعا للفوضى وتنفيذا لقاعدة « لا ضرر ولا ضرار » قد حتمت اثبات الزواج بوثيقة رسمية لا يثبت بغيرها ٠ فلم لا تفكر فى الا يثبت الطلاق الا بوثيقة رسمية ، وان تعاقب المأذون اذا أثبت الطلاق بدون اذن من القاضى ، وكذا المطلق ٠

هذه فكرة أعرضها على رجال الشرع الحنيف وعلى ولاة أمورنا علهم يجدون بها حلا يقينا شر الاسراف فى الطلاق ٠

حق المطلقة فى التعويض :

لاحظت فى المحاكم الشـــرعية والأهلية انها لا تحكم باى تعويض للمطلقة اعتمادا على أن حق الطلاق مطلق للزوج فطلب التعويض غير جائز نظرا لأنه يمارس حقه ورأيى انه لا يصح الاكتفاء بمؤخر الصداق · وعلى قاضى المصالحات اذا أجاز اثبات الطلاق ان يثبت فى قراره أن الزوجة هى المتعنتة او أن الزوج هو المخطىء أو أن الاثنين مخطئان او أن لا خطأ من احدهما حتى يعتمد القضـــاء المدنى على قراره ، فيجيز للزوجة اذا كان التعنت او الخطأ من الزوج أن تطالب بتعويض يدفع دفعة واحدة أو بمرتب شهرى يلزم به الزوج الى أن تتزوج أو تموت ·

التعـــويض فى الخـــلع :

يقع الطلاق بخلع بين الزوجين فيكون بائنا ، وقد يتفق الزوجان فى هذا الطلاق على مال كتعويض للخلع يتقاضاه المطلق من مطلقته وقد اختلف الفقهاء والمفسرون فى أمر هذا التعويض · وأستقر القضاء الشرعى عندنا وتبعه القضاء المدنى على أن الاتفاق على تعويض الخلع واجب تنفيذه مهما يبلغ مقداره ولو اتى على ثروة المطلقة · لاحظت بنفسى ان زوجا اعتمد فى قضية له على هذا وطالب بعشرات الألوف مع الفوائد · وهذا فى نظر بعض الفقهاء جائز وعليه الفتيا وكثير من الفقهاء يخالفون هذا الرأى · ولا يتسع المقام للشرح ، وانما الذى يعنينى هو ان الدين الاسلامى يقرر مسألة اساءة استعمال الحق وان الاســراف فى استعمال الحق غير جائز ، كما ان الاضرار بالناس غير جائز ، وعلى هذا فما الذى يمنع المشرع وهو متسلح بتلك الاسلحة الشرعية بما يقوله بعض الفقهاء ومايراه الحق والعدل ، ما الذى يمنعه منأن يكون موضـــوع تعويض الخلع تحت نظر القضاء وتقديره وله ان ينقصه أو يرفضه بما يراه حقا وعدلا ومتفقا مع الشريعة ولا يخفى ان الخلاف بين الفقهاء يجعل للشارع عند الضرورة أن يقرر ما يراه متفقا مع الحالة الاجتماعية والأدبية التى يجب أن تكون عليها البلاد ·

قدمت هذه المشروعات الى مجلس الشيوخ بمشروع قانون واحد · ثم سافرت الى باكستان كسفير لمصر هناك وقرر مجلس الشيوخ فى غيابى ١٩٤٩ ان هذه المشـــروعات متعددة وهى من شــأن رجال الشـــريعة الاسلامية · وقد طويت هذه المشروعات الى الآن · وانا لنرجو ان تنظر الحكومة فيها نظرة تتفق والحالة الاجتماعية والشريعة الاسلامية وتقى الأمة كثيرا من الفوضى والشرور ·

بعد معاهدة ١٩٣٦

قامت حكومات بعد هذه المعاهدة وكان فاروق ملكا تحت الوصاية ثم زاول سلطته بنفسه فيما بعد ولست اضع تاريخا لأيام حكمه فتلك فترة فيها مآس سياسية وخلقية قريبة عهد بالناس اترك الكلام فيها للمؤرخين ٠

انما الذى اريد اثباته هنا خاصا بشخصى هو انى دخلت الوزارة مرة واحدة حكمه كوزير دولة ١٩٣٩ ولم ابق فيها طويلا وبعدها قامت الحرب العالمية الثانية(٥٩) ٠

الرغبة فى تعييني وزيرا

فى صباح يوم من اواخر ديسمبر ١٩٤٦ فوجئت عند قراءة الصحف بانى عينت وزيرا وظهرت صورتى مع الوزراء ثم فوجئت بوصول سيارة حكومية فيها جند للمحافظة على منزلى وعلى شخصى فطلبت الى سائق السيارة والجند أن ينصرفوا ٠ وبعد هنيهة اتصل بى تليفونيا المرحوم محمود فهمى النقراشى رئيس الوزارة مهنئا ٠ فعجبت للأمر وقلت له كيف أكون وزيرا دون أخذ رأيى ٠ ثم ارتأيت الذهاب اليه فى دار الرئاسة وعاتبته على ما عمل ٠ فأجابنى بانه يعلم انى غير راغب فى الوزارة ولهذا السبب لم يضع اسمى ضمن المرشحين لها وأن الملك فاروقا هو الذى شطب اسم المرشح لوزارة الأوقاف ووضع اسمى بدله بيده ٠ فقلت له كيف يصدر المرسوم ليلا ولا تنتظرون الى الغد لأخذ رأيى ، وهل هوجمت البلاد هجوما خاطفا اضطركم الى الاسراع فى اصدار المرسوم ؟ فأجابنى بأن المرسوم قد صدر فى الساعة الواحدة بعد نصف الليل وأنهم لم يريدوا اقلاقى وقت نومى معتمدين على أنى سأقبل الوزارة مقابل هذه اللفتة الكريمة من الملك وكانت رغبة خاصة منه ٠

وأمام هذه الحالة لم اجد بدا من الذهاب الى السراى لمقابلة رئيس الديوان الملكى بالنيابة والتحدث اليه فى هذا الشأن وذهبت فعلا وقابلت هناك السيد حسن يوسف باشا رئيس الديوان بالنيابة ــ وكان منصب رئيس الديوان شاغرا ــ وكان معه المرحوم انطون الجميل (باشا) رئيس تحرير جريدة الاهرام ولا أدرى ان كان حضوره مصادفة أو كان لمساعدته فى اقناعى

---

(٥٩) عين محمد على علوبة وزير دولة للشئون البرلمانية من ١٨ اغسطس ١٩٣٩ الى ٢٧ يونية ١٩٤٠ . (النظارات والوزارات ، ص ٥٦٩) .

بقبول الوزارة ، وقد لاحظت فعلا انهما كانا متضامنين فى الفكرة • وأخذ يشرح لى ما سبق ان أخبرنى به المرحوم فهمى النقراشى وأن ثقة الملك بى كبيرة ومكثت معه ساعة كاملة اجادله وكانت خلاصة قولى انى لست من أولئك الذين يوضعون فى الوزارة ويعينون دون أخذ رأيهم وبعد أن سمع منى اصرارى على الرفض طلب اكراما لرغبة الملك ان أحلف اليمين مع الوزراء ثم استقيل ولو بعد اسبوع باية حجة اختارها فابيت أن أحلف اليمين وذهب الوزراء فى عصر ذلك اليوم وحلفوا اليمين ورعاية لرغبته قدمت استقالتى كما طلبوا محتجا بأن صحتى لا تساعدنى على الدخول فى الوزارة حتى لا تكون هناك صدمة ضد شخص الملك • وكان ذلك يوم ٢١ ديسمبر ١٩٤٦ وجاءنى الرد بقبول الاستقالة فى اليوم الثالث والعشرين من ديسمبر •

سفير مصر الأول فى الباكستان

فترت علاقتى بالسراى ورجحت ان فاروقا غضب لرفضى الوزارة وشاءت الظروف ان اتكلم مع حسن يوسف فى شأن من شئون « الباكستان» الدولة الحديثة، لكنه ترك الموضوع الذى حدثته عنه وسألنى أن كنت وقد رفضت الوزارة أقبل انشاء السفارة المصرية فى الباكستان • فطلبت اليه أن يمهلنى اسبوعا وقبل نهايته أخطرته بقبول مركز السفارة لأداء رسالة أراها واجبة على • فسر الرجل وربما كان على اتفاق فى ذلك مع الملك فاروق وعينت فعلا أول سفير لمصر فى الباكستان فى أواخر ١٩٤٨ وسافرت اليها وكانت سفارة لها مركز ملحوظ فى الباكستان وتقدير كامل عند الباكستانيين وتوطدت الصداقة بينى وبين رئيس الوزارة المرحوم لياقت على خان ، وأصبح أسم مصر هناك مرموقا •

وتحدثت مع السيد لياقت على خان فى الأمر الذى دفعنى الى قبول السفارة وهو نشر اللغة العربية فى الباكستان وانتهت المحادثات بيننا بتقارير قدمتها الى وزارة الخارجية المصرية وخالفت فيها المألوف فكنت اقدم صورة منها الى السراى حتى أضمن وصول تقاريرى الى الملك وكانت فكرتى تنحصر فى البدء بافتتاح ثلاث مدارس ابتدائية يكون بعض مدرسيها من المصريين والبعض من الباكستانيين الذين يلمون باللغة العربية ويقدرون على تدريسها ، وأن تكون هذه المدارس فى «كراتشى» و «لاهور» و «دكا» عاصمة باكستان الشرقية • ومتى تم انشاء هذه المدارس وكملت سنواتها الدراسية أمكن انشاء مدرسة ثانوية ، ثم يكون لهذه المجموعة مجلس ادارة يشرف عليها •

ابنت فى تقاريرى أن انشاء هذه المدارس لا يكلف الحكومة المصرية كثيرا ، لأنها ستكون بمصاريف ولأن المدرسين الباكستانيين لا يطمعون فى مرتبات كبيرة ، ولأن هذه المدارس سيؤمها كثير من التلاميذ بعد أن يوضع نظام يقضى بألا يقبل فى مدارس مصر ولا فى كلياتها ولا فى معاهد الأزهر الا خريجو هذه المدارس ، وبذلك نتخلص من نظام الطلبة الغرباء فى مصر ونضمن ارتفاع مستوى التعليم بين الباكستانيين الراغبين فى التعليم فى مصر ٠

ومما شجعنى على الالحاح فيما طلبت ما رأيته من لهفة الباكستانيين على انشاء هذه المدارس وشدة رغبتهم فى دراسة اللغة العربية ليتمكنوا من التعمق فى علومهم الدينية من مصادرها الأصلية فى العربية ، واستعداد حكومة باكستان فى أن تهيئ الأراضى اللازمة لانشاء المدارس ٠

ولما لم تجبنى وزارة الخارجية قال لى المرحوم «لياقت على خان» ان بلاده مستعدة للمساهمة بنصف نفقات انشاء هذه المدارس ونفقات التعليم فيها ٠ ولا أنكر انى لم أسترح لهذا الرأى ، لأنى كنت أريد أن تنفرد مصر بشرف القيام وحدها بهذا العمل العظيم ٠

وبعد مدة طويلة وصلنى خطاب من وزارة الخارجية المصرية بتقدير هذه الفكرة وبأنها أرسلت تقاريرى الى وزارة المعارف وأن هذه بدورها حولتها الى الازهر الشـــريف وأن مشيخة الازهر أجابت بانها مستعدة لارسال مدرسين أزهريين بعد الاتفاق بين الباكستان والأزهر على قيمة مرتباتهم مضافا اليها بدل الاغتراب ٠

ومن هذا يتضح أن فكرتى لم تفهم على حقيقتها فى الدوائر المصرية أو أن وزارة الخارجية ووزارة المعارف أرادتا التخلص من الانفاق على هذه المدارس من ميزانيتهما ٠ ولم أصارح رئيس وزارة باكستان بما وصل اليه أمر هذا المشروع ٠

ولقد آلمنى أن يضيع أملى طبعا فى نشر اللغة العربية فى بلاد الشرق الاسلامى ٠ كما ادهشنى أن تفتتح حكومة مصر فى ذلك الوقت معاهد فى أثينا ومدريد وغيرهما تكلفت نفقات كانت تكفى لانشاء مدارس الباكستان ٠ فصممت بعد ذلك على الاستقالة وعدت الى مصر وقدمت استقالتى ٠ وبعد قبولها قابلت الملك فاروقا فاثنى على تقاريرى وقال ان هذا المشروع عمل عظيم ومنحنى وشاح اسماعيل ٠ وأشهد الله انى لم أغتبط بهذا الانعام بعد خيبة الأمل فى مشروع مدارس الباكستان ٠

ومن هذا التاريخ أى من أوائل ١٩٥٠ انقطعت صلتى بأى عمل حكومى ، كما انقطعت صلتى من قبل بأى حزب من الأحزاب ٠

* * *

من عظات الذكريات

عندما ألفنا الوفد وذهبنا الى باريس ١٩١٩ بعد انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ، كنا نرى فى الأعياد العامة وأخصها عيد ١٤ يوليو فى فرنسا حفلات ورقصا وخطبا وغير ذلك مما يبهج النفوس ٠ وكانت معاهدة الصلح قد أبرمت فى «فرسای» ونال بها الحلفاء مايبتغون ، وجعلت رياسة مؤتمر الصلح لمسيو «كليمنصو» رئيس الوزارة الفرنسية ٠ فكان بذلك يرأس رئيس جمهورية الولايات المتحدة الدكتور « ولسن » كما يرأس « لويد جورج » رئيس وزارة انجلترا وكانت شهرة كليمنصو قد طبقت الخافقين وكان يشاد باسمه وباسم الماريشال فوش قائد جيوش الحلفاء وقتئذ وباسم القائد جوفر الفرنسى بطل واقعة « المارن » ٠

ولقد أدهشنى مالاحظته من أن كليمنصو هذا وهو العالم المؤلف والسياسى الخطير عندما رشح نفسه لرياسة جمهورية فرنسا فيما بعد لم ينلها ذلك بأن الفرنسيين مع تقديرهم له كرئيس وزارة ، رأوا أن هذا الشيخ القوى الارادة العميق التفكير الغيور على وطنه الذى أجهد نفسه أيام الحرب ونال النصر لبلاده ، رأوا أن هذا الرجل مع الاعتراف بفضله لا يصلح لرياسة الجمهورية لأنه كان فى رئاسته للوزارة يجنح الى الديكتاتورية ، فخشوا أن يستأثر بالسلطة ولا يكون ديموقراطيا بالمعنى الصحيح ٠ والفرنسيون وان احبوه ورفعوه الى السماكين فانهم اثبتوا بما عملوا أنهم أكثر حبا للحرية وحرصا على الديمرقراطية ٠



كنت وأنا فى باريس أيام الوفد اختلف الى مطعم قريب من مسكنى لم يكن من مطاعم الدرجة الأولى ٠ وذات يوم وأنا أتناول الغذاء فيه دخل رجل عسكرى مع زوجته وعلى صدره نجوم كثيرة تدل على رفعة رتبته العسكرية ٠ جلس قريبا منى فتفرست فيه ورجحت أنه الماريشال « بيتان » البطل المشهور والذى انقذ فرنسا بانتصاره على الألمان فى موقعة فردون الشهيرة ، والذى تكثر الصحف من نشر صوره ٠ فسألت عنه خادم المطعم فأجابنى بأنه الماريشال بيتان ٠ وعرتنى دهشة فلم أر أناسا يصفقون له ٠

ولم أر رجالا أو صبية يحتشدون أمام المطعم يهتفون ويصفقون ، ولم أجد من واد المطعم أية حركة غير عادية · ولاحظ الخادم اعجابى بالماريشال فقال لى « هذا جندى عظيم أدى الواجب نحو الوطن » ولم يزد على ذلك شيئا ، وكانت لكلماته هذه أعمق الأثر فى نفسى ، ثم أنه كان يخدمنى كما يخدم الماريشال دون أى تمييز · ولم الحظ من الحاضرين جميعا فى المطعم سوى بعض نظرات اعجاب وتقدير لهذا الرجل الذى كان له أثر كبير فى انقاذ فرنسا ·

وفى المساء أتى الماريشال وزوجته لتناول العشاء · فسألت الخادم عن أسباب تردده على المطعم وهو يقيم فى باريس وفى غير حاجة الى تناول العشاء خارج البيت فى مثل هذا المســاء الممطر فأجابنى الخادم بقوله « يجوز أن الطاهية تركته ولم يجد بعد طاهية أخرى ، فاضطر الى تناول الطعام هنا » ·

كذلك رأيت القائد الأعلى الماريشال «فوش» قائد جيوش الحلفاء يسير على قدميه فى شــارع الشانزليزيه وكان الناس يرمقونه بنظرات الحب والاحترام ، ولم يضايقه أحد ولم يهتف له أحد ، بل كان يسير بحرية كاملة كأنه فرد عادى ، وهو الرجل الذى نصبت له التماثيل فى فرنسا وفى لندره نفســها ·

* * *

ورأيت مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية الرجل الكبير الذى يرأس ممثلى بريطانيا العظمى فى مؤتمر فرساى ، رأيته ليلة عيد الميلاد فى حفلة ساهرة بفندق « كلاردج » يضحك ويمزح · وكان الناس يتراشقون بالكرات القطنية وشرائط الورق الملون وكان كغيره هدفا لهذا التراشق الممزوج بالحب والتقدير ، وهو كما نعلم فى الخالدين من رجال الانجليز ·

* * *

ومن هنا نرى أن الأمم الراقية التى انتشر فيها العلم والفن وسادتها التربية الصحيحة ليس فيها مجال للديماجوجية وهى انسياق الجماهير المفتونة لزعيم دعى لأن الطبقات فيها قد تقاربت والرأى العام فيها قد نضج وأصبح رأى الفرد فيها خال من شوائب الجهل والهوى ومثل هذه الأمم لا يصعب على الزعيم الكفء اقناعها بالحقائق فانها تأبى بطبيعتها أن تكون مطية لتهريج أو ضحية لخداع ·

واذا فرض وكان للخداع اثر ما ، فانه سرعان ما يتكشف ويكون وبالا على الخادعين • ويوم يكون هذا شأن أفراد الشعب فانهم لا شك يحسنون اختيار الوزراء والحاكمين كما يحسنون مراقبة اعمال الحكومات فاذا ظهر من القادة انحراف عن المبادىء التى بويعوا عليها انصرف عنهم أفراد الشعب ومنحوا ثقتهم لغيرهم • فعملية الانتخاب عندهم مثلها كمثل المد والجزر ولكنها تتأثر بالأعمال لا بالأشخاص • ولا يجرؤ حزبى هناك مهما يكون نفوذه أن ينصح الناخبين بأن « فلانا لو رشح حجرا وجب عليهم انتخابه » أو « أن الحماية على يد فلان خير من الاستقلال على يد فلان » • فهذه تعتبر هناك سبه تمس كرامة الناخب وتسقط من يروج لها وقد تسقط حزبه نفسه فالعبرة هناك للمبادىء لا للأشخاص •

* * *

من هذا نفهم أن أولى صفات القادة والحاكمين وطنية صادقة ونزاهة كاملة والتزام لمناهج واضحة وكفاية ونشاط وأن يبذل المسئول وقته وجهوده وتفكيره فى سبيل اداء واجبه نحو وطنه لا يفكر فى جاه أو مجد ذاتى فانما يعمل لمجد الوطن وعزته • واذا أصاب العاملين مجد أو جاه كان ذلك عرضا غير مقصود لذاته وانما يكون نتيجة لما يقومون به لوطنهم من اعمال •

* * *

هكذا الشأن فى الأمم الراقية ، وقد برز فيها كثير من العظماء والخالدين الذين ساروا على هذا النهج واقرت لهم اممهم كما اقر لهم التاريخ بالخلود • وقد يكون العظيم مجاهدا ذا مبدأ سام يفنى فيه جهوده وحياته • ومن هؤلاء كثير يحفظ التاريخ ذكراهم من مثل واشنطن ولنكلن فى أمريكا وماتزينى وكافور فى ايطاليا وغيرهم •

واذا كان هذا واجب القادة والزعماء فى البلاد التى لا يثمر فيها التهريج والخداع ، فهو أولى لمن تصدى لزعامة الأمم الأقل شأنا والتى يكون فيها للتهريج والخداع اثرهما لأنها امم تتأثر بما يثير العواطف ويصعب على كثيرين فيها ادراك الحقائق •

* * *

ويحضرنى فى هذا المقام سيرة رجل ملأ السمع والبصر هو « المهاتما غاندى » نصب نفسه للدفاع عن مواطنيه كما دافع عن الملونين فى جنوب افريقيا • وهجر المحاماة مع ما كانت تدر عليه من مال وفير • بل هجر الدنيا وهو العالم المفكر والفيلسوف الكبير •• ووجه أمته الى خير

ما توجه اليه أمة مغلوبة على أمرها ووضـــــع مبدأ ساميا هو الكفاح المتواصل بلا عنف • وقد جرد نفسه من متاع الدنيا وزينتها ، وأصبح هذا الرجل العظيم يسير نصف عار لا يرتدى سوى قطعة من قماش رخيص ويتغذى بلبن الماعز وسواء ذهب الى خارج بلاده أو قبع فى صومعته ، فقد كانت حياته حياة زهد وتقشف وتفكير • وكان فريدا فى تضحياته ومثلا أعلى فى وطنيته ، فتعلقت به قلوب مواطنيه من هندوس ومسلمين ، والقوا بزمامهم اليه ، فأحسن قيادهم ووجههم الى سبيل الحرية وتحمل فى سبيل وطنه كل ضيم وسجن وعذاب • وكان شديد العطف على جميع مواطنيه خصوما له أو مريدين هندوسا كانوا أو مسلمين •

فلما انتجت جهوده وأثمرت ثمارها بعد الحرب العالمية الثانية وبعد أن أصبح من مواطنيه نحو مليونين من المحاربين اشـــتركوا فى الحرب ورجعوا من ساحات الوغى ، لم تجد انجلترا بدا من الجلاء •

ولما رأى فى بعض الهندوس تعصبا أدى بالمسلمين الى المطالبة ببقاع يختصون بها ويعيشون فيها بحرية واطمئنان ، اقتنع بوجاهة مطلبهم ورأى أنه الحق ، فرضى بتقسيم الهند ، ولم يبال بتعصب المتعصبين من أبناء دينه • وأصبحت بذلك شبه القارة قســـمين ، أحدهما الهند وثانيهما الباكستان وكانتمسكه بهذا الحق لمصلحة بلاده ومصلحة العدالة سببا فى قتله لكن اسمه سطر فى سجل زعماء الحرية والسلام وأصبح من أبطال الوطنية والانسانية الخالدين •

ومما يجب ذكره انه لم يقبل أن يكون حاكما للهند ولا رئيس وزارة فيها وعف عن هذا كله ، ورضى بعد استقلال بلاده أن يكون رجل انجليزى أول حاكم عام لبلاده • كما عهد الى تلميذه نهرو برياســـة الوزارة • وقد التزم نهـــرو نهج اســـتاذه ومســـلكه • يدل على ذلك أنه لم يســـتغل نفـــوذه ، ولم يغـــره الحكم فيجنح الى الديكتـــاتورية ، وقد خدم بلاده خـــدمات نرى آثارها بأعيننـــا • وهذا الرجـــل الذى ذاع صـــيته وأصبح الداعية الأول للســـلام العام ونبذ الحروب والعنف ، لو انهى بحكمته أسباب النزاع بين الهند والباكســـتان بما يقتضيه الحق والعدل لحقق رسالة السلام كاملة • ولو نفذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ـ تلك القرارات التى وافق عليها ـ الخاصة بالنزاع القائم بين البلدين الكبيرين وخاصة ما يتعلق منها بكشمير ، لعاشـــت الهند

والباكستان فى امن وسلام ، وتعاونتا فى رفع شانهما السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، ولأصبح لشبه القارة الهندية شأن عالمى ملحوظ ٠

* * *

واذا كان لنا عظات من ذكريات وجب علينا الا ننسى القائد الأعظم محمد على جناح ، فقد قاد المسلمين حتى وصل بهم الى أن تكون لهم دولة هى الباكستان ٠ كان محاميا كبيرا وذا ثروة ضخمة نزل عن أغلبها لوطنه وجاهد حتى أفنى صحته فى سبيل الباكستان ولا يمكن أن ينسى التاريخ جهوده ٠

وكما ترك غاندى تلميذه جواهر لال نهرو على رأس الهند فقد ترك القائد الأعظم محمد على جناح تلميذه المرحوم « لياقت على خان » على رأس بلاده الباكستان ٠

ترك لياقت على خان مسقط رأسه فى الهند ، وهجر ثروته وأعماله وشاءت الظروف أن أكون سفيرا لبلادى فى الباكستان وتوثقت بينه وبينى أواصر الصداقة ، وقد تعجلنى كثيرا لتنفيذ مشروعى لنشر اللغة العربية هناك ٠ وكنا صديقين لا يخفى عنى أمور بلاده وأعتبرنى كواحد منهم اذا دعى أجنبيا اختصنى بالدعوة معه ٠ الى أن صممت على الاستقالة دون أن أخبره بعزمى وشاءت السياسة أن أقول له عندما كنت أودعه فى منزله انى راجع بعد شهرين فاستكثر هذه المدة وطلب الى المسارعة بالعودة فى اقرب وقت ٠

وقد أتت زوجته الينا فى مقر السفارة ترد الزيارة لحرمى وكنت حاضرا مجلسهما ٠ ولن أنسى حديثها معنا اذ ذاك فقد قالت فيما قالت انها حضرت الينا فى سيارة حكومية بصفتها قرينة رئيس الوزراء ، وان زوجها لو ترك الحكم لأصبحت هى وزوجها وولداها لا يجدون مسكنا ولا مأوى ولا ما يقتاتون به ٠ وشاء الحظ العاثر أن أسمع هنا فى مصر بعد استقالتى مقتل هذا الرجل العظيم وهو يخطب فى الجماهير ٠ وقد اقامت الحكومة وصيا على ولديه وجردت تركته فاذا قيمتها كلها لا تزيد على خمسة وستين جنيها هى ما بقى من مرتبه لينفق منه الى آخر الشهر الذى قتل فيه ٠

ولقد أدت حكومة الباكستان واجبها نحو الرجل بتربية ولديه على نفقتها كما ارتأت فيما بعد أن زوجته على درجة عالية من الثقافة فاختارتها سفيرة لبلادها فى هولندا ٠

ومما يجدر ذكره ان كانت ثروة لياقت على خان لا تزيد على خمسة وستين جنيها وليس له عقار او اطيان ، كما أن زوجته أصبحت خالية الوفاض ولم تستغل نفوذ زوجها وصدقت فيما كانت أخبرتنا به ، فلم تملك ضيعة أو قصرا أو منزلا متواضعا ، وأصبحت لا تملك فى الدنيا ســـوى سمعة زوجها ولقد اكرمها الله واكرمها الوطن ·

هكذا تكون سيرة زعماء البلاد وهكذا يكون عمل العاملين لخــير أوطانهم ·

* * *

وانا اذ نذكر بعض زعماء الوطنية وجب علينا الا ننسى زعيمين كان لهما أثر ملحوظ فى مصر وهما مصطفى كامل ومحمد فريد ·

فمصطفى كامل كان شعلة وطنية لا يجهل تاريخه احد · قام بجهود كثيرة سواء فى مصر أو الخارج بل وفى انجلترا نفسها · والف الحزب الوطنى · كما أنشأ ثلاث صحف بالعربية والفرنسية والانجليزية وظل يدافع ويكافح عن بلاده ويطالب بجلاء الانجليز ووصل بجهوده الى اقصاء اللورد كرومر عنمصر بسبب حادثة انتهزها وهى حادثةدنشواى وهزالرأى العام العالمى والبريطانى · وظل هذا الشاب المتقد حماسة ووطنية ـ وكان كاتبا وخطيبا مفوها ـ ظل يكافح مضحيا بصحته فى ســـبيل وطنه الى أن أضناه المرض ومات شهيدا فى سبيل مصر وكان يوصى وهو فى سرير موته بالكفاح وقدمات فقيرا معدما لم يقتن من متاع الدنيا شيئا سوى اعتراف المصريين بزعامته وتقديرهم لجهاده ·

لم اكن فى حياة مصطفى كامل من رجال الحزب الوطنى بصفة رسمية وان كان المصريون جميعا يلهجون بذكر اسمه ويعتنقون مبداه مثقفين أو غير مثقفين · كان جريئا فى الحق لا يقبل التهاون فى حقوق بلاده وكرامة مواطنيه · وكان همه الوحيد جلاء المحتلين · وكان شابا تعتز به مصر وتثق به الثقة الكاملة · ولم يكن يفكر فى أن يكون من رجال الحكم ، بل ان بعضهم يقول انه رفض أن يكون وزيرا معتبرا خدمة بلاده أجدى من اى مركز فكان بذلك نموذجا طاهرا وزعيما حقا يطمئن اليه كل رجل فى مصر وخارج مصر ·

وقد أراد بعضهم أن ينتقد سياسة هذا الشاب العظيم بعد أن ظهرت الأحزاب بتطاحنها وأريد المساس بخطته السياسية وأهدافه الوطنية ، فلم يروا لهم تكأة سوى القول بأن مصطفى كامل الذى كان يطالب بالاستقلال

ويسعى اليه كان يريد استقلال مصر تحت سيادة الباب العالى أى تركيا وفات هؤلاء الناقدين أن هذه السياسة التى اخطتها مصطفى كامل فى ذلك الوقت كانت أحكم سياسة تتبع · ذلك بأن الرأى العام فى مصر فى تلك الأوقات كان يقدس الخلافة وكان سلطان تركيا خليفة للمسلمين · فكان مصطفى كامل مضطرا فى تلك الأوقات الى قبول استمرار سيادة تركيا حتى لا يعارضه اغلبية المصريين وحتى لا يقال عنه أنه جاحد بخلافة المسلمين وخليفة المسلمين وفى ذلك تعطيل لرسالته الوطنية التى كان يسعى فى بثها بين الناس · هذا مع العلم بأن سيادة تركيا كانت اسمية فقط وأن مصر قبيل الاحتلال الانجليزى كانت فى استقلال يكاد يكون كاملا من جميع الوجوه · ولم يكن بينها وبين تركيا سوى رباط رمزى هو جزية تدفعها سنويا الى تركيا ·

وسبب آخر هو انه لو طلب نبذ السيادة التركية اتخذتها انجلترا ذريعة للايقاع بين مصر وتركيا وأعلنت عصيان مصر للخليفة الشرعى وضمت بذلك تركيا الى جانبها فيضعف مركز مصر ويصبح أمامها عدوان عوضا عن عدو واحد ، وقد لا تعطف أوروبا على مصر اذا هى اتخذت هذه الخطة ، وفى ذلك كله تعطيل لجهاد مصر فى سبيل الوصول الى الجلاء ·

والذين ينقدون سياسة مصطفى كامل انما فعلوا ذلك بعد الغاء الخلافة فى تركيا ، وبعد تنازل تركيا عن حقوقها الى مصر ، وبعد الغاء الحماية فى مصر ·

مات مصطفى كامل وخلفه صديقه وزميله فى الجهاد المرحوم محمد فريد · واذا كان مصطفى كامل قد مات فقيرا معدما مريضا ، فقد مات محمد فريد أيضا فقيرا معدما مريضا ، وانه وان لم يكن خطيبا ببلاغة مصطفى كامل فقد كان من أثرياء القوم ، ترك الوظيفة لسبب وطنى وأفنى ثروته لسبب وطنى · وأصبح رئيسا للحزب الوطنى فجاهد وكافح · وقد اتصلت به ، وأصبحت عضوا فى مجلس ادارة الحزب الوطنى مساهما فى جرائده ، وأصبحت صديقا له وثيق الاتصال به ، وسافرت معه الى الاستانة ١٩٠٩ مع وفد من المصريين لتهنئة تركيا بدستورها الذى صدر ١٩٠٨ بعد تنحية السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد رشاد الخامس ·

كأن هذا الرجل فوق توقد الوطنية فى قلبه متواضعا جذابا لا يحس بفارق بينه وبين أعضاء الحزب كما كان مثل مصطفى كامل متعففا عن الحكم ٠

وكيف لا يتضامن المصـــــرى مع مصــــطفى أو مع محمد فريد ومبدؤهما صريح شريف ، وغايتهما صريحة شريفة ، وهما لا يتقلبان فى المبادىء ولا يجرحان من يصادقهما أو يتصل بهما ويتفق معهما فى المبدأ المقدس وهو جلاء المحتل عن البلاد ٠ ولم يقتصر جهاد فريد وسلفه على العمل فى سبيل الجلاء ، بل اتجها الى الأسس التى من شأنها تكون الحرية ويكون الجلاء ، وأهم هذه الأسس التعليم والدستور ٠ ولقد قلت وأكرر أن استقلالا بلا تعليم هو استقلال غير مستقر ، وبلادا بلا دستور وتحت حكم الفرد مهما يكن شأنه نقص فى أسس الحكم قد يعرض البلاد لطغيان الفرد وفساد حاشيته ٠

لهذا فطن مصطفى كامل ومحمد فريد الى بث الدعوة لنشر التعليم وافتتاح المدارس وصيانة الجامعة الأهلية الأولى ، كما فطنا الى ضرورة اقامة الدستور ، وكنت أشهد بنفسى مظاهرات يقوم بها الشباب للمطالبة بالدستور ٠

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قامت الدعاية القوية لتكوين النقابات وكان من أبرز المروجين لها المرحوم عمر لطفى بك وكيل مدرسة الحقوق وشقيق المرحوم أحمد لطفى المحامى الذى كان من أبرز أعضاء الحزب الوطنى ٠

كل هذا وغيره قام به مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد ذلك الذى انتهى أمره بالمحاكمة والسجن والتشريد الى أن لقى ربه فقيرا مريضا غريبا فى أوروبا ٠ وقد طلب بعض أعضــــاء الوفد ونحن فى باريس نقل جثمانه الطاهر الى مصر على نفقة الوفد ، فعارض سعد فى ذلك بشـــدة وأيده فريق من اللاصقين به ٠ وحرم الوفد بذلك من شرف نقل جثمانه تقديرا لجهاده واعترافا بفضــــله ٠ وانتهى الأمر بأن نقله أحـــد التجار المصريين وهو المرحوم الحاج خليل عفيفى التاجر بالزقازيق على نفقته الخاصة ٠

* * *

مات مصطفى كامل ومحمد فريد ، فلم يملأ مكانهما فى الحزب الوطنى بشخصية تماثلهما ٠ فضعف شأن الحزب وأخذ يتقلص ظله واحتجبت بعض صحفه ثم انقسم أعضاؤه على أنفسهم ولم يبق للحزب بعد ذلك لسان

يروج لمبادئه سوى جريدة الأخبار وصاحبها الرجل الوطنى المرحوم أمين بك الرافعى وقد اختفت الجريدة اثر موته ٠

* * *

لا انكر اجماع المصريين على المطالبة بالجلاء والاستقلال فذلك أمر لا يحتاج الى دليل ٠

انما الذى اريد ان انكره هنا ما اعلنه الحزب الوطنى فيما بعد من التنكر لمبدأ المفاوضة ومن اعلانه بأن لا مفاوضة الا بعد الجلاء ـ وأستبيح لنفسى أن اقول ان هذا المبدأ لم أعرفه عن مصطفى كامل ولا عن فريد من بعد وقد كنت عضوا عاملا معه فى الحزب ورفيقا له وصديقا ٠

ولا يخفى ان اجلاء الغاصب عن أرض الوطن يكون باحدى وسيلتين اما الثورة عليه ومحاربته واما بمفاوضته ٠ والمفاوضة فى أمة عزلاء لم تستكمل امكانياتها من قوة وعلم أمام ـ عدو قوى قادر ظفر فى الحرب العالمية ويتضامن الأقوياء معه وهو مدجج بأنواع الأسلحة ـ ان المفاوضة مع خصم كهذا عند وجود أمل انما هى نوع من الكفاح والجهاد ٠ ومن يقول بغير ذلك فانما يتخذ موقفا سلبيا لا يليق بمن يريد الخلاص من الغاصبين ، وبغير هذا نكون قد تركنا فرصة من فرص الكفاح ، ورضينا بأن نقبع فى دورنا قانعين بالقاء خطبة أو نشر كلمة فى الصحف بين حين وآخر ثم نسكت على ما نحن فيه والغاصب يتصرف فى أمورنا كما يشاء ٠ ٠ولا يخفى ان بقاء الغاصب فى أى بلد يعطيه فرصة ابتزاز خيرات الشعب واضعاف معنوياته وترويضه على استمراء معانى الذل والنفاق والمهانة ٠

وانى لا افهم معنى للمفاوضة بعد الجلاء ففيم تكون المفاوضة ولم يجلو الغاصب وهو القوى القادر ٠

ان سنة الطبيعة تتنافى مع تحريم المفاوضة قبل الجلاء ، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك ٠ فهاكم « ارلندا » قد فاوضت مرارا ولم تصل للآن الى تحقيق كل آمالها وقد كنا مع مندوبيها فى باريس ولم تجد شكواهم هناك شيئا ٠ الى أن كانت المفاوضة بينها وبين انجلترا رأسا واضطر الزعيم ديفاليرا للرضوخ أمام القوة الغاشمة ٠ ومازال الارلنديون الى الآن يجاهدون ويكافحون أملا فى ضم شمال ايرلندا اليهم ، وهو جزء من وطنهم ٠

وهاك الهند والباكستان وقد عاد اليهما بعد الحرب العالمية الثانية مليونان من الجند ورغم هذا فاوضنا الانجليز ووراءهما تلك القوة

الحربية الهائلة والامكانيات المتعددة وانتهى الأمر بأن دخلت الهند والباكستان فى الكومنولث وعين بريطانى حاكما اول للهند ٠

وها هى أمم عريقة امامنا كألمانيا واليابان وغيرهما ، حين سلبت حريتها ، لم تخرج من برنامجها وسيلة المفاوضة وهى تتدرج بها حتى تستخلص كل حقوقها وقد ظفرت المانيا من قبل بحقوقها بفضل جهادها حتى أصبحت من أقوى أمم الأرض ٠ ثم انهزمت فى الحرب الثانية ، وهاهى تفاوض مقتنعة انها ستنال حقوقها كاملة ولو لم يرضها الاتفاق الأخير ارضاء تاما ٠ فالحرية ثمرة كفاح وتضحية والاستقلال وليد جهاد مستمر ٠ اما الوقوف عند شقشقة اللسان ومهاجمة العاملين فليس بكفاح ولا بجهاد ٠

والأمثلة على التجاء الضعفاء للمفاوضات كثيرة سواء فى أوروبا أو امريكا وغيرهما وها هى المفاوضات تجرى الآن بين الدول المحتلة وغاصبيها ، بل بين الدول المستقلة وبعضها ٠ فتحريم المفاوضة اذن تقصير وتهاون واضاعة فرص قد لا تعود ٠ ولا ضير على المجاهدين اذا انتهت مفاوضاتهم بالفشل فهم أدوا واجبهم واذكوا بذلك روح الوطنية بين مواطنيهم ٠

اما اذا كان من ينادون بتحريم المفاوضات يرون أن مواطنيهم جميعا جهلاء أو خونة لا يؤتمنون على اجراء مفاوضات يكون فيها نفع لبلادهم فهذا هو البلاء بعينه ٠

❋ ❋ ❋

وللأسباب التى ذكرناها الفنا الوفد المصرى ١٩١٨ للمطالبة بالحقوق الوطنية والمفاوضة مع الانجليز بشأنها والعدول عن هذا الواجب تقصير فاحش فى حق الوطن وخاصة بعد ان أعلن الدكتور ولسن على العالم حق الأمم فى تقرير مصيرها ، وبعد أن قبلت الدول هذا المبدأ وفى مقدمتها انجلترا ٠ وكان هذا المبدأ من أهم الأسباب التى أنهت الحرب العالمية الأولى ، فكان على المصريين الذين يغارون على مستقبل بلادهم أن يطالبوا انجلترا ومؤتمر السلام بتنفيذ هذا العهد كما فعلت أمم أخرى مثل ايرلندا وغيرها ٠

لهذا سعينا فى تكوين وفد مصر ٠ ومما يدل على سداد هذا الرأى وضرورة الأخذ به أنه نال تأييد الأمة وتأييد الأحزاب وقد ظهرت التوكيلات من طبقات الأمة على اختلاف درجاتها واندفع الى تأييد هذا الوفد مستقلون وحزبيون شيبا وشبابا ولم يعد للأحزاب وجود بعد تكوينه ٠ فان الشعب كان يحس بضرورة توحيد جبهته فى معركة الاستقلال ٠

ومما يدل ـ فوق ماسبق ـ على ماذكرنا ان سعد زغلول اخبرنى فى الأيام الأولى من تكوين الوفد ان المرحوم على فهمى كامل شقيق المرحوم مصطفى كامل ـ وكان وقتئذ وكيل الحزب الوطنى ـ حضر اليه فى منزله وبارك تكوين الوفد واظهر استعداده لمساهمة الحزب الوطنى فى مساعدة الوفد ماديا ، واخبرنى سعد انه شكر على فهمى كامل واظهر له عدم الحاجة الى عون مادى ٠

ولا يضيرنا بعد تكوين الوفد والسفر الى اوروبا اننا صودمنا باعلان الدكتور ولسن قبول حماية انجلترا على مصر ، فلم تكن تلك الصدمة لتصرفنا عما انتويناه من كفاح فى سبيل بلادنا ، وهو كفاح امضينا فى سبيله نحو السنتين بعيدين عن بلادنا تاركين ابناءنا واهلينا واعمالنا التى نعيش منها ٠ ولا اخفى ان بعضنا كان يعيش من عمله وكانت مدخراته فى المال رقيقة وقد رجع بعد هذا الكفاح مثقلا بالديون واملاكه مهددة بالضياع ٠

واكثر من ذلك ان من الفوا الوفد كانوا يتوقعون الوانا من العسف والبطش من الانجليز تصيبهم فى اموالهم وانفسهم يدل على ذلك ما قام به على شعراوى من وقف املاكه حتى لا تتعرض ـ فى نظره ـ للمصادرة ٠

وقد حدث شىء مما كنا نتوقعه ، فان قائد السلطة العسكرية طلبنا نحن السبعة الى مقر قيادته كما قلنا وانذرنا بالكف عما نقوم به والا عوقبنا اشد العقاب ورغم هذا فاننا لم نكف عن العمل ٠

اللاحـــق

ملحق رقم (١)(*)

خطاب مصطفى كامل للخديوى عباس عن قطع صلته به

ارسل الخطاب عقب عودة مصطفى كامل من اوروبا ١٩٠٤

« مولاى »

تشرفت فى ديفون بالمثول بين يدى سموكم يوم ٢٧ اغسطس الماضى ١٩٠٤ ورفعت الى مقامكم السامى ان الحالة السياسية الحاضرة تقضى على بأن اكون بعيدا عن فخامتكم ، وان اتحمل وحدى مسـئولية الخطة التى اتبعها نحو الاحتلال والمحتلين ، منعا لتكدير خاطركم الشريف ودفعا لما عساه يقع من الخلاف والنزاع ·

وقد رأيت يامولاى بعد التفكير انه صار من المحتم على القيام بهذا الواجب ، وأنه اول عمـــل يلزمنى تأديته عقب عودتى الى الوطن العزيز لأن الانجليز اظهروا فى خلال السنوات الأخيرة من التضييق على جنابكم العالى ما يجعل وجود رجل لينتقد سياستهم فى الصباح والمساء بجانب سموكم داعيا لاعتدائهم على حقوق ذاتكم السنية وحجة لتدخل جديد غير محمود ·

وانى بعد أن رأيت احتجاجهم على جنابكم الرفيع بمناسبة المقابلة التىتفضلت جلالة ملكةالبرتغال بمنحى اياها ومعارضتهم العنيفة لفخامتكم بسبب الاستقبال الودى الذى نالته مدام جولييت آدم من لدنكم ، وتصريحهم

(*) اللاحق من عمل الباحثين الذين قاموا بتحقيق هـذه المذكرات .

بان انجلترا لا تسمح لجنابكم العالى باكرام من يعاديها ، وادعاءهم بان كل ما يكتب او يقال ضدهم موعز به من سموكم ، اعد نفسى مقصـــرا تقصيرا حقيقيا فى تادية الواجب نحو مقامكم الرفيع اذا ابقيت صلتى بسموكم على حالها وفضلت نعمة التقرب منكم على القيام بواجب تدعو اليه الوطنية والسياسة ٠

وانى ارجـــو ان يعتقد مولاى حفظـــه الله انى لم اقصـــد الا محض خـــدمته بمـــا قلته لســـموه بشان اولئك المفســدين الذين يلتصـــقون بالمعية ويضـــرون بها اكثر من اعدائها الظاهرين ، ويدخلون اسمكم الكريم فى كل حادث ٠ غير حاسبين للراى العام حســـابا وغير ذاكرين ان عرش الخديوية هو البقية العزيزة لاستقلال البلاد ، وانه يجب ان يكون على الدوام محاطا بالاحترام التام والاجـــلال العام ، ليقاوم القوتين المحاربتين له الا وهما الاحتلال والزمان ٠

وانه ليحلو لى ان ابقى الى آخر لحظة من حياتى خادما لتلك المبادىء الوطنية العالية التى كنتم سموكم اول الداعين اليها والمنادين بها ، وان تزداد كل يوم اتساعا الهوة التى بينى وبين الذين ادعوا خدمة الوطن ليخدموا مصالحهم ثم انقلبوا بلا خجل ولا حياء

وانى اتشرف يامولاى بان ارفع الى سدتكم العلية واجبات الشكر على جليل التفاتكم وسامى رعايتكم ، واقدم الى المقام الرفيع اسمى ما يليق من التجلة والاعظام ٠

مصر فى ٢٤ اكتوبر ١٩٠٤

مصطفى كامل

عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ . ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

ملحق رقم (٢)

امر عـــال

بناء على ما عرضه علينا ناظر المالية وموافقة رأى مجلس النظار امرنا بما هو آت :

(المادة الأولى)

ابتداء من صدور أمرنا هذا بتحصيل على الخيوط والمنســوجات القطنية المشغولة فى القطر المصرى رسم بحسب قيمتها يعادل رسم الجمرك والجارى تحصيله على المصنوعات المماثلة لها الواردة من الخارج ٠

(المادة الثانية)

يستحق الرسم المذكور بمجرد خروج المصنوعات من المعمل وما يوجد منها خارجا عن المعمل ولم يدفع عنه الرسم يعتبر مهربا ويضبط لجانب الميرى ٠

(المادة الثالثة)

يخصم من رسم المصنوعات المذكورة اذا اقتضى الحال ذلك قيمة عوايد الدخولية التى يكون سبق تحصيلها علي القطن المســتعمل فى تشغيلها ٠

(المادة الرابعة)

تعفى من الرســــم المقــــرر فى المادة الأولى من امرنا هذا جميع المصنوعات المبينة فى المادة المذكورة الصادرة من المعامل المحلية الصغيرة التى تشتغل فقط على انوال تدار باليد ·

(المادة الخامسة)

على ناظر المالية تنفيذ امرنا هذا ونشر جميع اللوائح اللازمة لذلك

عباس حلمى

صدر بسراى عابدين فى ١٣ ابريل ١٩٠١	بامر الحضرة الخديوية
نـــاظر المـــالية	رئيس مجلس النظـــار
(احمد مظلوم)	(مصطفى فهمى)

الوقائع المصرية (نمرة الجريدة ٢٨)

١٧ ابريل ١٩٠١ ـ ٢٨ ذى الحجة ١٣١٨ هـ

ص ٥٨٠

ملحق رقم (٣)

نداء الوفد لمعتمدى الدول الأجنبية بمصر

« ايمانا بالتصريحات المؤكدة التى أعلنها ساسة الحلفاء عند نشوب الحرب ولازلوا يجاهرون بها من انتصارهم للحرية والحق ٠

واعتمـــادا على تلك الروح الجـــديدة التى تدفـــع أمم العـالم وديموقراطياته نحو ذلك المثل الأعلى مثل الحياة المطمئنة فى كنف العدل وبحبوحة السلام ٠

« وثقة على الأخص بأن دخول جمهورية الولايات المتحدة الفاصل فى المعترك العالمى لم يكن لها فيه من قصد سوى صـــيانة حقوق الأمم الضعيفة واستنتاج عصر عدل مجرد عن الهوى تبور فيه الى الأبد صفقة من لا ينظر الا الى ارضاء مطامعه الشخصية ولا يهمه غير بسط سلطته على بنى الانسان اعتمادا على القوة والجبروت ٠

« فمصر التى تعرف واجباتها وتهتم بمصالح نفسها ـ وقد دخل ذلك الايمان قلبها وجعلت ذلك الاعتماد وهذه الثقة سندها ـ رأت بمجرد عقد الهدنة الأخيرة انها بعد ان لبثت طول مدة الحرب على اكمل حال من السكينة وحسن الوفاء قد آن الأوان لتجهر ، على هذا المنوال من السكينة والوفاء ، بمالها من الحق فى أن تحيى حياة حرة خالصـة من القيود والأغلال ٠

« كل مصرى يمازج فؤاده هذا الشعور وكل مصرى كان يضبط شعوره حتى وافت هذه الفرصة فتفتحت أفئدة الأمة جمعاء واندفعت من

ذاتها تطلب لمصر الاستقلال الذى كان دائما ضالتها المنشودة والذى من اجله سفكت تارة دم أبنائها فى ميادين القتال وتارة كانت تهب للمعارضة بغاية الشدة كلما عرض من الحوادث مامن شانه اقصاؤها عنه ٠

« مصداق هذا الشعور الراسخ أن الوفد الذى تالف من الموقعين عليه للقيام بمطالب البلاد الحقة والدفاع عنها فى الخارج لم يكد يتم تأليفه حتى تقبلت الأمة مهمته بالارتياح وأيدته فيها بالاجماع ٠ ولقد كان هذا الوفد الذى من بين رجاله كثير من أعضاء الجمعية التشريعية أن يستغنى عن أى توكيل خاص لأداء مهمته هى من بديهيات الحق الطبيعى للحكومات فكر فى أنه لو حصل على رأى الأمة فى صورة توكيل يمضـــيه أفرادها وخصـــوصا من يكونون منهم قائمين بوظائف نيـــابية لـكان ذلك أبلغ فى الدلالة على مشيئة البلاد وأقوم فى البيان عن كنه شعورها ، لدى من ليسوا عالمين بحقيقة حالها ٠

« لم تكد هذه الفكرة تظهـر حتى أخذ الجمهور على نفســـه أمـر تحقيقها ولم تكن الا برهة من الزمان يسيرة حتى امتلأت التوكيلات بألوف الامضاءات من بينها عدد عظيم للعلية من أفراد الأمة كأعضاء الجمعية التشريعية ومجالس المديريات والمجالس البلدية وغيرهم ٠ ومما لا ريب فيه أن هذه الحركة لو تركت وشانها لأجمعت الأمة بهذا الشكل على مطابقة مأموريتنا لما يخامر كل فؤاد من افئدة أبنائها ٠

« ولكن مبادىء الحق والعدل التى انتشـرت فى العالم انتشـــارا لا يقاوم بدليل ما يرن فى آذاننا من أصواتها الواصلة الينا منأوربا وأمريكا وما نقرأه عنها فى تصريحات كبار الرجال أولى الشأن فى التعبير عن آراء أممهم ـ هذه المبادىء يظهر أن أمتنا بالغت فى الاعتداد بها ٠

« نقول هذا لأنه كانت تصدم أفكارنا التى تتوارد علينا تباعا من الاجراءات التى تباشرها السلطة لمنع تداول التوكيلات ثم مصادرة ما تم التوقيع عليها فعلا ٠

« تظلم وفدنا لدولة رئيس الوزراء من هذه الاجراءات فكان جوابه :

« ان الأوامر الخاصة بذلك قد كان صدورها من جناب مستشار الداخلية ، وأن التوكيلات التى تداولت اعتبرت مما يدعو للاخلال بالنظام العام » ٠

« الله شهيد ان البلاد لم تكن قط اكثر منها سكينة ورزانة عندما أهاب بها الداعى واستوقفها لتجهر برأيها فى هذا المشهد الرهيب . فالمصريون شبابا وشيوخا ، سكان مدن وقرى ، أغنياء وفقراء ، كلهم قد نسوا ما بينهم من الفوارق الطائفية والمذهبية والحزبية وقاموا جميعا بدافع الاخلاص والوطنية قومة رجل واحد ملبين دعوة الداعى يزينهم الاعتدال والتعقل فى القول والفعل .

« ولقد كنا نعتقد أن تداخل السلطات فى هذا الشأن لا يتجاوز حد عمل احتياطى من أعمال رجال الضبط وأن ما فيها من التعسف ليس منبعثا الا عن افراط فى الغيرة ، ولم يدر بخلدنا ان استنكار السلطات لمهمتنا يبلغ بها الى المعاملات الجديدة التى عاملتنا بها وهى منعنا عن السفر لأوروبا لأداء موجب التوكيل الذى أخذناه على عاتقنا ، ذلك اننا قدمنا طلبا كتابيا لفخامة المندوب السامى البريطانى نرجوه فيه أن يتوسط لدى السلطة العسكرية لمنحنا جوازات السفر فورد الينا الجواب فى أول ديسمبر سنة ١٩١٨ من السكرتير الخصوصى يبلغنا أن فخامته بعد أن استشار حكومة جلالة ملك بريطانيا لا يستطيع التوسط المطلوب .

« فنظرا لأن تلك الاجراءات يصعب التوفيق بينها وبين الروح السائدة فى الأمم والحكومات التى سيأخذ مندوبوها مجالسهم فى مؤتمر الصلح ، ونظرا لأن هذه الاجراءات مناقضة على خط مستقيم للتأكيدات المتكررة على رؤوس الملأ من أن صوت الشعوب وافصاحها بالحرية عن ميولها القومية سيكون لها الأثر الفاصل فى تقرير مستقبلها .

« ونظرا لتلك المعاملات الاستثنائية التى عوملت بها الأمة المصرية حتى لم يسلم منها الوزراء المصريون أنفسهم من الاستهتار بمبدأ الحرية الشخصية ومن غمط مبدأ الحق الطبيعى لكل أمة فى أن تسمع قبل من عاداها صوتها بالنسبة للمسائل الجوهرية الخاصة بها ، تلك المسائل التى لا يمكن الوقوف عليها الا بعد اعطاء الأمة كامل الحرية فى التعبير عن رأيها .

نظرا لكل ما تقدم

« أتينا بهذا محتجين لدى حضرات نواب الدول الصديقة التى يهمها أمر مصر على الخطة التى صار اتخاذها معنا وعلى كل قرار يتخذ بشأن مستقبل مصر بدون أخذ رأى الأمة المصرية فيه » .

القاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩١٨ .

امضاءات أعضاء الوفد المصرى

مذكرات عبد الرحمن فهمى : الملف الأول ، ص ٢٩ ، دار الوثائق القومية بالقلعة .

ملحق رقم (٤)

بيان من سعد باشا زغلول الى الأمة المصرية

فيشى فى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٢٠

اخواننا الكرام :

نهضت الأمة المصرية للمطالبة باستقلالها فى ظروف علت فيها الأصوات بالحق والعدل وحرية الأمم واجتمع اقطاب السياسة لتقرير السلام ومصير الأقوام على حسب ما تتعلق به ارادتهم ويقتضيه اختيارهم لا بحسب ما تقتضيه مصلحة الأقوياء · وندبت من ابنائها اعضاء الوفد المصرى ليعبروا عن رايها ويسعوا بكل الطرق المشروعة للحصول على مطلوبها حيثما وجدوا للسعى سبيلا · فتحملوا هذه الأمانة الكبرى وخصصوا جميع اوقاتهم واعمالهم للوفاء بها · وبذلوا فى سبيلها من المجهودات ما تعلمون ومالا تعلمون وصادفوا من الصعوبات ما شعرت به الأمة فغضبت له الغضبة العظمى · ولقد امدهم ابناؤها على اختلاف اديانهم وتباين اهوائهم فى جميع المواقف بمظاهر اتحادهم وتضامنهم وضحوا فى سبيل نصرتهم كل مرتخص وغال عندهم · وكان اول ما وجه الوفد اليه اهتمامه أن يعرض القضية المصرية على مؤتمر السلام مدعمة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ولكنه لم يجد من رجال المؤتمر سوى الاعراض عنه اذ وصدوا أبوابهم دونه ولم يريدوا ان يعرفوا صفته ولا وجوده · وبعد قليل قرروا الاعتراف بحماية انجلترا على مصر · فلم يكن منه الا ان بذل كل جهده فى نشر القضية المصرية فى العالم القديم والحديث على طريقة اظهرت حقيقتها لكثير من الافهام · وعرفتها لكثير من الشعوب التي لم يكن لها معرفة بها من قبل حتى استفز بيانه الكثير

من الأحرار فى البلاد المتمدنة الى الانتصار لها والدعوة لاجراء العدل فيها ٠ فرأت الحكومة الانجليزية ان تعين لجنة لتحقيق أمرها والوقوف على أسباب الاضطرابات التى عمت بسببها فاتفقت كلمة الأمة أن تقاطعها لعلمها بأن الغرض منها لم يكن سوى تأييد الحماية ووضع نظام للبلاد فى دائرتها ٠ وأبت أن تقف منها موقف المسئول من المسـائل واحالت أمر المفاوضة الى عهدة وفدها ٠ فالتزمت اللجنة ان تعود الى حيث أتت ٠ ثم دعته للمناقشة بقصد الوصول الى وضع قواعد اتفاقية توفق بين استقلال مصر ومصالح انجلترا فيها ٠

فأبى أن يجيب الدعوة حتى يتأكد من حسن اســتعداد الحكومة الانجليزية بالنسبة لاستقلال البلاد وارسل لهذه الغاية كما تعلمون ثلاثة من أعضائه الى لندره فتأكدوا من حسن هذا الاستعداد حيث صرح لهم بانه ليس فى مصالح انجلترا ما يعارض استقلالها ولهذا لم نجد بدا من الذهاب الى لوندره للدخول فى المفاوضة ولقد باشرناها منذ وصلنا هنا ومكثنا نزاولها الى ١٦ أغسطس وانتهت المناقشة بوضع ثلاثة مشروعات أولها من لجنة ملنر ورفضناه بتاتا والثانى منا ورفضــته هذه اللجنة كذلك والثالث منها وهو الأخير قد صرح رئيسها لنا عند البحث فيه أنه غير قابل للمناقشة فى الأساسات التى بنى عليها وانه يلزم اما أخذه كله أو تركه لأنه تضمن فى اعتباره أقصى ما يمكن لانجلترا الاتفاق مع مصر عليه بل زاد أن هناك شكا فى صواب التساهل فى بعض ما اشتمل عليه ٠ ولكنا وجدناه مع ذلك معلقا تنفيذه على غير ارادتنا وغير واف بمطالبنا فلم يسعنا قبوله لخروجه عن حدود توكيلنا وأظهرنا للجنة ملنر عدم رضائنا به غير انه نظرا لاشتماله على منافع لا يستهان بها وتغير الظروف التى حصل التوكيل فيها وعدم العلم بما يكون من الأمة بعد معرفتها بمشتملاته وقياس المسافة التى بينه وبين أمانيها راى اخواننا معنا خروجا من كل عهده وحرصا على كل فائدة واستبقاء لكل فرصة الا يبتوا فيه رســميا بما يقتضيه توكيلهم قبل عرضه عليكم انتم نواب الأمة المسئولين وأصحاب الراى فيها ٠ وبناء عليه اتفقنا مع لورد ملنر على تأجيل القرار النهائى الى ما بعد هذه الاستشارة وتعين كل من حضرات محمد باشا محمود وعبد اللطيف بك المكباتى ولطفى بك السيد وعلى بك ماهر وويصا بك واصف وحافظ بك عفيفى ومصطفى بك النحاس لهذه الغاية ٠ وليشرحوا لكم بالنزاهة المعلومة فيهم والدقة المعروفة عنهم الحقائق والوقائع التى ترون الوقوف عليها لازما لتكوين اعتقادكم حتى تبدوا بعد اســتشارة ضمائركم والتأمل فى حاضركم وقابلكم رأيكم فيه بالرفض أو القبول ٠ فاذا

رفضتم أعلن الوفد رسمياً رفضه واذا قبلتم دخلت المســـألة فى دورها النهائى ووضعت معاهدة على القواعد التى تضمنها وعرضت على الهيئة النيابية للتصديق عليها ووضع نظام دستورى للبلاد ·

ارجو الله سبحانه وتعالى أن يلهمكم الصواب فى ترويكم وان يكلل بالنجاح مساعيكم أمين ·

(جريدة الوطن ٦ سبتمبر ١٩٢٠)

ملحق رقم (٥)

برقية من سعد الى جريدة الاخبار

باريس فى ٢٣ يناير

لما ابت لجنة ملنر ان تبحث معنا التحفظات التى أبدتها الأمة فى مشروعها واشارت الى امكان بحثها فى المفاوضة الرسمية التى ستكون على أساس هذا المشروع صرحنا لها أنه لا يمكن لنا ولا لأى انسان يكون للأمة أقل ثقة فيه ان يدخل فى هذه المفاوضة على اساس هذا المشروع قبل تعديله بالتحفظات المذكورة ٠

ولقد استحسنت الأمة هذه الخطة واقرتنا عليها وجددت بنا ثقتها كما جددنا عهدنا لها بالمثابرة عليها ٠

غير أن فكرة نبتت الآن فى بعض النفوس ترمى الى أن الوفد مع تمسكه بهذه الخطة فى خاصة نفسه لا يمنع الغير من الدخول فى المفاوضة على خلاف هذا الشرط بل يلزمه أن يأيده ويعلن ثقته فيه متى كان من أصدقائه ٠

وهى فكرة أقل ما فيها أنها غير مفهومة ولا قابلة للفهم ولا يترتب على العمل بها الا افساد خطة الوفد نفسه لأن تعديل المشروع بالتحفظات قبل الدخول فى المفاوضات اما أن يكون فى اشـــتراطه أولا فان كان فيه مصلحة فلا يصح تأييد من يخالفه وان لم يكن فيه مصـــلحة فلا معنى لاشتراطه كما لا معنى أن يؤيد الوفد عملا منع نفسه منه سوى أنه يسعى لتأييد خطة مناقضة لخطته وان يتحمل مسئولية أمام الأمة عن عمل لا دخل له فيه ولا هو متفق مع مبادئة ٠

لهذا أظهرت لجميع أبناء وطنى انى لا أوافق على هذه الفكرة أصلا واحذرهم منها ومن تصديق اى قول لم يصدر منى بقبولها أو بتعديل الخطة التى كررت بيانها للأمة وهى انى لا أدخل فى اية مفاوضة على أســـاس مشروع ملنر قبل تعديله بالتحفظات ولا أؤيد من يدخل فيها بدون هذا الشرط مهما كانت علاقته بشخصى ومهما كانت ثقتى به ،

(وأملى فى وطنية كل مصرى ان يفهم المركز الدقيق الذى نحن فيه وان يحافظ على الاتحاد الذى هو عماد قوتنا والمعول عليه فى نجاح قضيتنا ورجائى فى الله قوى أنه مادام هذا الاتحاد متينا فلابد أن نصل الى تحقيق الآمال) ٠

سعد زغلول

الأخبار ٢٥ يناير ١٩٢١ العدد ٢٨٢ ، ص ٢ ٠

ملحق رقم (٦)

مضبطة الجلسة ١٧ لمجلس النواب

١٣ ابريل ١٩٢٤

ستة اســـــئلة موجهة الى وزارة الاشــــغال العمومية من النائب عبد الرحمن الرافعى بخصوص مشروعات السودان •

السؤال الأول : ص ١٨٦

« ما هو رأى وزارة الاشغال فى مشروعات الرى فى السودان وعلى ألأخص مشروع سد النيل الأبيض ومشروع رى الجزيرة الجارى العمل فيه الآن وذلك بالنسبة لتأثيرها فى مصالح مصر الحيوية وهل يرى معالى الوزير بعد ما قطع كثير من المهندسين الاخصائيين بضرر هذه المشروعات لمصر ان تؤلف الوزارة لجنة من الفنيين لبحث هذه المشروعات وبيان أوجه نفعها أو ضررها لمصر واختيار أحسن المشروعات التى عرضت الى الآن لزيادة المياه لمصر مع توسيع الرى فى السودان بحيث لا يضر ذلك بمصلحة مصــــر » •

والرد عليه هو :

« ان هذه المسالة هى من اهم المسائل التى تعنى بها الحكومة وهى موضع اهتمام وبحث وزارة الاشغال العمومية فاذا تبين من البحث ضرورة تعيين لجنة فنية فهى لن تتأخر عن تشكيلها ومتى تم البحث أمكن للوزارة ان تبدى رايها » •

السؤال الثانى : ص ١٨٦

« هل يتفضل معالى الوزير بأن ينشر بيانا بمقدار المياه التى اخذتها مصر فعلا سنة ١٩١٦ ــ ١٩١٧ فى الرى الحوضى والمستديم والملاحة مقدرة عند أسوان كل عشرة أيام وكذلك تصرفات النيل سنة ١٩١٣ ــ ١٩١٤ مقدره عند أسوان كل عشرة أيام لما فى هذا البيان من المعلومات الأساسية اللازمة للحكم على تأثير مشروعات الرى فى السودان بالنسبة لمصر » .

والرد عليه هو :

« ان الوزارة تتقبل هذا الطلب بكل سرور ومن الآن اتشرف بأن اقدم للمجلس الموقر كشفين(*) مستخرجين من البيانات الموجودة بالوزارة وهما كشف ببيان مقدار المياه التى اخذتها مصر فعلا لسنة ١٩١٦ ــ ١٩١٧ فى الرى الحوضى والمستديم والملاحة مقدرة عند أسوان كل شهر وكشف ببيان تصرفات النيل لسنة ١٩١٣ ــ ١٩١٤ مقدرة عند اسوان كل شهر وسيتم بعد قليل تحرير هذه البيانات مقدرة عند أسوان كل عشرة ايام كطلب حضرة النائب المحترم وحينئذ اتشرف بتقديمها لمكتب المجلس .

السؤال الثالث : ص ١٨٧

« هل يتفضل معالى الوزير بنشر تقرير ديبوى عن مشروع سد جبل الأولياء وهل اثبت فى تقريره عدم فائدة انشاء هذا السد لمصر بالشكل المقترح فى كتاب « ضبط النيل » الذى وضعته وزارة الاشغال .

والرد عليه هو :

« عملا برغبة حضرة النائب المحترم ستقدم الوزارة لمكتب الرياسة تقرير المستر ديبوى عن مشروع سد جبل الأولياء من نسخة أو عدة نسخ ومنه يتبين حضرة النائب المحترم ، رأى المستر ديبوى ، وسيرى حضرة النائب أن المستر ديبوى أشار ببعض تعديلات فى تنفيذ هذا المشروع ، كتنقيص ارتفاع السد ، وحجم البناء ، ومقدار المساحة التى تغمرها المياه المخزونة .. الخ وكل هذه التعديلات ترمى الى مجرد تنقيص كمية المخزون من المياه ، وتخفيض تكاليف السد » .

(*) راجع نص الكشفين صفحة ٦٨٦ ، ٦٨٧ من مضبطة مجلس النواب .

السؤال الرابع :

« اذا تم مشروع سد النيل الأبيض ، ومشروع رى الجزيرة ، وروى بالجزيرة ٣٠٠٫٠٠٠ فدان فقط كما هو المقدر لها ، منها ١٠٠ الف فدان تزرع قطنا سنويا ، و ١٠٠ الف أخرى لوبيا ، والباقى يبقى بورا ، وذلك على حسب نظام الزراعة الدورية بالسودان ، وجاءت سنة كسنة ١٩١٣ ـ ١٩١٤ فهل يقع تأثير بالعجز فى كمية المياه اللازمة لمصر ، وان وقع فما مقداره فى كل شهر من الأشهر التى تسحب منها المياه للسدين ، ولرى الزراعة بالجزيرة ، وما هى نتائج هذا العجز على خزان أسوان ، وعلى الزراعة بمصر ؟ » .

وقبل الجواب على هذا اسمحوا لى أن أضم الى هذا السؤال :

السؤال الخامس ونصه :

« أليس من الخطر على مصر اقتصاديا وسياسيا وحربيا اقامة سدى مكوار وجبل الأولياء فى مجتمع كل مياه مصر الصيفية ، وعلى الأخص اذا لاحظنا أن المشروعين وضعا بكيفية يمكن بها قطع المياه عن مصر كلية كل ثمانية أشهر من السنة كما قرر ذلك المستر كورى فى تقريره الذى قدمه لوزارة الأشغال سنة ١٩٢٠ ضمن تقرير لجنة مشروعات النيل صفحة ٨٦ ؟ » .

والرد عليهما هو :

« ان الجواب على هذين السؤالين يتوقف على معرفة نتيجة المباحث المشار اليها فى الجواب على السؤال الأول ، والتى أشار حضرة النائب المحترم الى وجوب اجرائها ، وستبادر الوزارة باطلاع المجلس على نتيجة هذه المباحث متى تمت » .

السؤال السادس :

« أليس من مصلحة مصر الحيوية ايقاف العمل فى مشروعات رى الجزيرة بالسودان الى أن تعرض هذه المشروعات على البرلمان بعد فحصها بمعرفة لجنة من الفنيين لمعرفة مبلغ تأثيرها على مصالح مصر الكبرى ؟ » .

وتفضلوا يا معالى الوزير فى الختام بقبول فائق احترامى ؟
٧ ابريل ١٩٢٤

عبد الرحمن الرافعي
نائب مركز المنصورة

والرد على السؤال السادس هو : ص ۱۸۷ ، ۱۸۸

« ان مشروع سد مكوار قد بدىء فى تنفيذه فى سنة ١٩١٤ ، واستمر العمل فيه الى الآن على مصاريف السودان ، وقد عرض هذا الأمر فى سنة ١٩٢١ على مجلس الوزراء ، فاصدر بشانه قرارا هذا نصه :

١ ـ « بما أنه يتضح من مذكرة مرفوعة من وزارة الأشغال العمومية ان اتمام خزان جبل الأولياء ، وتنفيذ ما يلحق به من مشروعات الرى اللازم عملها فى مصر يقتضى من المال مبلغ اثنى عشر مليون جنيه ٠

٢ ـ وبما ان الأحوال المالية الحاضرة لا تمكن الحكومة من تدبير مبلغ طائل كهذا المبلغ الا اذا التجأت الى الاقتراض الأمر الذى لا ترغب فيه الآن ، ونظرا الى ان الحكومة السودانية قد اخذت على عاتقها نفقات اعمال خزان مكوار وترعة الجـــزيرة ، وقدمت لهذا الغرض مبلغ اربعة ملايين وتسعمائة ألف جنيه من جملة القرض المعقود فى سنة ١٩١٩ والبالغ قدره ستة ملايين جنيه ٠

٣ ـ وبما انه سواء فيما يختص بخزان جبل الأولياء ، او بخزان مكوار وترعة الجزيرة ، لا يستطيع مجلس الوزراء ان يصدر قرارا حاسما بشأن هذه الأعمال قبل الوقوف على نتيجة المفاوضات المزمع اجراؤها بين مصر وبريطانيا العظمى » ٠

لهذه الأســـباب

فمجلس الوزراء يقرر : ص ۱۸۸

١ ـ ايقاف الأعمال الجارية فى جبل الأولياء ، مع المحافظة على ما تم فيها حتى الآن ٠

٢ ـ يرى ايقاف اعمـــال خزان مكوار وترعة الجزيرة ، غير انه اذا رات حكومة السودان مواصلة هذه الأعمال على مسئولياتها الخاصة فليكن من المعلوم :

(ا) ان هذه الأعمال لا يجوز الانتفاع بها لرى اكثر من ٣٠٠ الف فدان حسب الاتفاق السابق فى هذا الشأن ٠

(ب) ان الحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحرية فى تقرير ما تراه ازاء هذه الأعمال ، وقرارها هذا يتوقف على نتيجة المفاوضات ٠

٢٥ مايـو ١٩٢١

امضاء :

رئيس مجلس الوزراء
عدلى يكن

ملحق رقم (٧)

مجلس النواب

دور الانعقاد الثانى - الجلسة ٤٧ - ١٩٢٧/٤/١٨

ص ٧٨٥ ، ص ٧٨٦

اقتراح برفض اقتراح لشكر الوزارة لمساعدتها بنك مصر

الاقتراح ومقدم من خمسة عشر عضوا ونصه :

يقدم المجلس شكره للحكومة الحاضرة على ماقدمته من التعضيد لبنك مصر منذ توليها الحكم ويرجو أن يستمر هذا التعضيد وتتنوع ضروبه فتوكل الى البنك بعض الأعمال التى يمكن أن يقوم بها والتى فى قيامه بها مصلحة للحكومة وللبنك معا كشراء الأوراق المالية والتحاويل على الخارج وايداع جانب من اموالها مساعدة على توسيع دائرة أعماله خصوصا فيما يختص بالتسليف على القطن وكايداع مال البدل الذى لدى الأوقاف فيه ٠

امضاءات :

عبد الحميد ابراهيم - محمد خليل العبد - سيد خشبة - عبدالعزيز سيف النصر - على محمود - يونس احمد سليم - حفنى محمود - عبدالله بركات - شاكر غزالى - ابراهيم راتب - أحمد قرشى - عبد الله عبدالفتاح الروبى - عبدالهادى عبدالرحيم - عطا عفيفي - عبد الحميد البنان ٠

وقد كانت هناك معارضة لاحالة هذا الاقتراح على لجنة المالية ولكن الاقتراح رفض اصلا وذلك بناء على اقتراح من النائب عبد السلام فهمى جمعة بك ونصه : « انى اقترح رفض هذا الاقتراح لأنه بدأ أولا بشكر الحكومة اذ لا أرى معنى لشكرها على تنفيذها لقرار صدر من المجلس خصوصا ونحن ننتقدها الآن وسننتقدها انتقادات مرة أثناء نظر الميزانية على عدم تنفيذها بعض قرارات المجلس ـ فكيف نوفق بين شكرها اليوم وانتقادها غدا ·· ؟ »

وقد أخذت الأصوات على رفض الاقتراح فنال أغلبية ·

فهرس لابرز موضوعات الذكريات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب: ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس
www.maktabetelosra..org
E–mail:info@egyptianbook.org

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠١٤٩ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9609 - 6





إن القراءة كانت ولاتزال وسوف تبقى، سيدة مصادر المعرفة، ومبعث الإلهام والرؤية الواضحة .. وعلى الرغم من ظهور مصادر حديثة للمعرفة، وبرغم جاذبيتها ومنافستها القوية للقراءة، فإننى مؤمنة بأن الكلمة المكتوبة تظل هى مفتاح التنمية البشرية، والأسلوب الأمثل للتعلم، فهى وعاء القيم وحافظة التراث، وحاملة المبادئ الكبرى فى تاريخ الجنس البشرى كله.

سوزان مبارك





الثمن ٣٠٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب